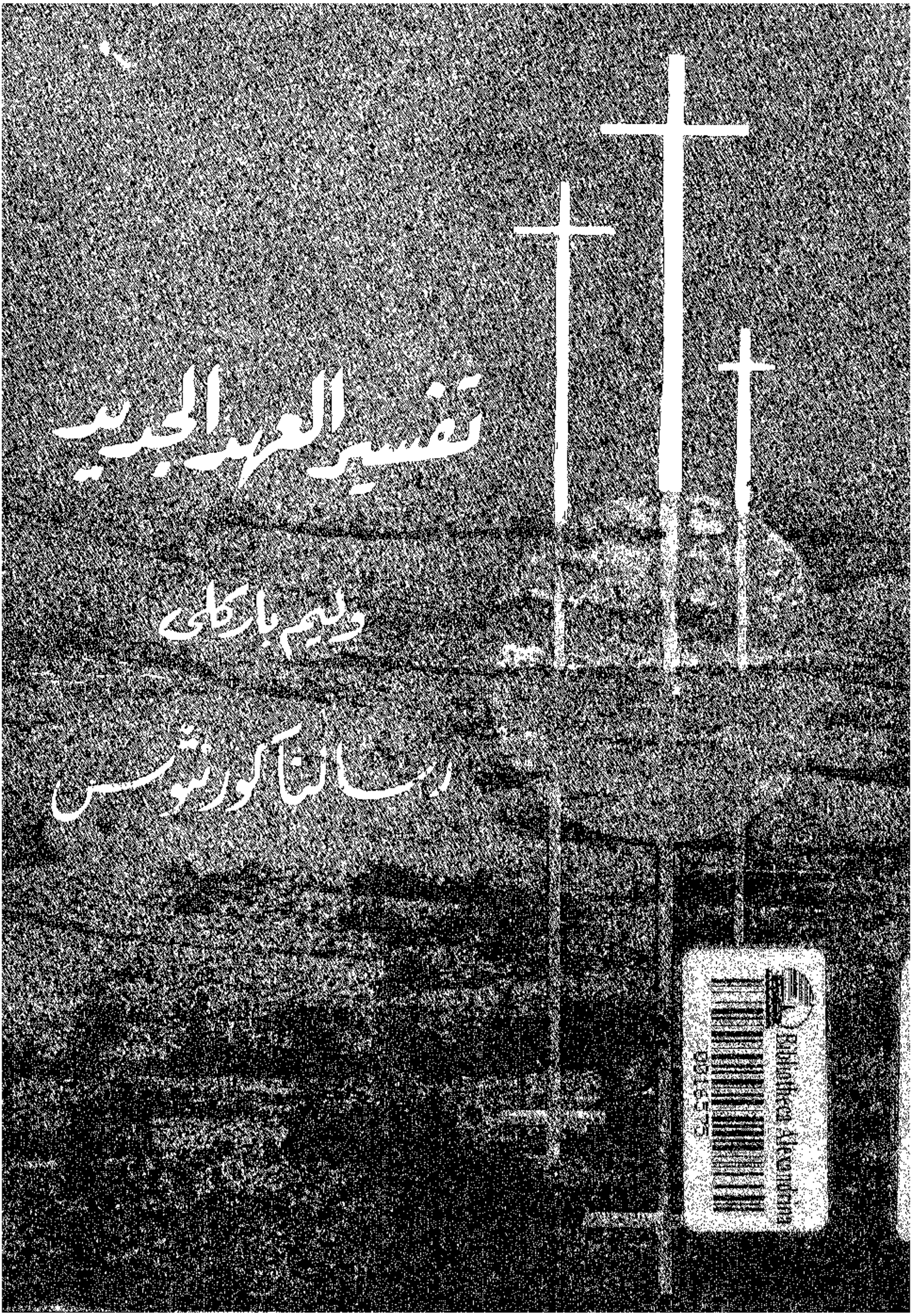

تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

رسالتا كورنثوس

Bibliotheca Alexandrina

رسالتا كورنثوس

نقله إلى العربية

القس باقي صدقة

دار الثقافة
ص.ب ١٢٠٤ القاهرة

(طبعة ثانية)

صدر عن دار الثقافة المسيحية ص. ب ١٣٠٤ ـ القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم اقتباس
أو اعادة نشر أو طبع بالرونيو للكتاب أو أى جزء منه بدون اذن
الناشر وللناشر وحده حق اعادة الطبع)
١٠/١٨٠ ط ٢/٧٩ (أ)
٥ ـ ٧ رقم الايداع بدار الكتب ٩٧٧/٧٩/٢٦٥٤
طبع بمطبعة **دار الجيل للطباعة**

تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلى

أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو

مجلس التحرير

دكتور بطرس عبد الملك — الأستاذ حبيب سعيد
القس صموئيل حبيب — القس فايز فارس
القس فهيم عزيز

الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية
رقم التصنيف
رقم التسجيل
Ge... ...ization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

- يشترك عدد كبير من المترجمين في إصدار هذه السلسلة .
- ويقوم بنشرها :
  - دار الثقافة المسيحية
  - ودار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة لرسالتى كورنثوس	٩
الرسالة الأولى	
الإصحاح الأول :	
مقدمة رسولية	٢٣
ضرورة الشكر	٢٦
كنيسة منقسمة	٢٨
لليهود عثرة ولليونانيين جهالة	٣٤
العار الممجد	٣٩
الإصحاح الثانى :	
الكرازة والقوة	٤٣
الحكمة التى من الله	٤٦
أشياء روحية لأناس روحيين	٤٩
الإصحاح الثالث :	
الله هو الكل	٥٣
الأساس والبناؤون	٥٦
الحكمة والجهالة	٥٩
الإصحاح الرابع :	
الأحكام الثلاثة	٦٣
تواضع رسولى وكبرياء غير مسيحية	٦٦
أب فى الإيمان	٧٠
الإصحاح الخامس :	
الخطية والسرور	٧٤
الكنيسة والعالم	٧٨
الإصحاح السادس :	
حماقة المحاكم	٨٣
وهكذا كان أناس منكم	٨٦
اشتريتم بثمن	٩١
الإصحاح السابع :	
النسك والزهد الكامل	٩٨
الشركة الزوجية	٩٩

الموضوع	الصفحة
الرباط الذى ينبغى ألا ينفصم	١٠٢
خدمة الرب حيث يدعونا وحيث نوجد	١٠٦
نصيحة حكيمة فى مشكلة عويصة	١٠٨
الوقت مقصر	١١١
الزواج ثانية	١١٥
الإصحاح الثامن :	
نصيحة للعلماء والحكماء	١٢٠
الإصحاح التاسع :	
الامتيازات التى لا يطالب بها	١٢٤
الامتياز والالتزام	١٢٩
صراع حقيقى	١٣٤
الإصحاح العاشر :	
خطر الإفراط فى الثقة بالنفس	١٣٨
التزام الفريضة	١٤٤
حدود الحرية المسيحية	١٤٧
الإصحاح الحادى عشر :	
التواضع الضرورى	١٥٢
العشاء الخطأ	١٥٧
عشاء الرب	١٦١
الإصحاح الثانى عشر :	
اعتراف الروح	١٦٦
مواهب الله المتنوعة	١٦٩
جسد المسيح	١٧٥
الإصحاح الثالث عشر :	
أنشودة المحبة	١٨٢
طبيعة المحبة المسيحية	١٨٥
سمو المحبة	١٩٢

الموضوع	الصفحة
الإصحاح الرابع عشر :	
العبادة المخلصة والعبادة المزيفة	١٩٠
تأثيرات العبادة المخلصة والعبادة المزيفة	٢٠٠
النصيحة العملية	٢٠٣
البدع المتنوعة	٢٠٦
الإصحاح الخامس عشر :	
قيامة يسوع وقيامتنا	٢٠٩
الرب المقام	٢١٥
لو لم يقم المسيح	٢٢١
باكورة الراقدين	٢٢٤
لو لم تكن هناك قيامة	٢٢٨
الحيوانى والروحانى	٢٣٣
غلبة الموت	٢٣٨
الإصحاح السادس عشر :	
خطط عملية	٢٤٢
كلمات وتحيات ختامية	٢٤٨
الرسالة الثانية	
الإصحاح الأول :	
تعزى لنعزى	٢٥٥
متكلين على الله	٢٥٨
فخرنا الوحيد	٢٦١
نعم الله فى يسوع المسيح	٢٦٣
عندما يتّهم قديس	٢٦٦
الإصحاح الثانى :	
طلب مسامحة الخاطئ	٢٧٠
فى نصرة المسيح	٢٧٣
الإصحاح الثالث :	
كل واحد هو رسالة المسيح	٢٧٨
المجد الفائق	٢٨١
البرقع الذى يخفى الحقيقة	٢٨٦

الموضوع	الصفحة
الإصحاح الرابع :	
الذهن الأعمى	٢٩١
الضيق والنصرة	٢٩٤
سر الصبر والتحمل	٢٩٩
الإصحاح الخامس :	
السرور والدينونة القادمين	٣٠٢
الخليقة الجديدة	٣٠٥
سفراء عن المسيح	٣٠٩
الإصحاح السادس :	
عاصفة من الشدائد والضيقات	٣١٣
نبرة المحبة	٣٢٠
أخرجوا من وسطهم	٣٢٣
الإصحاح السابع :	
الفرح والحزن الذى بحسب مشيئة الله	٣٢٧
الإصحاح الثامن :	
حث على الكرم والسخاء	٣٣٤
ترتيبات عملية	٣٣٨
الإصحاح التاسع :	
المعطى من تلقاء نفسه	٣٤٠
مبادئ السخاء	٣٤٢
الإصحاح العاشر :	
بولس يبدأ فى مجاوبة منتقدية	٣٤٩
بولس يستمر فى مجاوبة منتقديه	٣٥٣
الإصحاح الحادى عشر :	
خطر ضياع العفة	٣٥٩
الذين يغيرون شكلهم إلى شبه المسيحيين	٣٦٢
شهادات اعتماد رسول	٣٦٦
الإصحاح الثانى عشر :	
الشوكة والنعمة	٣٧٤
الرسول يختم دفاعه	٣٨٠
سمات كنيسة غير مسيحية	٣٨٤
الإصحاح الثالث عشر :	
تحذير — رغبة — رجاء — بركة	٣٨٨

هذه السلسلة

الدكتور وليم باركلى من كبار المفكرين والباحثين فى العالم المسيحى فى هذا العصر ، وهو أستاذ العهد الجديد فى جامعة كلاسكو باسكتلندا . وقد قام باعداد دراسات مسلسلة فى العهد الجديد تدل على تعمق فى البحث والدرس ، وطلاوة فى حسن التعبير ، وطرافة فى المعنى ، وسهولة فى الاستيعاب . وقد بيع من هذه السلسلة التى تشمل أسفار العهد الجديد كلها مليون نسخة فى عام واحد فى بريطانيا وحدها ، وأعيد طبعها حتى الآن خمس مرات ، وما زال الإقبال عليها شديداً .

وقد صحت عزيمة دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بجمهورية مصر العربية ، ودار الثقافة المسيحية التابعة للهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية ، على إصدار هذه السلسلة تباعاً ، ويقدمها فى العربية نخبة من المترجمين فى أسلوب سهل خال من الحذلقة اللغوية والإعجاز اللفظى .

ومما يقوله المؤلف فى مقدمته العامة أن الهدف من إصدار هذه السلسلة هو وضع نتائج أبحاث العلم الحديثة تحت تصرف القارئ العادى ، الذى لم ينل حظاً موفوراً من الدراسات اللاهوتية ، ثم تطبيق تعاليم أسفار العهد الجديد على الحياة العملية فى هذا العصر .

وليست هذه السلسلة تفسيراً بالمعنى الذى نفهمه عادة من التفاسير الأخرى ، ولكنها دراسات تحليلية فى الآيات والفقرات والأمثال والأحداث بأسلوب شيق فيه جاذبية التاريخ ، وعذوبة الخيال ، وقوة العظة ، وعمق التحليل ، وروحانية المعنى .

ودعاؤنا أن تقود هذه الدراسات جميع القراء إلى معرفة يسوع المسيح ، فى وضوح وجلاء أكثر ، وإلى محبته حباً أعزر ، وإلى السير وراءه فى خطوات أقرب .

الناشرون

مقدمة لرسالتى كورنثوس

عظمة كورنثوس :

نظرة واحدة إلى خريطة بلاد اليونان ترينا أن مدينة كورنثوس قد وجدت هناك لتكون مدينة عظيمة . فإن الجزء الجنوبى من بلاد اليونان يكاد أن يكون جزيرة ، إذ أن كل ما يربطه بالجزء الشمالى هو برزخ صغير لا يزيد عرضه عن أربعة أميال . وعلى هذه القطعة الضيقة من الأرض تقع مدينة كورنثوس . وقد نتج عن هذا الموقع الهام أن أصبحت كورنثوس من أعظم المراكز التجارية فى العالم القديم . فكان لا بد للحركات التجارية كلها بين شمال اليونان وجنوبها أن تجتاز كورنثوس ، إذ لم يكن هناك طريق آخر للمرور فيه . أى أن كل تجارة أثينا وشمال اليونان مع اسبرطة والبلوبونيز (المورة) كان لا بد أن تمر عن طريق كورنثوس ، لأن كورنثوس كانت تقع على هذا العنق الضيق من الأرض الذى يربط بين الاثنين .

ولكن الذى حدث هو أنه لم يقتصر الحال على تجارة شمال اليونان مع جنوبها ، بل أن معظم تجارة الشرق مع الغرب فى منطقة البحر الأبيض المتوسط كانت أيضاً تمر بكورنثوس . فإن الملاحة حول رأس ماليا (المعروفة الآن رأس متبان) فى أقصى الطرف الجنوبى لبلاد اليونان كانت محفوفة بالمخاطر ، حتى كان اليونانيون القدماء يقولون فى أمثالهم ما معناه إن من يفكر فى رحلة بحرية حول رأس (ماليا) يجب أن يودع أهل بيته الوداع الأخير . ولذلك كان الملاحون يتبعون أحد طريقين : إما أنهم كانوا يبحرون حتى الخليج ، ومن هناك يرفعون سفنهم — إذا كانت صغيرة — إلى البر ، ثم يحملونها على أسطوانات كبيرة ويجرونها عبر برزخ كورنثوس ثم ينزلونها ثانية إلى الماء

على الجانب الآخر ؛ أو أنهم — إذا كانت سفنهم كبيرة — يفرغون شحنتها على الشاطئ حيث ينقلها الحمالون إلى الشاطىء الآخر ، ثم يعاد شحنها على سفن أخرى .

وكانت مسيرة الأميال الأربعة عبر برزخ كورنثوس (حيث توجد الآن قناة كورنثوس) — توفر على السفن رحلة إلى مائتى ميل حول رأس (ماليا) التى هى أخطر رأس فى البحر الأبيض المتوسط .

وهكذا يسهل علينا تصور مقدار أهمية كورنثوس وعظمتها كمدينة تجارية لا مفر أن تمر بها تجارة شمال اليونان مع جنوبها ، بالإضافة إلى أنها كانت الطريق المفضل لمرور تجارة الشرق مع الغرب فى منطقة البحر الأبيض .

ويقول (فرار) إن كل وسائل الترف فى الدول المتحضرة فى العالم القديم قد وجدت طريقها بسرعة إلى أسواق كورنثوس : البلسم العربى ، والبلح الفينيقى ، والعاج الليبى ، والسجاد البابلى ، وشعر المعزى الكيليكى ، والصوف الليكأونى ، والعبيد الفريجيون . فكانت كورنثوس — كما يدعوها (فرار) بمثابة (سوق الأباطيل) بالنسبة للعالم القديم . وسماها بعضهم (كوبرى اليونان) بينما سماها آخرون (متكأ اليونان) . وإذا كانوا يقولون اليوم أنه إذا وقف إنسان ما فى ميدان (بيكاديللى) فى لندن فترة كافية من الزمن ، فانه فى النهاية — عاجلا أو آجلا — يكون قد قابل كل واحد فى بلاده ، فاننا يمكن أن نقول إن كورنثوس كانت بمثابة ميدان (بيكاديللى) بالنسبة لعالم البحر الأبيض المتوسط .

وبالإضافة لما سبق كانت تعقد فى مدينة كورنثوس الألعاب الأثميانية Isthmian Games التى لم يكن يفوقها فى العالم القديم سوى الألعاب الأولمبية . وكانت كورنثوس أيضاً — باعتبارها من أعظم المدن التجارية فى العالم القديم — مدينة غنية آهلة بالسكان .

شر كورنثوس وفسادها :

ولكن كان هناك لكورنثوس وجه آخر . فالى جانب شهرتها بالثروة الاقتصادية ، اشتهرت أيضاً بالشر وبالفساد ؛ وأصبح اسمها رمزاً للرذيلة والفجور . بل قد أصبحت الكلمة اليونانية التى تعنى كورنثوسى (أى واحد من أهل كورنثوس) - أصبحت تعنى فى اللغة اليونانية حياة السكر والدعارة والفسق. بينما أصبحت الكلمة المستعملة فى اللغة الإنكليزية (Corinthian) تعنى الشاب الذى يحيا حياة الطيش والعربدة . ويقول الكاتب اليونانى (إيليان) إنه كلما كان يظهر على المسرح من يمثل دور رجل من كورنثوس كان دوره يقتضى أن يبدو سكراناً ثملا . وكانت كلمة كورنثوس ذاتها مرادفة لكلمة فجور أو فسق أو دعارة . ولكن فى الأيام القديمة كان مصدر واحد للشر والفساد فى كورنثوس ، وهو الذى كان معروفاً فى كل العالم المتحضر آنئذاك . ففوق برزخ كورنثوس كان يعلو تل الأوكروبول الذى شيد عليه الهيكل العظيم لأفروديت ، إلهة الحب .

وكان فى ذلك الهيكل ألف من الكاهنات اللواتى كن عاهرات . وعندما كان يأتى المساء كانت أولئك العاهرات ينزلن من الأوكروبول إلى طرقات كورنثوس حيث كن يعرضن الفحشاء علناً . وإلى جانب هذه الخطايا الشنيعة انتشرت فى كورنثوس رذائل أخرى كثيرة نقلها إليها البحارة والتجار من أطراف الأرض حتى أصبح اسم كورنثوس مرادفاً ، لا للثروة أو الترف أو السكر أو الدعارة فقط بل أيضاً للقذارة والدنس .

تاريخ كورنثوس :

ينقسم تاريخ كورنثوس إلى حقبتين . كانت كورنثوس مدينة قديمة جداً . ويزعم (ثوسيادس) ، المؤرخ اليونانى ، أنه فى كورنثوس بنيت أول السفن الحربية اليونانية . وتقول أسطورة أن فيها أيضاً بنيت السفينة الضخمة

التى سافر عليها (ياسون) عبر البحار بحثاً عن الجرة الذهبية . ولكن فى عام ١٤٦ ق . م. حل بها الخراب والدمار ، بأيدى الذين أخضعوا العالم بسيطرتهم ونفوذهم . وقد توالت انتصاراتهم فى أماكن كثيرة .

وعندما حاول اليونانيون أن يقاوموهم ، تزعمتهم كورنثوس فى ذلك . ولكنهم لم يستطيعوا أن يصمدوا طويلا أمام جيوش الرومان المنظمة والمدربة وفى عام ١٤٦ ق. م. استولى القائد الرومانى (لوسيوس ماميوس) على كورنثوس ونهبها ودمرها تماماً حتى تركها خراباً بلقعاً .

ولكن مدينة امتازت بموقع جغرافى ممتاز مثل كورنثوس لا يمكن أن تظل خراباً . فبعد مضى مائة سنة تماماً ، أى فى عام ٤٦ ق. م. أعاد يوليوس قيصر بناءها من جديد . وأصبحت من ذلك الحين مستعمرة رومانية ، بل وأكثر من ذلك ، أصبحت عاصمة لولاية أخائية الرومانية التى كانت فى الواقع تضم كل بلاد اليونان . وفى ذلك الوقت ــ وهو أيضاً الوقت عينه الذى كان بولس يكرز فيه بالإنجيل ويكتب رسائله ــ كان سكان كورنثوس خليطاً من عناصر مختلفة :

(أ) فكان هناك المستوطنون من الجنود الرومانيين المحنكين الذين منحهم يوليوس قيصر امتياز الإقامة ، وقد كان من عادة الرومان أن يمنحوا من تنتهى خدمته فى الجندية ، لقب المواطن الرومانى ثم يرسل إلى إحدى المدن المؤسسة حديثاً كان يعطى قطعة من الأرض ليقيم عليها . وكانت هذه المستعمرات الرومانية المؤسسة على هذا النحو منتشرة فى كل أنحاء العالم . وقد كان أولئك الجنود النظاميون المدربون الذين يمنحون لقب المواطن الرومانى جزاء خدمتهم الأمينة للامبراطورية الرومانيه ، هم دعائم هذه المستعمرات وعمودها الفقرى .

(ب) وعندما أعيد بناء كورنثوس عاد التجار إليها ، لأن موقع

كورنثوس كان لا يزال يعطيها الأولوية ومكان الصدارة من النواحى التجارية والاقتصادية .

(حـ) كما كان من بين سكانها عدد كبير من اليهود الذين وجدوا فى المدينة الجديدة فرصاً كثيرة للتجارة لم يفتهم انتهازها .

(د) وكان بالمدينة أيضاً نفر من الفنيقيين والفريجيين وقوم من المشرق جاءوا إليها بعاداتهم الغريبة . ويتحدث « فرار » عن « هذا الخليط العجيب من السكان مختلفى الأجناس الذين كان من بينهم المغامرون من اليونانيين والبورجوازيين من الرومان مع حثالة فاسدة من الفنيقيين وجمهور كبير من اليهود والجنود السابقين والفلاسفة والتجار والبحارة والعبيد والمعتوقين وأصحاب الحرف والباعة الجائلين وعملاء كل نوع من أنواع الرذيلة والإثم » ؛ ويقول « فرار » : إن كورنثوس كانت مستعمرة انعدمت فيها الطبقة الأرستقراطية ، ولم يكن لها تقاليد ، ولم يوجد بها مواطنون عريقو الأصل » :

والآن لنذكر ما سبقت الإشارة إليه عن الوسط الذى تميزت به كورنثوس ولنذكر شهرتها فى الثروة والترف ، وفى السكر والعربدة والرذيلة والأشياء التى ذكرها قبيح ؛ لنذكر كل هذا ثم لنقرأ ١ كونثوس ٦ : ٩ و ١٠ . « أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله . لا تضلوا . لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعوا ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله وهكذا كان أناس منكم » .

فى هذه المدينة التى كانت مرتعاً للرذائل والفضائح ، قام بولس بعمله التبشيرى العظيم ، وتم للمسيحية أعظم وأقوى إنتصاراتها .

بولس فى كورنثوس :

مكث بولس فى كورنثوس أطول مما مكث فى أية مدينة أخرى باستثناء

أفسس وكان قد غادر مكدونة وحياته مهددة بالخطر ، ثم رحل إلى أثينا . وهناك صادف نجاحاً قليلا . وبعد ذلك ذهب إلى كورنثوس حيث مكث ثمانية عشر شهراً . ويمكننا أن ندرك مدى قلة معلوماتنا عن أعمال بولس عندما نلاحظ أن قصة هذه الشهور الطويلة قد ذكرها لوقا موجزة فى سبعة عشر عدداً (أعمال ١٨ : ١–١٧) . وعندما وصل بولس إلى كورنثوس أقام هناك مع أكيلا وبريسكلا . وكان يعظ فى المجمع بنجاح عظيم ويقنع يهوداً ويونانيين . وعندما وصل تيموثاوس وسيلا من مكدونية كان بولس منحصراً بالروح وهو يشهد لليهود بالمسيح يسوع . وإذ كانوا يقاومون ويجدفون فى عداء وعناد اضطر أن يغادر المجتمع . وانتقل من هناك وأقام فى بيت رجل إسمه « يوستس » كان متعبداً لله وكان بيته ملاصقاً للمجمع . وعلى رأس من آمنوا على يدى بولس فى كرازته هناك كان كريسبس رئيس المجمع الذى آمن بالرب مع جميع بيته . كما آمن أيضاً كثيرون من الكورنثيين واعتمدوا .

وفى عام ٥٢ م وصل إلى كورنثوس حاكم جديد ، رجل رومانى اسمه غاليون . وكان معروفاً بطيبته ولطفه . فأراد اليهود أن يستغلو ا طيبة وحداثة عهده بالولاية ، فأتوا ببولس إلى كرسى الولاية لمحاكمته بتهمة التعليم بخلاف الناموس . ولكن غاليون – الذى كان عادلا ومنصفاً – رفض أن يكون قاضياً فى مسألة ليست من اختصاصه ، ورفض أن يصدر على بولس أى حكم بل طرد اليهود من الكرسى . وهكذا لبث بولس فى كورنثوس أياماً كثيرة أكمل فيها عمله هناك ثم سافر فى البحر إلى سورية .

المراسلة مع كورنثوس :

عندما كان بولس فى أفسس عام ٥٥ م علم أن الأحوال فى كورنثوس لم تكن طيبة ، وعندئذ كتب إلى كنيسة كورنثوس . ويحتمل أن تكون الرسائل

التي بين أيدينا غير مرتبة بالترتيب الذي كتب به الرسول . ولا بد أن نذكر أن رسائل بولس لم تجمع إلا حوالى سنة ٩٠ م . وكانت كنائس كثيرة تحتفظ بأجزاء من هذه الرسائل التي كانت مكتوبة على قطع من أوراق البردى . ولم يكن أمر جمعها وترتيبها الترتيب الصحيح سهلا ميسوراً . ويمكن أن نتصور ما حدث على النحو التالى :

١ — ربما كانت هناك رسالة سبقت الرسالة الأولى إلى كورنثوس المعروفة لدينا . فنى ١ كورنثوس ٥ : ٩ يقول الرسول : « كتبت إليكم فى الرسالة أن لا تخالطوا الزناة » . وواضح أن هذه العبارة تشير إلى رسالة سابقة . ويعتقد بعض الباحثين أن هذه الرسالة قد ضاعت ولم يعثر لها على أثر ، بينما يعتقد آخرون أنها متضمنة فى ٢ كورنثوس ٦ : ١٤-٧ : ١ . والعبارات الواردة فى هذا الفصل بكل تأكيد تناسب تماماً ما قال الرسول أنه كتب عنه . ولو أننا قرأنا الآية المشار إليها آنفاً (١ كورنثوس ٥ : ٩) مباشرة مع الآيات الأخرى (٢ كورنثوس ٦ : ١٣ — ٧ : ٢) لوجدنا الترابط بينها أشد وأقوى . وكل ما نستطيع قوله إنه عندما جمعت الرسائل من هنا وهناك ربما حدث خطأ فى الترتيب . (وهنا يجب أن نتذكر أن الرسائل الأصلية لم تكن مقسمة إلى أصحاحات وآيات . فان التقسيم إلى أصحاحات لم يتم حتى القرن الثالث عشر . أما الآيات فلم تقسم بالطريقة المعروفة الآن حتى القرن السادس عشر . ولهذا السبب كان أمر تنظيم الرسائل وترتيبها صعباً للغاية) .

٢ — جاءت الأخبار إلى بولس من مصادر متنوعة عن الانشقاقات الحادثة فى كورنثوس :

(ا) فقد سمع من أهل خلوى عن الخصومات والمنازعات التي مزقت كنيسة كورنثوس .

(ب) وبلغته الأخبار أيضاً عند زيارة استفاناس وفرتوناتوس وأخائيكوس

لأفسس (١ كورنثوس ١٦ : ١٧) : وقد استطاع هؤلاء باتصالاتهم الشخصية أن يكملوا ما كان ينقص بولس من معلومات .

(حـ) كما جاءته الأخبار فى خطاب كانت كنيسة كورنثوس قد أرسلته إليه تطلب فيه نصائحه وإرشاداته حول مشاكل متنوعة . وهذا يتضح لنا من ١ كورنثوس ٧ : ١ إذ يقول الرسول : « وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها . . . . » . وقد كتب الرسول رسالته الأولى إلى كورنثوس رداً على كل الاستفسارات التى سألت عنها الكنيسة هنا ك . . وواضح من ١ كورنثوس ٤ : ١٧ أنه أرسل هذه الرسالة بيد تيموثاوس .

٣ ــ أصبحت الأمور تزداد سوءاً . ويمكننا أن نستنتج أن بولس اضطر أن يقوم بزيارة شخصية إلى كورنثوس ، مع أنه لا توجد إشارة صريحة إلى ذلك . فان بولس كتب فى ٢ كورنثوس ١٢ : ١٤ « هوذا المرة الثالثة أنا مستعد أن آتى إليكم » . . وفى ٢ كورنثوس ١٣ : ١ و ٢ يعود الرسول فيقول إنه سيأتى إليهم للمرة الثالثة . ومعنى هذا أنه لا بد قد سبق فذهب إليهم مرة ثانية . وليس لدينا تسجيل إلا للزيارة الأولى التى نقرأ قصتها فى أعمال ١٨ : ١ــ١٧ . أما الزيارة الثانية فليس هناك أى ذكر لها . ولكن كورنثوس لم تكن تبعد عن أفسس أكثر من يومين أو ثلاثة أيام ، ولا بد أن بولس قام بزيارة قصيرة خاطفة إلى كورنثوس .

٤ ــ ولم تكن تلك الزيارة مجدية أو موفقة بالمرة . ولذلك كتب الرسول رسالة أخرى مؤثرة وشديدة اللهجة ، يمكن أن نلمح شدتها من فصول معينة من الرسالة الثانية إلى كورنثوس . فى ٢ كورنثوس ٢ : ٤ مثلا كتب بولس يقول : « لأنى من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة » وفى ٢ كورنثوس ٧ : ٨ يقول : « لأنى وإن كنت قد أحزنتكم بالرسالة لست

أندم مع أنى ندمت . فانى أرى أن تلك الرسالة أحزنتكم ولو إلى ساعة » :
أى أن هذه الرسالة كانت بدافع من حزن كثير وقلب كئيب ، رسالة شديدة حتى أن بولس نفسه كان شاعراً بالأسف لأنه اضطر إلى إرسالها . ويسمى الباحثون هذه الرسالة بالرسالة « الشديدة » أو « العنيفة » . ولكن ترى هل حصلنا على هذه الرسالة ؟ . واضح أنها لا يمكن أن تكون هى الرسالة الأولى إلى كورنثوس ، لأن الرسالة الأولى ليست رسالة حزينة أو كئيبة ومن المؤكد أن بولس عندما كتب رسالته الأولى كانت الأمور مستقرة . وحين نقرأ الرسالة الثانية كلها نجد فيها فترة غريبة جداً . فالإصحاحات التسعة الأولى من الرسالة الثانية يفهم منها أن كل المشاكل كانت قد سويت وأن الجميع قد تصالحوا وعادوا أصدقاء من جديد ، أما الإصحاح العاشر فينتقل بنا إلى أغرب فترة . ونحن نقرأ من الأصحاح العاشر حتى الأصحاح الثالث عشر عن أعظم صرخة حزينة سجلها الرسول بولس فى حياته . فقد ذكر فيها كم قاسى من الشتائم والاضطهادات والافتراءات ما لم يقاسه قبل ذلك أو بعد ذلك من أية كنيسة أخرى ؛ وكم وجه إليه من طعن فى رسوليته وأمانته وكلامه . ويعتقد معظم الباحثين أن هذه الأصحاحات من ١٠ — ١٣ هى (الرسالة الشديدة) أو (الرسالة العنيفة) المشار إليها ، وأنها وضعت فى هذا المكان خطأ عند جمع رسائل بولس معاً وأننا إذا كنا نريد أن نلتزم بدقة الترتيب التاريخى لرسالتى كورنثوس كما كتبهما الرسول بولس فاننا يجب أن نقرأ الأصحاحات من ١٠ إلى ١٣ من الرسالة الثانية قبل الأصحاحات التسعة الأولى . ومن المؤكد أن هذه الرسالة قد حملها تيطس (٢ كورنثوس ٢ : ١٣ ، ٧ : ١٣) .

٥ — كان بولس قلقاً بشأن رسالته هذه . فلم يستطع أن ينتظر تيطس ليعرف منه جوابها بل خرج للقائه (٢ كورنثوس ٢ : ١٣ ؛ ٧ : ٥ و ١٣) . وقابله فى مكان ما فى مكدونية وعلم منه أن الجميع كانوا بخير وأن الأمور

أصبحت على ما يرام . ولذلك كتب لهم (وربما كان فى فيلبى فى ذلك الوقت) الأصحاحات التسعة الأولى من رسالة كورنثوس الثانية ، رسالة المصالحة .

ويقول استوكر Stalker إن رسائل بولس كشفت القناع عن أحوال الكنائس الأولى وجعلتنا نرى بوضوح ما كان يجرى بداخلها . وتنطبق هذه العبارة أصدق انطباق على رسائل كورنثوس بالذات . فهنا نرى ماذا كانت تعنيه عبارة « الاهتمام بجميع الكنائس » ٢ كورنثوس ١١ : ٢٨ . هنا نرى المشاكل وكآبة القلب ، الأحزان والأفراح . وهنا أيضاً نرى بولس راعياً لقطيعه يحمل أحزان ومشاكل شعبه على قلبه .

وقبل أن نبدأ فى قراءة ودراسة رسالتى كورنثوس بالتفصيل لنتتبع سير المراسلات مع كورنثوس فى النقط المبسطة والمختصرة التالية :

١ ــ الخطاب السابق الذى يمكن أن يكون متضمناً فى ٢ كورنثوس ٦ : ١٤ ــ ٧ : ١

٢ ــ وصول أهل خلوى واستفاناس وفرتوناتوس وأخائيكوس والخطاب الذى أرسلته كنيسة كورنثوس إلى بولس .

٣ ــ الرسالة الأولى إلى كورنثوس تكتب رداً على ذلك الخطاب وترسل مع تيموثاوس .

٤ ــ الموقف يزداد سوءاً مما يضطر بولس إلى أن يقوم بزيارة شخصية لكورنثوس . وتفشل الزيارة فشلا تاماً مما يؤدى إلى حزن بولس وكآبة قلبه .

٥ ــ ونتيجة لهذه الزيارة يكتب بولس « الرسالة الشديدة » التى يكاد يكون مؤكداً أنها متضمنة فى ٢ كورنثوس ١٠ ــ ١٣ والتى يحملها تيطس إلى كورنثوس .

٦ ـ بولس لا يستطيع إنتظار الرد ، فيخرج للقاء تيطس ، فيقابله فى مكدونية . ويعرف منه أن الأمور قد أصبحت طيبة ؛ فيكتب . ربما من فيلبى الأصحاحات التسعة الأولى من الرسالة الثانية والتى تعتبر رسالة المصالحة .

* * *

وتحدثنا الأصحاحات الأربعة الأولى من الرسالة الأولى إلى كورنثوس عن الانقسامات التى كانت موجودة فى كنيسة الله هناك . فبدلا من أن تكون الكنيسة وحدة فى المسيح كانت منقسمة إلى أحزاب وجماعات ، وكل منها كان يزعم أنه يتبع معلماً أو قائداً معيناً . فكان كل واحد منهم يقول أنا لبولس وأنا لأبلوس وأنا لصفا وأنا للمسيح . ويقول بولس إن هذه الانقسامات سببها أن الكورنثيين كانوا يهتمون أكثر من اللازم بالحكمة والمعرفة الإنسانية بينما لم يعيروا نعمة الله الخالصة أقل اهتمام . والحقيقة أنهم ، بالرغم من حكمتهم المزعومة ، كانوا لا يزالون فى حالة عدم النضوج . لقد كانوا يظنون أنهم حكماء ، ولكنهم لم يكونوا فى الواقع أكثر من مجرد أطفال .

التفسير

الرسالة الأولى
الى
أهل كورنثوس

مقدمة رسولية

الأصحاح الأول :

بُولُسُ الْمَدْعُو رَسُولاً لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ ٱللهِ وَسُوسْتَانِيسُ الأَخُ ، إلى كَنِيسَةِ ٱللهِ الَّتِى فى كُورِنْثُوسَ الْمُقَدَّسِينَ فى الْمَسِيحِ يَسُوعَ الْمَدْعُوِّينَ قِدِّيسِينَ مَعَ جَمِيعِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ باسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فى كُلِّ مَكَانٍ لَهُمْ وَلَنَا ، نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ ٱللهِ أَبِينَا والرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ .

(١ كورنثوس ١ : ١ – ٣)

نلاحظ فى العشرة أعداد الأولى من رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس أن اسم يسوع المسيح قد ورد فيها لا أقل من عشر مرات . والواقع أن كتابة هذه الرسالة لم تكن أمراً سهلا بالنسبة لبولس ، لأنه كان سيعالج فيها موقفاً صعباً وظروفاً دقيقة للغاية ، وإزاء هذه الحالة شعر الرسول أنه كان يحتاج دائماً إلى أن يركز تفكيره فى يسوع المسيح . ولم يفعل بولس مثلما نفعل نحن أحياناً كثيرة . عندما نحاول أن نعالج المواقف الصعبة فى كنائسنا بالقوانين أو القواعد أو الأنظمة الوضعية ، وأحياناً أخرى نحاول أن نعالجها بروح العدالة البشرية أو بقوتنا الشخصية ، العقلية أو الروحية . أما بولس فانه أمام الموقف الصعب لجأ إلى يسوع المسيح ليمسك به وليرافقه وليرشده ، ولم يفكر فى أى علاج يقدمه إلا فى نور صليب المسيح ومحبة المسيح .

ونذكر لنا هذه المقدمة ثلاثة أشياء .

١ — فهى تذكر لنا أولا شيئاً عن الكنيسة ، إذ يتحدث بولس عن « كنيسة الله التى فى كورنثوس » . أى أنها لم تكن كنيسة كورنثوس ، بل كانت كنيسة الله . وبعبارة أخرى كان بولس يعتقد أن أية جماعة مسيحية ، حيثما كانت ، إنما تكون جزءاً من كنيسة الله الواحدة . فلم يكن بولس ليعطى أية كنيسة صفة الكيان الذاتى المستقل ، أو حتى ليدعوها باسم الطائفة التى تنتمى إليها ؛ لأنه كان يعتبر أن الكنيسة هى كنيسة الله ، ولو أننا فكرنا فى الكنيسة بهذه الطريقة لازداد إدراكنا وفهمنا للحقيقة التى توجد بيننا كمؤمنين ولقل اهتمامنا بالخلافات المحلية التى تفصل بيننا .

٢ — ثم نتعلم من هذه المقدمة شيئاً عن الفرد المسيحى ، إذ يذكر بولس فيها ثلاثة أشياء عن المسيحى .

(ا) فالمسيحى مقدس فى يسوع المسيح . وكلمة يقدس (وباليونانية Hagiazo) معناها أن يفرز أو يخصص مكاناً لله ، ثم يجعل هذا المكان مقدساً بتقديم ذبيحة عليه . والمسيحى قد كرس وقدس لله بواسطة ذبيحة يسوع المسيح . ولكى يكون الواحد منا مسيحياً يجب أن يعرف أن المسيح قد مات لأجله ، وأن يدرك يقيناً أن ذبيحة المسيح لأجلنا تجعلنا مكرسين ومقدسين لله تماماً .

(ب) ويصف بولس المسيحيين بالقول (المدعوين قديسين) . وكلمة قديسين هنا هى نفس الكلمة اليونانية Hagios التى سبق أن أشرنا إلى صيغة الفعل منها . وهى الكلمة التى تستعمل الآن لوصف الذبيحة أو الهيكل الذى يفرز لله . فاذا أفرز شخص ما ليكون بكيفية خاصة ملكاً لله وخادماً

له ، فانه ينبغي أن يثبت بحياته وأخلاقه أنه صالح لتلك الخدمة . وهذا ما جعل كلمة Hagios تعني مقدسين . ولكن الفكرة الأصلية في الكلمة تعني (الفصل أو الفرز) . ولذلك فان الشيء أو الشخص الذي يقال عنه أنه Hagios أي مقدس يجب أن يكون مختلفاً عن الأشياء الأخرى أو الأشخاص الآخرين ، لأنه قد أفرز أو فصل عن سائر الأشياء العادية أو الناس العاديين ليكون بكيفية خاصة ملكاً لله . وكانت هذه الكلمة هي الوصف الذي أطلقه اليهود على أنفسهم . فكانوا يسمون أنفسهم Hagios Loas ، أي الشعب المقدس ، أو الأمة التي كانت تختلف تماماً عن سائر الشعوب ؛ لأنها بكيفية خاصة قد أفرزت لتكون ملكاً لله لخدمته . وعندما دعا بولس المسيحي Hagios فانما كان يعني أن المسيحي هو الشخص الذي يختلف عن الناس الآخرين لأنه قد صار ملكاً خاصاً لله ومفرزاً لخدمته ؛ وأن ذلك الاختلاف لا يظهر في أن ينسحب المسيحي من الحياة العادية والنشاط العادي للناس ، بل في أن يظهر المسيحي في حياته العادية الفرق في الصفات والأخلاق — هذا الفرق الذي يميزه كانسان لله .

(ح) ثم نجد أن الرسول يوجه هذه الرسالة إلى أولئك المدعوين « مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان » فالمسيحي مدعواً إلى مجتمع تشمل حدوده كل الأرض وكل السماء . فهو وحده من جماعة عظيمة . ولعله مما يملأ قلوبنا بالسعادة والبهجة أن نرتفع بأبصارنا فوق مستوى جماعتنا الصغيرة وفوق مستوى مذاهبنا أو طوائفنا لنرى أنفسنا جزءاً من كنيسة الله التي هي متسعة وكبيرة كالعالم .

٣ — كما تذكر لنا هذه المقدمة شيئاً عن يسوع المسيح . فان بولس يتحدث عن ربنا يسوع المسيح ، ثم نراه — وكأنه يستدرك — فيستطرد قائلا « لهم ولنا » ومعنى هذا أنه لا يصح لأي إنسان أو لأية كنيسة أن تزعم الانفراد

المطلق بملكية يسوع المسيح . فهو ليس ربنا نحن فحسب ، ولكنه رب كل الناس . وهذا هو أعجب ما تعلم به المسيحية ، أن كل الناس يمتلكون كل محبة يسوع المسيح ، أى « أن الله يحب كل واحد منا كما لو لم يكن هناك سواه ليحب » .

ضرورة الشكر

أَشْكُرُ إِلٰهِي فِى كُلِّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ عَلَى نِعْمَةِ ٱللهِ الْمُعْطَاةِ لَكُمْ فِى يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، أَنَّكُمْ فِى كُلِّ شَيْءٍ ٱسْتَغْنَيْتُمْ فِيهِ فِى كُلِّ كَلِمَةٍ وَكُلِّ عِلْمٍ ، كَمَا ثُبِّتَتْ فِيكُمْ شَهَادَةُ الْمَسِيحِ ، حَتَّى إِنَّكُمْ لَسْتُمْ نَاقِصِينَ فِى مَوْهِبَةٍ مَا وَأَنْتُمْ مُتَوَقِّعُونَ ٱسْتِعْلَانَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، ٱلَّذِى سَيُثَبِّتُكُمْ أَيْضاً إِلَى النِّهَايَةِ بِلَا لَوْمٍ فِى يَوْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، أَمِينٌ هُوَ ٱللهُ ٱلَّذِى بِهِ دُعِيتُمْ إِلَى شَرِكَةِ ٱبْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا .

(١ كورنثوس ١ : ٤ – ٩)

فى هذا الفصل عن الشكر تبرز أمامنا ثلاثة أشياء .

١ – نجد هنا الوعد الذى تحقق . فعندما كرز بولس بالمسيحية للكورنثيين أخبرهم أن المسيح يستطيع أن يحقق لهم أشياء معينة ، والآن يذكر لهم بولس بكل فخر أن كل ما سبق أن قاله لهم عما يستطيع المسيح أن يفعله بهم قد ثبت صدقه وحقيقته . قال أحد المرسلين القدماء لأحد الملوك الأقدمين : « إذا قبلت المسيح ، فانك سترى أعجوبة تلو أعجوبة ، وكل واحدة منها حقيقية تماماً » . والواقع أننا لا نستطيع أن نقنع إنساناً ما إقناعاً عقلياً بقبول المسيحية

بل إن كل ما علينا هو أن نقول له : « جرب بنفسك ، وأنت ترى ماذا يحدث » . ولا بد أنه عندما يفعل الإنسان ذلك فانه سيتحقق بنفسه من صدق كل ما نقدمه له من حقائق ومعتقدات المسيحية .

٢ ــ كما نرى فى هذا الفصل أيضاً النعمة التى قد أعطيت . وهنا يستعمل بولس كلمة محببة إليه وهى كلمة Charisma . وهذه الكلمة تعنى هبة مجانية تعطى لإنسان ما ــ هبة لا يستحقها ولا يستطيع الحصول عليها بمجهوده الشخصى . ونعمة الله هذه ، كما رآها بولس ، تأتى للانسان فى طريقين .

(ا) فالخلاص هو النعمة ، نعمة الله . إذ لم يكن فى وسع الإنسان أن يحصل بنفسه على حق الشركة مع الله . فحق الشركة مع الله هو نعمة تمنح للانسان ، ولا يستطيع الإنسان أن يحصل عليها بمجهوده الشخصى . إن هذه النعمة هى مجرد هبة سخية غنية تقدمها محبة الله . (رومية ٦ : ٢٣) .

(ب) ثم أن هذه النعمة هى التى تعطى للانسان كافة المواهب الخاصة التى يمتلكها وكل ما عنده من إمكانيات وقدرات . فكل المواهب الشخصية هى فى الحقيقة مواهب من الله (١ كورنثوس ١٢ : ٤ و ٩، ١ تيموثاوس ٤ : ١١، ١ بطرس ٤ : ١٠) . فاذا كان إنسان ما يمتلك موهبة الكلام أو موهبة الشفاء ، أو إذا كان لديه موهبة الموسيقى أو أى فن آخر ، أو إذا كان عنده دراية بالحرف اليدوية المختلفة ، فان كل هذه المواهب هى مواهب من الله . ولو أننا أدركنا هذه الحقيقة تماماً ، لأمكننا أن نضفى على حياتنا جواً جديداً ومعانى جديدة . فمثل هذه المهارات التى نمتلكها ، ومثل هذه الحرف التى نجيدها ، ومثل هذه المواهب التى لدينا ليست هى فى الحقيقة ثمرة مجهوداتنا أو محصول كفاحنا وجهادنا ، بل هى مواهب من الله . ولذلك ، ما نحن إلا أمناء أو وكلاء عليها . ولا يصح أن نستخدمها كما نريد نحن ، بل كما

يريدنا الله أن نستخدمها . ولا ينبغى أن نستخدمها لمنفعتنا الشخصية أو لمجدنا الذاتى ، بل لمجد الله ولخير الآخرين . إن كوننا نمتلك موهبة خاصة ليس معناه أننا نمتلك مورداً أو مصدراً لتحقيق مطامعنا أو مصالحنا الشخصية ، بل معناه أن نعتبر هذه الموهبة آلة أو أداة نستغلها لخدمة الله .

٣ — ثم نجد أخيراً إشارة إلى النهاية . وفى العهد القديم تكررت كثيراً عبارة « يوم الرب » . وكان ذلك اليوم فى نظر اليهود هو اليوم الذى يتوقعون فيه أن تدخل الله فى التاريخ بصورة واضحة مباشرة ، فيزول العالم القديم تماماً ويولد العالم الجديد . كما كانوا يعتقدون أن ذلك اليوم هو اليوم الذى يدان فيه كل الناس . وقد اعتنق المسيحيون هذه الفكرة عينها ، غير أنهم اعتبروا أن « يوم الرب » هو أيضاً « يوم الرب يسوع » الذى فيه سيأتى يسوع ثانية بكل قوته ومجده . وسيكون هو يوم الدينونة حقاً . وقد رسم الشاعر الإنجليزى القديم Caedmon فى إحدى قصائده صورة ليوم الدينونة ، فتخيل الصليب مرفوعاً فى وسط العالم ويشع منه نور غريب له خاصية أشعة إكس يكشف القناع عن كل ما استتر من الأشياء ويجعلها تظهر على حقيقتها . وتعلن العبارات التى ذكرها الرسول فى هذا الفصل ، بأنه عندما تأتى الدينونة فان الإنسان الذى هو فى المسيح لن يكون خائفاً لأنه سيكون بلا لوم ؛ إذ أنه سيكون مكتسباً لا بفضائله الشخصية بل بفضائل المسيح ؛ ولذلك فلن يستطيع أحد أن يتهمه أو يدعى عليه بشىء .

كنيسة منقسمة

وَلَكِنَّنِى أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْأُخْوَةُ بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلاً وَاحِداً وَلاَ يَكُونَ بَيْنَكُمْ ٱنْشِقَاقَاتٌ بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِى فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ

لِأَنِّي أُخْبِرْتُ عَنْكُمْ يَا إِخْوَتِي مِنْ أَهْلِ خُلُوِي أَنَّ بَيْنَكُمْ خُصُومَاتٍ . فَأَنَا أَعْنِي هٰذَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَقُولُ أَنَا لِبُولُسَ وَأَنَا لِأَبُلُوسَ وَأَنَا لِصَفَا وَأَنَا لِلْمَسِيحِ . هَلْ ٱنْقَسَمَ الْمَسِيحُ . أَلَعَلَّ بُولُسَ صُلِبَ لِأَجْلِكُمْ . أَمْ بِاسْمِ بُولُسَ اعْتَمَدْتُمْ . أَشْكُرُ ٱللهَ إِنِّي لَمْ أُعَمِّدْ أَحَداً مِنْكُمْ إِلا كِرِيسْبُسَ وَغَايُسَ . حَتَّى لاَ يَقُولَ أَحَدٌ إِنِّي عَمَّدْتُ بِاسْمِي وَعَمَّدْتُ أَيْضاً بَيْتَ اسْتَفَانُوسَ . عَدا ذَلِكَ لَسْتُ أَعْلَمُ هَلْ عَمَّدْتُ أَحَداً آخَرَ . لِأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يُرْسِلْنِي لِأُعَمِّدَ بَلْ لِأُبَشِّرَ لاَ بِحِكْمَةِ كَلاَمٍ لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ .

(١ كورنثوس ١ : ١٠ - ١٧)

هنا يبدأ الرسول فى علاج الموقف الذى نشأ فى كنيسة كورنثوس . وكان بولس يكتب من أفسس . وكان هناك بعض العبيد المسيحيين الذين لهم صلة بمتجر سيدة اسمها خلوى ؛ وكانوا يترددون بين وقت وآخر على كورنثوس ومن هناك عادوا إلى أفسس يحملون قصة مؤسفة عن الانشقاقات والخصومات الحادثة فى كورنثوس .

وفى هذا الفصل يخاطب الرسول الكورنثيين مرتين بكلمة « إخوة » . ويقول بزا « Beza » المفسر القديم : « فى هذه الكلمة يقدم الرسول تذكيراً ضمنياً » .

وكان بولس يهدف من مجرد استعمال هذه الكلمة إلى شيئين ؛ كان يريد أولا أن يخفف من حدة زجره وانتهاره لهم ، وأن يجعلهم يحسون أن هذا الانتهار والتوبيخ لم يكن يوجهه إليهم فى شدة وعنف المدرس الذى يمسك أحياناً بالعصا ، بل فى لطف ورقة من لا يكن نحوهم إلا شعور الحب والأخوة .

والأمر الثانى الذى كان بولس يهدف إليه من استعمال هذه الكلمة هو أن يبين لهم كم كانوا مخطئين فى انقساماتهم وانشقاقاتهم وخصوماتهم . لقد كان ينبغى عليهم كأخوة أن يعيشوا معاً فى وفاق ومودة الحب الأخوى . وفى محاولة بولس أن يصلح فيما بينهم استخدم عبارتين مهمتين . فقد طلب إليهم أن « يقولوا جميعهم قولا واحداً » . وهذه العبارة فى اللغة الأصلية هى العبارة عينها التى تستخدم عند تصفية أى نزاع بين دولتين متعاديتين أو حزبين متنافرين والوصول إلى اتفاق بينهما . وبعبارة أخرى كان بولس يطلب إليهم أن يكونوا جبهة واحدة . ثم أنه أرادهم أن « يكونوا كاملين » . وكلمة « كاملين » التى استخدمها الرسول هنا هى الكلمة الطبية عينها التى تستخدم فى لحام العظام المكسورة أو فى إعادة ربط المفصل الذى يكون قد تزحزح قليلا عن مكانه . أى أن الانقسامات فى الكنيسة كانت فى نظر بولس أمراً عارضاً غير طبيعى ينبغى علاجه لأجل سلامة جسد الكنيسة وصحته وكفايته .

ويتحدث بولس عن أربعة أحزاب كانوا فى كنيسة كورنثوس . ولم تخرج هذه الأحزاب بعيداً عن الكنيسة ؛ أى أنها كانت لا تزال داخل الكنيسة . والكلمة التى استخدمها بولس هنا لوصف هذه الأحزاب التى انقسمت إليها الكنيسة هى كلمة « Schismata » ، وهى كلمة تعنى « تمزق فى جلباب » . لقد كانت كنيسة كورنثوس فى خطر أن تصبح قبيحة المنظر كالجلباب الممزق . ويجب أن نلاحظ هنا أن الشخصيات الكبيرة المذكورة هنا ، بولس وصفا وأبولس ، لم يكن لهم أدنى شأن بهذه الانقسامات . أى أنه لم تكن هناك أية انشقاقات أو مشاحنات بين هؤلاء الأشخاص ؛ بل حشرت أسماؤهم وأقحمت فى هذه الانشقاقات بواسطة الحزبيين والمشاغبين فى كنيسة كورنثوس دون موافقتهم أو حتى علمهم . وقد يحدث فى أحيان كثيرة أن يكون من يزعمون أنهم أتباع شخص ما سبب متاعب ومشاكل كبيرة يواجهها

هذا الشخص أكثر مما يسببه له أعداؤه المعروفون . والآن لنحاول أن نلقي بعض الضوء على هذه الأحزاب المتشاحنة لنرى ما كانت تدعيه وتتحمس له .

١ – كان هناك الذين يزعمون أنهم يتبعون بولس . ولا شك أنهم كانوا جماعة من الأمم الذين كان بولس يكرز لهم دائماً بإنجيل الحرية المسيحية ونهاية الناموس . ومن المحتمل جداً أن هؤلاء الناس كانوا يحاولون أن يجعلوا من الحرية فرصة لإشباع شهواتهم ، وكانوا يريدون أن يتخذوا من الحرية المسيحية ما يبررون به تصرفاتهم . ويقول بولتمان « Bultmann » إن دلائل المسيحية وإشاراتها تفرض دائماً إلتزامات حتمية على من يعتنقها . وقد نسيت هذه الجماعة التي زعمت الانتماء إلى بولس – أن بشارة المسيحية المفرحة تحتم أيضاً مراعاة الأخلاق المسيحية الفاضلة . لقد نسوا أنهم خلصوا ، لا ليكونوا أحراراً في عمل الخطية بل ليكونوا أحراراً منها .

٢ – وكان هناك من يدعون أنهم يتبعون أبولس . وكان أبولس هذا ، كما يصفه سفر الأعمال في الأصحاح الثامن عشر والعدد الرابع والعشرين ، رجلاً يهودياً اسكندري الجنس فصيحاً مقتدراً في الكتب . وكانت الإسكندرية في ذلك الوقت مركزاً للنشاط العقلي . وهناك ابتدع الباحثون والذين كانوا يدرسون الكتب المقدسة طريقة تفسير الكتب المقدسة تفسيراً مجازياً رمزياً وكانوا يتفننون في استنتاج معان كثيرة غامضة ومعقدة من الآيات البسيطة الواضحة . ولنقدم هنا مثلا لما كانوا يفعلون . قالوا إن عدد أفراد غلمان أبرام ولدان بيته كما جاء في تكوين ١٤ : ١٤ كانوا ٣١٨ شخصاً . وهم الأشخاص الذين اختتنوا . ولما كان اليونانيون يستخدمون حروف الكتابة للدلالة على الأرقام ، فقد حللوا هذا الرقم على النحو التالي : الحروف اليونانية لرقم ١٨ هي عينها الحرفان الأولان لاسم يسوع ، وحروف رقم ٣٠٠ تعني شكل الصليب . وهكذا زعموا أن هذه الحادثة القديمة (ختان ٣١٨ شخصاً)

إنما هى نبوءة عن صلب يسوع على الصليب . وعلى هذا المنوال سارت معظم الدراسات والتفاسير بين الإسكندريين . وفضلاعن ذلك فقد كان الإسكندريون متحمسين جداً للدراسات الأدبية والمسائل العقلية والفكرية . والحقيقة أن هؤلاء الاسكندريين هم الذين حاولوا أن يتخذوا من المسيحية مجالا وموضوعاً جديداً للدراسات والمجادلات الفكرية . ولا شك أن الذين ادعوا أنهم يتبعون أبولس كانوا هم جماعة العقليين الذين كانوا يريدون أن يحولوا المسيحية إلى مجرد فلسفة جديدة وليست ديناً .

٣ ــ أما الفريق الثالث فكانوا يدعون أنهم من أتباع صفاً . وصفا هو الاسم اليهودى لبطرس . وأغلب الظن أن معظم هؤلاء كانوا من اليهود الذين كانوا ينادون بوجوب مراعاة الناموس اليهودى واتباعه . وفى حماسهم لتمجيد الناموس كانوا يقللون من شأن النعمة .

٤ ــ وأما الفريق الرابع فقد كانوا يقولون إنهم للمسيح . وهذا يمكن أن يفسر بأحد أمرين :

(ا) لم يكن هناك علامات وقف بالمرة فى المخطوطات اليونانية ، ولم يكن هناك أى فراغ بين الكلمات . فربما كانت الكلمة الأخيرة لا تعنى بالمرة أن هناك حزباً ، بل إنها مجرد تعليق ورأى بولس نفسه . وفى هذه الحالة تكون العبارة على هذا النحو : « أنا لبولس ، أنا لأبولس ؛ أنا لصفاً ــ وأنا (وهنا يتحدث بولس عن نفسه) للمسيح » . أى أنه يحتمل جداً أن تكون الكلمة الأخيرة هى تعليق بولس على الموقف المحزن كله .

(ب) أما إذا لم يكن الأمر كذلك ، وإذا كان هناك فعلا فريق يدعى أنه للمسيح ، فلا بد أنه كان طائفة صغيرة متزمتة جداً تحس بالبر الذاتى وتدعى أنها وحدها تكون جماعة المسيحيين الحقيقيين فى كورنثوس . ولم تكن غلطتهم الحقيقية فى إعلانهم أنهم ينتمون للمسيح ، بل فى تصورهم أن المسيح هو الذى ينتمى إليهم ، ولا بد أنهم كانوا متعصبين جداً فخورين ببرهم الذاتى .

ولا ينبغى أن يتطرق إلى الذهن أن بولس كان يقلل من شأن المعمودية ، فإن الناس الذين عمدهم كانوا أفراداً مبرزين جداً . وربما كان استفانوس هو باكورة كل المتجددين (١ كورنثوس ١٦ : ١٥) ؛ وكان منهم كريسبس رئيس المجمع اليهودى فى كورنثوس (أعمال ١٨ : ٨) ؛ كذلك غايس مضيف بولس ومضيف الكنيسة كلها (رومية ١٦ : ٢٣) .

والنقطة المهمة هنا هى أن المعمودية كانت باسم يسوع . وهذه العبارة فى معناها اليونانى تعنى أوثق وأمتن اتحاد ممكن ، فعندما كان إنسان ما يقدم مبلغاً من المال « باسم » إنسان آخر كان هذا يعنى أن المبلغ المقدم قد أصبح ملكاً لذلك الإنسان ؛ وعندما كان يباع عبد « باسم » إنسان ما فقد كان هذا العبد يصبح بلا منازع ملكاً كاملا لذلك الإنسان ، وكان الجندى يعبر عن ولائه الكامل وتبعيته الكلية لقيصر عندما كان يقسم « باسم » قيصر . أى أن هذه الكلمة « باسم » كانت تعنى الملكية الكاملة المطلقة . ولكنها فى المسيحية كانت تعنى أكثر من ذلك ، إنها تعنى أن يصبح المسيحى بطريقة عجيبة واحداً مع المسيح وفيه .

وكأن بولس أراد أن يقول : « إننى مسرور لأنى كنت مشغولا فى الدعوة والتبشير ؛ إذ أننى لو كنت قد عمدت كثيرين منكم لاتخذ بعضكم من هذا مبرراً لزعمهم أنهم اعتمدوا باسمى وليس باسم المسيح وله » فبولس إذن لم يكن يقصد أن يقلل من أهمية المعمودية ، بل كان يعبر فقط عن سروره لأنه لم يأت أى تصرف يمكن أن يتخذ حجة ضده للادعاء عليه أنه كان يحاول أن يجذب الناس إليه ويكسبهم لشخصه هو وليس إلى شخص المسيح .

ويقول بولس إنه قصد أن يقدم أمام الناس صليب المسيح فى أبسط وأوضح صورة ممكنة ؛ فهو يعرف تماماً أنه عندما يقدم قصة الصليب بحكمة الكلام وروعة البيان ؛ فان هذا يجعل الناس يفكرون فى اللغة أكثر من تفكيرهم فى الحقائق ؛ وفى المتكلم أكثر من الرسالة نفسها . وقد كان هدف بولس الوحيد هو أن يقدم للناس ، لا شخصه هو ، بل شخص المسيح نفسه فى عظمته وجلاله .

لليهود عثرة ولليونانين جهالة

فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ ٱلْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ ٱللهِ . لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ سَأُبِيدُ حِكْمَةَ الْحُكَمَاءِ وَأَرْفُضُ فَهْمَ الْفُهَمَاءِ . أَيْنَ الْحَكِيمُ . أَيْنَ الْكَاتِبُ . أَيْنَ مُبَاحِثُ هٰذَا الدَّهْرِ . أَلَمْ يُجَهِّلِ ٱللهُ حِكْمَةَ هٰذَا الْعَالَمِ . لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ ٱللهِ لَمْ يَعْرِفِ ٱللهَ بِالْحِكْمَةِ ٱسْتَحْسَنَ ٱللهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ . لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً . وَلٰكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوباً لِلْيَهُودِ عَثْرَةً وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً . وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ يَهُوداً وَيُونَانِيِّينَ فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ ٱللهِ وَحِكْمَةِ ٱللهِ . لأَنَّ جَهَالَةَ ٱللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ . وَضَعْفَ ٱللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ .

(١ كورنثوس ١ : ١٨ – ٢٥)

كانت القصة التى ترويها المسيحية فى نظر اليونانيين المثقفين واليهود الأتقياء مجرد جهالة وحماقة غريبة . ولهذا يبدأ بولس حديثه بالإشارة إلى عبارتين وردتا فى إشعياء ٢٩ : ١٤ ؛ ٣٣ : ١٨ لكى يبين كيف أن الحكمة الإنسانية المجردة لا بد أن يكون نصيبها الفشل . وهو هنا يقرر الحقيقة التى لا يمكن أن تنكر ، وهى أن العالم – بكل ما لديه من حكمة – فشل فى أن يصل إلى الله بحكمته هذه ، وأنه كان لا يزال يتلمس الطريق فى بحثه عن الله

وقد استخدم الله هذا البحث لكى يرى الناس عجزهم وقصورهم ، ولكى يمهد الطريق لقبول المسيح الذى هو الطريق الحقيقى الوحيد الذى يوصل الناس إلى الله ؛

فماذا إذاً كانت هذه الرسالة المسيحية ؟ إذا درسنا العظات الأربع العظيمة التى ورد ذكرها فى سفر الأعمال (أعمال ٢ : ١٤ — ٣٩ ، ٣ : ١٢ — ٢٦ ، ٤ : ٨ — ١٢ ؛ ١٠ : ٣٦ — ٤٣) نجد هناك مبادىء أساسية معينة دائمة فى التعليم المسيحى :

(ا) نجد فيها أن وعد الله العظيم قد تحقق .

(ب) ونقرأ فيها ملخصاً لحياة يسوع وموته وقيامته .

(حـ) ونتعلم منها أن كل ذلك إنما هو إتمام وتحقيق للنبوات .

(د) ونجد فيها التأكيد بأن يسوع سيأتى ثانية .

(هـ) ثم نجد أخيراً دعوة مستعجلة لكل الناس لأن يتوبوا ويقبلوا عطية الروح القدس .

١ — كانت هذه الرسالة « رسالة الصليب » بالنسبة لليهود عثرة . لماذا ؟ هناك سببان لذلك :

(أ) لم يكن ممكناً أن يصدق اليهود أن الشخص الذى انتهت حياته على الصليب (كما كانوا يزعمون) يمكن أن يكون هو « الشخص المختار من الله »

وقد استشهدوا على ذلك بما ورد فى ناموسهم صراحة : « لأن المعلق ملعون من الله » (تثنية ٢١ : ٢٣) . وكانت حادثة الصلب ، فى نظر اليهود ، تدحض أى ادعاء أو برهان على أن يسوع كان هو ابن الله . وبالرغم من وجود الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء فى أيديهم وأمام أعينهم ، فان صورة المسيح المتألم كانت بعيدة كل البعد عن تصوراتهم أو أحلامهم . ولذلك فان الصليب بالنسبة لليهود كان ، ولا يزال ، هو العقبة الكبرى فى سبيل إيمانهم بيسوع .

(ب) كان اليهود يبحثون عن العلامات والأدلة التي تبرهن على القوة والجبروت ، ولذلك كانوا يندفعون وراء كل من يزعم القدرة الخارقة على إتيان الحوادث التي تسبب الذعر والرعب والتحطيم . وفي الوقت عينه الذى كان الرسول يكتب فيه رسالته ظهرت حفنة من المسحاء الكذبة الذين خدعوا الكثيرين بوعودهم الزائفة وادعائهم أنهم يقدرون على صنع العجائب والمعجزات ، وهكذا أغروهم على الإيمان بهم . ففي عام ٤٥ م ظهر رجل اسمه ثيوداس حرض آلافاً من الناس أن يهجروا بيوتهم وأن يتبعوه إلى الأردن واعداً إياهم أنه بأمره وسلطانه سيقسم الأردن وأنه سيقودهم عبره دون أن تبتل نعالهم .

وفي عام ٥٤ م وصل إلى أورشليم رجل من مصر زاعماً أنه النبي . واستطاع أن يحث قرابة ثلاثين ألف شخص على أن يخرجوا لاتباعه حتى جبل الزيتون بقوله إنه بأمره وقدرته ستنهدم وستسقط كل أسوار أورشليم وجدرانها . .

وهكذا كانت الأشياء التي كان يبحث عنها اليهود ويتطلعون إليها . ولكنهم رأوا في يسوع شخصاً وديعاً متواضعاً ، شخصاً يتعمد أن يتجنب الظهور ، ويعيش بين الناس كمن يخدم ، وتنتهي حياته على صليب . وكانت هذه الصورة في نظرهم يستحيل أن تكون هي صورة « الشخص المختار من الله » .

٢ — وكانت هذه الرسالة « رسالة الصليب » بالنسبة لليونانيين جهالة . وهنا أيضاً يوجد سببان لذلك .

(ا) كان اليونانيون يعتقدون أن الصفة الأولى التي يتميز الله بها هي الجمود وفقدان الشعور تماماً . وكانوا يقولون إن الله لا يمكن ولا يقدر أن يشعر ، لأنه إذا شعر الله في أي وقت بالفرح أو الأسى أو الغضب أو الحزن

فان معنى هذا أن شخصاً ما استطاع فى ذلك الوقت أن يؤثر فيه أو يثير مشاعره . وإذا كان الأمر كذلك ، فهذا يعنى أن الله قد خضع فى ذلك الوقت لتأثير إنسان معين . وهذا يعنى بالتالى أن ذلك الإنسان قد أصبح أعظم من الله لمدة معينة . ولهذا السبب اعتقد اليونانيون أن الله لا بد أن يكون غير قادر على الإحساس بأى شعور ، حتى لا يخضع أبداً لتأثير أى شخص أو شىء . ولذلك كانت فكرة الإله المتألم بالنسبة لليونانيين تحمل تناقضاً مع الصفات الإلهية . بل قد ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك فأعلن (بلوتارك) أنها إهانة بالغة إلى الله أن نجعله يتورط فى الشئون البشرية أو أن نقحمه فيها . ومن ثم فقد كان الفكر اليونانى يستنكر بشدة فكرة الإله المتجسد . ويقول أغسطينوس ، الذى كان أديباً وعالماً عظيماً قبل أن يصير مسيحياً بوقت طويل يقول إنه وجد فى أقوال الفلاسفة اليونانيين ما يشبه كثيراً تعاليم المسيحية ، ولكن الشىء الوحيد الذى لم ير له مثيلا عند اليونانيين هو (والكلمة صار جسداً ، وحل بيننا) . وكتب (سلسوس Celsus) ، الذى هاجم المسيحيين بشدة فى أواخر القرن الثانى بعد الميلاد ، يقول : « إن الله صالح وجميل وسعيد ؛ وهو يوجد فى كل ما هو أجمل وأفضل . فإذا قيل إنه « تجسد » فان هذا يعنى أنه تغير من الأرقى والأصلح إلى الأدنى والأردأ ، ومن الأجمل إلى الأقبح ، ومن السعادة إلى التعاسة ، ومما هو أفضل إلى ما هو أسوأ . فمن ذا الذى يختار لنفسه ويقبل لها مثل هذا التغيير ؟ إن تغيير الطبيعة بالنسبة للعالم الفانى ممكن ، وقد يكون سهلا . ولكن الأمور فى عالم البقاء تبقى كما هى إلى الأبد . والله لا يمكن أبداً أن يقبل مثل هذا التغيير » . وخلاصة القول إن اليونانيين المفكرين كانوا يعتبرون تجسد الإله أمراً مستحيلا تماماً . ولم يكن ممكناً أبداً بالنسبة لأناس هذا تفكيرهم وتلك عقيدتهم أن يصدقوا أن شخصاً أحب الناس وتألم مكانهم وقاسى لأجلهم كما فعل يسوع ، يمكن أن يكون هو حقاً ابن الله .

(ب) كان اليونانيون يطلبون الحكمة ويبحثون عنها . وكلمة « سفسطى Sophist » فى الأصل اليونانى كانت تعنى أولا الرجل الحكيم العاقل ؛ ولكنها تحولت فأصبحت تعنى الرجل الذكى صاحب اللسان الماكر الملتوى ؛ أو البهلوان العقلى ، أو الرجل الذى يستطيع بالبيان البراق أن يجعل الأسوأ يبدو فى نظر الناس وكأنه الأحسن والأفضل . كما أنها أصبحت تعنى الرجل الذى يقضى ساعات لا نهاية لها فى مناقشة التوافه من الأمور الصغيرة ، الرجل الذى لا يهمه كثيراً أن يصل إلى الحلول ، ولكنه يتفاخر كثيراً عندما ينجح فى إثارة الأفكار وتهييج العقول ؛ الرجل الذى يعتد كثيراً بمكره ولباقته ولسانه الفضى الذى يجتذب إليه إعجاب الجمهور . ويصف Dio chrysostom حكماء اليونان هؤلاء بقوله : « إنهم يشبهون الضفادع التى تنق فى المستنقعات ؛ إنهم أتعس الناس ، لأنهم بالرغم من جهلهم يظنون أنهم حكماء ؛ وهم كالطواويس ، يتباهون بشهرتهم وبعدد تلاميذهم كما تختال الطواويس بأذيالها » . ومهما أسهبنا أو أطنبنا فى وصف المكانة الخيالية التى كان « أصحاب الألسنة الفضية » المقتدرون فى البيان يتمتعون بها فى بلاد اليونان فلن يصل بنا الإسهاب أو الإطناب حد المبالغة . ويقول عنهم بلوتارك Plutarch :

« لقد كانوا يهتمون جداً بتجميل أصواتهم وبتجويد عباراتهم وتلحين أقوالهم وتنغيمها » . ولم يوجهوا إهتمامهم إلى ما يقولون ، ولكنهم كانوا يهتمون بالكيفية التى يقولونه بها . وقد تكون أفكارهم مسمومة ومؤذية ، ولكن هذا لم يهمهم فى شىء ، طالما أنهم كانوا يغلفون هذه الأفكار بكلمات معسولة . ويخبرنا فيلوستراتس « Philostratus » أن (أدريان) السفسطى ذاعت شهرته فى روما بحيث أنه عندما كان رسوله يعلن أنه سيتحدث فى ساعة معينة ، كان أعضاء مجلس الأعيان يهرعون إلى سماع حديثه ، وكان الناس يتركون ألعابهم ومشاغلهم ويتزاحمون على الاستماع إليه . ويرسم

(ديوكريزوستم Dio chrysostom) صورة لهؤلاء « الحكماء » المزعومين ولمنافساتهم فى كورنثوس نفسها أثناء الألعاب الأثميانية Isthmian games فيقول : « كان كثير من السفسطائيين التعساء يصيحون ويسبون بعضهم بعضاً ويشتمون تلاميذهم عندما كانوا ينادونهم ، وكانوا يتنازعون فيما بينهم وبينما كان كثير من الكتاب يقرأون كتاباتهم السخيفة والشعراء ينشدون قصائدهم . والمشعوذون يعرضون ألعابهم وأعاجيبهم ، بينما كان كثير من العرافين يحاولون أن يقدموا معنى لما يجرى أمامهم من أعاجيب وآيات ، فى الوقت عينه الذى كان فيه حوالى عشرة آلاف من المقتدرين فى البيان يتجادلون فى كثير من القضايا ، وإلى جانبهم عدد غير قليل من التجار يعرضون بضائعهم المتعددة » . وكان اليونانيون قد سكروا بالعبارات والكلمات الجميلة ، ومن هنا كانت الرسالة المسيحية فى نظرهم تبدو فجة ، واعتبروا الرسول المسيحى شخصاً غير مثقف ، يستحق الهزء به والسخرية منه بدلا من الإنصات إليه واحترامه .

وبدا كأن فرصة النجاح أمام الرسالة المسيحية فى بيئة الحياة اليهودية أو اليونانية فرصة ضئيلة ؛ ولكن ، كما قال بولس ، ما يبدو أنه جهالة الله إنما هو أحكم من حكمة الناس ؛ وما يبدو أنه ضعف الله إنما هو أقوى من قوة الناس :

العار المجد

فَٱنْظُرُوا دَعْوَتَكُمْ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ أَنْ لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءُ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ . لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءُ . لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءُ ، بَلِ ٱخْتَارَ ٱللهُ جُهَّالَ ٱلْعَالَمِ لِيُخْزِيَ

ٱلْحُكَمَاءَ . وَٱخْتَارَ ٱللهُ ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ ٱلْأَقْوِيَاءَ .
وَٱخْتَارَ اللهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ
الْمَوْجُودَ . لِكَيْ لاَ يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ ، وَمِنْهُ
أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا
وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً ، حَتَّى كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ مَنِ ٱفْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ
بِالرَّبِّ .

(١ كورنثوس ١ : ٢٦ – ٣١)

هنا نجد بولس يفتخر بكون الكنيسة ؛ أو معظمها ؛ من أدنياء الناس وأبسطهم . ولكن ليس معنى هذا أن الكنيسة الأولى كانت تتكون كلية من العبيد . فحتى فى الأيام التى كتب فيها العهد الجديد إعتنق المسيحية أناس من أرقى طبقات المجتمع آنئذاك . فكان هناك ديونيسيوس الأريوباغى فى أثينا (أعمال ١٧ : ٣٤) ؛ والوالى سرجيوس بولس (أعمال ١٣ : ٦ – ١٢) ؛ والنساء الشريفات فى تسالونيكى وبيريه (أعمال ١٧ : ٤ و ١٢) ؛ وأراستس خازن المدينة ربما كانت مدينة كورنثوس نفسها (رومية ١٦ : ٢٣) . وفى عصر نيرون استشهدت لأجل مسيحيتها بومبونيا جريسينا زوجة بلوطيوس قاهر بريطانيا . وفى أيام دوميتيان فى النصف الأخير من القرن الأول للميلاد، استشهد بسبب مسيحيته فلافيوس كليمنز ابن عم الأمبراطور نفسه . وفى القرن الثانى كتب بليني حاكم بيثينية إلى الأمبراطور الرومانى تراجان يقول إن الناس من كل الطبقات فى المجتمع كانوا يعتنقون المسيحية . ولكن كل ذلك لا ينفى أن السواد الأعظم من المسيحيين كانوا من الناس العاديين البسطاء .

وحوالى عام ١٧٨ بعد الميلاد كتب سلسوس يهاجم المسيحية ويندد بها بشدة . وكان أكثر ما سخر به منها هو أنها كانت تجتذب إليها الطبقات الشعبية العادية من الناس . وأعلن فى سخرية لاذعة أن المسيحية كانت تشترط على من يعتنقها ألا يكون مثقفاً . وألا يكون حكيما وألا يكون عاقلا ، وأنها كانت تفتح ذراعيها لترحب بالجهال والسذج وعديمى الثقافة والعقل . وكتب عن المسيحيين يقول : « إنهم حفنة من الإسكافيين وجزازى الصوف وقصارى الأقمشة . إنهم أجهل وأدنى الناس » . وقال « إن المسيحيين يشبهون سرباً من الخفافيش — أو النمل الذى يزحف من أعشاشه ، أو الضفادع التى تتجمع حول مستنقع ، أو الديدان التى توجد فى زاوية من الطين » .

والواقع أن ما سخر منه سلسوس كان هو عين ما تفخر به المسيحية . فقد كانت الأمبراطورية آنئذاك تضم حوالى ستة ملايين من العبيد الأرقاء . وكان العبد فى نظر القانون مجرد « آلة » أو « شىء » ، ولم يكن العبد يحسب « شخصاً » أو « إنساناً » على الإطلاق . وكان السيد عندما يستغنى عن عبد عجوز مثلا يرميه كما يرمى فأساً أو معولا قديماً . وكان يستطيع أن يسلى نفسه بأن يعذب عبيده أمامه . كما كان يمكنه أن يقتلهم دون أى رادع أو حسيب .

ولم يكن هناك بين العبيد زواج بالمعنى المعروف بين السادة ، ولكن حتى أولاد العبيد كانوا يعتبرون ملكاً لسادتهم كما تعتبر حملان الأغنام ملكاً للراعى وليس للأغنام نفسها . ومن هنا كان يحق للمسيحية أن تفخر لأنها أعادت للناس الذين كانوا يعتبرون « أشياء » — اعتبارهم لإنسانيتهم وآدميتهم ، بل وأكثر من هذا جعلتهم أولاداً وبناتاً لله . ومنحت الذين لم يكن لهم — أى احترام أو اعتبار — احترامهم لأنفسهم ، وأعطت للذين لم تكن لهم أية حياة — الحياة الأبدية ، وعلمت الناس أنه وإن لم يكن أمرهم يهم الناس الآخرين فإن

أمرهم يهم الله جداً . كما علمت الناس الذين كانوا فى نظر العالم لا قيمة لهم — أن لهم قيمة عظمى فى نظر الله حتى لقد بذل لأجلهم ابنه الوحيد . إن المسيحية كانت — ولا تزال — أعظم قوة فى العالم تسمو بحياة الإنسان وترفعه إلى أعلى .

ويختتم بولس هذا الأصحاح باقتباس من سفر إرميا ٩ : ٢٣ ، ٢٤ . ويعلق بولتمان Bultman على هذا بقوله إن أساس كل الخطايا هو خطية « حب إثبات الذات » أو « الرغبة فى الافتخار بالذات » ؛ وأن التدين الحقيقى يبدأ عندما ندرك أنا لا نستطيع أن نفعل شيئاً ما من ذواتنا ، وأن الله هو الذى يقدر وسيفعل كل شيء . وحقيقة الحياة المدهشة هى أن الناس الذين يدركون ضعف ذواتهم ، وقلة حكمتهم ، وعجزهم وقصورهم ، هم الذين يصبحون فى النهاية أقوياء وحكماء . كما أن الحقيقة التى يؤكدها الاختبار ، هى أن الشخص الذى يظن أنه يستطيع أن يتعهد حياته كلها بقوته الذاتية وبمفرده ، لا بد أن يقود حياته إلى الانهيار والدمار .

وهنا نرى بولس يصر على أن المسيح قد صار لنا حكمة وبراً وقداسة وفداء :

(ا) هو حكمة : إن المسيح هو الخبير الأوحد فى الحياة . ولن نستطيع أن نسلك باستقامة فى الحياة إلا باتباعه هو فقط ، ولن نستطيع أن نسمع الحق فى الحياة إلا بالاستماع إليه هو دون سواه .

(ب) هو بر : وكلمة بر فى كتابات بولس تعنى دائماً « علاقة سليمة مع الله » ولن يمكن لنا أبداً أن نحقق مثل هذه العلاقة بيننا وبين الله بمجهوداتنا الذاتية ، إذ أن هذه العلاقة تتحقق فقط عن طريق يسوع المسيح ، عندما ندرك أنها تتأتى ليس مما نستطيع نحن أن نعمله لأجل الله ، بل مما قد عمله الله لأجلنا فعلا .

(ح) هو قداسة : ولا يمكن أن تكون الحياة كما ينبغى أن تكون إلا فى وجود المسيح فيها . تعود أبيقور أن يقول لتلاميذه : « عيشوا كما لو كان

أبيقور يراكم دائماً » . ولكن بالنسبة لعلاقتنا بالمسيح لا توجد كلمة « كما لو » . وذلك لأن المسيحى يمشى دائماً مع المسيح ، وبهذه الشركة وحدها يستطيع المسيحى أن يحفظ ثيابه نظيفة تماماً من أية لوثة يحاول العالم أن يلطخها بها .

(د) هو لفداء : تعود « ديوجينس » أن يشكو من أن الناس كانوا يهرعون إلى أطباء العيون وأطباء الأسنان ، ولكنهم لم يكونوا يذهبون إلى الرجل الذى يستطيع أن يشفى نفوسهم ، وكان يقصد بذلك الرجل الفيلسوف . ولكن يسوع المسيح يستطيع أن يحرر الإنسان من خطاياه فى الماضى ، ومن عجزه فى الحاضر ، ومن خوفه من المستقبل . فهو الذى يحرر الإنسان من عبوديته للذات وللخطية .

الأصحاح الثانى :

الكرازة والقوة

وَأَنَا لَمَّا أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْأُخْوَةُ أَتَيْتُ لَيْسَ بِسُمُوِّ ٱلْكَلَامِ أَوِ ٱلْحِكْمَةِ مُنَادِياً لَكُمْ بِشَهَادَةِ ٱللهِ . لِأَنِّى لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئاً بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوباً . وَأَنَا كُنْتُ عِنْدَكُمْ فِى ضَعْفٍ وَخَوْفٍ وَرَعْدَةٍ كَثِيرَةٍ . وَكَلَامِى وَكِرَازَتِى لَمْ يَكُونَا بِكَلَامِ ٱلْحِكْمَةِ ٱلْإِنْسَانِيَّةِ ٱلْمُقْنِعِ بَلْ بِبُرْهَانِ ٱلرُّوحِ وَٱلْقُوَّةِ ، لِكَىْ لاَ يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ ٱلنَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ ٱللهِ .

(١ كرنثوس ٢ : ١ — ٥)

وهنا يعود بولس بالذاكرة إلى الوقت الذى جاء فيه أولا إلى كورنثوس ، ويسجل من ذاكرته ثلاثة أشياء بارزة :

١ – أنه أتى إلى كورنثوس متحدثاً ببساطة . فقد جاء ليتحدث عن قصة الصليب بما فيها من بساطة مثيرة . وكان بولس قد جاء إلى كورنثوس من أثينا . وعلى قدر معلوماتنا كانت أثينا هى المكان الذى حاول فيه بولس ، للمرة الوحيدة فى حياته ، أن يقدم المسيحية فى عبارات ونصوص فلسفية . فهناك على جبل « مارس » إله الحرب كان بولس قد تقابل مع الفلاسفة وحاول أن يكلمهم باللغة التى يفهمونها ، وأن يقتبس بعض عباراتهم وأقوالهم الخاصة (أعمال ١٧ : ٢٢ – ٣١) . وكانت هذه المرة أيضاً هى إحدى المرات القليلة التى فشل فيها بولس ، ولم يكن لعظته ، التى استخدم فيها الفلسفة ، سوى تأثير قليل جداً (أعمال ١٧ : ٣٢ – ٣٤) . ويبدو أن بولس قال لنفسه ساعتئذ :

« لن أكرر ذلك أبداً ! من الآن فصاعداً سأروى قصة يسوع ببساطتها الكاملة . ولن أحاول ثانية أن أغلف هذه القصة فى قالب بشرى . لن أعرف شيئاً بعد الآن إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً » . والحقيقة أن قصة حياة يسوع الخالصة دون أية محاولة أو جهد لزخرفتها أو تجميلها إنما تحمل فى ذاتها قوة فريدة عجيبة لجذب قلوب الناس إليها . ويذكر دكتور « جيمس استيوارت » فى إحدى كتبه مثالا لذلك ، فيقول إن المرسلين المسيحيين عندما جاءوا إلى بلاط الملك كلوفيس قصوا عليه قصة الصليب . وعندما كان الملك العجوز يستمع إليهم مدّ يده إلى مقبض سيفه واستله قائلا : « لو كنت أنا وشعبى هناك لكنا قد هجمنا على الجلجثة وأنقذناه من يد أعدائه » . إن الحقيقة هى أن البساطة لها دائماً القوة والتأثير اللذين لا يحققهما أى شىء آخر . وعندما

نتعامل مع الناس العاديين نجد أن الصورة الحقيقية الحية البسيطة تأسر قلوبهم وألبابهم أكثر مما تستطيع الحجج المقنعة أن تفعل . وستظل هذه الحقيقة دائمة ، وهى أن أقصر سبيل لمخاطبة معظم الناس وللوصول إلى أعماقهم لايكون عن طريق العقل ، ولكن عن طريق القلب .

٢ ــ وأنه قد جاء متحدثاً فى خوف ورعدة كثيرة . وهنا ينبغى أن نلاحظ أن خوف بولس لم يكن خوفاً لأجل سلامته الشخصية ، ولا خجلا من الإنجيل الذى كان يكرز به .ولكنه كان بمثابة «القلق الشديد لأداء الرسالة والواجب».

ويستعمل بولس عبارة « خوف ورعدة » التى ينسبها إلى نفسه هنا ، عندما تحدث عن الطريقة التى ينبغى أن يخدم فيها العبيد ذوو الضمائر الحية سادتهم ، وأن يطيعوهم . (أفسس ٦ : ٥) ، والرجل الذى يتصدى لأداء عمل عظيم دون رعدة لا يمكن أن يؤدى هذا العمل على الوجه الأكمل : والممثل العظيم حقاً هو الممثل الذى يظل مشغولا جداً بدوره قبل أن تبدأ الحفلة . والواعظ المقتدر والمؤثر حقاً ، هو الواعظ الذى تسرع نبضات قلبه عندما يكون على أهبة الوعظ . وقد يستطيع الرجل الذى يتصدى لعمل ما دون خوف أو رعدة ، أو توتر أو تهيب ، أن يؤدى هذا العمل بكفاءة واقتدار ؛ ولكن الرجل الذى يقدم على عمله فى لهفة واهتمام بالغ ورعدة كثيرة هو الرجل الذى يستطيع أن يضمن لعمله تأثيراً عظيما لا تحققه مجرد الإجادة الفنية .

٣ ــ وأنه قد جاء بنتائج وليس بمجرد كلمات . فقد كانت نتيجة كرازة بولس أن أشياء معينة حدثت . ويقول بولس إن كرازته قد تأيدت وتبرهنت ببرهان الروح والقوة . ولقد كان هذا البرهان هو برهان النفوس التى تغيرت حياتها . فإن شيئاً ما ، جديداً تماماً ، دخل إلى مجتمع كورنثوس الدنس ،

فأوجد فيه خليقة جديدة وعمل فيه تطهيراً ملحوظاً . اعتاد « جون هانون » أن يردد قصة رجل كان سكيراً مستهتراً ثم آمن بالمسيح ، فتغيرت حياته تماماً . وكان زملاؤه فى العمل يحاولون أن يزعزعوا إيمانه . وأن يشككوه فى المسيح فكانوا يقولون له : « إن رجلا عاقلا مثلك لا يمكن أن يصدق المعجزات المذكورة فى الكتاب المقدس .

فأنت لا تستطيع مثلا أن تصدق أن يسوعك هذا الذى تؤمن به قد حول المال إلى خمر فعلا » . فكان الرجل يجيبهم قائلا : « سواء أكان المسيح قد حول الماء إلى خمر أم لا ، لست أدرى ، ولكنى أدرى أنه فى بيتى أنا بالذات قد رأيته يحول الخمر إلى أثاث ملأ غرف البيت » .

ولا يستطيع أحد أن يجادل ضد برهان الحياة المتغيرة المتجددة . إننا نخطىء كثيراً عندما نحاول أن نجتذب الناس إلى المسيحية بكلام الحكمة الإنسانية بدلا من أن نقدم لهم شخص المسيح عملياً فى حياتنا الشخصية . قال أحدهم « إن القديس هو الذى يحيا المسيح فيه ثانية » .

الحكمة التى من الله

لَكِنَّنَا نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ ٱلْكَامِلِينَ وَلَكِنْ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الدَّهْرِ وَلاَ مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ الَّذِينَ يُبْطِلُونَ . بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرٍّ . الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا . الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ . لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ . بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ

أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ

(١ كورنثوس ٢ : ٦ – ٩)

يشرح الرسول فى هذه الفقرة الفرق بين الأنواع المختلفة من التعليم المسيحى ، كما يشرح الفرق بين المراحل المختلفة للحياة المسيحية . وفى الكنيسة الأولى كان هناك فرق واضح ومميز بين نوعين من التعليم :

(ا) فكان هناك مجرد « الكرازة » البسيطة الصريحة وهى عبارة عن إعلان حقائق المسيحية الأساسية التى لا جدال حولها . وواضح أن ذلك كان بمثابة المرحلة الأولى التى تتضمن الإعلان أمام الناس عن حقائق حياة يسوع وموته وقيامته وعن مجيئه الثانى .

(ب) وكان هناك أيضاً ما يسمى « بالتعليم » ، وهذا كان يعنى شرح معانى ومفاهيم الحقائق التى سبق الكرازة بها . وواضح أن خطورة « التعليم » كانت تتبع مرحلة « الكرازة » ، وأنها كانت تقدم للذين سبق فقبلوا « الكرازة » وهذا ما يحاول الرسول هنا أن يصل إليه ، فحتى ذلك الوقت كان الرسول يتحدث عن يسوع المسيح وإياه مصلوباً ، باعتبار أن ذلك كان هو الإعلان الأساسى للمسيحية ؛ ولكنه يستطرد فيقول إننا لا ينبغى أن نتوقف عند هذا الحد ؛ فإن التعليم المسيحى لا يكتفى بالإعلان عن الحقائق ، ولكنه يهتم أيضاً بشرح هذه الحقائق وما تعنيه . ويقول الرسول إن هذا النوع من التعليم ينبغى أن يكون بين « الكاملين » . والواقع أن الكلمة الأصلية التى ترجمت إلى « الكاملين » هنا تعنى أكثر من ذلك . فهى تتضمن أيضاً ذروة النمو والنضوج ، وهى تستعمل لوصف حيوان أو إنسان بلغ نموه الكامل ووصل إلى أعلى درجات نموه الجسدى . فضلا عن أنها تحمل أيضاً نفس المعنى من الناحية العقلية أو الذهنية . وقد اعتاد « بيثاغوراس» أن

يقسم تلاميذه إلى قسمين : « أطفال » و « كاملين » ؛ أى الذين تعدوا مرحلة التعليم الأولى فى المبادىء الأساسية فى أى موضوع ، والذين أصبحوا تلاميذ ناضجين وبنفس هذا المعنى يستخدم بولس هذه الكلمة هنا . وكأنه يقول : « لرجل الشارع وللذين جاءوا حديثاً إلى الكنيسة ، نحن نتحدث عن الحقائق الأولية الأساسية للمسيحية ؛ ولكن عندما يصبح هؤلاء الناس أكثر نضوجاً فاننا نقدم لهم تعليما أكثر عمقاً وتفصيلا عما تعنيه هذه « الحقائق » . ولا يشير الرسول هنا إطلاقاً إلى أية فروق طائفية أو عنصرية بين أنواع مختلفة من المسيحيين . إنه يشير فقط إلى الفروق فى مستويات حياتهم ، ويعنى أن اختلاف المستويات أو المراحل فى حياتهم يتطلب أنواعاً مختلفة من التعليم . والمأساة التى تحدث كثيراً هى أن الناس يقنعون بالبقاء فى المرحلة الأولية فى الوقت الذى ينبغى فيه أن يجاهدوا بغيرة ونشاط ليردوا أنفسهم بقدر وافر من المعرفة والعلم والحكمة :

ويستعمل بولس هنا كلمة لها دلالة فنية خاصة ، فيقول « نتكلم بحكمة الله فى سر » . والكلمة اليونانية الأصلية المترجمة هنا « سر » تفيد الشىء الذى لا يدرك المبتدئون معناه ويستعصى عليهم فهمه ، ولكنه واضح كل الوضوح ومفهوم جداً للناضجين والمختبرين . ويمكن أن تعنى هذه الكلمة أيضاً شعيرة أو طقساً معيناً يمارس فى مجتمع ما ، ويفهمه كل أفراد هذا المجتمع فهماً جيداً ، بينما يستغلق فهمه على أى شخص آخر غريب . وكأن ما يريد بولس أن يقوله هو : « إننا سنتكلم عن أشياء وسنشرح أشياء لا يستطيع أن يفهمها ويستوعبها إلا الشخص الذى سبق أن سلمّ قلبه للمسيح » .

ولكن بولس يصر على أن هذا التعليم الخاص ليس وليد الفكر البشرى أو نشاط الذهن الإنسانى ؛ بل إنه هبة الله التى قدمها للعالم فى يسوع المسيح .

فكل المعرفة والحكمة هي من الله . وهي ثمرة لقاء روح الإنسان الذى يطلب الله مع روح الله الذى يكشف نفسه للانسان . وكل ما استطاعت أذهاننا أن تتوصل إليه من معرفة وعلم إنما هو فى الواقع ما أخبرنا الله به وما سمح لنا أن نستكشفه . لكن هذا ليس معناه أبداً أنه يعفينا من مسئولية بذل المزيد من الجهد الإنسانى . بل كما أن التلميذ المجد يجعل نفسه ، بجده واجتهاده ومثابرته على العمل ، صالحاً لتقبل واستيعاب كل ما فى عقل أستاذه من كنوز العلم والمعرفة ، هكذا الأمر بالنسبة لموقفنا مع الله . فكلما طلبنا من الله واجتهدنا فى أن نفهم ، زادنا الله فهماً وإدراكاً ومعرفة . ولا توجد حدود تنتهى عندها هذه العملية ، لأن كنوز الله غنية جداً لا يمكن حصرها أو إدراكها كلها بعقولنا وحواسنا المحدودة .

أشياء روحية لأناس روحيين

فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ . لِأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ . لِأَنَّ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحَ الإِنْسَانِ الَّذِى فِيهِ . هَكَذَا أَيْضاً أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحَ اللهِ . وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ بَلِ الرُّوحَ الَّذِى مِنَ اللهِ لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ . الَّتِى نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضاً لاَ بِأَقْوَالٍ تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ . وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لِأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ . وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لِأَنَّهُ إِنَّمَا

يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا . وَأَمَّا الرُّوحِيُّ فَيَحْكُمُ فِى كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ لاَ يُحْكَمُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ . لِأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ فَيُعَلِّمَهُ . وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ .

(١ كورنثوس ٢ : ١٠ - ١٦)

يذكر الرسول فى هذه العبارات بعض الأشياء الأساسية جداً :

١ - يقرر بولس الحقيقة الجوهرية أن الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يخبرنا عن الله هو روح الله ؛ ويوضح قوله بتشبيه أو قياس بشرى : فهناك أشياء معينة عن الإنسان لا يعرفها إلا روح الإنسان نفسه . وهناك مشاعر شخصية ، وأشياء واختبارات خصوصية لا يعرفها إلا روح الإنسان ذاته . ولا أحد يستطيع أن يرى حقاً ما بدواخل قلوبنا ويعرف خباياها فى أعماقها إلا أرواحنا نحن ثم يستطرد بولس فيقول إن هذه الحقيقة تصدق أيضاً بالنسبة لأمور الله . فهناك أمور إلهية عميقة لا يعرفها إلا روح الله فقط . والروح هو الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يقودنا إلى معرفة حقيقية شخصية عن الله . وهناك أمور لا تستطيع قوة تفكيرنا أن تدرك كنهها دون معونة أو إرشاد ، والروح هو الذى يعلمنا إياها لأن الروح وحده هو الذى يعرفها .

٢ - ولكن بالرغم من كل ذلك فإنه ليس فى مقدور كل إنسان أن يفهم هذه الأمور . ويتحدث بولس عن ترجمة وتفسير الأمور الروحية للناس الروحيين . ويميز بولس بين نوعين من الناس . :

(أ) فهناك الناس الروحيون . والإنسان الروحى هو الإنسان الحساس والمطيع للروح القدس ، وهو الإنسان الذى تقاد حياته وتوجه بارشاد الروح ؛ وهو الإنسان الذى يصدر كل قراراته ويحدد كل تصرفاته وأحكامه بتأثير الروح وإرشاده ، وهو الإنسان الذى يسود حياته باستمرار الوعى بأنه توجد

أشياء أخرى وراء الأشياء المنظورة فى هذا العالم ، وأنه توجد قيم أخرى وراء القيم المعروفة فى هذا العالم ، وأنه توجد حياة أخرى بعد انتهاء الحياة فى هذا العالم .

(ب) وهناك أيضاً الإنسان الطبيعى . والمقصود بالإنسان الطبيعى هنا هو ذلك الإنسان الذى يعيش حياته فى صورتها الجسدية المادية فحسب ، كما تعيش سائر الكائنات الأخرى ، ودون اعتبار أو مراعاة للروح . وهنا يجب أن نفرق بين معنى كلمة « نفس » وكلمة « روح » . فكل كائن حى له نفس ، ولكن ليس كل كائن حى له روح . فالكلب والقط وأى حيوان آخر له نفس ولكن ليس له روح . والإنسان يشترك مع سائر الكائنات الحية فى أن له نفساً أيضاً ، ولكن الذى يجعله إنساناً هو أنه يتميز بالروح . إن الروح هو الذى يجعله يختلف عن بقية الخليقة ، ويجعله قريباً لله . ولذلك يتحدث الرسول فى عدد ١٤ عن الإنسان الطبيعى ، أى الإنسان الذى يعيش حياته كما لو لم يكن هناك شىء بعد الحياة الجسدية ، وكما لو لم تكن له احتياجات أخرى سوى الاحتياجات الجسدية المادية ، الإنسان الذى كل قيمه فى الحياة قيم جسدية مادية ، ويحكم على كل شىء فى الحياة بمقاييس ومستويات جسدية مادية بحتة . إن إنساناً كهذا لا يستطيع أن يفهم الأشياء الروحية . فالرجل الذى يظن أنه لا يوجد شىء فى الحياة أهم من إشباع الحوافز الجنسية لا يستطيع أن يفهم معنى العفة ، والرجل الذى كل همه فى الحياة هو تكويم الأشياء المادية واكتنازها كما لو كانت هى غاية الحياة الوحيدة وهدفها الأسمى لا يمكن أن يفهم معنى الكرم والسخاء ، والرجل الذى تستولى شهواته ورغباته الجسدية على كل تفكيره واهتمامه لا يمكن أن يفهم معنى النقاوة والطهارة ، والرجل الذى لم يخطر بباله أبداً أن يفكر فى وراء هذا العالم لا يستطيع أن يفهم أمور الله بل تبدو بالنسبة إليه مجرد جهالة

وحماقة . وليس حتمياً أن يتعمد الإنسان الوصول إلى هذه الحالة حتى يصل إليها ، ولكنه عندما يكتم ويخمد « الأشواق الخالدة والحنين المقدس » فى نفسه باستمرار فإنه سيصل حتماً إلى الحالة التى ذكرناها . وعندئذ لن يستطيع أن يسمع صوت روح الله عندما يكلمه أو يناديه .

وعندما ننغمس فى العالم وننشغل به يسهل علينا أن نتصور أنه لا يوجد شىء آخر فيما وراء هذا العالم . ولذلك يجب علينا أن نصلى باستمرار ليكون لنا فكر المسيح ، لأنه لما يسكن المسيح فينا فعندئذ فقط نصبح آمنين من غزو الأشياء المادية وإغرائها لنا .

الله هو الكل

وَأَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ بَلْ كَجَسَدِيِّينَ كَأَطْفَالٍ فِي الْمَسِيحِ . سَقَيْتُكُمْ لَبَناً لاَ طَعَاماً لأَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا بَعْدُ تَسْتَطِيعُونَ بَلِ الآنَ أَيْضاً لاَ تَسْتَطِيعُونَ . لأَنَّكُمْ بَعْدُ جَسَدِيُّونَ . فَإِنَّهُ إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ وَخِصَامٌ وَانْشِقَاقٌ أَلَسْتُم جَسَدِيِّينَ وَتَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْبَشَرِ . لأَنَّهُ مَتَى قَالَ وَاحِدٌ أَنَا لِبُولُسَ وَآخَرُ أَنَا لأَبُلُّوسَ أَفَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ .

فَمَنْ هُوَ بُولُسُ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ . بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُم بِوَاسِطَتِهِمَا وَكَمَا أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ . أَنَا غَرَسْتُ وَأَبُلُّوسُ سَقَى لَكِنَّ اللهُ كَانَ يُنْمِي . إِذاً لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئاً وَلاَ السَّاقِي بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي . وَالْغَارِسُ وَالسَّاقِي هُمَا وَاحِدٌ وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أُجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعَبِهِ . فَإِنَّنَا نَحْنُ عَامِلاَنِ مَعَ اللهِ وَأَنْتُم فَلاَحَةُ اللهِ . بِنَاءُ اللهِ .

(١ كورنثوس ٣ : ١ – ٩)

كان الرسول يتحدث فى الآيات السابقة لهذا الفصل عن الفرق بين الإنسان

الروحى الذى يستطيع أن يفهم الحقائق الروحية ، والإنسان الطبيعى الذى لا يستطيع أبداً أن يدرك شيئاً عن الحقائق الروحية لأن كل اهتماماته وغاياته وأفكاره لا تتعدى دائرة الحياة الأرضية والجسدية . ونرى الرسول هنا يتهم الكورنثيين بأنهم لا يزالون فى مرحلة الحياة الجسدية الأرضية . ونراه يدعوهم « جسديين » . وهذه الكلمة فى اللغة اليونانية تعنى « مصنوعين أو مكونين من الجسد » ولذلك يبدأ بولس هذا الفصل بقوله إن الكورنثيين مصنوعون من الجسد ، وإنهم جسديون ولم يتجاوزوا بعد دائرة الأشياء الجسدية البشرية. ولم يكن مجرد كونهم مصنوعين من الجسد شيئاً يستحقون عليه اللوم والتوبيخ ، فكل إنسان منا يعتبر إنساناً لأنه مصنوع من جسد ولم تكن المشكلة بالنسبة للكورنثيين أنهم مصنوعون من الجسد ، ولكن المشكلة كانت أنهم جسديون أى مستبعدون للجسد . وكانت كلمة « الجسد » فى نظر بولس تعنى شيئاً أكثر بكثير من مجرد شيء طبيعى مادى . كان بولس يعنى بالجسد الطبيعة الإنسانية عندما تكون منفصلة عن الله ، أى ذلك الجانب البشرى – العقلى والطبيعى – الذى يعتبر بمثابة رأس جسر للخطية ، والذى يستجيب لإغراء الخطية ويعطيها الفرصة لتوقع الإنسان فى شراكها . ومن ثم فان بولس لم يكن يعيب على الكورنثيين كونهم مصنوعين من الجسد – فكل الناس كذلك – ولكنه يعيب عليهم أنهم سمحوا لهذا الجانب السفلى من طبيعتهم أن يسيطر على كل أفكارهم ويهيمن على كل أفعالهم ويتحكم فى كل تصرفاتهم .

وما هو البرهان الذى يستدل به الرسول على كل ذلك ؟ وماذا كان فى حياتهم وسلوكهم مما جعل بولس يوجه إليهم مثل هذا الزجر وهذا الانتهار ؟ إن الدليل الذى يذكره الرسول هو ما كان فيهم من حسد وخصام وانشقاق وانقسامات . ولهذه الحالة دلالة كبرى ، فان معنى هذا أنك تستطيع أن تحكم

على مدى علاقة الإنسان بالله من معرفتك لعلاقات ذلك الإنسان بسائر الناس : فاذا كان إنسان ما حسوداً ومشاغباً ومثيراً للخصومات والانشقاقات ومسبباً للمشاكل والمتاعب للآخرين فهو إنسان جسدى ؛ قد يكون متردداً على اجتماعات الكنيسة ، وقد يكون شاغلا لوظيفة كنسية كبيرة ، ولكنه لا يمكن أن يكون رجل الله . ولكن إذا كان إنسان ما يعيش فى سلام مع الآخرين ، وتتميز علاقاته بهم بالمحبة والوئام ، فان ذلك الإنسان هو فى الطريق ليكون رجل الله . وإذا كان إنسان ما بعيداً عن إخوانه من البشر نافراً منهم ، فان هذا دليل كاف على أنه بعيد أيضاً عن الله ؛ أما إذا كان يحب الله فانه سيحب الآخرين أيضاً .

ويستطرد بولس فيندد بالحماقة الرئيسية التى تمثلت فى روح التحزب والانشقاق وتمجيد القادة البشريين ؛ فيقول إنه فى بستان ما قد يغرس إنسان بذرة ثم يسقيها إنسان آخر ، ولكن لا يستطيع أحدهما أن يزعم أنه هو الذى يجعل البذرة تنمو وتكبر . إن الفضل فى نمو هذه البذرة يرجع إلى قوة الله وحدها . ولقد استطاع الناس أن يعملوا وأن يصنعوا أشياء كثيرة ولكنهم للآن لم يستطيعوا أبداً أن يخلقوا الحياة . ولهذا يستوى الإنسان الذى يغرس مع الإنسان الذى يسقى ، ولا يستطيع أحدهما أن يدعى الأفضلية على الآخر ، فما هما إلا خادمان يعملان معاً لأجل سيد واحد — هو الله . وعلينا أن نتذكر دائماً أن الله قد يستخدم وسائط بشرية ليوصل للناس رسالة حقه ومحبته ، ولكنه « هو » وحده الذى يستطيع أن يوقظ قلوب الناس ويبعث فيها حياة جديدة . فكما أنه هو وحده الذى خلق القلب ، فانه هو وحده أيضاً الذى يستطيع أن يخلقه ثانية خليقة جديدة .

الأساس والبناؤون

حَسَبَ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي كَبَنَّاءٍ حَكِيمٍ قَدْ وَضَعْتُ أَسَاساً وَآخَرُ يَبْنِي عَلَيْهِ . وَلَكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ . فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاساً آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ . وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدُ يَبْنِي عَلَى هَذَا الأَسَاسِ ذَهَباً فِضَّةً حِجَارَةً كَرِيمَةً خَشَباً عُشْباً قَشًّا ، فَعَمَلُ كُلُّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِراً لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ . لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ . إِنْ بَقِيَ عَمَلُ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أُجْرَةً ، إِنِ احْتَرَقَ عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ وَلَكِنْ كَمَا بِنَارٍ .

(١ كورنثوس ٣ : ١٠ – ١٥)

يتحدث الرسول بولس فى هذا الفصل من وحى اختباره الشخصى . فقد كان بولس فعلا واضع أساس ، إذ كان كثير التنقل والتجوال . حقاً أنه مكث مدة ثمانية عشر شهراً فى كورنثوس (أعمال ١٨ : ١١) ، ومدة ثلاث سنوات فى أفسس (أعمال ٢٠ : ٣١) ، ولكنه لم يمكث فى تسالونيكى وفى أغلب المدن الأخرى إلا أقل من شهر . وذلك لأنه كانت أمامه أماكن كثيرة ينبغى أن تصل إليها بشارة الإنجيل ، وكان هناك أناس كثيرون لم يكونوا قد سمعوا قط اسم يسوع المسيح . وكان بولس يشعر أنه عليه أن يبدأ فى كل مكان بداية طيبة فى التبشير بالمسيح ، أو بعبارة أخرى أن يضع

الأساس ، ثم يرحل إلى مكان آخر ليضع فيه أيضاً أساساً جديداً للكرازة بالمسيح . ولم يكن بولس يستقر فى مكان واحد دون ترحال إلا عندما كان يضطر للبقاء فى السجن .

وحيثما كان بولس يذهب كان يضع الأساس عينه . ولم يكن هذا الأساس إلا إعلان الحقائق المتعلقة بيسوع وعمله الفدائى العظيم . وكانت الرسالة العظمى التى أحس بولس أنه ملتزم بها هى أن يقدم الناس إلى يسوع المسيح باعتباره أساس الكنيسة لأنه فيه — وفيه وحده — يستطيع المسيحى أن يجد ثلاثة أشياء :

١ — فهو يجد أولا غفراناً لخطاياه الماضية ، ويجد نفسه فى موقف جديد إزاء الله . ويكتشف المسيحى فجأة أن الله صديقه وليس عدوه ، ويدرك جيداً معنى المصالحة مع الله . وبعد أن كان يرى أولا الكراهية يرى الآن المحبة المتجلية ، وبعد أن كان يحس أولا بالعبد والنفور الذى لا حدود له ، يرى الآن اللطف والرقة والصداقة الحميمة .

٢ — وهو يجد ثانياً قوة للحاضر . فعن طريق حضور يسوع معه ومعاونته له يجد القوة والشجاعة للكفاح الشريف والمقدس فى ركب الحياة ، لأنه لم يعد بعد فرداً منعزلا يناضل وحيداً فى معركة مع عالم كله أعداء متعبون . وهو يحيا حياة لا يستطيع أى شىء فيها أن يفصله عن محبة الله فى المسيح يسوع ربه . وهو يمشى فى دروب الحياة ومسالكها ، ويناضل ويكافح فى معارك الحياة الصعبة ومعه المسيح .

٣ — كما أنه يجد فيه أيضاً رجاء للمستقبل . فهو لا يعيش بعد فى عالم يخشى أن يتطلع فيه إلى الأمام وإلى المستقبل . إنه يدرك أنه يعيش فى عالم يسيطر الله عليه ويحكمه ، ويجعل جميع الأشياء تعمل فيه معاً للخير ، ويهيمن

بسلطانه على كل أقداره فى كل زمان ومكان ، وأنه يعيش فى عالم ليس الموت نهاية له ، بل أن الموت مجرد تمهيد للمجد الأعظم . وبدون أساس المسيح لا يستطيع أحد أن ينال شيئاً من هذه الأمور الثلاثة .

ولكن على أساس المسيح هذا بنى آخرون . وهنا نجد أن بولس لا يشير إلى استعمال أشياء غير صحيحة فى البناء ، ولكن إلى استعمال أشياء غير وافية بالغرض . فقد يقدم إنسان ما المسيحية إلى زملائه بصورة ضعيفة أو مشوهة أو محرفة . وقد يقدم منها جانباً واحداً يبرز فيه بعض الأشياء ويهمل أشياء أخرى ، أو قد ينبر على أشياء معينة ويهمل أشياء أخرى بشكل يجعل صورة المسيحية التى يقدمها صورة لا تطابق الأصل تماماً . و « اليوم » الذى يشير إليه بولس هنا هو اليوم الذى يأتى فيه المسيح ثانية . وحينئذ يكون الاختبار والفحص النهائى . فى ذلك اليوم ستحترق وتمحى الأشياء الخاطئة والأشياء غير الوافية . ولكن ، من رحمة الله ، أنه حتى الذى استخدم هذه الأشياء فى البناء سيخلص ، لأنه على الأقل حاول أن يعمل شيئاً ما لأجل المسيح . والحقيقة أن كل مفاهيمنا ومعتقداتنا عن المسيحية — على أحسن الفروض — إنما هى ناقصة وغير وافية ولكننا نستطيع أن نوفر على أنفسنا كثيراً من هذا النقص والعجز إذا كنا نمتحن كل مفاهيمنا ومعتقداتنا ، لا على أساس أفكارنا الشخصية المتعصبة المغرضة ، ولا على مدى اتفاقها مع آراء هذا أو ذاك من علماء اللاهوت ، ولكن فى نور كلمة الله ، وعلى الأخص فى نور الصليب . اعتاد « لونجينس Longinus » الناقد الأدبى اليونانى العظيم ، أن يقول لتلاميذه . « عندما تكتبون شيئاً ما ، اسألوا أنفسكم كيف كان هوميروس أو ديمستينوس يكتب هذا الذى تريدون كتابته ، وأكثر من ذلك ، تخيلوا أن هوميروس وديموستينوس يستمعان إليكم وأنتم ترددون هذا الذى تكتبونه » . . ونحن ، عندما نتحدث عن المسيح ، يجب أن نتحدث كما لو كان المسيح نفسه ينصت إلينا — بل إنه يفعل ذلك حقاً .

وإذا كنا نمتحن أنفسنا دائماً بهذا القياس ، فان ذلك سيحفظنا من الوقوع في أخطاء كثيرة .

الحكمة والجهالة

أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ لأَنَّ هيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ الَّذِى أَنْتُمْ هُوَ ، لاَ يَخْدَعَنَّ أَحَدٌ نَفْسَهُ. إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ حَكِيمٌ بَيْنَكُمْ فِى هَذَا الدَّهْرِ فلْيَصِرْ جَاهِلاً لِكَىْ يَصِيرَ حَكِيماً . لأَنَّ حِكْمَةَ هَذَا الْعَالَم هِىَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللهِ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ الآخِذُ الْحُكَمَاءَ بِمَكْرِهِمْ . وَأَيْضاً الرَّبُّ يَعْلَمُ أَفْكَارَ الْحُكَمَاءِ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ ، إِذًا لاَ يَفْتَخِرَنَّ أَحَدٌ بِالنَّاسِ . فَإِنَّ كُلَّ شَىْءٍ لَكُمْ . أَبُولُسُ أَمْ أَبُلُّوسُ أَمْ صَفَا أَمِ الْعَالَمُ أَمِ الْحَيٰوةُ أَمِ الْمَوْتُ أَمِ الأَشْيَاءُ الْحَاضِرَةُ أَمِ الْمُسْتَقْبَلَةُ كُلُّ شَىْءٍ لَكُمْ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلِلْمَسِيحُ وَالْمَسِيحُ لِلّٰهِ .

(١ كورنثوس ٣ : ١٦ - ٢٣)

كانت الكنيسة فى نظر بولس هى هيكل الله نفسه ، لأن الكنيسة كانت هى المجتمع الذى يسكن فيه روح الله . وفيما بعد قال « أوريجانس Origen » . « عندما نعد أنفسنا لقبول الروح القدس ، فإننا نصبح هيكل الله » ولكن ،

إذا كان الناس يسمحون بوجود انشقاقات وخصومات وانقسامات داخل المجتمع الكنسى مما يقضى على روح الشركة فى الكنيسة فانهم بذلك يفسدون هيكل الله بمعنى مزدوج .

(ا) أنهم يجعلون عمل الروح مستحيلا . فبمجرد أن تدخل المرارة إلى الكنيسة تخرج منها المحبة . وحيث تسود المرارة يصعب أن يقال الحق أو يسمع . وأينما توجد المحبة يوجد الله ، ولكن أينما توجد الكراهية والخصومات فان الله يقف على الباب ويقرع ولا يلقى ترحيباً أو قبولا . إن السمة المميزة للكنيسة هى المحبة للاخوة . ويجب أن نذكر دائماً أن الذى يفسد هذه المحبة والشركة فى الكنيسة فهو يفسد الكنيسة ذاتها وبالتالى فهو يفسد هيكل الله .

(ب) وهم يقسمون الكنيسة ويفككونها ويحدثون ببنائها خللا خطيراً ، ويحولون وحدتها إلى أجزاء محطمة غير مترابطة . ولا يمكن لأى بناء أن يثبت إذا كانت أركانه مزعزعة أو إذا أزيلت منه بعض الأجزاء . وهذه الحقيقة تنطبق بالطبع على الكنيسة أيضاً . إن الانقسامات فى الكنيسة هى أشد ما يهددها ويصيبها بالفساد والخراب .

ويستطرد بولس فى حديثه فيشير مرة أخرى إلى السبب الجذرى لهذه الانشقاقات وما ينتج عنها من إفساد لهيكل الله ، الذى هو الكنيسة . ذلك السبب الجذرى هو عبادة الحكمة العقلية العالمية . ويندد بولس بتلك الحكمة مستشهداً باقتباسين من العهد القديم :

أيوب ٥ : ١٣ ومزمور ٩٤ : ١١ . وهذه الحكمة العالمية نفسها هى التى جعلت الكورنثيين يبالغون ويغالون فى تقدير قيمة المعلمين والقادة المختلفين . وهذه الكبرياء فى العقل الإنسانى هى التى جعلتهم يحاولون انتقاد الطريقة التى تقدم بها الرسالة وأسلوبها ، ويهتمون بالمجادلات الماكرة أكثر من الاهتمام

والتفكير فى مضمون الرسالة ذاتها . وما يجعل هذه الكبرياء العقلية تدعو إلى القلق والكدر هو أنها دائماً تحمل معها شيئين :

(ا) فهى دائماً تدفع إلى الجدل والنزاع والخصام . فهى لا تستطيع أن تظل فى صمت وهدوء ، ولا أن تبدى إعجابها بشيء ، إنها لا بد أن تجعل صاحبها يتحدث وينتقد . وهى لا تتحمل أبداً أية معارضة أو مناقصة لآرائها ، بل هى دائماً تثبت أنها هى — وهى وحدها — على حق دائماً . ولا تعترف أبداً أنها كانت على خطأ ، بل فى كل حين تبرر نفسها وهى لا تتواضع أبداً حتى تتعلم ، بل تنظر دائماً بازدراء إلى كل قانون أو رأى .

(ب) والكبرياء العقلية تجعل صاحبها يقاطع الآخرين وينبذهم . فهى تميل دائماً إلى احتقار الآخرين والازدراء بهم أكثر من ميلها إلى الجلوس معهم والحديث إليهم ، إذ أنها تعتقد بوجه عام أن كل الذين لا يتفقون معها إنما هم على خطأ . منذ وقت طويل كتب كروميل إلى الأسكتلنديين يقول : « أرجوكم لأجل المسيح أن تذكروا أنه يمكن أن تكونوا مخطئين » . وهذا بالضبط هو ما لا تستطيع الكبرياء العقلية أن تفعله . إنها تفصل الناس بعضهم عن بعض أكثر مما توحدهم .

وبعبارة قوية حية ينصح الرسول كل من يريد أن يكون حكيما أن يصير أولا جاهلا حتى يمكن أن يصير حكيما . وهذه العبارة ، فى روعة أسلوبها البسيط تحفز الإنسان على أن يتضع حتى يتعلم . فلن يستطيع أحد أن يعلم إنساناً يظن فى نفسه أنه يعلم كل شيء من قبل . وقديماً قال أفلاطون . « إن أحكم الناس هو الشخص الذى يعتقد فى نفسه أنه ليس أهلا لدراسة الحكمة » . وقال غيره عن تلاميذ معينين . « كان يمكن أن يكون هؤلاء التلاميذ ممتازين بكل تأكيد لو لم يكونوا معتدين جداً بما وصلوا إليه من علم وما حصلوه من دراسة ومعرفة » . ويقول المثل القديم : « الذى لا يعرف ، ولا يعرف أنه لا يعرف

هذا رجل أحمق ، فاجتنبوه . أما الذى لا يعرف ، ويعرف أنه لا يعرف ، فهذا رجل حكيم ، فعلموه » . إن الطريقة الوحيدة لكى نصبح حكماء هى أن ندرك أولا أننا جهلاء ولن يتسنى لنا أن نكتسب المعرفة إلا إذا كنا نعترف أولا بجهلنا .

وفى عدد ٢٢ ، كما يحدث كثيراً فى رسائل بولس ، نجد أنه يتحول فجأة إلى الأسلوب الشعرى العاطفى . فقد كان الكورنثيون يعملون شيئاً كان بالنسبة لبولس لا يمكن تفسيره ، إذا كانوا يريدون أن يقدموا أنفسهم لإنسان ما . وهنا يقول بولس لهم إن الحقيقة هى ليس أنهم هم له ، بل أنه هو لهم وأن كل شيء لهم ، لأنهم للمسيح والمسيح لله .

الأحكام الثـــلاثة

هَكَذَا فَلْيَحْسِبْنَا الإِنْسَانُ كَخُدَّامُ الْمَسِيحِ وَوُكَلاَءِ سَرَائِرِ اللهِ . ثُمّ يُسْأَلُ فِى الْوُكَلاَءِ لِكَىْ يُوجَدَ الإِنْسَانُ أَمِيناً ، وَأَمّا أَنَا فَأَقَلُّ شَيْءٍ عِنْدِى أَنْ يُحْكَمَ فِيّ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ يَوْمٍ بَشَرٍ . بَلْ لَسْتُ أَحْكُمُ فِى نَفْسِى أَيْضاً . فَإِنِّى لَسْتُ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ فِى ذَاتِى . لَكِنَّنِى لَسْتُ بِذَلِكَ مُبَرَّراً وَلَكِنَّ الَّذِى يَحْكُمُ فِيّ هُوَ الرَّبُّ ، إِذًا لاَ تَحْكُمُوا فِى شَيْءٍ قَبْلَ الْوَقْتِ حَتَّى يَأْتِىَ الرّبُّ الَّذِى سَيُنِيرُ خَفَايَا الظَّلاَمِ وَيُظْهِرُ آرَاءَ الْقُلُوبِ . وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَدْحُ لِكُلِّ واحِدٍ مِنَ اللهِ .

(١ كورنثوس ٤ : ١ - ٥)

هنا يحث بولس الكورنثيين ألا ينظروا إلى أبولس وصفا وإليه هو أيضاً باعتبارهم قادة أو زعماء أحزاب أو طوائف ، بل أن ينظروا إليهم باعتبارهم خداماً للمسيح. وكلمة « خدام » التى استعملها بولس هنا تعنى فى اللغة الأصلية العبيد الذين كانوا يستخدمون للتجديف فى المراكب الكبيرة التى كانت تسير فى البحر . وقد نبر كثير من المفسرين على هذا المعنى[1] ، وقالوا إن الصورة التى أراد بولس أن يعبر عنها هى أن يسوع هو بمثابة ربان السفينة الذى يقودها فى الطريق الصحيح ، وأن بولس هو الخادم الذى يتلقى أوامر الربان ، ويعمل فقط طبقاً لتعليمات سيده . ثم يستعين الرسول بصورة أخرى ليوضح ما يريد أن يوصله إلى أذهان الكورنثيين . فهو ينظر إلى نفسه وإلى

زملائه الوعاظ والكارزين باعتبارهم وكلاء سرائر الله التي يريد الله أن يكشفها لشعبه وخاصته . وكلمة « وكيل » المستخدمة هنا تعنى الشخص المسئول عن كل الشئون الإدارية الخاصة بالبيت أو العقار . فهو الذى يشرف على الخدم ، وعلى المؤن والرواتب وما إلى ذلك . ولكن بالرغم من أن الوكيل يسير كل شئون البيت ، ويشرف على عمل آخرين ، فانه هو نفسه يظل خادماً أو عبداً أمام سيده . وهكذا الأمر بالنسبة لكل إنسان فى الكنيسة ؛ مهما بلغ مركزه ومهما كانت مكانته ، ومهما كان نفوذه فى الكنيسة ، فهو يظل خادماً للمسيح .

وهذا الفكر نفسه يأتى ببولس إلى التفكير فى « الحكم » . فالوكيل شخص موثوق فيه ومن ثم فهو مسئول . ولأنه يتمتع بقدر كبير من الاستقلال والمسئولية فمن المحتم أن يعتمد سيده عليه اعتماداً كلياً . وقد كان الكورنثيون بما نشأ بينهم من طوائف ومذاهب ، لها قادتها المسئولون عنها ، قد درجوا على إصدار الأحكام على هؤلاء القادة وعلى المفاضلة بينهم . ولذلك يتحدث بولس عن الأحكام الثلاثة التى يتحتم أن يواجهها كل إنسان :

١ ــ فهو يجب أن يواجه حكم الآخرين . وفى هذه الحالة يقول بولس إن ذلك أمر لا يهمه . ولكن ليس معنى هذا أن الإنسان يستطيع دائماً وفى كل الأحوال أن يتجاهل حكم الآخرين . ومن الغريب أنه بالرغم من أن حكم الآخرين يكون فى أحيان كثيرة مشوباً بأخطاء جذرية لكنه فى أغلب الأحيان يكون صائباً من وحى الغريزة. وذلك يرجع إلى أن كل إنسان بغريزته يميل إلى تمجيد الفضائل والإعجاب بصفات الشرف والأمانة والنزاهة والثقة والكرم والتضحية والمحبة . وقد قال أحد الفلاسفة « يوجد إثنان فقط يستطيعان أن يقولا لك الحق عن نفسك : عدو لك عندما يغضب ويثور عليك ، وصديق لك يحبك جداً » .

هذا ولا ينبغى أبداً أن نسمح لحكم الآخرين علينا أن يجعلنا نحيد أو ننحرف عما نعتقد أنه الحق ؛ ولكن ينبغى فى الوقت عينه أن ندرك أن حكم الآخرين علينا هو فى الحقيقة أصدق وأدق مما نظن ، لأن الناس بسليقتهم وغريزتهم يعجبون بالأشياء الجميلة الطيبة .

٢ ـ كما يجب أن يواجه الإنسان حكم نفسه . وهنا نجد أن بولس يتجاهل هذا الحكم أيضاً ، لأنه كان يعرف جيداً أن حكم الإنسان على نفسه يشوبه دائماً الشعور بالكفاية الذاتية والبر الذاتى والكبرياء والغرور . ولكن ليس معنى هذا أن الإنسان ينبغى أن يهرب كلية من مواجهة حكم نفسه عليه . ومن أسس القوانين الأخلاقية اليونانية عبارة : « أيها الإنسان ، إعرف نفسك » وكان الزاهدون يصرون على القول إن الميزة الأولى للرجل الحقيقى هى « قدرته على التوافق مع نفسه » . فإن الشخص الوحيد الذى لا يستطيع الإنسان أن يهرب منه هو نفسه ، فلا مفر من أن يعيش الإنسان مع نفسه . وإذا فقد أحد احترامه لنفسه وعجز عن مواجهتها فإن الحياة تصبح شيئاً لا يطاق .

٣ ـ ثم يجب أن يواجه الإنسان حكم الله . وهذا هو الحكم الحقيقى الوحيد . وبالنسبة لبولس ، لم يكن ينتظر هذا الحكم من بشرى ولكنه حكم إلهى يعلن فى يوم الرب . وحكم الله هو الحكم النهائى لسببين :

(ا) إن الله وحده هو الذى يعلم كل الظروف ، وهو الذى يستطيع أن يكشف كل الخبايا . إنه يعرف كل ما اجتازه الإنسان من مشقات وصراع ، ويعرف كل الأسرار التى لا يستطيع الإنسان أن يصارح بها أحد إنه يعرف ما قد يكون الإنسان قد انحدر إليه من حال أسوأ أو ما قد يكون قد بلغه من حال أفضل . إن الله هو الشخص الوحيد الذى يعرف كل الحقائق

(ب) إن الله وحده هو الذى يعلم كل دوافع الإنسان . فالإنسان ينظر إلى

الأعمال ولكن الله ينظر إلى النوايا . وكم من الأعمال التى تبدو نبيلة حسب الظاهر ولكنها فى الحقيقة تصدر عن دوافع أنانية خسيسة ، وكم من الأعمال التى تبدو دنيئة حسب الظاهر ولكنها فى الحقيقة تصدر عن أسمى الدوافع وأنبلها . فالذى خلق القلب البشرى هو وحده الذى يعرف مكنونات هذا القلب وخباياه ، وهو وحده الذى يستطيع أن يحكمه ويدينه .

وإزاء هذا يحسن بنا أن نذكر أمرين :

الأمر الأول أننا إذا استطعنا أن نهرب من كل الأحكام الأخرى أو نغمض أعيننا عنها كما تفعل النعامة ، فاننا لا نستطيع أبداً أن نهرب من حكم الله .

والأمر الثانى أن الحكم على الآخرين هو من شأن الله ، لأنه هو وحده الذى يستطيع أن يحكم ؛ ولذلك يحسن بنا ألا ندين أحداً .

تواضع رسولى وكبرياء غير مسيحية

فَهَذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ حَوَّلْتُهُ تَشْبِيهاً إِلَى نَفْسِي وَإِلَى أَبُلُّوسَ مِنْ أَجْلِكُمْ لِكَيْ تَتَعَلَّمُوا فِينَا أَنْ لاَ تَفْتَكِرُوا فَوْقَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ كَيْ لاَ يَنْتَفِخَ أَحَدٌ لأَجْلِ الْوَاحِدِ عَلَى الآخَرِ . لأَنَّهُ مَنْ يُمَيِّزُكَ . وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ . وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ فَلِمَاذَا تَفْتَخِرُ كَأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ . إِنَّكُمْ قَدْ شَبِعْتُمْ قَدِ اسْتَغْنَيْتُمْ . مَلَكْتُمْ بِدُونِنَا . وَلَيْتَكُمْ مَلَكْتُمْ لِنَمْلِكَ نَحْنُ أَيْضاً مَعَكُمْ . فَإِنِّي أَرَى أَنَّ اللهَ أَبْرَزَنَا نَحْنُ الرُّسُلَ آخِرِينَ كَأَنَّنَا مَحْكُومٌ عَلَيْنَا بِالْمَوْتِ .

لِأَنَّنَا صِرْنَا مَنْظَراً لِلْعَالَمِ لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ . نَحْنُ جُهَّالٌ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحُكَمَاءُ فِي الْمَسِيحِ . نَحْنُ ضُعَفَاءُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَاقْوِيَاءُ . أَنْتُمْ مُكَرَّمُونَ وَأَمَّا نَحْنُ فَبِلاَ كَرَامَةٍ . إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنُعَرَّى وَنُلْكَمُ وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ . وَنَتْعَبُ عَامِلِينَ بِأَيْدِينَا . نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ . نُضْطَهَدُ فَنَحْتَمِلُ . يُفْتَرَى عَلَيْنَا فَنَعِظُ . صِرْنَا كَاقْذَارِ الْعَالَمِ وَوَسَخِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الْآنَ .

(١ كورنثوس ٤ : ٦ – ١٣)

لم يكن كل ما قاله بولس ينطبق عليه هو نفسه وعلى أبولس فحسب ، بل كان ينطبق أيضاً على أهل كورنثوس . فلم يكن على بولس وأبولس فقط أن يكونا دائمين متضعين إذ هما يواجهان حكم الله وليس حكم الناس ، بل كان على الكورنثيين كلهم أن يسلكوا فى طريق الاتضاع هذا . وقد كان بولس فى تعبيره كريماً لطيفاً دائماً ، ومراعياً مشاعر الآخرين بكل أدب وذوق ؛ فكان يحرص على أن يشمل نفسه فيما يقدمه للآخرين من نصائح وتحذيرات ، وفيما يصدره من نواهٍ وأحكام . وهكذا يجب أن يكون الواعظ الحقيقى المخلص . فهو قلما يستخدم كلمة أنتم ، ولكنه دائماً يستعمل كلمة نحن ، وهو لا يشعر من يتحدث إليهم أنه أعلى منهم ، وأنهم أدنى منه ، ولكنه يتحدث إليهم كأنه واحد منهم يحس باحساسهم ويعرف ظروفهم ؟

وإذا كنا نريد حقاً أن نساعد الناس وأن نريهم طريق الخلاص ، فان موقفنا تجاههم لا يجب أن يكون موقف الإدانة لهم أو الحكم عليهم ، بل

موقف الطلب والتوسل ، ونبرات كلامنا معهم يجب ألا تكون نبرة الانتقاد بل لغة الرفق والرأفة . ولم يكن الكلام الذى أصر بولس على أن يلتزم الكورنثيون به ولا يتعدونه — كلامه هو ، ولكنه كان كلمة الله . ولم يحاول أن يقدم لهم تعليماً شخصياً منه هو ، ولكنه أراهم كيف تدين كلمة الله كل كبرياء . ولم يكن ما يذكرهم به نصيحة بشرية ، ولكنه أمر إلهى .

ثم يوجه بولس لهم أهم سؤال ، فيقول لهم : « وأى شىء لك لم تأخذه ؟ » وقد رأى أغسطينوس فى هذه العبارة الواحدة خلاصة التعليم عن النعمة . فقد كان أغسطينوس يفكر فى يوم من الأيام فى ما يمكن أن يحققه الجهد البشرى ، ولكنه قال أخيراً : « للاجابة عن هذا السؤال جاهدنا وتعبنا كثيراً فى قضية حرية إرادة الإنسان ، ولكن نعمة الله هى التى انتصرت وكسبت المعركة » . ولم يكن أى إنسان يستطيع أن يعرف الله لو لم يكشف الله نفسه له ، ولم يكن أى إنسان بقادر على أن يحصل على خلاصه بنفسه ، فالإنسان لا يخلص نفسه ، إذ أن الله هو الذى يخلصه . وعندما نفكر فيما عملناه وفيما نستطيع أن نعمله ، وعندما نفكر فيما قد عمله الله لأجلنا ، فعندئذ تهرب الكبرياء من حياتنا وتزول ، ويبقى فقط التواضع الشاكر والمعترف بالجميل . وقد كان الخطأ الأساسى عند الكورنثيين هو أنهم نسوا أنهم مدينون لله بأرواحهم وبكل شىء

وبعد ذلك نجد الرسول بولس كعادته فى كافة رسائله ينتقل فجأة إلى أسلوب عنيف ، فنراه هنا يوجه إلى الكورنثيين عبارة فيها الكثير من السخرية اللاذعة . وهو يقارن كبرياءهم وتفاخرهم وإحساسهم بالشبع والتفوق بالحياة التى يحياها رسول . ويختار لهذه المقارنة صورة حية . فعندما كان القائد الرومانى يحرز نصراً عظيما كان يسمح له أن يستعرض جيشه المنتصر فى موكب يجوب شوارع المدينة ومعه كل ما استولى عليه من غنائم . وكان يسمح له بأنه يظهر كل ما حققه من انتصار ومكاسب . وكان الموكب كله يسمى « موكب انتصار » ولكن فى نهاية الموكب كان يسير جماعة من الأسرى

الذين كانوا سيقدمون للوحوش المفترسة فى ساحات المصارعات وهكذا يموتون . وكأن الرسول أراد أن يقول أن الكورنثيين فى كبريائهم العجاجة وفى ميلهم إلى التفاخر يشبهون القائد الرومانى المنتصر الذى كان يستعرض غنائم بسالته وشجاعته ، بينما كان الرسل أنفسهم يمثلون جماعة الأسرى فى مؤخرة الموكب فى طريقهم إلى الموت . فبالنسبة لأهل كورنثوس كانت الحياة المسيحية تعنى التباهى والتفاخر وتعدد الامتيازات والمكاسب التى تحققها لهم ؛ ولكن الحياة المسيحية بالنسبة لبولس كانت تعنى الخدمة المتضعة والاستعداد الدائم للتضحية وللموت لأجل المسيح .

وفى قائمة الأشياء التى يعلن الرسول أن الرسل يتحملونها كلمتان تثيران الانتباه بصفة خاصة :

(أ) فيقول الرسول إنهم « يلكمون » . وهذه الكلمة هى نفس الكلمة التى كانت تستخدم لتعنى ضرب العبيد . ويقول بلوتارك إن رجلا شاهد رجلا آخراً « يلكم » شخصاً ما ويضربه ، فاستدل من ذلك على أن هذا الشخص كان عبداً لذلك الرجل . وقد كان بولس مستعداً لأجل المسيح أن يعامل كعبد .

(ب) ويقول بولس : « نشتم فنبارك » . ولسنا ندرى كم كانت هذه العبارة مدهشة بالنسبة للوثنيين . فان أرسطو يقول إن أسمى الفضائل هى فضيلة « عظمة القلب » أو « عظمة النفس » ، وهو يعرف هذه الفضيلة بأنها الصفة التى لا يتحمل صاحبها الشتيمة . لذلك كان هذا التواضع المسيحى بالنسبة للعالم القديم فضيلة جديدة تماماً . وكان مثل هذا السلوك الذى يبدو فى نظر الناس جهلا وحماقة هو الحقيقة عين الحكمة الإلهية .

أب فى الايمان

لَيْسَ لِكَىْ أُخَجِّلَكُمْ أَكْتُبُ بِهَذَا بَلْ كَأَوْلاَدِى الأحِبَّاءِ أُنْذِرُكُمْ . لأَنَّهُ وَإنْ كَانَ لَكُمْ رَبَوَاتٌ مِنَ الْمُرْشِدِينَ فِى الْمسِيحِ لَكِنْ لَيْسَ آبَاءٌ كَثِيرُونَ . لأَنِّى أَنَا وَلَدْتُكُمْ فِى الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِالإِنْجِيلِ . فَأَطْلُب إِلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِى . لِذَلِكَ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ تِيمُوثَاوُسَ الَّذِى هُوَ ٱبْنِى الْحَبِيبُ وَالأَمِينُ فِى الرَّبِّ الَّذِى يُذَكِّرُكُمْ بِطُرُقِى فِى الْمَسِيحِ كَمَا أُعَلِّمُ فِى كُلِّ مَكَانٍ فِى كُلِّ كَنِيسَةٍ ، فَانْتَفَخَ قَوْمٌ كَأَنِّى لَسْتُ آتِياً إِلَيْكُمْ . وَلَكِنِّى سَآتِى إِلَيْكُمْ سَرِيعاً إِنْ شَاءَ الرَّبَ فَسَأَعْرِفُ لَيْسَ كَلاَمَ الَّذِين ٱنْتَفَخُوا بَلْ قُوَّتَهُمْ . لأَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ لَيْسَ بِكَلاَمٍ بَلْ بِقُوَّةٍ . مَاذَا تُرِيدُونَ . أَبِعَصَا آتِى إِلَيْكُمْ أَمْ بِالْمَحَبَّةِ وَرُوحِ ٱلْوَدَاعَةِ .

(١ كورنثوس ٤ : ١٤ — ٢١)

بهذه الآيات يختتم بولس فصل الرسالة الذى عالج فيه مباشرة موضوع الخصومات والانقسامات فى كورنثوس . وهو يصيغ عباراته كأب . بل إن كلمة « أنذركم » التى يستخدمها فى العدد الرابع عشر هى الكلمة عينها المستعملة عادة لتعنى النصح والتحذير اللذين يقدمهما الأب لأولاده (راجع أفسس ٦ : ٤) . وربما كانت نغمة حديثة تميل إلى الشدة ، ولكنها ليست

الشدة التي تريد كبح جماح عبد عنيد متمرد ، بل إنها الشدة التي تهدف إلى إعادة الصواب والرشد إلى ابن طاش وضل عن السبيل السوى . وقد شعر بولس أن موقفه إزاء كنيسة كورنثوس كان موقفاً فريداً . إذ أنه لم يكن بالنسبة لهم مجرد المرشد أو « المؤدب » (غلاطية ٣ : ٢٤) المعلم للطفل ، حتى وإن كان متقدماً فى السن ، موثوقاً فيه ، يوكل إليه أن يصحب الطفل يومياً إلى المدرسة وأن يدربه على قواعد الأخلاق وأن يعتنى بشخصيته وأن يحاول أن يخلق منه رجلا . نعم قد يكون للطفل مرشدون كثيرون لهذا الغرض ، ولكن له بالطبع أب واحد . ويريد الرسول أن يقول إنه ربما يكون للكورنثيين فى المستقبل مرشدون ومعلمون كثيرون ، ولكن أحداً منهم لن يستطيع أن يفعل لهم ما فعله بولس ، ولن يستطيع أحد منهم أن يلدهم للحياة فى المسيح يسوع . ثم نرى بولس يقول شيئاً مذهلا : « فأطلب إليكم أن تكونوا متمثلين بى » ، مع أنه يندر أن يستطيع أن يقول مثل هذا الكلام . ذلك لأن أمنية وصلاة كل أب – فى أغلب الأحيان – أن يوفق الإبن فى عمل كل الأشياء التى فشل الأب فى تحقيقها . ومعظم من يقوم بالوعظ والتعليم منا لا يجروءون على القول : « اعمل مثلما أعمل أنا » ، ولكنهم يقولون : « اعمل كما أقول أنا » . أما بولس ، فانه – دون كبرياء أو تفاخر – استطاع أن يدعو أولاده فى الإيمان أن يتمثلوا به .

وبعد ذلك يسجل بولس تحية رقيقة لهم ، فيقول إنه أرسل إليهم تيموثاوس ليذكرهم بطرقه . ثم يقول لهم إن كل أخطائهم وطرقهم المغلوطة لا ترجع إلى تمرد متعمد من جانبهم ، ولكنها ترجع فقط إلى أنهم قد نسوا . وهذه هى الطبيعة الإنسانية . فاننا فى أغلب الأحيان لا نعلن تمردنا وعصياننا ضد المسيح ، ولكننا ببساطة ننساه . وفى أغلب الأحيان لا ندير له ظهورنا تعمداً ، ولكننا ننسى أن نجعل له المكان الأول فى خطة حياتنا ، وقد ننسى أن نفسح له

مكاناً فى برنامجنا على الإطلاق . إن أهم شىء يحتاج إليه معظمنا ، هو أن يبذلوا جهداً متعمداً ليعيشوا باستمرار فى حالة إدراك واع لحضور ربنا يسوع المسيح معهم . إن ربنا يسوع المسيح يطلب منا أن « نذكره » ، ليس أثناء ممارسة فريضة العشاء الربانى وحسب ، بل أيضاً فى كل لحظة من لحظات كل يوم من أيام حياتنا .

ثم يستطرد بولس فيحذر أهل كورنثوس من الظن أنه لا ينوى الذهاب إليهم بنفسه لأنه أرسل إليهم تيموثاوس ، ويقول إنه سيذهب إليهم سريعاً إن شاء الرب ، وعندئذ سيكون اختبارهم . فان هؤلاء الكورنثيين يستطيعون أن يتحدثوا كما يشاءون ، ولكن كلماتهم الطنانة المدوية ليست من الأهمية بمكان ، بل إن أعمالهم هى الأهم . إن يسوع لم يقل أبداً « من كلماتهم تعرفونهم » ، ولكنه قال « من ثمارهم تعرفونهم » . فما أكثر الحديث عن المسيحية فى هذا العالم ، ولكن عملا واحداً لهو أكثر جدارة وثمراً وقوة من ألف كلمة . إن الخدمة فى لجنة من اللجان والحديث فيها شىء ، وخدمة المسيح والعمل لأجله شىء آخر مختلف تماماً .

ولذلك يسألهم الرسول فى النهاية هل يأتى إليهم بعصا ليقيس ما هم عليه من نظام ، أم يأتى إليهم ليتمتع معهم بشركة المحبة وروح الوداعة . وهكذا نرى أن محبة بولس لأولاده فى المسيح — هذه المحبة التى تتدفق خلال كل رسالة يكتبها ، لم تكن محبة عاطفية عمياء ، ولكنها كانت محبة تدرك أهمية النظام ومستعدة لممارسته وتطبيقه . فهناك محبة تستطيع أن تحطم حياة الإنسان لكونها تغمض عينيها وتتغافل عن أخطائه ، وهناك أيضاً محبة تستطيع أن تصلح حياة الإنسان لأنها تنظر إليه بصفاء عينى المسيح . وقد كانت محبة بولس هى المحبة التى تعرف أنها قد تضطر أحياناً إلى أن تؤلم وتوجع لكى تقوم وتصلح .

وهكذا عالج بولس مشكلة المنازعات والانقسامات الموجودة داخل كنيسة كورنثوس . وهنا يبدأ فى معالجة مسائل معينة واقعية ، ومواقف معينة خطيرة جداً داخل الكنيسة ، كانت أخبارها قد بلغته .

وهذا القسم يشمل الأصحاحين الخامس والسادس . فيتحدث الرسول فى أصحاح ٥ : ١ — ٨ عن الزنى الذى سمع بوجوده بينهم حتى أن أحدهم كانت له امرأة أبيه . وفى الأعداد من ٩ — ١٣ يحض على مراعاة عدم الاختلاط مع الزناة . وفى أصحاح ٦ : ١ — ٨ يتحدث الرسول عن ميل الكورنثيين إلى جر الواحد منهم للآخر إلى المحاكم والاحتكام عند الظالمين . وفى الأعداد من ٩ — ٢٠ ينبر على الحاجة إلى الطهارة .

الخطية والسرور

يُسْمَعُ مُطْلَقاً أَنَّ بَيْنَكُمْ زِنًى وَزِنًى هَكَذَا لاَ يُسَمَّى بَيْنَ الأُمَمِ حَتَّى أَنْ تَكُونَ لِلإِنْسَانِ ٱمْرَأَةُ أَبِيهِ . أَفَأَنْتُمْ مُنْتَفِخُونَ وَبِالْحَرِيِّ لَمْ تَنُوحُوا حَتَّى يُرْفَعَ مِنَ وَسَطِكُمْ الَّذِي فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ ، فَإِنِّي أَنَا كَأَنِّي غَائِبٌ بِالْجَسَدِ وَلَكِنْ حَاضِرٌ بِالرُّوحِ قَدْ حَكَمْتُ كَأَنِّي حَاضِرٌ فِي الَّذِي فَعَلَ هَذَا هَكَذَا . بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ إِذْ أَنْتُمْ وَرُوحِي مُجْتَمِعُونَ مَعَ قُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، أَنْ يُسَلَّمَ مِثْلُ هَذَا لِلشَّيْطَانِ لِهَلاَكِ الْجَسَدِ لِكَيْ تَخْلُصَ الرُّوحُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ . لَيْسَ ٱفْتِخَارُكُمْ حَسَناً . أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ ، إِذًا نَقُّوا مِنْكُمْ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ لِكَيْ تَكُونُوا عَجِيناً جَدِيداً كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ . لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحُ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا . إِذًا لِنُعَيِّدْ لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ .

(١ كورنثوس ٥ : ١ – ٨)

فى هذا الفصل يعالج الرسول مشكلة كانت تعرض له كثيراً . ففى المسائل الجنسية لم يكن الأمميون الوثنيون يعرفون معنى العفة والطهارة . فقد كانوا يشبعون شهوتهم كلما أرادوا وكيفما راق لهم . ولم يكن سهلا على الكنيسة

المسيحية أن تهرب من العدوى أو تتجنبها ، إذ كانت الكنيسة وقتئذ بمثابة جزيرة صغيرة من المسيحية يحيط بها من كل جانب بحر كبير من الوثنية . وكان المؤمنون قد اعتنقوا المسيحية حديثاً ، لذلك كان من الصعب أن تقتلع من حياتهم ممارسات وعادات تأصلت فيهم وأصبحت جزءاً من حياتهم ، بسبب حياة العبث والاستهتار التي عاشوها أجيالا سابقة . ومع ذلك فاذا كانت الكنيسة تريد أن تكون طاهرة وأن تحتفظ بطهارتها فقد كان على الذين يؤمنون أن يتخلوا نهائياً عن طرقهم الوثنية القديمة .

وقد واجهت كنيسة كورنثوس من هذه الناحية حالة مفجعة ومفزعة فان رجلا كان قد كون علاقة محرمة مع امرأة أبيه — الأمر الذى كان يستنكره حتى الشخص الوثني والذى كانت الشريعة اليهودية تحرمه تحريماً قاطعاً صريحاً (لاويين ١٨ : ٨) . وأغلب الظن أن هذه المرأة كانت مطلقة من زوجها ، كما أنها كانت وثنية بلا شك ، إذ أن بولس لم يتعرض لمحاولة علاج الأمر معها إطلاقاً ، ذلك لأنها كانت خارج حدود اختصاص الكنيسة .

ومع أن هذه الخطية كانت صدمة عظيمة لبولس ، إلا أن موقف كنيسة كورنثوس تجاه ذلك الخاطىء كان صدمة أعظم . فان الكنيسة كانت قد قبلت هذا الوضع بسرور ولم تعمل شيئاً إزاءه .

وكان ينبغى أن يفزع المؤمنون لهذا ويحزنوا . ونلاحظ أن الكلمة التى يستعملها بولس هنا لتعبر عن شدة الحزن الذى كان ينبغى أن يشعروا به هى كلمة « تنوحوا » وهى كلمة تستعمل عند الصراخ والبكاء على الموتى . إن موقف التساهل مع الخطية والسكوت عليها هو دائماً موقف خطير للغاية . ويقال أن الضمان الوحيد الذى يحفظنا من الوقوع فى الخطية هو إحساسنا بالفزع منها وشعورنا بالصدمة عندما تخطر ببالنا أو تعرض لنا ، ويقول

كارليل إن الناس يجب أن يقابلوا بين جمال القداسة غير المحدود ، بشاعة الخطية ولعنتها غير المحدودة . وعندما نكف عن أن ننظر إلى الخطية نظرة استنكار جدية فان حالتنا تصبح جد خطيرة . وليس معنى هذا أن يكون موقفنا موقف الانتقاد والإدانة ، بل يجب أن يكون موقف من يحس بالفزع والأذى والجروح بسبب الخطية . فقد كانت الخطية هى التى صلبت ربنا يسوع المسيح وقد مات المسيح ليحرر الناس من الخطية . ولذلك لا يوجد إنسان مسيحى حقيقى يقبل أن يتساهل مع الخطية أو يتفاهم معها أو يرضى أن يفسح لها مكاناً .

وكان حكم بولس أنه ينبغى أن تحدد الكنيسة موقفها من ذلك الرجل . وفى عبارة صريحة قاطعة قال بولس إن مثل ذلك الرجل يجب أن يسلم للشيطان. وكان يعنى بذلك أنه ينبغى أن يحرم ويقطع من الكنيسة . وقد كان العالم يعتبر ملكاً للشيطان (يوحنا ١٢ : ٣١ ، ١٦ : ١١ ، أ ع ٢٦ : ١٨ ، كولوسى ١ : ١٣) تماماً كما كانت الكنيسة تعتبر ملكاً لله . فكأن الحكم الذى أشار به بولس يعنى أن يعاد هذا الرجل إلى عالم الشيطان الذى ينتمى إليه ، ولكن لا يفوتنا أن نسجل أن هذه العقوبة بالرغم من جديتها وشدتها لم تكن عقوبة انتقامية صادرة عن حقد أو ضغينة ؛ بل كانت لتهذيب الرجل وترويضه ولاستئصال شأفة شهواته حتى تخلص روحه فى النهاية . أى أن المقصود منها كان أن يفيق الرجل إلى نفسه ليرى بشاعة الأمر الجسيم الذى أقدم عليه .

وبعبارة أخرى لم يكن الهدف من تطبيق ذلك التأديب مجرد توقيع عقوبة ؛ بل كانت تمارس لإيقاظ ضمير الرجل من غفلته . ولم يكن ذلك الحكم الذى أصدره بولس لينفذ فى قسوة أو غلظة ، بل فى حزن وأسى كما لو أن الرجل قد مات . وهكذا كان الأمر فى الكنيسة الأولى . فوراء كل تأديب أو عقوبة كانت فكرة مؤداها أن هدف ذلك ليس القطع والبتر بل إصلاح الرجل الذى أخطأ وتقويمه .

ومن هنا يستطرد بولس فيقدم نصيحة عملية جداً فيقول :

« ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله . إذاً نقوا منكم الخميرة العتيقة لكى تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير . لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا . إذاً لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق » . وهنا نجد الرسول يرسم أمامنا صورة يوضحها بعبارات ونصوص يهودية . فالخميرة فى الأدب اليهودى – فيما عدا استثناءات قليلة جداً – تعنى التأثير الشرير الخبيث . وكانت الخميرة هى الجزء الذى تبقى من عجين سابق ، والذى اختمر بعد حفظه بعض الوقت . وكان اليهود يتحققون من تخمر هذا الجزء من العجين عندما تظهر عليه آثار التعفن . وهكذا كانت كلمة الخميرة تستعمل للدلالة على التأثير العفن المفسد .

ونلاحظ أن خبز الفصح كان خبزاً بلا خميرة (خروج ١٢ : ١٥ ، ١٣ : ٧) . وأكثر من ذلك ، نص الناموس على أنه فى اليوم السابق لعيد الفصح يجب أن يضىء اليهودى شمعة ليفتش بيته تفتيشاً دقيقاً ليلقى خارجه آخر قطعة يعثر عليها من الخمير . (وفى صفنيا ١ : ١٢ نجد صورة لتفتيش الله) . (ويمكن أن نلاحظ أن تاريخ هذا التفتيش كان الرابع عشر من شهر أبريل وأن هذا هو الأصل فى التنظيف الذى يتم فى الربيع) فقبل الفصح كان ينبغى أن تزال آخر قطعة من بقايا الخمير . ولذلك يستعير بولس هذه الصورة فيقول إن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا ، فذبيحته هى التى أنقذتنا وحررتنا من الخطية ، كما أنقذ الله الإسرائيليين من مصر . ولذلك يجب أن ننفى من حياتنا آخر بقايا الشر والخبث . فاذا كنتم تسمحون بأى تأثير شرير أن ينفذ إلى الكنيسة ، فانه يمكن أن يفسد الجماعة كلها ، كما تنفذ الخميرة فى العجين كله وتتخلله وتخمره . وهنا نجد أيضاً حقيقة عملية عظيمة . فلا بد أن يمارس التأديب أحياناً من أجل الكنيسة . إن غض الطرف عن الإساءات

والأخطاء ليس عملا طيباً فى كل الحالات ، فربما يكون ذلك عملا ضاراً مؤذياً . فالسم إذا لم يخرج ويستبعد فانه ينتشر ويستفحل ، والحشائش الضارة إذا لم تجتث فانها تفسد كل الأرض . وهنا نجد مبدأ سليماً وكاملا للتأديب الذى يجب أن تمارسه الكنيسة . فالتأديب لا ينبغى أن يكون لإشباع نفس الشخص الذى يطبقه ، بل يجب أن يهدف دائماً إلى إصلاح الشخص الذى أخطأ ، وإلى مصلحة الكنيسة ونفعها . أى أن التأديب ينبغى ألا يكون وسيلة أو أداة للانتقام ، بل يجب أن يكون دائماً واسطة للعلاج والإصلاح والتقويم والوقاية .

الكنيسة والعالم

كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ فِي الرِّسَالَةِ أَنْ لاَ تُخَالِطُوا الزُّنَاةَ . ولَيْسَ مُطْلَقاً زُنَاةَ هَذَا الْعَالَمِ أَوِ الطَّمَّاعِينَ أَوِ الْخَاطِفِينَ أَوْ عَبَدَةَ الأَوْثَانِ وَإِلاَّ فَيَلْزَمَكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مِنَ الْعَالَمِ . وَأَمَّا الآنَ فَكَتَبْتُ إِلَيْكُمْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ مَدْعُوٌّ أَخاً زَانِياً أَوْ طَمَّاعاً أَوْ عَابِدَ وَثَنٍ أَوْ شَتَّاماً أَوْ سِكِّيراً أَوْ خَاطِفاً أَنْ لاَ تُخَالِطُوا وَلاَ تَوَاً كِلُوا مِثْلَ هَذَا ، لأَنَّهُ مَاذَا لِي أَنْ أُدِينَ الَّذِينَ مِنْ خَارِجٍ. أَلَسْتُم أَنتُم تَدِينُون الَّذِينَ مِن داخِلٍ. أَمَّا الَّذِينَ مِنْ خَارِجٍ فَاللهُ يَدِينُهُمْ . فَاعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ .

(١ كورنثوس ٥ : ٩ — ١٣)

يبدو أن بولس كان قد كتب رسالة إلى الكورنثيين يحثهم فيها على

الامتناع عن مخالطة الناس الأشرار . وكان قصده أن يطبق هذا الكلام بالنسبة لأعضاء الكنيسة فقط ؛ فالناس الخبثاء داخل الكنيسة يجب أن يؤدبوا باخراجهم من مجتمع الكنيسة إلى أن يصلحوا طرقهم ويعودوا إلى صوابهم . ولكن بعض الكورنثيين فهموا هذا على أنه امتناع مطلق ، عن مخالطة جميع الناس ؛ إلا أن مثل هذا الامتناع لا يمكن بالطبع أن يكون كاملاً إلا إذا خرجوا من العالم كلية . وفى مكان مثل كورنثوس كان يستحيل على المؤمنين أن يواصلوا حياتهم العادية دون الارتباط بشئون الحياة اليومية مع أناس ، لم تكن حياتهم وطرقهم مرضية أبداً فى نظر الكنيسة . ولكن بولس لم يكن يعنى هذا إطلاقاً ؛ فلم يكن بولس ليوصى بنوع من المسيحية تنزوى بعيداً عن العالم وتنسحب منه كلية ، فقد كانت المسيحية فى نظره حياة يجب أن يظهرها المؤمن فى وسط العالم :

وهذا هو المعنى عينه الذى قصده أحد القديسين القدماء عندما قال لجون وسلى « إن الله لا يدعو إلى دين العزلة والانفراد » . ومن المهم جداً أن نلاحظ الخطايا الثلاث التى أشار إليها بولس باعتبارها نموذجاً لما فى العالم من خطايا وشرور . فان بولس يذكر هنا ثلاث فئات من الناس :

١ — كان هناك الزناة ، الذين لطخوا حياتهم بالفساد الخلقى :

ولا جدال فى أنه لا يوجد فى الدنيا ما يضمن الطهارة ونقاوة الحياة غير المسيحية . إن السبب الجذرى للفجور وللفساد الجنسى هو فكرة خاطئة عن الناس ؛ هذه الفكرة هى التى تجعل الناس فى مرتبة متساوية مع الحيوانات ؛ وتتلخص فى أن العواطف والغرائز التى يشترك فيها الناس مع الحيوانات يجب إشباعها وإرضاؤها دون خجل أو حياء . وتدعو هذه الفكرة إلى اعتبار الشخص لآخر مجرد آلة أو أداة لإشباع الغرائز . أما المسيحية فانها تنظر إلى

الإنسان باعتباره إبناً لله ؛ وهو بهذا الاعتبار مخلوق يعيش فى العالم ولكنه يتطلع دائماً إلى ما بعد هذا العالم . ولذلك فهو لا يسمح لمجرد حاجات الجسد ورغباته ومستوياته أن تسير دفة حياته أو تتحكم فى مصيره ، لأنه يدرك جيداً أنه وإن كان له جسد فان له روحاً أيضاً . ولو أن الناس نظروا إلى أنفسهم وإلى الآخرين باعتبارهم أبناء وبنات الله لتلاشى من حياتهم تلقائياً كل استهتار وفساد خلقى .

٢ ــ وكان جماعة من الطامعين والخاطفين الذين كان كل همهم الاستحواذ على متاع هذا العالم . ولا جدال هنا أيضاً فى أنه لا يوجد فى الدنيا ما يستطيع أن يقضى على هذه الروح غير المسيحية . ولو أننا نحكم على الأشياء ونقيسها بمجرد المستويات والمقاييس المادية لقلنا إن كل ما كان يفعله أولئك الناس هم أنهم كانوا يبحثون عن مصالحهم الشخصية ، وأنه لا غضاضة فى أن نسخر كل قوى حياتنا لنحصل على أكبر قدر ممكن من متاع هذه الدنيا . ولكن المسيحية تطعم الحياة بروح جديدة ، وتفتح أمامها آفاقاً جديدة ، وتضىء قلب الإنسان بنور جديد يجعله يخرج عن نطاق نفسه ، فيفكر فيما هو خارجها ، ولا ينحصر تفكيره داخل حدود نفسه فحسب . إن المسيحية تجعل المحبة أعظم قيمة فى الحياة ، ومن ثم تعتبر الخدمة أعظم شرف . وعندما يمتلىء قلب الإنسان من محبة الله فانه يجد لذته وسعادته ، ليس فى الأخذ ولكن فى العطاء .

٣ ــ وكانت هناك أيضاً عبادة الأوثان . وعبادة الأوثان فى القديم يقابلها تماماً الخرافات المنتشرة فى العصر الحديث . فقلما مر على الناس عصر من العصور فيه اهتموا بالتعاويذ والأحجبة والطلاسم التى يعتقدون أنها تجلب لهم الحظ السعيد ، وبأقوال المنجمين والدجالين ، مثلما يفعل الناس فى هذا العصر . وسبب ذلك هو هذه القاعدة الأساسية المسلم بها فى حياة الإنسان ، وهى أن كل إنسان يجب أن يعبد شيئاً ما . فاذا لم يعبد الإله الحقيقى ، فانه

سيعبد آلهة الحظ والصدفة . وكلما يزداد الدين فى حياة الناس ضعفاً يزداد اعتقاد الناس فى الخرافات قوة .

وهنا يجدر بنا أن نذكر أن هذه الخطايا الثلاث الأساسية الموجودة فى العالم إنما تمثل الاتجاهات الثلاثة التى يخطىء فيها الإنسان .

(ا) فخطية الزنا هى خطية الإنسان ضد نفسه ذاتها . فالذى يسقط فى هذه الخطية فقد جعل نفسه تنحدر إلى مستوى الحيوان ، وقد أساء إلى النور الأسمى الذى فيه ، وقد سمح لطبيعته الأدنى أن تهزم طبيعته الأسمى ، وكأنه قد ارتضى أن يجعل نفسه أقل من إنسان .

(ب) وخطية الطمع والخطف هى خطية الإنسان ضد الآخرين . إن هذه الخطية هى التى تدفعنا إلى النظر إلى الناس باعتبارهم مجرد أشخاص نستغلهم بدلا من أن ننظر إليهم كأخوة نتعاون معهم ونساعدهم . وهى الخطية التى تنسينا أن الدليل الوحيد الذى يمكن به أن نبرهن على أننا نحب الله حقاً هو محبتنا للآخرين كما نحب أنفسنا .

(حـ) وخطية عبادة الأوثان هى خطية ضد الله . فهى الخطية التى تبيح لبعض الأشياء أن تغتصب مكان الله فى حياتنا . إنها خطية نبذ الإله الحقيقى والتعبد لآلهة مزيفة . إنها خطية الفشل فى إعطاء الله المركز الأول الوحيد فى الحياة .

وكان مبدأ بولس أنه ليس من حقنا أن نحكم على الذين هم خارج الكنيسة . وعبارة « الذين من خارج » كانت عبارة يهودية تستعمل للاشارة إلى الناس الذين هم خارج الشعب المختار . ومعنى قول الرسول هنا أننا يجب أن نترك إدانة هؤلاء الناس لله الذى يعرف وحده قلوب الناس . أما الشخص

الذى هو داخل الكنيسة فان له امتيازات خاصة ، ولذلك فان عليه مسئوليات خاصة أيضاً ؛ إذ أنه قد أخذ على عاتقه بمحض اختياره أن يؤدى واجبات معينة ، وهو لذلك مسئول عنها ؛ وهو إنسان قد أخذ على نفسه عهد الولاء للمسيح ، ولذلك فهو مسئول عن كيفية محافظته على هذا العهد .

وهكذا يصل الرسول فى النهاية إلى الأمر القاطع الصارم :

« اعزلوا الخبيث من بينكم » . وهى عبارة مقتبسة من تثنية ١٧ : ٧ ؛ ٢٤ : ٧ . إن هناك أوقات ينبغى فيها أن تستأصل بعض الأعضاء التى أصابها السرطان ، وفى أحيان أخرى يجب اتخاذ إجراءات مشددة لتجنب العدوى من الأمراض الخطيرة . ولم يكن الدافع الذى حفز بولس إلى ذلك هو التلذذ بتطبيق قانون صارم ، أو الرغبة فى الإيذاء أو شهوة إظهار السلطة ، ولكن الدافع الذى حمل بولس على ذلك هو رغبته الرعوية فى حماية الكنيسة من عدوى العالم التى تهددها دائماً .

الأصحاح السادس :

حماقة المحاكم

أَيَتَجَاسَرُ مِنْكُمْ أَحَدٌ لَهُ دَعْوَى عَلَى آخَرَ أَنْ يُحَاكَمَ عِنْدَ الظَّالِمِينَ وَلَيْسَ عِنْدَ الْقِدِّيسِينَ ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْقِدِّيسِينَ سَيَدِينُونَ الْعَالَمَ . فَإِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُدَانُ بِكُمْ أَفَأَنْتُمْ غَيْرُ مُسْتَأْهِلِينَ لِلْمَحَاكِمِ الصُّغْرَى . أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلاَئِكَةً فَبِالأَوْلَى أُمُورَ هَذِهِ الْحَيٰوةِ . فَإِنْ كَانَ لَكُمْ مَحَاكِمُ فِي أُمُورِ هَذِهِ الْحَيٰوةِ فَأَجْلِسُوا الْمُحْتَقَرِينَ فِي الْكَنِيسَةِ قُضَاةً . لِتَخْجِيلِكُمْ أَقُولُ . أَهَكَذَا لَيْسَ بَيْنَكُمْ حَكِيمٌ وَلاَ وَاحِدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ إِخْوَتِهِ . لَكِنَّ الأَخَ يُحَاكِمُ الأَخَ وَذَلِكَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَالآنَ فِيكُمْ عَيْبٌ مُطْلَقاً لأَنَّ عِنْدَكُمْ مُحَاكَمَاتٍ بَعْضِكُمْ مَعَ بَعْضٍ . لِمَاذَا لا تُظْلَمُونَ بِالْحَرِيِّ . لِمَاذَا لاَ تُسْلَبُونَ بِالْحَرِيِّ . وَلَكِنْ أَنْتُمْ تَظْلِمُونَ وَتَسْلِبُونَ وَذَلِكَ لِلإِخْوَةِ ..

(١ كورنثوس ٦ : ١ — ٨)

يعالج بولس فى هذا الفصل مشكلة كانت تتأثر بها حياة اليونانيين بصفة خاصة . أما اليهود فلم يكونوا يتقاضون أمام المحاكم العامة إطلاقاً ؛ إذا أنهم كانوا يفضون منازعاتهم وينهون كل مشاكلهم أمام شيوخ القرية أو شيوخ

المجمع ، وذلك لأنهم كانوا يعتبرون العدالة شيئاً يجب تحقيقه بروح عائلية ، وليس عن طريق القانون والشرع . والحقيقة أن الشريعة اليهودية كانت بصراحة تحرم على اليهودى تحريماً قاطعاً أن يقف أمام محكمة غير يهودية ، بل كان هذا يعتبر تجديفاً ضد الشريعة الإلهية التى سنها الله لليهود . أما الأمر بالنسبة لليونانيين فكان عكس ذلك إلى حد بعيد . فقد كان اليونانيون بطبعهم يتصفون بحب الاحتكام والمقاضاة . وكانت المحاكم فى الحقيقة إحدى وسائل الترفيه والتسلية الرئيسية بالنسبة إليهم . وكان الذهاب إلى المحكمة يكاد يكون ركناً هاماً مرتبطاً بالحياة اليونانية العادية ومكملا لها . وعندما ندرس تفاصيل القانون الأثينى نرى الدور الكبير الذى كانت تلعبه المحاكم فى حياة أى مواطن أثينى ؛ ولم يكن الحال فى كورنثوس يختلف إختلافاً كبيراً عن الحال فى أثينا . ولما كانت تحدث فى أثينا أية خصومة أو نزاع فان المحاولة الأولى لفض الأمر كانت تجرى على يد قاض عرفى أو حكم خاص . وكان كل من الطرفين المتنازعين يختار القاضى أو الحكم الذى يمثله ، ثم يختار الطرفان قاضياً أو حكماً ثالثاً يتفقان عليه ويكون محايداً . وإذا فشل الثلاثة فى فض النزاع وإنهاء الخصومة فان الأمر كان يرفع إلى محكمة أخرى تعرف بمحكمة « الأربعين » . ثم كانت محكمة الأربعين تفوض الأمر بدورها إلى قاض عمومى . وكان القضاة العموميون يتكونون من كل المواطنين الأثينيين الذين فى الستين من عمرهم . وأى من كان يقع عليه الاختيار من هؤلاء للقيام بهذه المهمة كان لا بد أن يقبل ، سواء كان يحب ذلك أم لا ، وإلا حرم من هذا الامتياز . أما إذا لم يمكن الوصول إلى حل بعد ذلك ، فان الأمر كان يرفع إلى محكمة من المحلفين ، تتكون من مائتين وواحد من المواطنين ، هذا إذا كان موضوع النزاع يتعلق بمبلغ أقل من خمسين جنيهاً ، أما إذا كان المبلغ المتنازع عليه أكثر من هذا الرقم فان عدد المحلفين كان يرتفع إلى أربعمائة وواحد ؛ وقد كانت هناك حالات يصل فيها عددهم إلى ما بين ألف وستة آلاف من

المواطنين : وكان هؤلاء المحلفون يتكونون من مواطنين أثينيين جاوزوا الثلاثين من العمر . وكانوا فى الواقع يتقاضون ثلاثة أوبولات « Obols »[1] فى اليوم نظير قيامهم بهذه المهمة . وكان أولئك المواطنون الذين يحق لهم أن يقوموا بدور المحلفين يجتمعون صباح كل يوم ، وتوزع عليهم القضايا بالقرعة . ومن هذا يتضح أنه فى المدينة اليونانية كان كل مواطن تقريباً يصرف جانباً كبيراً من وقته إما فى النظر إلى القضايا لإصدار أحكام فيها أو فى الاستماع إليها باهتمام . وكان اليونانيون فى الحقيقة مشهورين بحب الذهاب إلى المحاكم . لذلك لم يكن غريباً أن بعض اليونانيين حاولوا إقحام نزعاتهم للمحاكمات والمقاضاة إلى داخل الكنيسة المسيحية ــ الأمر الذى روع بولس وأفزعه . فقد كان ذلك يخالف تماماً التقاليد التى درج عليها فى الوسط اليهودى الذى نشأ فيه ، كما كان أكثر مخالفة للمبادىء المسيحية التى اعتنقها وصار ينادى بها . ولذلك نراه يتساءل كيف يتوقع أحدهم أن ينال عدلا وهو يحاكم عند الظالمين ؟ !

ثم يستطرد بولس فيصور العصر الذهبى العتيد عندما يتسلط المسيا فى حكمه الاسمى . ويشير إلى أن القديسين سيشتركون مع المسيا فى الحكم على الأمم . ولذلك يقول لهم : « إذا كنتم أنتم فى يوم ما ستدينون العالم ، وحتى الملائكة ــ التى هى أعلى المخلوقات ــ ستخضع لحكمكم ، فكيف تبيحون لأنفسكم أن تخضعوا لحكم غير المؤمنين والوثنيين ؟ » ثم يقول : « أما إذا لم يكن هناك بد من المحاكمة فليتولها المحتقرون فى الكنيسة ، لأن الرجل الذى سيدين العالم لا يعبأ كثيراً بالأمور التافهة ، ولا يرضى لنفسه أن تقحم فى سفاسف العالم ومنازعات الحياة اليومية » .

---

(١) الأوبول هو نقد إغريقى زهيد القيمة يساوى نحو ستة مليمات .

ثم ينبر بولس فجأة على مبدأ أساسى عظيم ، ألا وهو أن الذهاب إلى المحكمة بوجه عام – وخاصة لمحاكمة أخ – إنما هو أقل بكثير من مستوى السلوك المسيحى الأمثل . وقديماً قال أفلاطون : إن الرجل الصالح هو الذى يفضل أن يتحمل الخطأ أكثر من أن يرتكب الخطأ . وإن المسيحى الذى يحمل فى قلبه جزءاً ولو يسيراً من محبة المسيح يفضل بالأحرى أن يتحمل الخسارة والإهانة والإصابة على أن يوقع على أى شخص قصاصها – خصوصاً إذا كان هذا الشخص أخاً فالانتقام أو محاولة الانتقام ليس من المسيحية فى شىء . إن المسيحى لا يعالج أموره مع الناس على أساس الرغبة فى التعويض ، ولا على أساس التمسك بمبادىء العدالة الصارمة ، ولكنه يتصرف فى كل أموره ، ويعالج كل مشاكله بروح المحبة . وروح المحبة ستجعله يحرص على أن يعيش فى سلام مع أخيه ، وستجعله يمتنع عن أن ينزل إلى مستوى الذهاب إلى المحاكمات .

وهكذا كان اناس منكم

أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ . لاَ تَضِلُّوا . لا زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ . وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ . وَهكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ . لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ بَلْ تَقَدَّسْتُمْ بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا .

(١ كورنثوس ٦ : ٩ – ١١)

يتحدث بولس هنا عن قائمة شنيعة من الخطايا التى تعتبر بمثابة شرح

مفصل بشع للحضارة الداعرة الفاجرة التي قامت في وسطها كنيسة كورنثوس ومع أن هناك أشياء معينة لا يسرنا أن نتحدث عنها ، لكننا يجب أن نتأمل هذه القائمة لنحاول أن نفهم الوسط الذى نشأت فيه الكنيسة المسيحية الأولى ، ولنرى أن الطبيعة البشرية لم تتغير كثيراً .

كان هناك **الزناة والفاسقون** . وقد سبق أن ذكرنا أن التساهل والاستهتار فى الأمور الجنسية كان جزءاً من بيئة الحياة الوثنية ،وأن فضيلة العفة والطهارة لم تكن معروفة فى تلك البيئة إطلاقاً ، هذا وكلمة « زناة » المستعملة هنا تشير فى الأصل إلى معنى بشع للغاية ، فهى تعنى الرجل العاهر أو المومس . ولذلك لم يكن الأمر سهلا بالنسبة لأى مسيحى أن يوجد فى وسط دب فيه الفساد إلى درجة التعفن كوسط مدينة كورنثوس .

وكان هناك **عبدة الأوثان** . وكان أعظم بناء فى كورنثوس هو هيكل « أفروديت » ، إلهة الحب ، حيث كانت الوثنية والانحلال الخلقى يترعرعان جنباً إلى جنب ، وهنا نذكر أن الوثنية هى المثل البشع لما يحدث عندما نحاول أن نجعل الدين أكثر سهولة ويسراً . فان الناس لم ينظروا إلى الصنم أو الوثن فى البداية باعتباره إلهاً ولكن باعتباره رمزاً أو إشارة للاله . فكانت وظيفة الصنم فى البداية هى أن يكون بمثابة شىء مادى ينحصر فيه ذهن العابد ، ويحس أمامه بوجود ملموس للاله ، مما يجعل العبادة أسهل وأيسر . ولكن سرعان ما بدأ الناس يتحولون عن عبادة الإله الذى يرمز إليه الصنم إلى عبادة الصنم ذاته . وهذا هو احد الأخطار المزمنة التى يتردى فيها الناس ، إذ أنهم سرعان ما ينحدرون إلى عبادة الرمز نفسه بدلا من أن تكون عبادتهم موجهة إلى الحقيقة المستترة خلف هذا الرمز .

كان هناك **المأبونون** . وهذه الكلمة تعنى فى الأصل أولئك المخنثين

الذين تتصف حياتهم بالرخاوة والميوعة ، والذين فقدوا رجولتهم وأصبحوا يعيشون لملذاتهم وشهواتهم السرية ، وبعبارة أخرى الذين يتمرغون فى شهواتهم دون أن تكون لديهم أدنى قوة للمقاومة أو ضبط النفس .

وكان هناك **السارقون والخاطفون** الذين كان العالم القديم موبوءاً وملعوناً بهم . وكان اقتحام المنازل وسرقتها أمراً سهلا . وكان الخاطفون يترددون خاصة على مكانين : الحمامات العامة والملاعب العامة ، حيث كانوا يسرقون ملابس الذين كانوا يستحمون وأولئك الذين كانوا يمارسون تمريناتهم الرياضية . كما كان شائعاً أيضاً أن يخطف العبيد الذين كانت لهم مواهب خاصة . ونستطيع أن نستنتج من مواد القانون ، الذى كان مطبقاً آنئذاك ، كيف أن هذه المشكلة كانت جد خطيرة . فقد كان هناك ثلاثة أنواع من السرقة التى يعاقب مرتكبوها بالموت :

(أ) السرقات التى تزيد قيمة المسروقات فيها عن مبلغ ٥٠ دراخمة (الدراخمة عملة يونانية) ، أى حوالى جنيهين .

(ب) السرقات من الحمامات والملاعب والموانى ، والتى تبلغ قيمتها ١٠ دراخمات ، أى حوالى خمسين قرشاً .

(جـ) سرقة أى شيء ليلا . . . وهكذا كان المسيحيون يعيشون بين أناس أمعنوا فى السلب والاختلاس وابتزاز مال الغير .

وكان هناك **السكيرون** . والكلمة المستخدمة هنا تعنى فى الأصل الإفراط فى الشرب دون أدنى محاولة لضبط النفس . وحتى الأطفال الصغار فى اليونان القديمة كانوا يشربون الخمر . وكان طعام الإفطار عندهم يتكون عادة من الخبز المغموس فى الخمر . ومع أن اليونانيين كانوا عادة يمزجون الخمر بالماء

ثم يشربون باعتدال ، ولكن أهل كورنثوس بالذات ، الذين كانوا يحبون الترف والملذات ، كانوا يشربون بافراط ويسكرون باستمرار .

وكان هناك الطامعون والخاطفون . وكلا الكلمتين تسترعيان التأمل . فالكلمة المترجمة « طامعون » تعني ، كما عرفها اليونانيون « الروح التي تتطلع دائماً إلى امتلاك الأكثر وإلى خطف ما لا حق للانسان فيه » . وبعبارة أخرى هي الشهية الجشعة للكسب ، والميل العدواني لتحقيقه . وهذه الروح تختلف كثيراً عن روح البخيل ، لأنها تهدف إلى الربح بقصد الإنفاق ، حتى يتمكن صاحبها من إشباع المزيد من شهواته وملذاته ، وهي في ذلك لا تعبأ بمن يكون ضحيتها ما دامت تحقق لنفسها ما تريد وتشتهي . أما الكلمة المترجمة « خاطفون » فانها تعني القبض والمسك والاستحواذ ، ومن الطريف أن نفس الكلمة تستعمل كاسم لنوع معين من الذئاب ، كما أنها تستعمل بمعنى الكلابات الحديدية التي كانت تحمل بها السفن في المعارك البحرية . إنها تعني الروح التي تدفع صاحبها إلى خطف وسلب ما لا حق له فيه بنوع من العنف والوحشية .

أما أكثر الخطايا غرابة وشذوذاً فقد كانت خطية الذين كانوا مضاجعي ذكور . وقد شاعت هذه الخطية في الحياة اليونانية وانتشرت كالسرطان ، ومن اليونان انتقلت إلى رومية . ومن الصعب علينا أن ندرك كيف كان العالم القديم أسيراً لهذه الخطية . فحتى إنسان عظيم كسقراط كان يمارسها ، والحوار الذي ألفه أفلاطون والمسمى Symposium والذي يعتبر من أعظم المؤلفات العالمية عن الحب ، لم يكن موضوعه الحب الطبيعي بل الحب غير الطبيعي .

ويقال إن أربعة عشر إمبراطوراً رومانياً ، من بين الخمسة عشر إمبراطوراً الأولين ، كانوا يمارسون هذه الرذيلة الشاذة . وفي ذلك الوقت

بالذات كان نيرون إمبراطوراً . وكان قد اتخذ لنفسه صبياً اسمه « اسبورس » وخصاه ، ثم تزوجه فى احتفال كبير ، وأخذه فى موكب عرائسى إلى قصره ، حيث عاش الصبى معه كزوجة له . بل والأمر الأرذل الذى لا يكاد يصدق هو أن نيرون نفسه تزوج رجلا اسمه « بيثاغورس » ، وعاش ذلك الرجل مع نيرون كزوجله . وعندما استبعد نيرون ، وجلس الإمبراطوى أوثو Otho بعده على العرش كان أول شيء عمله الإمبراطور الجديد أنه استولى على الصبى اسبورس ، وبعد ذلك بوقت طويل كان اسم الإمبراطور هادريان مرتبطاً دائماً باسم شاب بيثينى اسمه « انتينوس » . ولم يكن ينفصل عنه أبداً ، وعندما مات ذلك الشاب ألهه الإمبراطور ، وملأ العالم بتماثيل له وخلد خطيته معه بأن أطلق اسمه على أحد الكواكب .

وهكذا كان العالم فى عهد الكنيسة الأولى غارقاً فى هذه الرذيلة بالذات إلى درجة متناهية من الفضيحة والعار ، ومما لا شك فيه أن هذه الخطية كانت سبباً من الأسباب الرئيسية لانحطاط العالم فى ذلك الوقت ، والاندثار النهائى لحضارته آنئذاك .

ولكن ، بعد أن استعرض بولس تلك القائمة الرهيبة من الرذائل الطبيعية وغير الطبيعية ، صاح صيحة الانتصار قائلا : « وهكذا كان أناس منكم » . إن برهان المسيحية يكمن فى قوتها : إنها تستطيع أن تخلق من عكر الإنسانية ونفايتها أناساً صالحين ، وهى تستطيع أن تصوغ من الناس الذين تلطخت حياتهم بالخطية والعار أولاداً لله . وهكذا كان هناك فى كورنثوس ، وفى جميع أنحاء العالم ، أناس هم أمثلة حية متحركة لقوة يسوع المسيح المغيرة المجددة المخلصة . ولا تزال قوة المسيح هى عينها . فلا يستطيع إنسان ما أن يغير نفسه ، ولكن المسيح يستطيع أن يغيره . وشتان بين الأدب الوثنى والأدب المسيحى فان سينكا **Seneca** ، الذى كان معاصراً لبولس ،

يصرح قائلا : « إن ما يحتاج الناس إليه هو يد توضع تحتهم لترفعهم إلى أعلى » . وأعلن أن الناس يكتنفهم شعور غامر بضعفهم وعجزهم إزاء الأشياء الضرورية » وقال فى يأس مرير : « إن الناس يحبون رذائلهم وهم منجذبون إليها ولكنهم يكرهونها فى الوقت عينه » ثم يقول عن نفسه فى أسف ورثاء إنه « رجل لا يطاق » .

وفى قلب هذا العالم ، الذى كان يعى ما يندفع فيه من تيار جارف من الانحطاط والتدهور ، وهو لا يقوى على وقفه أو الحد منه ، انبثق نور المسيحية الوضاء ، التى كانت القوة الحقيقية الوحيدة التى تستطيع أن تصير كل شىء جديداً ؛

اشتريتم بثمن

كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ تُوَافِقُ . كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي لَكِنْ لاَ يَتَسَلَّطُ عَلَيَّ شَيْءٌ . الأَطْعِمَةُ لِلْجَوْفِ وَالْجَوْفُ لِلأَطْعِمَةِ وَاللهُ سَيُبِيدُ هَذَا وَتِلْكَ . وَلَكِنَّ الْجَسَدَ لَيْسَ لِلزِّنَا بَلْ لِلرَّبِّ وَالرَّبُّ لِلْجَسَدِ . وَاللهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبَّ وَسَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضاً بِقُوَّتِهِ . أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ . أَفَآخُذُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ وَأَجْعَلُهَا أَعْضَاءَ زَانِيَةٍ . حَاشَا . أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَنِ الْتَصَقَ بِزَانِيَةٍ هُوَ جَسَدٌ وَاحِدٌ لأَنَّهُ يَقُولُ يَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً . وَأَمَّا مَنِ الْتَصَقَ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ . أُهْرُبُوا مِنَ الزِّنَا . كُلُّ خَطِيَّةٍ يَفْعَلُهَا الإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ

عَنِ الْجَسَدِ . لَكِنَّ الَّذِي يَزْنِي يُخْطِئُ إِلَى جَسَدِهِ . أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ . لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنٍ . فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ .

(١ كورنثوس ٦ : ١٢ – ٢٠)

يتعرض بولس هنا لسلسلة كاملة من المشاكل . وينتهى هذا الفصل بنداء وجهه بولس ، هو بمثابة صيحة للمعركة . فيقول : « فمجدوا الله فى أجسادكم» وقد كان اليونانيون دائماً يزدرون بالجسد ويحتقرونه . وكان من أمثالهم أن « الجسد ما هو إلا قبر » . وقال ابكتيتس Epictetus : « ما أنا إلا نفس مسكينة مقيدة ومكبلة بجثة ميت » . فكان الشيء المهم فى نظرهم هو نفس الإنسان ، روحه ؛ أما الجسم فلم يكن ذا أهمية بالمرة . وقد نجم عن هذه الفكرة أحد اتجاهين أو موقفين . فإما نسك صارم عنيف ، يجعل الفرد يعمل كل شيء لإخضاع رغبات وغرائز الجسد وإذلالها ؛ أو استباحة كاملة لإرضاء كل ما يرغبه الجسد ويشتهيه كيفما يشاء صاحبه – ما دام أن الجسد بالنسبة للنفس لم يكن من الأهمية بمكان . وكان الموقف الثانى هو السائد بين جميع الناس فى مدينة كورنثوس ، حيث لم يكن للجسد فى نظر الناس أية أهمية إطلاقاً . وكانوا يزعمون أنه ما دامت النفس هى التى لها كل الأهمية ، فان ما يفعله الإنسان بجسده ليس له أية أهمية بتاتاً . والذى جعل الأمر معقداً هو التعليم الذى كان بولس ينادى به – التعليم عن الحرية المسيحية وما كان يتوافق معها ويتلاءم مع مضمونها . إذ أن السؤال الذى كان يتبادر إلى الذهن

هو : إذا كانت المسيحية تقدم للناس الحرية الحقيقية ، أفلا يعني هذا أن الشخص المسيحي حر في أن يتصرف كيفما يشاء ، وخاصة في جسده الذي ليس له أي أهمية على الإطلاق .

وهكذا كان يزعم الكورنثيون ، بل كانوا يعتقدون ، أن الطريقة المثلى لمعالجة الجسد هي إطلاق العنان له ، وإرضاء كل نوازعه ، وإشباع كل متطلباته ولكن ، ما هي متطلبات الجسد ؟ زعم الكورنثيون أنه كما أن الجوف قد جعل للأطعمة ، والأطعمة قد جعلت للجوف ، وأنه بالطبع لا مفر من أن يتمشى الإثنان معاً ؛ هكذا الأمر بالضبط بالنسبة للجسد وغرائزه . أي أن الجسد — كما كانوا يزعمون — قد جعل للأعمال الجنسية ، والأعمال الجنسية قد جعلت للجسد ؛ ومن ثم فلا ضير في أن يفسح المجال أمام رغبات الجسد وشهواته لتتحقق وتشبع . وقد كان جواب بولس على هذا واضحاً صريحاً . فقال إن الجوف والأطعمة مجرد أشياء عابرة فانية ، وأنه يوماً ما سيبيد الله هذا وتلك أما الجسد ، والشخصية ، أو الإنسان ككل ، فانه ليس شيئاً عابراً بائداً ؛ فقد جعل للوحدة مع المسيح في هذا العالم ، وستظل وحدتهما بعد هذا العالم أقوى وأمتن أي أنه لا مفر من أن يرتبط الإنسان المؤمن مع المسيح ارتباطاً كاملا وثيقاً . فماذا يحدث إذا عندما يرتكب الشخص خطية الزنا ؟ إن الذي يحدث هو أن هذا الشخص يكون قد أعطى جسده لزانية ، لأن كلمة الله تعلمنا أن المخالطة الجنسية تجعل الإثنين جسداً واحداً . (تكوين ٢ : ٢٤) .

ومعنى هذا بعبارة أخرى أن الجسد الذي هو ملك للمسيح ، وحق له ، قد سلم بالزنا إلى شخص آخر . وهنا يجدر بنا أن نتذكر أن بولس لم يكن يهدف إلى مجرد كتابة رسالة أو نبذة منسقة ؛ ولكنه كان يعظ ويترافع في مسألة خطيرة بحماس متقد متدفق من القلب ، مستخدماً في ذلك كل الحجج

القوية القاطعة التى أمكنه العثور عليها . فقال إنه من بين الخطايا العديدة التى قد يقع فيها الإنسان ، يعتبر الزنا الخطية الوحيدة التى تسىء إلى جسد الإنسان، وتصمه بالمهانة والاحتقار . وقد يقال إن هذا الكلام ليس دقيقاً بالتمام . لأن السكر أيضاً قد يسبب لجسد الإنسان إساءة بالغة . ولكن يجب أن نذكر أن بولس هنا لا يكتب لإرضاء ممتحن فى المنطق ، وإنما هو يكتب لكى يخلص الكورنثيين نفساً وجسداً ، ولذلك يقول إن الخطايا الأخرى خارجة عن الجسد ، لكن الذى يزنى يخطىء إلى جسده — هذا الجسد الذى جعل أصلا ليكون متحداً مع المسيح .

ويختتم بولس حديثه فى هذا الموضوع بمناشدتهم تلبية نداء واحد أخير . إن روح الله يسكن فينا ولذلك صرنا هيكلا لله ؛ وإذا كان الأمر كذلك فان أجسادنا ذاتها تكون مقدسة . بل ما هو أكثر من ذلك ، أن المسيح مات ليخلص الإنسان كله جسداً ونفساً ، لا جزءاً فقط من الإنسان أو قطعة منه . أى أن المسيح بذل نفسه ليقدم للانسان نفساً مفدية ، وجسداً طاهراً نقياً ولهذا السبب ليس جسد الإنسان ملكاً للانسان يتصرف فيه كيفما يشاء ،ولكنه ملك للمسيح : ومن ثم ينبغى أن يستخدم الإنسان ذلك الجسد لا لإشباع شهواته الذاتية ، بل ليتمجد المسيح فيه .

وهنا فكرتان عظيمتان :

١ — يصر بولس على أنه ، بالرغم من كونه حراً أن يفعل أى شىء ، فانه لن يسمح لشىء ما بأن يتسلط عليه . وهذه هى الحقيقة العظمى للايمان المسيحى ، أنه لا يجعل الإنسان حراً أن يفعل الخطية ولكنه يجعله حراً لا يفعلها فانه من السهولة بمكان أن نسمح لعادات الحياة الدنيوية وممارساتها وطرقها أن تسيطر علينا ، ولكن قوة الإيمان المسيحى تمكننا من أن نسيطر على ذلك

كله . وعندما يختبر إنسان ما هذه القوة المسيحية إختباراً حقيقياً ، فانه يصبح لا عبداً لجسده وغرائزه ورغباته ، بل سيداً له ولها . وقد نسمع إنساناً يردد كثيراً قوله : « إنى سأعمل ما أحب » بينما هو فى الحقيقة منغمس فى عادة أو شهوة صار عبداً لها وأسيراً فى قبضتها . أما الإنسان الذى تسكن فيه قوة المسيح ، فهو وحده الذى يستطيع أن يقول حقاً وفعلا : « إنى سأعمل ما أحب ولن أرضى أو أشبع أشياء تريد أن تخضعنى لسلطانها » .

٢ — يصر بولس أيضاً على أننا لسنا ملكاً لأنفسنا . فليس فى هذا العالم إنسان خلق نفسه . كما أن لا شىء نفعله يقتصر تأثيره علينا وحدنا ، والشخص المسيحى هو الذى لا يفكر فى حقوقه فحسب ، بل يفكر أيضاً فى التزاماته . فهو لا يستطيع أبداً أن يفعل ما يشاء ، لأنه ليس ملكاً لنفسه إطلاقاً . إنه يجب أن يفعل دائماً ما يشاء ربه يسوع المسيح ، لأن المسيح قد اشتراه ودفع حياته ثمناً له .

* * *

فى القسم التالى من هذه الرسالة ، والذى يبدأ من الأصحاح السابع حتى نهاية الأصحاح الخامس عشر يرد بولس على مجموعة من الأسئلة ، ويعالج عدداً من المشاكل التى كانت كنيسة كورنثوس قد كتبت إليه بشأنها ، تطلب فيها مشورته ونصائحه . ولذلك نراه يبدأ هذا القسم بالقول : « وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها ... » وهو معنى العبارة المعروفة فى لغة العصر الحديث : « بالإشارة إلى خطابكم .... » وسوف نلخص كل مشكلة عندما تعرض لنا . فالأصحاح السابع يعالج سلسلة كاملة من المشاكل تتعلق كلها بموضوع الزواج .

وإليك ملخصاً للمسائل التى رغبت كنيسة كورنثوس فى معرفة نصيحة بولس بشأنها :

عدد ١ ، ٢ : نصيحة للذين يظنون أن المسيحيين لا ينبغى أن يتزوجوا إطلاقاً .

عدد ٣ — ٧ : نصيحة للذين كانوا يحثون المتزوجين على الامتناع عن كل العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة .

عدد ٨ — ٩ : نصيحة لغير المتزوجين وللأرامل .

عدد ١٠ — ١١ : نصيحة للذين يظنون أن المتزوجين يجب أن يفترقوا أو ينفصلوا .

عدد ١٢ — ١٧ : نصيحة للذين يظنون أنه إذا كان أحد الزوجين مسيحياً والآخر وثنياً ، فانه ينبغى أن يفرق بينهما بالطلاق .

عدد ١٨ — ٢٤ : تعليم بلزوم الحياة المسيحية ووجوبها بغض النظر عن الأوضاع والحالات التى هم عليها .

عدد ٢٥ ، ٣٦ — ٣٨ : نصيحة للعذارى .

عدد ٢٦—٣٥ : نصيحة وحث على ألا يسمح لأى شىء أن يقف حائلا دون أن تكون خدمة المسيح هى الشغل الشاغل ، وهى مركز الاهتمام الكلى ، وذلك لأن الوقت مقصر ولأن المسيح سيأتى ثانية سريعاً جداً .

عدد ٣٨ — ٤٠ : نصيحة للذين يرغبون فى الزواج مرة ثانية .

وقبل أن ندرس هذا الأصحاح كله علينا أن نذكر جيداً هاتين الحقيقتين :

١ — أن بولس يكتب هذا الكلام إلى كورنثوس ، وقد كانت كورنثوس أكثر بلاد العالم تجرداً من الأخلاق . لذلك كان من الأفضل لمن يعيش فى مثل هذه البيئة ، وهذا الوسط أن يكون صارماً أكثر من اللازم لا أن يكون متساهلا أو متراخياً أكثر من اللازم .

٢ ــ إن الشيء الذى كان يغلب على تفكير بولس ، ويملى عليه كل إجابة يكتبها ، هو يقينه التام أن مجيء المسيح الثانى كان وشيكاً جداً . ومع أن انتظار بولس هذا لم يتحقق ، لكنه كان مقتنعاً تماماً أن النصائح التى كان يقدمها كانت عن مواقف أو أوضاع مؤقتة . ولا شك أن نصائحه كان يمكن أن تختلف عن ذلك اختلافاً بيناً فى حالات كثيرة ، لو أنه رأى أن هذه الحالات هى حالات دائمة ، وليست مجرد أوضاع أو مسائل مؤقتة . والآن لنتقدم إلى دراسة هذا الأصحاح بالتفصيل .

الأصحاح السابع :

النسك والزهد الكامل

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الأُمُورِ الَّتِى كَتَبْتُمْ لِى عَنْهَا فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لاَ يَمَسَّ ٱمْرَأَةً . وَلَكِنْ لِسَبَبِ الزِّنَا لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ ٱمْرَأَتُهُ وَلْيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ رَجُلُهَا .

(١ كورنثوس ٧ : ١ ، ٢)

سبق أن ذكرنا أنه بحسب الفكر اليونانى كان هناك ميل كبير إلى احتقار الجسد وكل الأشياء التى تتعلق به . كما رأينا أن هذا الاتجاه فى التفكير ، جعل بعض الناس يقولون : « ما دام الجسد غير مهم إطلاقاً ، إذاً فنحن نستطيع أن نتصرف به وفيه كيفما نشاء ، ولا مانع أن نفتح الباب على مصراعيه لنشبع غرائزه وشهواته كما يحلو لنا » .

ولكن هذا الاتجاه فى التفكير ، جعل أناساً آخرين يتخذون لأنفسهم موقفاً يغاير هذا الموقف تماماً ، قائلين : « إن الجسد شرير ، ولذلك يجب أن نخضعه ونذله ، ويجب أن نمحو كل رغباته ونطمس كل غرائزه وإذا كان هذا ليس ممكناً ، فلننكر كل هذه الرغبات وهذه الغرائز التى هى بالنسبة للجسد شيء طبيعى » . وهذا الاتجاه الثانى هو الذى يتعرض له بولس هنا ويعالجه . فقد رأى الكورنثيون — أو على الأقل فريق منهم — أن الشخص الذى يريد أن يكون مسيحياً حقاً ، لا بد أن يجرد نفسه من الأشياء الجسدية ، ولا بد أن يمتنع عن الزواج كلية .

وقد كانت إجابة بولس إجابة عملية جداً : فذكرهم أنهم كانوا يعيشون

فى كورنثوس ، حيث كانت التجارب والغوايات تحيط بهم من كل جانب ، حتى عندما كانوا يمشون فى الشارع . وذكرهم بتكوينهم الجسدى ، وبالغرائز الطبيعية الكامنة فيهم . وهكذا أوضح لهم أن الزواج هو أفضل بكثير من السقوط فى الخطية . وقد يبدو هذا كأنه يقلل من سمو الزواج وقدره . إذ قد يتبادر إلى الذهن أن بولس كان ينصحهم بالزواج لمجرد تجنب مصير أسوأ من الزواج . ولكن الحقيقة أن بولس كان يواجه الحقائق بأمانة صريحة وعملية . وهو بذلك قد وضع قاعدة تصدق بالنسبة لجميع الناس فى كل العالم . فلا ينبغى أن يختط الإنسان لنفسه أسلوباً أو منهجاً فى الحياة لا يناسب طبيعته ؛ ولا ينبغى أن يشرع الإنسان فى السير فى طريق قد أحاط نفسه فيه عمداً بكل التجارب والغوايات . وقد كان بولس يدرك جيداً أن الناس يختلفون ويتفاوتون فى غرائزهم وميولهم . ولذلك نراه ينصح بأن يفحص كل واحد نفسه ، وأن يختار لنفسه الأسلوب أو الطريق الذى يراه أنسب له لكى يعيش حياة مسيحية أفضل ويحذر بولس من محاولة إتباع منهج أو مستوى غير طبيعى ، هو فى الواقع مستحيل بل وخاطىء أيضاً ، كما كان بعض الكورنثيين يريدون أن يفعلوا .

الشركة الزوجية

لِيُوفِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا الْوَاجِبَ وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ أَيْضاً الرَّجُلَ . لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهَا بَلْ للرَّجُلِ . وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ أَيْضاً لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهِ بَلْ لِلْمَرْأَةِ . لا يَسْلُبْ أَحَدُكُمُ الآخَرَ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوافَقَةٍ إِلَى حِينٍ لِكَيْ تَتَفَرَّغُوا للصَّوْمِ والصلوة ثم

تَجْتَمِعُوا أَيْضاً معاً لِكَيْ لا يُجَرِّبَكُمْ الشَّيْطَانُ لِسَبَبِ عَدَمِ نَزَاهَتِكُمْ . وَلَكِنْ أَقُولُ هَذَا عَلَى سبيلِ الإِذْنِ لا عَلَى سَبِيلِ الأَمْرِ . لأَنِّي أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ النَّاسِ كَمَا أَنا . لكِنَّ كلَّ واحِدٍ لهُ مَوْهِبَتَهُ ٱلْخَاصَّةُ مِنَ ٱللهِ . الْوَاحِدُ هكَذَا وَٱلْآخَرُ هَكَذَا .

(١ كورنثوس ٧ : ٢ - ٧)

إن الذى دفع الرسول إلى كتابة هذا الفصل هو ما دعا إليه بعض مسيحى كورنثوس من أنه ينبغى على المتزوجين الذين يريدون أن يعيشوا حياةمسيحية حقيقية أن يمتنعوا عن كل اختلاط بين الرجل والمرأة . وهذه الفكرة هى مظهر آخر من مظاهر عقيدتهم فى الجسد ونظرتهم إليه وإلى غرائزه ورغباته باعتبارها شريرة آثمة أصلا . وإزاء هذا يسجل الرسول مبدأ عظيماً رائعاً وفى غاية الأهمية . وهو أن الزواج شركة بين طرفين . فلا يستطيع الزواج أن يتصرف مستقلا عن زوجته ، ولا تستطيع الزوجة أن تتصرف مستقلة عن الزوج . أى أنهما لا بد أن يتصرفا ويعملا معاً . ولا ينبغى أبداً أن ينظر الزوج إلى زوجته باعتبارها مجرد وسيلة أو أداة لإشباع شهواته ؛ بل ينبغى أن يعتبر الشركة الزوجية كلها ، من الناحيتين الجسدية والروحية على السواء ، شيئاً يهدف إلى إشباع كل رغبات الطرفين ، وينبغى تحقيق أعلى درجات الرضى والاكتفاء والسعادة . وربما يكون من الأنسب فى أوقات الرياضة الروحية ، وفى فرص الصلاة الطويلة الحارة ، أن توضع جانباً كل الأشياء الجسدية ؛ ولكن يجب أن يكون هذا باتفاق ورضى متبادل بين الطرفين ، على أن يكون هذا أيضاً مؤقتاً أو لفترة محدودة ، وإلا فان هذا الموقف يعطى للتجربة فرصة موآتية ليسقط المؤمن فى الخطية .

وقد يبدو مرة أخرى أن بولس بهذا الكلام يقلل من شأن الزواج ؛ ولكننا نلاحظ أن بولس لا يصرح بهذا الكلام باعتباره أمراً مثالياً ، بل باعتباره إذعاناً حذراً ومتحفظاً للضعف البشرى . أما المثل الأعلى الذى كان يحث عليه فهو أن يكون كل واحد كما كان هو وماذا كان هو بالضبط ؟ إننا نستطيع أن نعرف ذلك عن طريق التخمين فقط .

وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد الأكيد أن بولس كان فى وقت ما متزوجاً . ويمكن أن يستند اعتقادنا الأكيد هذا إلى عدة أسس عامة . فقد كان بولس (حاخاماً) أو حبراً من أحبار اليهود . وكان مما يزعمه لنفسه أنه لم يقصر فى أداء أية فريضة أو طقس رسمه الناموس والتقليد اليهودى . وطبقاً لعقائد اليهود كان الزواج إلتزاماً حتمياً . وكان الرجل الذى لا يتزوج ولا ينجب أطفالا يقال عنه أنه مقطوع الذرية وأنه يقلل من صورة الله فى العالم . وكان يقال إن هناك سبعة تحرمهم السماء ، وكانت قائمة هؤلاء السبعة تبدأ بالرجل اليهودى الذى ليست له زوجة أو الذى له زوجة ولكن ليس له أولاد . فقد قال الله « إثمروا واكثروا » ؛ ومن ثم ، فان عدم الزواج وعدم إنجاب الأولاد كان يعتبر خطيئة وعصياناً ضد وصية الله الإيجابية الصريحة ، وكان السن الذى يعتبر مناسباً للزواج هو الثامنة عشرة . ولذلك فانه يستبعد جداً أن شاباً يهودياً تقياً متعبداً مستقيماً كما كان بولس ، يبقى غير متزوج .

وهناك دليل آخر يثبت أن بولس كان فى وقت ما متزوجاً . فلا بد أن بولس كان عضواً فى السنهدريم ، لأنه يصرح أنه قد ألقى قرعة ضد المسيحيين (أعمال ٢٦ : ١٠) . وكان القانون يحتم أن يكون أعضاء السنهدريم متزوجين لأنه كان يعتقد أن قلوب الرجال المتزوجين أكثر رحمة . ويحتمل أن زوجة بولس كانت قد ماتت ، ويحتمل أيضاً أنها قد انفصلت عنه بعد أن أصبح

مسيحياً . وهكذا يكون بولس قد خسر فعلا كل الأشياء لأجل خاطر المسيح. ولكن على كل حال نرى أن بولس قد نبذ حياته الزوجية كلية من تفكيره ، ولم يتزوج ثانية . إذ لم يكن ممكناً أبداً أن رجلا متزوجاً يعيش حياة الارتحال والأسفار المتواصلة ، التي كان يعيشها بولس . وقد كانت رغبة بولس الملحة فى أن يقتدى به الآخرون . ومرد هذه الرغبة إلى أنه كان يتوقع المجيء الثانى بسرعة ، وأنه كان يعتقد أن الوقت كان مقصراً حتى أنه لم يكن هناك متسع للاهتمام بالروابط الأرضية ، وبالأمور الجسدية ، ولم يكن داع يحتم الانشغال بأيهما . فلم تكن المسألة إذاً أن بولس كان يحط من قدر الزواج ويستخف به ، بل إن بولس ، كان فى الحقيقة ، يريد أن يؤكد أن اهتمام الرجل المؤمن ينبغى أن يتركز فى الاستعداد لمجيء المسيح الثانى .

الرباط الذى ينبغى ألا ينفصم

وَلَكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلأَرَامِلِ أَنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنا . ولكِنْ إِنْ لَمْ يَضْبُطُوا أَنْفُسَهُمْ فَلْيَتَزَوَّجُوا . لأَنَّ التَّزَوُّجَ أَصْلَحُ مِنَ التَّحَرُّقِ . وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُونَ فَأُوصِيهِمْ لا أَنا بَلِ الرَّبُّ أَنْ لا تُفَارِقَ الْمَرْأَةُ رَجُلَهَا . وَإِنْ فَارَقَتْهُ فَلْتَلْبَثْ غَيْرَه مُتَزَوِّجَة أَوْ لِتُصَالِحْ رَجُلَهَا . وَلاَ يَتْرُكَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ . وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَأَقُولُ لَهُمْ أَنا لا الرَّبُّ إِنْ كَانَ أَخٌ لَهُ امْرَأَةٌ غَيْرُ مُؤْمِنَةٍ وَهِيَ تَرْتَضِي أَنْ تَسْكُنَ مَعَهُ فَلاَ يَتْرُكْهَا . وَالْمَرْأَةُ

الَّتِى لَهَا رَجُلٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ وَهُوَ يَرْتَضِى أَنْ يَسْكُنَ مَعَهَا فَلاَ تَتْرُكْهُ . لأَنَّ الرَّجُلَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ مُقَدَّسٌ فِى الْمَرْأَةِ والْمَرْأَةُ غَيْرُ الْمُؤْمِنَةِ مُقَدَّسَةٌ فِى الرَّجُلِ . وَإِلاَّ فَأَوْلاَدُكُمْ نَجِسُونَ . وَأَمَّا الآنَ فَهُمْ مُقَدَّسُونَ . وَلَكِنْ إِنْ فَارَقَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ فَلْيُفَارِقْ . لَيْسَ الأَخُ أَوِ الأُخْتُ مُسْتَعْبَدًا فِى مِثْلِ هَذِهِ الأَحْوَالِ . وَلَكِنَّ اللهُ قَدْ دَعَانَا فِى السَّلاَمِ . لأَنَّهُ كَيْفَ تَعْلَمِينَ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ هَلْ تُخَلِّصِينَ الرَّجُلَ . أَوْ كَيْفَ تَعْلَمُ أَيُّهَا الرَّجُلُ هَلْ تُخَلِّصُ الْمَرْأَةَ .

(١ كورنثوس ٧ : ٨ – ١٦)

يتحدث بولس فى هذا الفصل عن ثلاث مجموعات مختلفة من الناس :

١ – فهو يتحدث أولا عن غير المتزوجين والأرامل . وبالنسبة لظروف ذلك العصر ، الذى كان بولس يظن أنه يسرع إلى نهايته ، فقد فضل بولس أن يلبثوا كما هم ، ولكنه عاد فحذرهم من احتمال الوقوع فى فخ التجربة ، محاولة البقاء فى وضع أو موقف قد يكون خطيراً على حياتهم . فاذا كانوا بطبيعتهم غير قادرين على ضبط أنفسهم فليتزوجوا . لقد كان بولس متأكداً دائماً أنه لا يمكن أن أحداً يضع نموذجاً معيناً من السلوك يصلح أن يناسب كل واحد . إن الأمر كله يتوقف على شخصية الفرد الذى يخصه الأمر .

٢ – ثم يتحدث الرسول عن المتزوجين . وهنا ينهاهم بولس عن أن يفارق الرجل إمرأته أو المرأة رجلها . وهو يستند فى نهيه هذا على أساس قول المسيح . (مرقس ١ : ٩ ؛ لوقا ١٦ : ١٨) . وحتى إذا حدث هذا الانفصال

Digitization of the Alexandria Library
Bibliotheca Alexandrina

اقن بولس يمنع التزوج ثانية . وقد يبدو هذا مبدأ أو حكماً صعباً ، ولكن بالنسبة لكورنثوس التى اتسمت بروح التساهل والميوعة وعدم المبالاة ، كان من الأفضل أن تضع الكنيسة نصب عينيها مستويات عالية للحياة والسلوك حتى لا تكون هناك أية ثغرة يمكن أن تكون سبباً فى تلطيخ الكنيسة بشوائب الحياة المائعة المستهترة التى كانت سائدة فى كورنثوس .

٣ ــ كما يتعلق هذا الفصل أيضاً بزواج المؤمنين وغير المؤمنين . وإزاء هذا الأمر نجد أن بولس اضطر إلى أن يقدم لكنيسة كورنثوس حكمه الشخصى ، لأنه لا يوجد أمر صريح محدد ينسب إلى يسوع نفسه يستطيع بولس أن يشير إليه أو يذكرهم به . ولا بد أنه كان فى كورنثوس من يقول بأنه لا يجب أبداً أن يعيش المؤمن مع غير المؤمن : وعلى ذلك فاذا كان هناك زوجان صار أحدهما مسيحياً وبقى الآخر وثنياً فقد وجب انفصالها حالا . والحقيقة أن إحدى الشكايات الكبيرة التى كان يشتكى بها الوثنيون ضد المسيحية كانت أن المسيحية سببت تفكك العائلات وانقسامها بشكل أثر على كيان المجتمع وهدده بالخراب . وكان من أوائل التهم التى وجهت إلى المسيحيين أنهم كانوا يتداخلون فى أمور الغير (١ بطرس ٤ : ١٥) مما أثر كثيراً على العلاقات العائلية . ومما زاد الوثنيين حنقاً موقف المسيحيين أحياناً إزاء القرابة العائلية . فمثلا عندما سأل القاضى إحدى الشابات : « من هما والداك ؟ » أجابته قائلة : « إننى مسيحية ، والأقرباء الوحيدون للمسيحيين هم جماعة القديسين » .

لذلك كان الزواج بين المؤمنين وغير المؤمنين سبباً فى كثير من المشاكل ؛ وحول هذا الموضوع كتب ترتوليانوس كتاباً ذكر فيه أن الزوج الوثنى كان يغضب من زوجته المسيحية لأنها كانت تزور بيوت الأخوة وخصوصاً الفقراء منهم . وقال إن الزوج الوثنى لم يكن يسمح أو يوافق لزوجته المسيحية

أن تحضر الاجتماعات الدينية أو تحتفل بقيامة المسيح ؛ ولم يكن يسمح لها أن تزور الشهداء وهم مقيدون فى السجن . والحقيقة أنه من الصعب ألا نرثى للزوج الوثنى أو لا نقدر صعوبة موقفه . ولذلك نرى أن بولس عالج هذه المشكلة بحكمة عملية بالغة . فلقد أدرك صعوبة المشكلة ورفض أن يسهم فى زيادة حدتها أو تعقيدها . فقال إنه إذا ارتضى الإثنان أن يعيشا معاً فليكن ، ولكن إذا وجدا أن الحياة معاً غير ممكنة أو غير محتملة فلينفصلا ، لأن المسيحية لا تعنى أبداً أن يكون المسيحى عبداً .

ثم يذكر الرسول بولس شيئين عظيمين هما دائماً على قدر كبير من الأهمية والقيمة :

١ – يسجل بولس هذا الفكر الجميل ، وهو أن الشريك غير المؤمن مقدس فى الشريك المؤمن . فقد أصبح الإثنان جسداً واحداً . والعجيب فى هذه الحالة أن نعمة المسيحية فى الشريك المؤمن هى التى تغلب وتنتصر على شوائب ولوثات الوثنية فى الشريك غير المؤمن . ذلك لأن عدوى المسيحية سرعان ما تسيطر وتسود على كل شخص يتصل بها ويقترب منها .

٢ – ويسجل الرسول أيضاً فكراً آخراً لا يقل عن الفكر الأول جمالا . وهو أن هذا الارتباط أو هذه الشركة قد تكون وسيلة لتخليص نفس الشريك غير المؤمن . ومن ثم فلا ينبغى أن ينظر إلى غير المؤمن باشمئزاز باعتباره شيئاً نجساً ينبغى تجنبه ، بل باعتباره إنساناً يمكن أن يربح للمسيح ويصبح إبناً أو إبنة لله . وكأن بولس يريد أن يشير إلى حقيقة مباركة وهى أن المحبة أن المحبة البشرية كثيراً ما تقود الإنسان إلى محبة الله .

خدمة الرب حيث يدعونا وحيث نوجد

غَيْرَ أَنَّهُ كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ كَمَا دَعَا الرَّبُّ كُلَّ وَاحِدٍ هَكَذَا لِيَسْلُكْ وَهَكَذَا أَنَا آمُرُ فِي جَمِيعِ الْكَنَائِسِ . دُعِيَ أَحَدٌ وَهُوَ مَخْتُونٌ فَلاَ يَصِرْ أَغْلَفَ . دُعِيَ أَحَدٌ فِي الْغُرْلَةِ فَلاَ يَخْتَتِنْ . لَيْسَ الْخِتَانُ شَيْئاً وَلَيْسَتِ الْغُرْلَةُ شَيْئاً بَلْ حِفْظُ وَصَايَا اللهِ . الدَّعْوَةُ الَّتِي دُعِيَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ فَلْيَلْبَثْ فِيهَا . دُعِيتَ وَأَنْتَ عَبْدٌ فَلاَ يَهُمَّكَ . بَلْ وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَصِيرَ حُرًّا فَاسْتَعْمِلْهَا بِالْحَرِيِّ . لأَنَّ مَنْ دُعِيَ فِي الرَّبِّ وَهُوَ عَبْدٌ فَهُوَ عَتِيقُ الرَّبِّ . كَذَلِكَ أَيْضاً الْحُرُّ الْمَدْعُوُّ هُوَ عَبْدٌ لِلْمَسِيحِ . قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ فَلاَ تَصِيرُوا عَبِيداً لِلنَّاسِ . مَا دُعِيَ كُلُّ وَاحِدٍ فِيهِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلْيَلْبَثْ فِي ذَلِكَ مَعَ اللهِ .

(١ كورنثوس ٧ : ١٧ - ٢٤)

يضع بولس هنا مبدأ من المبادىء الأولية للديانة المسيحية : « كن مسيحياً حيث أنت » . ولا بد أن كثيرين ممن أصبحوا مسيحيين قد أرادوا أن يتركوا وظائفهم وأعمالهم ليبدأوا حياة جديدة . ولكن بولس أصر على أن المسيحية لا تخلع على الإنسان حياة جديدة تفصله عن الماضى ، بل تجعل حياته القديمة جديدة . فليبق اليهودى إذاً يهودياً ، وليبق الأممى أممياً ، إذ أن الجنس وعلاماته لا يجعل أدنى فرق بين هذا وذاك . فالشىء الوحيد الذى

يفرق أو يميز الواحد عن الآخر هو نوع الحياة التى يحياها . وقديماً كان فريق من المستهزئين الماجنين يصرون على الاعتقاد أن الإنسان حقاً لا يمكن أن يكون عبداً بطبيعته . مع أنه قد يكون عبداً بحسب وضعه وحالته ؛ وأن الإنسان المزيف لا يمكن أبداً أن يصير رجلا حراً حقاً ، ولكنه يظل دائماً عبداً . وفى هذه العبارات يذكرهم بولس أنه سواء كان الرجل عبداً أو حراً فانه يصبح عبداً للمسيح لأن المسيح قد اشتراه بثمن .

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى الصورة المعينة التى لا بد أنها كانت فى ذهن بولس وهو يكتب هذا الكلام . ففى العالم القديم كان ممكناً للعبد أن يشترى حريته الشخصية بمجهود عظيم . وكانت الطريقة التى يتبعها هى أن يشغل أوقات فراغه القليلة فيؤدى فيها بعض الأعمال الإضافية نظير دراهم قليلة . ولكن سيده كان يتقاضى عمولة معينة على هذه الدراهم القليلة . ولكن العبد كان يودع كل فلس يمكنه الحصول عليه فى هيكل إله من الآلهة ، إلى أن يتجمع له بعد سنوات المبلغ الذى يفرض عليه ثمناً لحريته . وعندئذ يصحبه سيده إلى الهيكل حيث يتسلم ذلك المبلغ من يد الكاهن . وبذلك يصبح العبد ملكاً خاصاً للاله لا سلطان لأحد من الناس عليه . وهذا ما كان بولس يفكر فيه . فان الشخص المسيحى قد اشتراه المسيح ودفع ثمنه ؛ ولذلك فهو ملك خاص له ؛ ولم يعد لوضعه الاجتماعى أهمية ، إذ أنه قد أصبح حراً من كل الناس وملكاً خاصاً ليسوع المسيح .

ذلك ما يحاول بولس أن يوضحه فى هذا الفصل . فهو يصر على أن المسيحية لا تعنى أن يتنكر الإنسان لوضعه الاجتماعى ويصبح متذمراً شاكياً من كل شىء ، وساخطاً على كل شىء ، ولكن المسيحية تجعله أينما يكون ، يعتبر نفسه عبداً للمسيح . وأن أتفه وأحقر الأعمال أو الحرف التى يؤديها لأجل المسيح وليس لأجل الناس . كما قال جورج هربرت : « إننا إذا كنا

نعمل كل شيء باسم المسيح ولأجله فكأننا أمسكنا بالحجر السحري المشهور الذي يحول كل شيء إلى ذهب . فكل عمل ، مهما كان تافهاً أو متواضعاً ؛ وكل كدح وكد في حرف الحياة ، مهما كانت حقيرة أو وضيعة ، يمكن أن يكون شيئاً عظيماً ومفيداً إذا كان يؤدى باسم المسيح ولأجله » .

نصيحة حكيمة في مشكلة عويصة

وَأَمَّا الْعَذَارَى فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ وَلَكِنَّنِي أُعْطِي رَأْياً كَمَنْ رَحِمَهُ الرَّبُّ أَنْ يَكُونَ أَمِيناً .. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْمَلُ بِدُونِ لِيَاقَةٍ نَحْوَ عَذْرَائِهِ إِذَا تَجَاوَزَتِ الْوَقْتَ وَهَكَذَا لَزِمَ أَنْ يَصِيرَ فَلْيَفْعَلْ مَا يُرِيدُ . إِنَّهُ لا يُخْطِئُ . فَلْيَتَزَوَّجَا . وَأَمَّا مَنْ أَقَامَ رَاسِخاً فِي قَلْبِهِ وَلَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ بَلْ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى إِرَادَتِهِ وَقَدْ عَزَمَ عَلَى هَذَا فِي قَلْبِهِ أَنْ يَحْفَظَ عَذْرَاءَهُ فَحَسَناً يَفْعَلُ . إِذاً مَنْ زَوَّجَ فَحَسَناً يَفْعَلُ وَمَنْ لا يُزَوِّجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ .

(١ كورنثوس ٧ : ٢٥ ، ٣٦ — ٣٨)

تنقسم الأعداد ٢٥ — ٣٨ إلى قسمين ، يحسن بنا أن نتأمل في كل منهما على حدة . فالأعداد ٢٥ ، ٣٦ — ٣٨ تعالج مشكلة تتعلق بالعذارى ، بينما تشرح بقية الأعداد الواردة بينها الأسباب التي تحتم العمل بالنصائح الموجهة في الأصحاح كله . والواقع أن هذا الفصل الذي يتعلق بالعذارى كان دائماً مشكلة إذ أنه فسر أو فهم بثلاثة أوجه مختلفة .

١ — فقد اعتبره بعضهم نصائح موجهة للآباء بخصوص زواج بناتهم غير المتزوجات . ولكننا نستبعد أن يكون هذا مفهوم هذا الفصل . لأن ذلك يجعل من الصعب تفسير كلمة « عذراء » لو أنه كان يعني بها « ابنة » أي ليس هناك ما يدعو الرسول أن يستخدم كلمة « عذراء » إذا كان المعنى المقصود هو « ابنته » .

٢ — واعتبره آخرون معالجة لمشكلة أصبحت فيما بعد متأزمة وحادة ، حاولت أكثر من كنيسة أن تعالجها أو أن تنهى عنها . فلقد صار تقليداً عند الكثيرين أن يعيش رجل وامرأة معاً تحت سقف واحد ، يشتركان معاً فى فراش واحد ، ومع ذلك لا تكون بينهما أية علاقات جسدية . وكانت وجهة نظرهما فى ذلك أنه إذا استطاع الإثنان أن يدربا نفسيهما على الشركة الروحية الوثيقة دون أن يسمحا لنوازع الجسد أن تتدخل بينهما ، فان ذلك العمل يعتبر شيئاً يستحق التقدير والاعتبار . ويمكننا أن ندرك أن الدافع الذى دفعهم إلى هذا الاعتقاد هو محاولتهم تجريد العلاقات الإنسانية من كل الشهوات الجسدية والأمور الأرضية . ولكن هذا الاتجاه كان خطيراً للغاية ، إذ كان يخلق فى أغلب الأحيان أوضاعاً ومواقف مستحيلة . وكان يطلق على المرأة فى مثل هذه العلاقة اسم عذراء الرجل . ويبدو أن هذه العادة نشأت فى كنيسة كورنثوس . وإذا كان الأمر كذلك ، كما نعتقد ، فان معنى كلام بولس هنا هو : « إذا كنتم تستطيعون أن تظلوا باقين فى هذا الموقف الصعب وإذا كان لديكم من قوة ضبط النفس ، وتدريب الإرادة ، ما يكفى للاستمرار فى هذا الوضع . فحسناً تفعلون . ولكن إذا كنتم قد جربتم هذا العمل ووجدتم أنه أصعب وأثقل مما تستطيع الطبيعة البشرية أن تحتمله فلا تتمادوا فيه بل تزوجوا وليس فى زواجكم هذا ما يشينكم أو يعيبكم أو يحط من قدركم » .

٣ — مع أننا نعتقد أن هذا التفسير السابق هو التفسير الصحيح لهذا الفصل ، لكن توجد فكرة أخرى تستحق استرعاء النظر . فقد كان فى كورنثوس رجال وسيدات سبق أن عقد قرانهم وتزوجوا فعلا ، ولكنهم اتفقوا أن يعيشوا حياة العفة المطلقة ، وأن يضبطوا أنفسهم عن الشهوات ، ويمتنعوا عن العلاقات الجسدية الطبيعية التى بين الأزواج ، حتى يكرسوا أنفسهم تكريساً كاملا للحياة الروحية . ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن هذا الاتفاق قد فرض عليهم ثقلا وجهداً أعظم مما يستطيعون أن يطيقوا أو يتحملوا وإزاء هذه الحالة يكون معنى قول الرسول لهم « إذا استطعتم أن تلتزموا بعهدكم واتفاقكم فحسناً تفعلون ، وإلا فواجهوا الأمر بصراحة ومارسوا العلاقات الزوجية العادية إذ ليس فيها ما يشين أو يعيب » .

وفى نظرنا إن هذه العلاقة ، التى سبقت الإشارة إليها ، تبدو كلها خطيرة وشاذة بل وخاطئة أيضاً . واضطرت الكنيسة أن تسمها بالانحراف والخطأ والشذوذ . وكانت نصيحة بولس هى عين الحكمة والصواب . وكلامه فى الحقيقة يتضمن ثلاثة أشياء :

١ — إن العفة وتدريب النفس وضبطها ميول رائعة . فان أية وسيلة يستطيع بها الإنسان ترويض نفسه وإخضاع كل ميوله متحكماً فيها تحكماً كاملا تعتبر شيئاً رائعاً . ولكن ينبغى أن نذكر دائماً . أن المسيحية لا تتطلب منا أن نحذف الغرائز والعواطف الإنسانية الطبيعية من حياتنا أو أن نحاول إقصاءها عنا أو التخلص منها ، بل أن نسمو بها ونرقيها ونستخدمها لمجد الله .

٢ — لا ينبغى أن ننحرف بالمفاهيم الدينية فنحملها غير المقصود بها ، أو نعمل أشياء غير طبيعية باسم الدين ، مع أن الدين لم يتطلب منا ذلك . وهذا هو الخطأ الذى يقع فيه الرهبان والراهبات والنساك والمتوحدون الذين يختارون

عمداً أسلوباً شاذاً فى الحياة ؛ وهم يظنون أنه ينبغى عليهم أن ينبذوا المشاعر البشرية الطبيعية ويتخلصوا منها تماماً لكى يصبحوا متدينين حقاً . ويعتقدون أيضاً أنه ينبغى أن يفصلوا أنفسهم كلية عن حياة الناس العادية لكى يخدموا الله . إننا يجب أن نتذكر دائماً أن المسيحية لم يقصد بها أن تلاشى أو تلغى الحياة الطبيعية العادية ، ولكنها تسمو بها وترفع من قدرها .

٣ – أن الدين لم يوجد ليكون مصدر عذاب أو كرب لنا . ويذكر لنا كولى نوكس Collie knox أنه عندما كان شاباً كان يفهم الدين على أنه حمل ثقيل يسبب الإجهاد والتوتر ، ثم يذكر كيف أن قسيساً محبوباً جاءه مرة ووضع يده على كتفه وقال له : « أيها الشاب نوكس ، لا تجعل الدين فى حياتك عذاباً وعناء » . وقيل أن بيرنز Burns كان ينتابه الرعب والفزع بسبب تدينه ، بدلاً من أن يكون الدين مساعداً له ومعيناً » . إن الحقيقة التى يجب أن يعرفها الجميع هى أنه لا ينبغى أن نخجل من الجسد الذى أعطانا الله إياه ، أو من القلب الذى وضعه داخلنا ، أو من الغرائز والميول التى خلقها فينا .

إن المسيحية تعلمنا ، لا أن نقصى عنا هذه الأشياء وننبذها ، بل أن نستخدمها بطريقة تصبح فيها العواطف والميول نقية طاهرة ، ويصير فيها الحب الإنسانى أعظم وأشرف شىء فى كل عالم الله .

الوقت مقصر

فَأَظُنُّ أَنَّ هٰذَا حَسَنٌ لِسَبَبِ الضِّيقِ الْحَاضِرِ أَنَّهُ حَسَنٌ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ هٰكَذَا . أَنْتَ مُرْتَبِطٌ بِامْرَأَةٍ فَلاَ تَطْلُبِ الانْفِصَالَ . أَنْتَ مُنْفَصِلٌ عَنِ امْرَأَةٍ فَلاَ تَطْلُب

امْرَأَةً . لَكِنَّكَ وَإِنْ تَزَوَّجْتَ لَمْ تُخْطِئْ . وَإِنْ تَزَوَّجَتِ الْعَذْرَاءُ لَمْ تُخْطِئْ . وَلَكِنَّ مِثْلَ هَؤُلاَءِ يَكُونُ لَهُمْ ضِيقٌ فِى الْجَسَدِ . وَأَمَّا أَنَا فَإِنِّى أَشْفِقُ عَلَيْكُمْ . فَأَقُولُ هَذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْوَقْتُ مُنْذُ الآنَ مُقَصَّرٌ لِكَىْ يَكُونَ الَّذِينَ لَهُمْ نِسَاءٌ كَأَنَّ لَيْسَ لَهُمْ . وَالَّذِينَ يَبْكُونَ كَأَنَّهُمْ لا يَبْكُونَ وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ كَأَنَّهُمْ لا يَفْرَحُونَ وَالَّذِينَ يَشْتَرُونَ كَأَنَّهُمْ لا يَمْلِكُونَ . وَالَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لا يَسْتَعْمِلُونَهُ . لأَنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمْ تَزُولُ. فَأُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا بِلاَ هَمٍّ . غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِى مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِى الرَّبَّ . وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِى مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِى امْرَأَتَهُ . إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعَذْرَاءِ فَرْقاً . غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِى مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَداً وَرُوحاً . وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِى مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ تُرْضِى رَجُلَهَا .

هَذَا أَقُولُهُ لِخَيْرِكُمْ لَيْسَ لِكَىْ أُلْقِىَ عَلَيْكُمْ وَهَقاً لأَجْلِ اللِّيَاقَةِ وَالْمُثَابَرَةِ لِلرَّبِّ مِنْ دُونِ ارْتِبَاكٍ .

(١ كورنثوس ٧ : ٢٦ – ٣٥)

هذا الفصل هو جوهر وخلاصة فكر الرسول فى موضوع الأصحاح كله ولو أنه بدأ الأصحاح بهذا الفصل لفهمنا قصده دون عناء ، ويبدو لكثيرين من خلال آيات هذا الأصحاح أن الرسول يقلل من شأن الزواج . وأنه فى

أكثر من موضع ، كأن يسمح بالزواج على سبيل التصريح والإذن فقط . وكأنه رضى بمبدأ الزواج لمجرد تجنب الزنا والفسق ؛ كأن الزواج على أحسن الفروض ليست له الأفضلية الأولى. وقد كان اليهود يمجدون الزواج ويعتبرونه واجباً مقدساً . وطبقاً للتقليد اليهودى كان هناك سبب واحد يمكن أن يبرر عدم الزواج ، هو الرغبة فى التفرغ لدراسة الناموس . ولذلك تساءل الحاخام بن عزاى مرة قائلا : « لماذا ينبغى أن أتزوج ؟ إننى محب للناموس ومغرم به . دع الآخرين يتولون مهمة امتداد الجنس البشرى وتزويده بالنسل » . ومن تاريخ اليونان نعرف أن ابكتتس Epictetus الفيلسوف الرواقى لم يتزوج أبداً . وقال إنه يفيد العالم بكونه معلماً أكثر بكثير مما لو أنتج للعالم اثنين أو ثلاثة من « العيال قبيحى الأنف » ثم تساءل قائلا : « كيف يمكن لإنسان كل عمله تعليم البشرية ، أن يهتم بشىء تافه مثل تسخين المياه لاستحمام طفل صغير ؟ » . ولكن هذه لم تكن وجهة النظر اليهودية ، وبالتأكيد ليست هذه وجهة النظر المسيحية . وبالأحرى لم تكن وجهة نظر بولس النهائية فى هذا الموضوع . لأنه عندما كتبت الرسالة إلى أفسس ، بعد ذلك بسنوات ، نراه قد غير رأيه ؛ فهو هنا يستخدم العلاقة بين الرجل وزوجته كرمز وإشارة ومثال للعلاقة بين المسيح والكنيسة . (أفسس ٩ : ٢٢ - ٢٦) . أما عندما كتب رسالته إلى كورنثوس فقد كانت كل أفكاره متأثرة بحقيقة إنتظاره وترقبه لمجىء المسيح الثانى حالا وفى أية لحظة . لذلك يمكن أن نقول إن ما كتبه بولس عن هذا الموضوع فى رسالة كورنثوس كان بمثابة تشريع أو قانون طوارىء . « للوقت منذ الآن مقصر » . فقد كان يعتقد أن المسيح سيأتى ثانية سريعاً جداً بحيث ينبغى أن يطرح كل شىء جانباً وتركز كل الاهتمامات والاستعدادات حول ذلك المجىء . حتى أهم نواحى النشاط البشرى وأعز العلاقات الإنسانية ينبغى أن يضحى بها إذا كان بقاؤها يعرقل هذا التركيز .

أو يضعف من قوته أو يقلل من سرعته . فلا ينبغى أن تكون هناك أية رابط تعطل الإنسان عن طاعة المسيح عندما يأمره بالقيام والسير . . ولا ينبغى أن يفكر الإنسان فى إرضاء أى شخص آخر سوى المسيح . ولو أن بولس كان يفكر أنه هو وسائر المؤمنين سيعيشون فى وضع دائم أو مستمر لما كتب ما كتبه هنا . وفى الوقت الذى كتب فيه رسالته إلى الأفسسيين كان قد أدرك استمرار ودوام الأوضاع الإنسانية ، ومن ثم اعتبر الزواج أثمن وأعظم العلاقات ، بل واعتبروه العلاقة الوحيدة التى يمكن أن تكون نموذجاً ومثلا ـ ولو باهتاً ضعيفاً ـ معادلا لعلاقة المسيح بالكنيسة .

وبالنسبة إلينا ، نحن يجب أن يكون البيت هو دائماً بحق ، المكان الذى يؤدى لنا شيئين : فهو المكان الذى نجد فيه أنبل فرصة لنحيا حياة مسيحية . ولكن المؤسف حقاً أن يصبح ، فى مرات كثيرة ، المكان الذى فيه يستطيع كل واحد أن يشاكس وأن ينتقد وأن يكون فظاً خشن الطباع ومن المؤسف أيضاً أننا نعامل فى البيت الذين يحبوننا بطريقة لا نجرؤ أن نعامل بها الغرباء عنا . والبيت ثانياً هو المكان الذى نستمد من راحته وحلاوته القوة التى تمكننا من أن نتمتع بالشركة والرابطة الوثيقة وأن نحيا كما ينبغى أن نكون فى هذا العالم .

وفى هذا الأصحاح ينظر بولس إلى الزواج باعتباره فى المقام الثانى من حيث الأفضلية ، لأنه كان يعتقد أن عمر الحياة لم يبق عليه سوى أيام قليلة ولكن الأمر لم يستمر فقد جاء اليوم الذى نظر فيه بولس إلى الزواج باعتباره أحلى وأعظم علاقة إنسانية على هذه الأرض .

الزواج ثانية

الْمَرْأَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِالنَّامُوسِ مَا دَامَ رَجُلُهَا حَيًّا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَ رَجُلُهَا فَهِيَ حُرَّةٌ لِكَيْ تَتَزَوَّجَ بِمَنْ تُرِيدُ فِى الرَّبِّ فَقَطْ . وَلَكِنَّهَا أَكْثَرُ غِبْطَةً إِن لَبِثَتْ هَكَذَا بِحَسَبِ رَأْيِى وَأَظُنُّ أَنِّى أَنَا أَيْضاً عِنْدِى رُوحُ اللهِ .

(١ كورنثوس ٧ : ٣٩ ، ٤٠)

يعود بولس هنا فيؤكد تمسكه بوجهة نظره . ونراه هنا يعتبر الزواج علاقة لا يمكن فصلها إلا بالموت . ومع أن زواج الأرملة أمر مسموح به ولكن بولس هنا يفضل لها أن تظل كما هى — وهو هنا يتحدث فى ضوء الوضع الذى كان يعتبره مجرد حالة طوارىء موقتة يعيش فيها الناس فى ذلك العصر .

ومن نواح كثيرة يمكن اعتبار الزواج الثانى تحية أو مجاملة من الشريك الذى يبقى على قيد الحياة للشريك الآخر الذى رحل عنه ؛ لأن الزواج الثانى معناه أن الحياة بعده أو بعدها أصبحت موحشة لا تطاق ؛ وهو يعنى أيضاً أن الحياة معه كانت سعيدة حتى أنه يرغب فى أن يتزوج مرة ثانية ليتمتع بسعادة مماثلة : وهكذا يمكن اعتبار الزواج ثانية ، ليس تحقيراً للميت أو إزدراء به ، ولكنه تشريف له ودليل احترامه وتوفيره .

ويضع بولس لذلك شرطاً واحداً — إنه يجب أن يكون زواجاً فى الرب فقط ، أى أن يكون زواجاً بين أناس مسيحيين . فن الندرة بمكان أن ينجح زواج إذا كان أحد الشريكين فيه غير مؤمن . ومنذ زمان طويل قال بلوتارك الحكيم اليونانى القديم ، إن « الزواج لا يمكن أن يكون سعيداً إلا إذا كان دين الزوج والزوجة واحداً » . إن أعلى درجات الحب تتأتى عندما يحب إثنان

من الناس أحدهما الآخر ، وعندما يتقدس حبهما بحب مشترك للمسيح . لأنهما حينئذ لا يعيشان معاً فقط ، ولكنهما يصليان معاً أيضاً ؛ وهكذا تتحد الحياة والمحبة لتكونا عبادة واحدة مستمرة لله .

• • •

تعالج الأصحاحات ٨ ، ٩ ، ١٠ مشكلة قد تبدو بعيدة عنا تماماً . ولكنها كانت بالنسبة للمسيحيين فى كورنثوس مشكلة حقيقية معقدة جداً ، وتتطلب حلا صريحاً لها . هذه المشكلة هى أكل اللحم الذى ذبح للأوثان وقبل أن نبدأ دراسة هذه الأصحاحات بالتفصيل يحسن بنا أن نشرح موضوع المشكلة والخطوط العريضة للحلول التى قدمها بولس إزاء الحالات العديدة التى اضطر المسيحيون فيها إلى مواجهتها .

كان تقديم الذبائح للآلهة جانباً مكملا أو متمماً للحياة فى ذلك العصر القديم . وكانت الذبائح نوعين ، خاصة وعامة . وفى كلا النوعين لم يكن الحيوان كله يحرق على المذبح . ولكن فى أغلب الأوقات كان يكتفى بحرق جزء صغير جداً منه ، مثل بعض شعيرات من جبهته ، كمجرد رمز أو إشارة وفى الذبيحة الخاصة ، كان الحيوان المذبوح يقسم إلى ثلاثة أجزاء . الجزء الأول صغير رمزى يحرق على المذبح . والثانى يأخذه الكهنة نصيباً شرعياً لهم ،وهو عبارة عن الضلوع والفخذ والجانب الأيسر من الوجه . أما ما يتبقى بعد ذلك فيأخذه العابد لنفسه ويقيم به وليمة . وكان هذا يحدث خاصة فى بعض المناسبات كحفلات الزفاف مثلا . وكانت هذه الولائم تقام أحياناً فى بيت صاحب الذبيحة وأحياناً أخرى فى هيكل الإله الذى قدمت الذبيحة له . ولقد عثر ، على ورقة بردى مكتوب عليها دعوة للغذاء جاء فيها : « أنطونيوس ابن بطليموس يدعوكم للغذاء معه على مائدة إلهنا سيرابيس » وكان سيرابيس هو الإله الذى قدمت الذبيحة له . وكانت المشكلة التى واجهت المسيحى هى

« هل يمكنه أن يشترك فى مثل هذه الوليمة ؟ وهل يمكن أن يضع فى فمه لحماً سبق أن قدم لوثن أو لإله من آلهة الأصنام ؟ » . وإذا لم يكن هذا ممكناً ، فمعنى هذا واضح تماماً ، وهو أنه سيعزل نفسه عزلا تاماً تقريباً عن كل المناسبات الاجتماعية .

أما فى حالة الذبيحة العامة ، أى الذبيحة التى تقدمها الدولة — وقد كانت مثل هذه الذبائح شائعة جداً — فانه بعد حرق الجزء الرمزى اللازم على مذبح الوثن ، وبعد أن يأخذ الكهنة نصيبهم ، كان اللحم الباقى يعطى للقضاة والحكام الذين كانوا يأخذون ما يريدونه ثم يبيعون مالا يحتاجون إليه للمحلات التجارية والأسواق . ومن ثم فحتى اللحم الذى كان يشترى من السوق كان مذبوحاً أيضاً لوثن من الأوثان أو لأحد آلهة الأصنام . ولذلك لم يكن ممكناً لأى واحد أن يجزم إذا كان اللحم الذى يأكله هو قطعة من ذبيحة سبق تقديمها لوثن أم لا .

والذى زاد الأمور تعقيداً هو أن الناس فى ذلك العصر كانوا يعتقدون اعتقاداً قوياً بوجود الشياطين والأرواح النجسة من حولهم ، الأمر الذى كان يملأ حياتهم بالرعب والخوف . وكانوا يعتقدون أن الهواء زاخر بعدد كبير من الشياطين والأرواح النجسة ، التى كانت دائماً تتربص بهم وتكمن لهم ، تحاول أن تدخل أجسامهم ، وأنها متى دخلت جسم إنسان فانها تؤذى جسده ، وتربك عقله ، وتجعل تفكيره مشوشاً مضطرباً . وكانوا يعتقدون أن الطعام هو من الوسائل التى تستطيع بها هذه الأرواح أن تدخل جسم الإنسان ، وأنها لذلك كانت تستقر على الطعام وتدخل جسم الإنسان عندما يدخل الطعام فمه ثم يمضى إلى جوفه . وكانوا يتجنبون ذلك ويتحاشونه بأن يهبوا اللحم لإله طيب ، ظناً منهم أن وجود ذلك الإله الطيب فى اللحم سيقف حائلا وحاجزاً

فى وجه الروح الشرير . ولهذا السبب ، كانت كل الحيوانات تقريباً توهب أو تكرس لإله ماقبل ذبحها . وإذا لم يفعلوا ذلك فانهم يباركون اللحم ، قبل الأكل ، باسم إله من الآلهة ، حتى يكون هذا بمثابة دفاع ضد الأرواح النجسة ، ونتج عن كل ذلك أنه كان من الصعب جداً أن يأكل إنسان مالحماً ، دون أن يكون ذلك اللحم مرتبطاً بطريقة ما بإله من آلهة الأوثان ، فترى هل يأكل المسيحى هذا اللحم أم لا ؟ كانت تلك هى المشكلة . ومع أن الأمر قد يبدو لنا تافهاً لا يستحق سوى إهتمام علماء العاديات الذين يبحثون فى الآثار القديمة ، لكنه كان بالنسبة لمسيحى كورنثوس أو أية بلدة يونانية أخرى مشكلة شاملة . يجب أن يبت فيها بطريقة أو بأخرى .

وتقع نصائح بولس فى فصول أو أقسام مختلفة :

١ – ففى أصحاح ٨ يضع المبدأ أنه مهما كان الأمان والطمأنينة التى يحس بهما المسيحى القوى المستنير ، ضامناً لنفسه عدم التأثر بالأوثان وآلهتها ، فانه إذا كان يومن أن الوثن هو رمز لشىء ليس له وجود إطلاقاً ، فانه ينبغى ألا يفعل أى شىء يجرح أو يوذى أو يربك ضمير أخ ليست له نفس القوة أو الاستنارة .

٢ – وفى أصحاح ٩ يتحدث الرسول عن الذين يتذرعون بمبدأ الحرية المسيحية ، فيشير إلى أنه توجد أشياء كثيرة هو حر فى أن يفعلها ، ولكنه يمتنع عن عملها لأجل خاطر الكنيسة . ومعنى هذا أنه كما يعى ماله من الحرية المسيحية جيداً ، كذلك ينبغى أن يعى ما عليه من المسئولية المسيحية بهذا القدر عينه .

٣ – وفى أصحاح ١٠ : ١ – ١٣ يتحدث عن الذين زعموا وأعلنوا أن معرفتهم المسيحية ، ومركزهم الممتاز ، يجعلانهم آمنين تماماً من خطر أية

عدوى ويستشهد على ذلك الإسرائيلين الذين كانت لهم كل إمتيازات شعب الله المختار ومع ذلك سقطوا فى الخطية .

٤ — وفى أصحاح ١٠ : ١٤ — ٢٢ يستخدم بولس حجة أخرى وهى أن الشخص الذى جلس إلى مائدة الرب لا يستطيع أن يجلس إلى مائدة إله من آلهة الأوثان ، إذ لا يستطيع أحد أن يشرب كأس الرب وكأس شياطين ، ولا يقدر أن يشترك فى مائدة الرب وفى مائدة شياطين .

إن هنالك شيئاً أساسياً خاطئاً عندما تتناول الشفاه من جسد المسيح ودمه ثم تعود فتتناول لحماً مذبوحاً لإله مزيف .

٥ — وفى أصحاح ١٠ : ٢٣ — ٢٦ ينصح الرسول بعدم التدفق المفرط فى الفحص ، وكل واحد يستطيع أن يشترى كل ما يباع فى الملحمة دون أن يسأل أو يفحص عن شيء من أجل الضمير .

٦ — وفى أصحاح ١٠ : ٢٧ ، ٢٨ يتحدث الرسول عن مشكلة التصرف فى بيت خاص . ويقول إنه إذا دعى المسيحى إلى بيت خاص فعليه أن يأكل من كل ما يقدم له دون أن يتقدم بأية أسئلة ، ولكن إذا أعلمه أحد عمداً أن اللحم الذى أمامه قد ذبح لوثن ، فان هذا الأعلان يعتبر تحدياً لمركزه كمسيحى ، وعليه ، فى هذه الحالة ، أن يمتنع عن أكله .

٧ — وأخيراً فى أصحاح ١٠ : ٢٩ إلى أصحاح ١١ : ١ يضع الرسول مبدأ للسلوك المسيحى وهو أن يكون سلوك المسيحى بلا لوم حتى لا يكون عثرة لليهود أو لغير اليهود . فمن الأفضل أن يضحى المسيحى بحقوقه من أن تكون هذا الحقوق سبباً فى عثرة الآخرين .

والآن لنتقدم إلى دراسة هذه الأصحاحات بشيء من التفصيل .

نصيحة للعلماء والحكماء

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ فَنَعْلَمُ أَنَّ لَجَمِيعِنَا عِلْماً. الْعِلْمُ يَنْفُخُ وَلَكِنَّ الْمَحَبَّةَ تَبْنِي . فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْرِفُ شَيْئاً فَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئاً بَعْدُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ وَلَكِنْ إِن كَانَ أَحَدٌ يُحِبُّ اللهَ فَهَذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَهُ . فَمِنْ جِهَةِ أَكْلِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ وَأَنْ لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ إِلاَّ وَاحِداً . لأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى آلِهَةً سِوَاءٌ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ كَمَا يُوجَدُ آلِهَةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ . لَكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ . وَرَبٌّ وَاحِدٌ يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ . وَلَكِنْ لَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْجَمِيعِ . بَلْ أُنَاسٌ بِالضَّمِيرِ نَحْوَ الْوَثَنِ إِلَى الآنَ يَأْكُلُونَ كَأَنَّهُ مِمَّا ذُبِحَ لِوَثَنٍ . فَضَمِيرُهُمْ إِذْ هُوَ ضَعِيفٌ يَتَنَجَّسُ ، وَلَكِنَّ الطَّعَامَ لاَ يُقَدِّمُنَا إِلَى اللهِ . لأَنَّنَا إِنْ أَكَلْنَا لاَ نَزِيدُ وَإِنْ لَمْ نَأْكُلْ لاَ نَنْقُصُ . وَلَكِنِ انْظُرُوا لِئَلاَّ يَصِيرُ سُلْطَانُكُمْ هَذَا مَعْثَرَةً لِلضُّعَفَاءِ. لأَنَّهُ إِنْ رَآكَ أَحَدٌ يَا مَنْ

لَهُ عِلْمٌ مُتَّكِئاً فِى هَيْكَلِ وَثَنٍ أَفَلاَ يَتَقَوَّى ضَمِيرُهُ إِذْ هُوَ ضَعِيفٌ حَتَّى يَأْكُلَ مَا ذُبِحَ لِلْأَوْثَانِ . فَيَهْلِكَ بِسَبَبِ عِلْمِكَ الأَخُ الضَّعِيفُ الَّذِى مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِهِ . وَهَكَذَا إِذْ تُخْطِئُونَ إِلَى الإِخْوَةِ وَتَجْرَحُونَ ضَمِيرَهُمُ الضَّعِيفَ تُخْطِئُونَ إِلَى الْمَسِيحِ . لِذَلِكَ إِنْ كَانَ طَعَامٌ يُعْثِرُ أَخِى فَلَنْ آكُلَ لَحْماً إِلَى الأَبَدِ لِئَلاَّ أُعْثِرَ أَخِى .

(١ كورنثوس ص ٨)

فيما سبق رأينا الصعوبة التى تواجه إنساناً يعيش فى أية مدينة يونانية وخاصة مشكلة أكل اللحم المذبوح للأصنام وللآلهة الوثنية ، غير أن بعضاً من الكورنثيين لم يكن الأمر مشكلة فى نظرهم . وكانوا يستندون فى ذلك إلى أن علمهم الغزير ، وأفق إدراكهم الواسع واعتقادهم أن الآلهة الوثنية ليس لها وجود بالمرة ، وأنه لذلك يمكن للمسيحى أن يأكل اللحم المذبوح للأوثان دون أدنى تبكيت أو تأنيب من الضمير . والواقع أن بولس يقدم ردين على هذا الكلام ، أحدهما مذكور فى أصحاح ١٠ : ٢٠ .

وفيه يوضح بولس أنه وإن كان يوافق تماماً على أن الآلهة الوثنية لا وجود لها ، لكنه متأكد تماماً أن الشياطين والأرواح موجودة ، وأن هذه الشياطين والأرواح موجودة فعلا خلف الأوثان والأصنام ، وأنها تستخدمها لتضليل الناس وإغوائهم وإبعادهم عن عبادة الإله الحقيقى . أما فى هذا الفصل الذى أمامنا (أصحاح ٨) فان بولس يقدم حجة أبسط من هذه بكثير : فهو يقول إنه كان فى كورنثوس — حتى ذلك الوقت — أناس يعتقدون بحقيقة وجود الأصنام والآلهة الوثنية ؛ وإن هؤلاء الناس البسطاء لم يستطيعوا أن

ينتزعوا من أنفسهم هذه العقيدة كلية ، بل ظلت ملازمة لهم إلى حدما ؛ وكان هؤلاء الناس ، كلما أكلوا من اللحم المذبوح للأوثان ، يشعرون بتأنيب ضمائرهم لهم . ومع أنهم أحسوا بالسليقة أنهم كانوا مخطئين فى عقيدتهم هذه وأن هذا التأنيب لامبرر له ، لكنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا منه أو يقاوموه لذلك يقول بولس : إنه وإن كنتم تعتقدون بأنه لا ضرر أو خطر عليكم إطلاقا من أكل اللحم المذبوح للوثن ، فانكم فى الحقيقة تضرون وتؤذون وتربكون ضمائر أولئك الناس البسطاء . وبذلك يأتى بولس إلى حجته القاطعة فى هذا الأمر ، ويذكر مبدأ هاماً يحسم كل مجادلة ، فيقول إنه إذا كان شىء مايؤذى الآخرين ، حتى وإن كان لايؤذيك أنت ، فانه ينبغى عليك أن تتركه وتتخلى عنه . فان المسيحى لا ينبغى أن يعمل أى شىء يسبب عثرة لأخيه .

وفى هذا الفصل الذى يعالج موضوعاً يبدو أنه بعيد عنا وأنه لايخص عصرنا ، توجد ثلاثة مبادىء عظيمة ستظل مناسبة ولازمة لكل المؤمنين أبداً ودوماً .

١ — إن ما هو مأمون بالنسبة لشخص ما قد لا يكون مأموناً تماماً بالنسبة لشخص آخر . ولقد قيل — وهذه حقيقة مباركة — إن الله له سلم سرى خاص يصل به إلى كل قلب ، ولكن من الناحية الأخرى — وهذا أيضاً حق — إن الشيطان له طريق سرى خبيث يصل به ، بالحيلة والخداع ، إلى كل قلب . فقد نكون نحن أقوياء نستطيع أن نواجه التجربة وأن نقاومها ، ولكن قد يكون هناك آخرون لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك وقد يكون هناك شىء ما لانرى فيه بالنسبة إلينا أى إغراء أو غواية ، بينما يصبح بالنسبة لأشخاص آخرين ، تجربة عنيفة أو إغراء مثيراً . ولذلك ، فقبل أن نقرر عمل شىء ما ، أو عدم عمله ، يجب أن نفكر أولا فى تأثير ما نعمله ، ليس علينا نحن فحسب ، بل على الآخرين أيضاً .

٢ — يجب ألا يقتصر حكمنا على أى شىء من وجهة نظر العلم أو المعرفة

فحسب ، بل يجب أن نحكم على كل شيء من وجهة نظر المحبة أيضاً . لقد كانت حجة المسيحيين المتقدمين في المعرفة أنهم ، بما كان لهم من علم ومعرفة أكبر من أن يعاملوا الأوثان كما لو كانت شيئاً يذكر أو يستحق الإعتبار . إلا أن علمهم هذا ذهب بهم إلى ما هو أبعد من ذلك . إن هناك خطراً معيناً يتردى فيه العلماء ، هو خطر الانتفاخ والتعاظم .

فالعلم قد يجعلهم متكبرين متعجرفين ؛ وقد يدفعهم إلى احتقار الذين هم من دونهم في العلم والمعرفة ، وقد يجعلهم يجفون ويقسون على من يعتبروهم جهلاء ، فلا يترفقون بهم أو يعطفون عليهم . حقاً إن العلم الذي يدفع الإنسان إلى هذا الحد ليس علماً حقيقياً ، ولكنه إحساس خاطىء بالتفوق الفكرى ، وهو في الحقيقة شيء خطير . إن سلوكنا تجاه الآخر يجب ألا يحكمه مالنا من علم ومعرفة أكثر منهم ، بل ما في قلوبنا من محبة نحوهم ، هذه المحبة التي يجب أن تكون مترفقة ، متأنية ، موآسية ، ومتعقلة أيضاً . وقد يتطلب الأمر منا ، لأجل خاطر الآخرين ، أن نمتنع عن عمل أو قول لاغبار عليه سوى أنهم يتعثرون منه .

٣ — كل هذا يقودنا إلى الحقيقة العظمى لكل شيء ، وهي أنه ليس من حق أحد أن يستمتع بمسرات معينة أو يمارس حريته في عمل أشياء قد تكون عثرة لشخص آخر أو سبباً لتحطيم حياته . وبما يكون للشخص الأول من قوة التفكير وصلابة العزيمة ما يجعله يستمتع بهذه المسرات في حدودها الصحيحة غير المعيبة ؛ وربما تكون كل تصرفاته هذه مأمونة العواقب بالنسبة إليه ، ولكنه في كل شيء وعند كل تصرف ينبغي ألا يفكر في نفسه فقط ، بل يجب أن يفكر أيضاً في أخيه الضعيف . إن أية لذة أو مسرة ننغمس فيها أو نتمتع بها ، وتكون سبباً في تحطيم حياة إنسان آخر أو تعثره ، لا تصبح لذة أو مسرة بل تصبح خطية .

الامتيازات التى لا يطالب بها

أَلَسْتُ أَنَا رَسُولاً . أَلَسْتُ أَنَا حُرًّا . أَمَا رَأَيْتُ يَسُوعَ الْمَسِيحَ رَبَّنَا أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ عَمَلِي فِى الرَّبِّ . إِنْ كُنْتُ لَسْتُ رَسُولاً إِلَى آخَرِينَ فَإِنَّمَا أَنَا إِلَيْكُمْ رَسُولٌ لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ خَتْمُ رِسَالَتِي فى الرَّبِّ . هَذَا هُوَ احْتِجَاجِي عِنْدَ الَّذِينَ يَفْحَصُونَنِى . أَلَعَلَّنَا لَيْسَ لَنَا سُلْطَانٌ أَنْ نَأْكُلَ وَنَشْرَبَ . أَلَعَلَّنَا لَيْسَ لَنَا سُلْطَانٌ أَنْ نَجُولَ بِأُخْتٍ زَوْجَةً كَبَاقِى الرُّسُلِ وَإِخْوَةِ الرَّبِّ وَصَفَا . أَمْ أَنَا وَبَرْنَابَا وَحْدَنَا لَيْسَ لَنَا سُلْطَانٌ أَنْ لاَ نَشْتَغِلَ . مَنْ تَجَنَّدَ قَطُّ بِنَفَقَةِ نَفْسِهِ . وَمَنْ يَغْرِسُ كَرْماً وَمِنْ ثَمَرِهِ لا يَأْكُلُ . أَوْ مَنْ يَرْعَى رَعِيَّةً وَمِنْ لَبَنِ الرَّعِيَّةِ لا يَأْكُلُ . أَلَعَلِّى أَتَكَلَّمُ بِهَذَا كَإِنْسَانٍ أَمْ لَيْسَ النَّامُوسُ أَيْضاً يَقُولُ هَذَا . فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ فى نَامُوسِ مُوسَى لا تَكُمَّ ثَوْراً دَارِساً . أَلَعَلَّ اللهَ تُهِمُّهُ الثِّيرَانُ . أَمْ يَقُولُ مُطْلَقاً مِنْ أَجْلِنَا . إِنَّهُ مِنْ أَجْلِنَا مَكْتُوبٌ . لأَنَّهُ يَنْبَغِى لِلْحَرَّاثِ أَنْ يَحْرُثَ عَلَى رَجَاءٍ

وَلِلدَّارِسِ عَلَى الرَّجَاءِ أَنْ يَكُونَ شَرِيكاً فِى رَجَائِهِ . إِنْ كُنَّا نَحْنُ قَدْ زَرَعْنَا لَكُمْ الرُّوحِيَّاتِ أَفَعَظِيمٌ إِنْ حَصَدْنَا مِنْكُمْ الْجَسَدِيَّاتِ . إِنْ كَانَ آخَرُونَ شُرَكَاءَ فِى السُّلْطَانِ عَلَيْكُمْ أَفَلَسْنَا نَحْنُ بِالأَوْلَى . لَكِنَّنَا لَمْ نَسْتَعْمِلْ هَذَا السُّلْطَانَ بَلْ نَتَحَمَّلُ كُلَّ شَيْءٍ لِئَلاَّ نَجْعَلَ عَائِقاً لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ . أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِى الأَشْيَاءِ الْمُقَدَّسَةِ مِنَ الْهَيْكَلِ يَأْكُلُونَ . الَّذِينَ يُلاَزِمُونَ الْمَذْبَحَ يُشَارِكُونَ الْمَذْبَحَ . هَكَذَا أَيْضاً أَمَرَ الرَّبُّ أَنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَ بِالإِنْجِيلِ مِنَ الإِنْجِيلِ يَعِيشُونَ .

(١ كورنثوس ٩ : ١ – ١٤)

قد يبدو هذا الفصل لأول وهلة أنه غير مرتبط بما قبله ، ولكن الحقيقة غير ذلك . فان النقطة الرئيسية التى يدور حولهـا الكلام هنا هى أن الكورنثيين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم مسيحيين متقدمين وناضجين ، كانوا يزعمون لهذا السبب أن لهم الحق والامتياز أن يأكلوا مما يذبح للاوثان إذا أرادوا ذلك . وظنوا أن الامتيازات المسيحية والحرية المسيحية تعطيهم الحق أن يعملوا أشياء لا يحل عملها لسائر الناس الذين دونهم . وكانت طريقة بولس فى رده عليهم هى أن يعدد لهم الامتيازات الكثيرة ، التى كان له شخصياً كل الحق فى أن يطالب بها ؛ ولكنه لم يطالب بها خشية أن تكون أحجار عثرة أمام الآخرين ، أو عوائق تعطل تأثير وفاعلية الإنجيل .

وأول هذه الامتيازات التى ينسبها بولس إلى نفسه كونه رسولا وهذا يجعله فى وضع خاص جداً وهو يستخدم حجتين ليبرهن بهما حقيقة ارساليته :

١ – فهو قد رأى الرب . ومما ذكر مراراً وتكراراً فى سفر الأعمال ، يتضح لنا أن البرهان الأعظم على صدق إرسالية أى رسول أن يكون شاهداً للقيامة . (أعمال ١ : ٢٢ ؛ ٢ : ٣٢ ؛ ٣ : ١٥ ؛ ٤ : ٣٣) . وهذه الحقيقة لها أهميتها العظمى ، فإن الإيمان فى العهد الجديد ليس إقتناعاً بعقيدة ، أو قبولا لمذهب ، ولكنه إيمان فى شخص . ولا يقول بولس « إننى عالم بما آمنت » ولكنه يقول : « إننى عالم بمن آمنت » (٢ تيموثاوس ١ : ١٢) . وعندما دعا يسوع تلاميذه لم يقل لهم : « إن لى فلسفة خاصة تعالوا امتحنوها » أو « إن لى نظاماً أخلاقياً معيناً أريدكم أن تعيروه إهتمامكم وتتبعوه » أو « إنى أقدم لكم بياناً للايمان أحب أنكم تناقشونه وتدرسونه » . ولكنه كان يدعو كل واحد من تلاميذه قائلا : « اتبعنى » . إن المسيحية تبدأ من هذه العلاقة الشخصية بيسوع المسيح ، ولكى يكون الإنسان مسيحياً يجب أن يتعرف به شخصياً . كما قال كارليل ، بمناسبة اختيار خادم لإحدى الكنائس « إن الكنيسة تحتاج – قبل أى إعتبار آخر – إلى شخص يعرف المسيح » . إن كل شىء آخر يبدأ بهذه العلاقة الشخصية .

٢ – والحجة الثانية التى يذكرها بولس هى أن خدمته ورسالته كانت ناجحة وفعالة . وكان الكورنثيون أنفسهم هم برهان هذا النجاح . فهو يدعوهم « ختم رسالته » . وكان الختم قديماً على جانب كبير من الأهمية . فعندما كانت ترسل شحنة من الحبوب أو البلح أو ما إلى ذلك ، كان آخر شىء يعمل هو أن تختم الجولات والزكائب بأختام تبين أن البضاعة سليمة وأنها غير مغشوشة وعندما كانت الوصية تكتب كانت تختم بسبعة أختام ، ولم تكن تعتبر نافذة المفعول إلا إذا قدمت بأختامها السبعة كاملة وصحيحة . أى أن الختم كان هو ضمان الحقيقة وعدم الغش أو التقليد . وقد كانت حقيقة وجود كنيسة

كورنثوس هى ضمان إرسالية بولس . فان البرهان النهائى الحاسم على أن إنساناً ما يعرف المسيح هو أن هذا الإنسان يستطيع أن يأتى بآخرين إلى المسيح . وهذا يذكرنا بما قيل مرة أن جندياً شاباً كان يرقد متألماً من جراحه فى المستشفى الذى كانت تعمل به فلورنس نايتنجيل . وعندما كانت فلورنس تنحنى لتعتنى به وتضمد جراحه كان يقول لها : « إننى أرى المسيح فيك » . إن أفضل برهان على حقيقة مسيحية إنسان ما ، هو أنه يساعد الآخرين على أن يكونوا هم مسيحيين أيضاً .

وكان الامتياز الذى من حق بولس أن يطالب به هو أن تتكفل الكنيسة باحتياجاته الجسدية . وكان فى إمكانه أن يطالب بهذا الحق ، وليس شخصه فحسب ، بل ولزوجه أيضاً . والحقيقة أن الرسل الآخرين طالبوا فعلا بمثل هذا الامتياز ونالوا فعلا كل ما كانوا يحتاجون إليه . وقد كان اليونانيون يحتقرون العمل اليدوى ؛ ولم يكن هناك أى يونانى حر يرحب بأن يشتغل بيديه . وأعلن أرسطوطاليس الفيلسوف أن كل الناس كانوا ينقسمون إلى قسمين : قسم المثقفين الحكماء والقسم الآخر هم الذين كانوا يعيشون فقط ليؤدوا الأعمال الحقيرة أو البسيطة التى يحتاج إليها الآخرون من القسم الأول . وقال أرسطو طاليس إنه من الخطأ أن تعمل أية محاولة لتعليم هذه الفئة من الناس أو لرفع مستواهم . وكان خصوم سقراط وأفلاطون فى الحقيقة يعيرونهما لأنهما لم يكونا يأخذان مالاً نظير تعليمهما للناس . وكان أولئك الخصوم يقولون إن سبب ذلك هو أن تعاليمهما لم تكن تساوى شيئاً حقاً أن كل حاخام أو حبر يهودى كان مفروضاً ألا يتقاضى شيئاً نظير تعليمه للناس ، وأن تكون له حرفة يكسب من ورائها قوته اليومى . ولكن هؤلاء الحاخامات أو الأحبار كانوا حريصين جداً على أن يقرروا فى أذهان الناس أنه لم يكن هناك عمل يستحق كل التقدير أكثر من القيام باعالة الحاخام ، وتزويده بكل

إحتياجاته الجسدية ، حتى أن الشخص الذى كان يرغب فى ضمان مكان مريح لنفسه فى السماء كان عليه أن يحرص على إمداد الحاخام بكل لوازمه وإحتياجاته. وهكذا نرى أن بولس ، من كل وجه ، كان من حقه أن يطالب بامتياز تكميل الكنيسة بكل لوازمه .

ويستخدم بولس لتأكيد وجهة نظره أمثلة بشرية عادية . فليس من التزامات الجندى أن يدبر طعامه الخاص ، كذلك جندى المسيح ، الذى يخوض المعركة ضد قوى الشر لا ينبغى أن ينشغل بطعامه . فالذى يغرس كرما يأكل من ثمره كذلك الذى يغرس كنائس يجب أن يأكل من ثمر غرسه . والذى يرعى رعية يأكل من لبنها . كذلك الراعى المسيحى يجب أن تتكفل رعيته بشئون معيشته . حتى كلمة الله فى الكتاب المقدس تعلمنا ألا نكم الثور فى دراسه ، بل يجب أن يسمح له بالأكل من الحبوب (تثنية ٢٥ : ٤) ويستعير بولس هذا المثل باعتباره ينطبق على المعلم والمبشر المسيحى .

وكان الكاهن الذى يخدم فى الهيكل فى أورشليم يقبل نصيبه من مختلف الذبائح والتقدمات ويعيش عليها . وكانت هناك — فضلا عن البكور والعشور والعطايا المختلفة — خمس ذبائح رئيسية : ذبيحة المحرقة ، وذبيحة الخطية ، وذبيحة الإثم ، وقربان التقدمة ، وذبيحة السلامة . وكان للكاهن نصيب معين وبنسب تتفاوت من كل هذا . وكان ذلك فى ذهن بولس عندما رفض أن يقبل من الكنيسة حتى لوازم الحياة الأساسية . ويرجع رفضه هذا إلى سببين :

١ — كان الكهنة مضغة فى أفواه الناس . فبينما كانت العائلة اليهودية العادية تأكل اللحم مرة واحدة فى الأسبوع ، كان الكهنة يعانون من مرض أصبح ملازماً لوظيفتهم ، وسببه هو كثرة أكل اللحم . وكان بولس يعرف كل شىء عن حقوقهم وإمتيازاتهم وترفههم فى حياتهم وجشعهم الذى أصبح صيته قبيحاً . وكان يعرف أنهم استخدموا الدين ليكون مجرد وسيلة

يستغلونها ليأكلوا حتى يسمنوا . ولذلك قرر أن يتطرف إلى الدرجة القصوى على النقيض من ذلك ، فلا يأخذ شيئاً البتة . وبعبارة أخرى كانت سمعة الكهنة السيئة وسلوكهم المشين سبباً جعل بولس يرفض أية مساعدة إطلاقاً .

٢ — والسبب الثانى كان راجعاً إلى ميل بولس الواضح إلى حياة الاستقلال والاعتماد على النفس . ويبدو أنه تطرف فى هذا أكثر من اللازم إلى درجة أساءت إلى مشاعر الكورنثيين برفضه كل مساعدة منهم . ولكن بولس كان أحد الذين يعشقون حياة الاستقلال ، والذين يفضلون أن يموتوا جوعاً عن أن يكونوا تابعين أو خاضعين لأحد .

ومجمل القول إن هناك شيئاً واحداً كان يوجه كل سلوك بولس ويحدد تصرفاته ؛ وهو أنه لم يكن يريد أن يعمل أى شىء قد يجلب اللوم على الإنجيل ، أو يعوق تقدمه وإنتشاره . فإن الناس دائماً يحكمون على الرسالة من حياة الشخص الذى ينادى بها ويدعو إليها . وكان بولس مصمماً على أن تكون يداه طاهرتين ، وعلى ألا يسمح لأى شىء فى حياته أن يناقض أو يعطل الرسالة التى يحملها بشفتيه . ولذلك لم يستطع أى واحد أن يقول لبولس ماقاله أحدهم مرة لواعظ : « إننى لا أستطيع أن أسمع ماتقوله ، لأن صوت ما أنت عليه وما تفعله أعلى بكثير من صوت كلامك » .

الامتياز والالتزام

أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَسْتَعْمِلْ شَيْئاً مِنْ هَذَا . ولا كَتَبْتُ هَذَا لِكَيْ يَصِيرَ فِيَّ هكَذَا . لأَنَّهُ خَيْرٌ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنَ أَنْ يُعَطِّلَ أَحَدٌ فَخْرِي . لأَنَّهُ إِنْ كُنْتُ أُبَشِّرُ فَلَيْسَ لِي فَخْرٌ إِذِ الضَّرُورَةُ مَوْضُوعَةٌ عَلَيَّ . فَوَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لا أُبَشِّرُ . فَإِنَّهُ إِنْ

كُنْتُ أَفْعَلُ هَذَا طَوْعاً فَلِي أَجْرٌ . وَلَكِنْ إِنْ كَانَ كَرْهاً فَقَدِ ٱسْتُؤْمِنْتُ عَلَى وَكَالَةٍ . فَمَا هُوَ أَجْرِى إِذْ وَأَنَا أُبَشِّرُ أَجْعَلُ إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ بِلاَ نَفَقَةٍ حَتَّى لَمْ أَسْتَعْمِلْ سُلْطَانِى فِى الإِنْجِيلِ . فَإِنِّى إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِنَ الْجَمِيعِ ٱسْتَعْبَدْتُ نَفْسِى لِلْجَمِيعِ لِأَرْبَحَ الأَكْثَرِينَ.فَصِرْتَ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِىٍّ لِأَرْبَحَ الْيَهُود . وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّى تَحْتَ النَّامُوسِ لِأَرْبَحِ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوس . وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأَنِّى بِلاَ نَامُوسٍ .مَعَ أَنِّى لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ لِلَّهِ بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ . لِأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ ـ صِرْتُ لِلضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لِأَرْبَحَ الضُّعَفَاءَ . صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَىْءٍ لِأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْماً . وَهَذَا أَنَا أَفْعَلُهُ لِأَجْلِ الإِنْجِيلِ لِأَكُونَ شَرِيكاً فِيهِ .

(١ كورنثوس ٩ : ١٥ - ٢٣)

فى هذا الفصل نرى موجزاً أو مجملا لكل مفهوم الخدمة فى نظر بولس :

١ ـ فهو يعتبر الخدمة إمتيازاً . والشىء الوحيد الذى لا يمكن أن يعمله هو أن يأخذ مالاً نظير خدمته للمسيح . وهذا يذكرنا بما قاله أستاذ أمريكى جامعى مشهور عندما تقاعد عن كرسى الأستاذية ، قال فى خطاب له : « إنى أشكر الجامعة التى ظلت طوال السنوات الماضية تدفع لى مرتباً نظير عمل كنت أرحب بسرور أن أدفع أنا أجراً له نظير السماح لى بالقيام به » .

إلا أن هذا لا يعنى أن الإنسان المؤمن يجب أن يشتغل دائماً دون مقابل ، فهناك عدة إلتزامات يتحتم عليه الوفاء بها ، ولايتسنى له ذلك إذا كان يؤدى عمله دائماً مجاناً ، ولكن معنى هذا ألا يكون الأجر المادى هو الدافع الأول والأساسى للعمل الذى يؤديه المؤمن . فهو يجب أن ينظر إلى عمله ليس باعتباره مهمة يقوم بها بقصد جمع المال ، ولكن باعتباره فرصة للخدمة . وهو يجب أن يعتبر نفسه إنساناً واجبه الأساسى والأول ليس أن يساعد نفسه ، بل إن واجبه وإمتيازه أيضاً أن يخدم الآخرين لأجل الله .

٢ ـ وهو يعتبر الخدمة واجباً وتكليفاً . ووجهة نظر بولس هنا هى أنه لو كان قد اختار بنفسه أن يعمل كارزاً بالإنجيل لجاز له أن يطالب بأجر نظير عمله . ولكن الواقع أنه لم يختر العمل بل إن العمل هو الذى اختاره .

ولم يكن فى وسعه أن يكف عن هذا العمل ، تماماً كما لم يكن فى وسعه أن يكف عن التنفس . لذلك لم يكن هناك محل للمناقشة فى مسألة الأجر بالنسبة لعمل لم يكن له الحرية فى اختياره أو رفضه .

يحدثنا رامون لل Ramon Lull القديس الأسبانى العظيم الغامض عن كيف أصبح مرسلاً للمسيح ؛ فيقول إنه كان قبلا يعيش حياة مستهترة مترفهة منغمسة فى الملذات والشهوات ثم حدث ذات يوم أنه كان بمفرده عندما جاءه المسيح حاملاً صليبه قائلا له : « إحمل هذا لأجلى » ولكنه دفع المسيح بعيداً ورفض أن يحمل صليبه . وحدث مرة ثانية أنه كان فى كاتدرائية عظيمة حيث كان السكون مخيماً عندما جاء المسيح ثانية ؛ وطلب منه مرة أخرى أن يحمل صليبه ، ولكنه رفض هذه المرة أيضا . وبعد ذلك ، وفى لحظة إنفراد ووحدة موحشة ، جاء المسيح مرة ثالثة . ويقول رامون لل : « إن المسيح فى هذه المرة نظر إلى ثم ألقى بصليبه بين يدى : ووجدت عندئذ أنه لامفر أمامى من أن

أحمل الصليب وأتبعه » وكأن بولس أراد أن يقول : « ماذا أفعل ؟ لامفر أمامى من أن أبشر الناس بانجيل المسيح ؟ » .

٣ ــ بالرغم من أن بولس لم يكن يتقاضى أجراً ، فانه كان يعلم أنه يحصل يومياً على مكافأة عظيمة . فقد كان يحس بالرضى وبالسعادة النفسية للتبشير بالإنجيل مجاناً لكل من يقبل . والواقع أن المكافأة الحقيقية لقاء أى عمل ، ليس المال الذى يحصل عليه العامل ، بل هو الرضى والإرتياح النفسى الذى يشعر به العامل عندما يجد أن عمله قد تم على أكمل وجه . وهذا هو السبب الذى من أجله يعتبر أعظم شىء فى الحياة ، ليس إختيار العمل الذى يدر أكبر أجر أو مرتب ، بل هو اختيار العمل الذى يجعلنا أكثر سعادة . وهذه السعادة تتوقف كليةً على مقدار مايبعثه هذا العمل فى نفوسنا من رضى وارتياح . ويحدثنا الدكتور شويتزر عن اللحظات التى يحس فيها بأعظم قدر من السعادة ، فيقول إنه عندما يحمل إليه فى المستشفى مريض يئن متألماً ، فانه يهدىء من روع المريض أولا ويبعث فى نفسه السكينة ويقول له إن العملية بسيطة ، وإنه لن يشعر بألم أثناءها ، لأنه سيكون شبه نائم بعد تخديره . وبعد العملية يجلس الدكتور شويتزر بجانب الرجل المريض حتى يفيق ويستعيد وعيه . ثم يفتح المريض عينيه ببطء ويهمس فى تعجب ودهشة قائلا : « إننى الآن لا أحس بالألم » . ويقول الدكتور شويتزر إن هذه هى لحظته العظيمة التى يحس فيها بالسعادة الغامرة ، فمع أنه لاتوجد هناك مكافأة مادية أو مالية ، لكن هناك الرضى العميق الذى إلى يصل أعماق القلب فيملأه بالسعادة والبهجة . إن إصلاح حياة محطمة ، وهداية ضال إلى الطريق السوى ، وشفاء قلب جريح منسحق ، واجتذاب نفس واحدة إلى المسيح ــ إن هذا كله أو بعضه ليس شيئاً يمكن أن تقدر مكافأته بمقاييس المال ، ولكنه شىء يبعث فى نفس من يفعله فرحاً لا يعبر عنه ، ويفوق كل حدود القياس .

٤ ــ وأخيراً يتحدث بولس عن أسلوب خدمته ، فيقول إن أسلوبه هو أن يصير للكل كل شيء . وليس معنى هذا أن يكون مرائياً أو منافقاً أو مختالا ، ولكن معنى هذا أن يتمشى وأن يتفاهم مع كل واحد بقدر إدراكه وحسب مستواه ، وأن يراعي ظروف الآخرين ويقدر وجهات نظرهم . فإن الشخص الذي يتعامى عن آراء وأفكار الآخرين ولا ترى عيناه شيئاً سوى ذاته هو ، والذي يتعصب لوجهات نظره دون أدنى استعداد لتفهم وجهات نظر الآخرين ، والذي يفتقر كلية إلى هبة القدرة على مواساة الآخرين ، والذي لايبذل أية محاولة ليدرك مايدور بخواطر وقلوب الآخرين ــ مثل هذا الشخص لا يصلح أبداً أن يكون راعياً أو مبشراً أو حتى صديقاً . هناك فن تحدث عنه أحدهم وسماه « فن التوافق والانسجام مع الآخرين » .

وقيل إن أحد مشاهير الواعظين كان يمتلك قدراً وفيراً من هذا الفن ؛ لأنه لم يكن محدثاً عظيماً فحسب ، بل كان أيضاً يجيد الإصغاء باهتمام إلى أي شخص ، وله قدرة فائقة على التوافق والإنسجام مع أي واحد . وقد قال عنه أحد أصدقائه إن عنده فن « قيادة الناس إلى التحدث عن موضوعاتهم المفضلة وعما يعرفونه أكثر » .

وعندما شكا قسيس إحدى القرى من غباء الناس في كنيسته ، وضيق أفقهم ، وقال بمرارة إنهم لا يعرفون الحديث إلا عن أبقارهم وأغنامهم ، أجابته سيدة عجوز قائلة : « إن الواعظ (فلان) لو كان مكانك لأجاد الحديث معهم عن أبقارهم وأغنامهم » . فبالنسبة للرجل الريفي كان الواعظ ريفياً مثله . وهكذا درب نفسه أيضاً على أن يكون مستعداً للحديث مع كل شخص في الموضوع الذي يشغل باله ويثير إهتمامه ويتعلق بعمله . فكان مثلا ، يتلذذ بالحديث عن صناعة النظارات مع صانع النظارات ، وبالحديث عن القانون مع المحامي ، وبالحديث عن تربية الخنازير مع من يقوم بتربيتها ،

وبالحديث عن الأمراض مع الطبيب ، وبالحديث عن السفن مع صانع السفن ، وهكذا . وبهذه القدرة على التوافق والإنسجام مع الآخرين استطاع أن يربح نفوساً كثيرة للمسيح . ونحن لن نستطيع أن نحقق أى نجاح فى الكرازة أو الصداقة إلا إذا كنا نتحدث مع الآخرين بلغتهم ونشاركهم فى أفكارهم التى يفكرون بها . ومادمنا لانبذل جهداً فى تفهم الآخرين ؛ ومادمنا لانعمل أية محاولة لنصل إلى نقط إتصال أو شركة معهم ، فاننا لن نستطيع أن نلتقى بهم أو نتمشى معهم فى الطريق الذى يوصلهم إلى معرفة المسيح . وهذا هو ما أدركه بولس الرسول الذى ربح نفوساً للمسيح أكثر مما ربح أى إنسان آخر . فقد وجد بولس أنه لكى ينجح فى رسالته ، عليه أن يكون للكل كل شىء . إن إحدى الضروريات العظمى التى نحتاج إليها فى خدمتنا هى ، ببساطة ، أن نتعلم فن التوافق والإنسجام مع الناس ؛ ومشكلتنا فى الغالب هى أننا لا نبذل أية محاولة فى هذا السبيل .

صراع حقيقى

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَرْكُضُونَ فِى الْمِيدَانِ جَمِيعُهُمْ يَرْكُضُونَ وَلَكِنَّ وَاحِداً يَأْخُذُ الْجَعَالَةَ . هَكَذَا أرْكُضُوا لِكَىْ تَنَالُوا ، وكلُّ مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبُطُ نَفْسَهُ فى كُلِّ شَىْءٍ . أَمَّا أُولئِكَ فَلِكَىْ يَأْخُذُوا إِكْلِيلاً يَفْنَى وَأَمَّا نَحْنُ فَإِكْلِيلاً لاَ يَفْنَى ، إِذًا أَنَا أَرْكُضُ هَكَذَا كَأَنَّهُ لَيْس عَنْ غَيْرِ يَقِين . هَكَذَا أُضَارِبُ كَأَنِّى لاَ أَضْرِبُ

الْهَوَاءَ ، بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِى وَأَسْتَعْبِدُهُ حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلْآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِى مَرْفُوضاً .

(١ كورنثوس ٩ : ٢٤ - ٢٧)

فى هذا الفصل يتحول بولس إلى الحديث عن معنى آخر . فهو يؤكد للكورنثيين الذين أرادوا أن يأخذوا الأمر مأخذاً سهلا ، أن أحداً لن يستطيع أن يحقق شيئاً إلا بالجهاد العنيف وضبط النفس وقمع الجسد واستعباده . وكان بولس دائماً يتمثل صورة الرياضيين الراكضين فى المباريات . وكان على الرياضى أن يدرب نفسه تدريباً جدياً وعنيفاً إذا كان ينوى الفوز فى المسابقات والمباريات . وكانت هذه المباريات مثيرة لاهتمام الكورنثيين ، فقد كانت الألعاب الأثميانية — التى لم تكن تفوقها أهمية سوى الألعاب الأولمبية — تجرى فى كورنثوس . وفضلا عن ذلك . إذا كان أولئك الرياضيون الذين يقضون فترة طويلة ، ويبذلون جهداً كبيراً فى التدريب وضبط النفس ، ينالون عند فوزهم إكليلا من أوراق شجر الغار ، الذى سرعان ما يذوى ويذبل ويفنى ؛ فكم بالحرى إذاً يجب على المسيحى أن يدرب نفسه ويضبطها فى كل شىء ليفوز بإكليل الحياة الأبدية .

وفى هذا الفصل يرسم بولس باختصار نوعاً من الفلسفة فى الحياة :

١ — إن الحياة معركة . وهى كما قال وليم جيمس : « إذا لم ننظر إلى هذه الحياة باعتبارها حرباً حقيقياً يجب أن ننتصر فيها ، لكى نربح للكون شيئاً خالداً نضيفه إليه ، فانها ستصبح فى نظرنا مجرد لعبة مسرحية ، يمكن أن ينسحب الواحد منها فى أى وقت . إن الحياة فى حقيقتها معركة يلزم أن نلقى فيها بكل أمانتنا ومثالياتنا » : والجندى المترهل المتراخى لا يستطيع أن يحرز نصراً فى معركة ، والمتسابق المتراخى البطىء لا يستطيع أن يحقق فوزاً

فى سبق أو مباراة ، لذلك يجب أن نعتبر أنفسنا دائماً كرجال فى حملة أو غزوة ، نسعى ونركض لتحقيق الهدف العظيم لننال الفوز ولنأخذ الجعالة .

٢ — إن النصر فى هذه المعركة ، والفوز فى هذا السباق يتطلب قدراً كبيراً من التدريب والترويض للجسد والعقل والنفس . فعلينا أن ندرب أجسادنا على النظام ؛ إن من الحقائق المهملة أو المنسية فى حياتنا الروحية أن أغلب المرات التى يصيبنا فيها الضعف والخمول الروحى ترجع إلى عدم اللياقة الجسدية . وإذا كان إنسان يريد أن يعمل شيئاً على الوجه الأكمل ، يجب أن يكون لديه الجسد القوى الصحيح . لذلك يجب أن نذكر أن إهمالنا لصحتنا الجسدية أمر فى غاية الخطورة على حياتنا الروحية . وعلينا أيضاً أن ندرب عقولنا على التفكير المنظم . فمن مآسى الحياة أن الناس يرفضون التفكير حتى يصبحوا عاجزين عنه . ونحن لا نستطيع أبداً أن نحل المشاكل برفضنا النظر إليها ، والتفكير فيها أو بهروبنا من مواجهتها . وعلينا أيضاً أن ندرب نفوسنا ، وذلك بأن نتحمل مآسى الحياة بجلد وهدوء ، وبأن نقابل تجارب الحياة بكل قوتنا التى نستمدها من قوة الله ، وبأن نواجه عوائق الحياة بشجاعة وإقدام . ولا يكاد يمر يوم من أيام الحياة دون أن تسنح لنا فرص كثيرة لتدريب نفوسنا وترويضها .

٣ — إننا فى الحياة نحتاج لأن نعرف هدفنا . إن من الأمور المحزنة فى الحياة أن كثيرين من الناس يعيشون بلا هدف أو غاية. فهم ينجرفون مع أى تيار على غير هدى ، بدلا من أن يسيروا حياتهم فى إتجاه معين . ومن الأمثال التى تروى نقلا عن شخص إسمه مارتن مارتنز : عاش مرة رجل اشتهر بانتقاد الآخرين وهجوهم . وبعد أن دارت الأيام دورتها الطبيعية ، ومضى من عمره عدة سنوات تآمر عليه أصدقاؤه وذبحوه . وجاء الناس

واجتمعوا حوله قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة . وكانوا يقولون عنه فى غضب : « لقد عامل كل العالم المحيط به كما لو كان كرة قدم يقذفها بقدمه » . وإذا بالرجل المحتضر يستجمع ما تبقى له من قوة ، ويفتح إحدى عينيه بصعوبة ، ويقول لهم : « ولكننى كنت دائماً أقذف الكرة نحو الهدف » . ورسم أحدهم مرة صورة لرجلين على المريخ ينظران إلى الناس فى عالمنا هذا وهم منطلقون مسرعين هنا وهناك وفى كل مكان . وسأل أحد الرجلين الآخر : « ماذا يفعلون ؟ » فأجابه الآخر قائلا : « إنهم ذاهبون » . فقال الأول « ولكن ، إلى أين هم ذاهبون ؟ » . فقال الآخر : « للأسف إنهم لا يقصدون مكاناً معيناً ، إنهم ذاهبون فقط إلى حيث لايدرون » . وإذا كان الواحد لا يقصد مكاناً بالذات فعنى هذا أنه لن يصل إلى أى مكان بالمرة .

٤ — ونحن فى الحياة نحتاج أيضاً إلى أن نعرف قيمة ذلك الهدف .

إن دعوة يسوع العظمى للناس قلما كانت ترتكن إلى العقوبة والجزاء . بل كانت دعوة تحث الناس على إدراك الفراغ العظيم فى حياتهم إذا لم يتبعوا طريق يسوع . فالهدف المقصود إذاً هو الحياة ذاتها . وربح الحياة هو بكل تأكيد هدف يستحق أن يبذل كل شىء فى سبيله . .

٥ — وفى الحياة نحن لا نستطيع أن نخلص آخرين ما لم نتمكن أولا من السيطرة على أنفسنا والسيادة عليها . قال فرويد مرة : « إن تعلم التحليل النفسى يبدأ بدراسة المحلل لنفسه أولا ، وذلك بأن يدرس ويفحص ذاته وشخصيته » . وأعلن الإغريق أن أولى قواعد الحياة هى : « أيها الإنسان اعرف نفسك » إننا بكل تأكيد لا نستطيع أن نخدم الآخرين إلا بعد أن نسيطر ونسود على أنفسنا . فنحن لا نستطيع أن نعلم الناس شيئاً لا نعرفه . كذلك لا نستطيع أن نأتى بآخرين للمسيح إلا إذا كنا نحن قد أتينا أولا إلى المسيح فوجدناه ووجدنا ، وتعرفنا به وأصبحت لنا شركة معه .

خطر الافراط فى الثقة بالنفس

فَإِنِّى لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا أَنَّ آبَاءَنَا جَمِيعُهُمْ كَانُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ وَجَمِيعَهُمْ اجْتَازُوا فِى الْبَحْرِ وَجَمِيعَهُمْ اعْتَمَدُوا لِمُوسَى فِى السَّحَابَةِ وفى الْبَحْرِ ، وَجَمِيعَهُمْ أَكَلُوا طَعَاماً وَاحِداً رُوحِيًّا ، وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَاباً وَاحِداً رُوحِياً . لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتُهُمْ وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيح ،لَكِنْ بِأَكْثَرِهِمْ لَمْ يُسَرَّ اللهُ لأَنَّهُمْ طُرِحُوا فِى الْقَفْرِ ، وَهَذِهِ الأُمُورُ حدَثَتْ مِثَالاً لَنَا حَتَّى لاَ نَكُونَ نَحْنُ مُشْتَهِينَ شُرورًا كَمَا اشْتَهَى أُولٰئِكَ ، فَلاَ تكُونُوا عَبَدَةَ أَوْثَانٍ كَمَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْهُمْ . كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ جَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ و الشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ ، وَلاَ نَزْنِ كَمَا زَنَى أُناسٌ مِنْهُمْ فَسَقَطَ فِى يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَلٰثَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفا ، وَلاَ نُجَرِّبِ الْمَسِيح كَمَا جَربَ أَيْضاً أُنَاسٌ مِنْهُم فَاهْلَكَتْهُمْ الْحَيَّاتُ ، وَلاَ تَتَذَمَّرُوا كَمَا تَذَمَّرَ أَيْضاً أُنَاسٌ مِنْهَمْ فَأَهْلَكَهمْ الْمُهْلِكُ ، فَهَذِهِ الأُمُورُ جَمِيعَهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالاً وكُتِبَتْ لإِنْذَارِنَا نَحْنُ الَّذِين

انْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدُّهُورِ ، إِذًا مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَائِمٌ فَلْيَنْظُرْ أَنْ لاَ يَسْقُطَ ، لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ . وَلَكِنَّ اللهَ أَمِينٌ الَّذِى لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيضاً الْمَنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا .

(١ كورنثوس ١٠ : ١ - ١٣)

فى هذا الإصحاح يستأنف بولس الحديث عن مسألة أكل اللحم المذبوح للاوثان . وهو يشير هنا إلى بعض الكورنثيين المسيحيين الذين أفرطوا فى الثقة بأنفسهم . وكانت وجهة نظرهم هى : « لقد تعمدنا ، وهكذا أصبحنا واحداً مع يسوع المسيح . ولقد اشتركنا فى فريضة العشاء الربانى ، وهكذا تناولنا من جسد المسيح ودمه . فنحن فى المسيح والمسيح فينا ، ولذلك فنحن فى أمان تام ولا خوف علينا بالمرة . وإذاً فنحن نستطيع أن نأكل اللحم المقدم للاوثان دون أن يصيبنا أى ضرر ؛ ولا يمكن أن يحدق بنا أو يتهددنا أى خطر » . ولذلك يتحدث الرسول فى هذا الفصل إلى أولئك الناس الذين كانوا يثقون فى أنفسهم إلى هذا الحد فيحذرهم من خطر الإفراط فى الثقة بالنفس .

عندما كان أوليفر كرومويل يخطط برنامج تعليم ابنه ريتشارد ، قال إنه يود أن يتعلم ابنه شيئاً من التاريخ . ونحن نرى فى هذا الفصل أن بولس يستعين بالتاريخ ليبين ما يمكن أن يحدث لأناس تمتعوا بأعظم الإمتيازات والبركات . فنراه يشير إلى الأيام التى كان بنو إسرائيل فيها سياحاً يعبرون الصحراء . فقد حدثت لهم فى تلك الأيام أشياء عجيبة وعظيمة ، إذ كان عمود السحاب فوقهم ليهديهم فى الطريق وليحميهم ساعة الخطر . (خروج ١٣ : ٢١ ، ١٤ : ١٩) ودخلوا فى وسط البحر الأحمر (خروج ١٤ : ١٩ - ٣١) . وكان هذان الاختياران سبباً جعل بنى إسرائيل فى وحدة كاملة مع موسى ، الذى

يعتبر أعظم القادة والمشرعين ، حتى أنه يمكن القول بأن بني إسرائيل قد عمدوا لموسى كما يعمد المسيحي للمسيح . وقد أكلوا من المن في البرية (خروج ١٦ : ١١ – ١٥) . وفي عدد ٤ يقول بولس إنهم كانوا يشربون من الصخرة التي تابعتهم . وهذه الحادثة لم ترد في العهد القديم ولكنها وردت في التلمود . فقد ورد في سفر العدد ٢٠ : ١ – ١١ أن الله مكن موسى من أن يستخرج من الصخرة ماء للشعب العطشان ، وورد في التلمود أن هذه الصخرة تابعت الشعب ، وكانت دائماً تعطي ماء ليشرب منه كل من يعطش . وكانت هذه القصة معروفة ومتداولة بين كل اليهود . لكن ، بالرغم من كل هذه الإمتيازات التي كان يملكها بنو إسرائيل ، فقد سقطوا وفشلوا فشلاً ذريعاً واضحاً . وعندما خاف الشعب خوفاً عظيماً وجبنوا عن أن يتقدموا إلى أرض الموعد ؛ وعندما عاد كل من ذهب ليستكشف الأرض – ماعدا يشوع وكالب – ليقدم تقريراً يائساً متشائماً ، كان حكم الله أن يموت ذلك الجيل كله في الصحراء وأن تسقط جثثه في ذلك القفر (عدد ١٤ : ٣٠ – ٣٢). وعندما كان موسى على جبل سيناء يتلقى الشريعة أغوى الشعب هارون لعمل عجل ذهبي لعبادته . (خروج ٣٢ : ٦) . وارتكبوا خطية الزنى ، حتى في الصحراء ، مع المديانيات والموآبيات . وهلك آلاف بسبب غضب الله على هذا الأمر (عدد ٢٥ : ١ – ٩) .

وعندما أخذ قورح وداثان وأبيرام يقاومون موسى ويقودون تمرداً وثورة في الشعب ضد موسى ، أصابت دينونة الله كثيرين وماتوا . (عدد اصحاح ١٦) . ويبين لنا كل تاريخ إسرائيل أن الناس الذين كانوا يتمتعون بأعظم الإمتيازات والبركات الإلهية لم يكونوا في أمان من خطر التجربة . ولذلك يذكر بولس الكورنثيين بأن الإمتيازات الخاصة ليست ضماناً للنجاة عندما تهاجمهم التجربة .

ويجب أن نلاحظ هنا التجارب والسقطات التي يبرزها بولس .

١ – فهناك تجربة عبادة الأصنام . ونحن الآن لا نعبد الأصنام عبادة صريحة صارخة . ولكن إذا وضعنا فى إعتبارنا أن إله الإنسان هو ذاك الذى يستحوذ على كل وقته وفكره وجهده ، فاننا نستطيع أن نقول إن الناس لايزالون يعبدون مايصنعونه بأيديهم أكثر من عبادتهم لله .

٢ – وهناك تجربة الزنا . وما دام الإنسان هو الإنسان ، فان التجارب تأتيه من ذاته الدنيا . ولا يمكن أن ينقذ الإنسان من الانزلاق إلى النجاسة والدنس سوى المحبة الطاهرة النقية .

٣ – وهناك تجربة الخطأ فى فهم رحمة الله . فكثيرون من الناس ، عن وعى أو لاوعى ، عمداً أو دون تفكير ، يريدون أن يستغلوا رحمة الله وأن يجربوه . وهم يقولون إن الله سيرحم وسيغفر وسيتغاضى عن الخطية . واستناداً إلى هذا الزعم يتمادون فى خطاياهم . وفاتهم أنهم ،كما يرجون محبة الله التى تغفر ينبغى أيضاً أن يعملوا حساباً لقداسة الله التى تقتضى منهم حياة بلا لوم .

٤ – وهناك تجربة التذمر والضجر وهناك كثيرون يواجهون الحياة بالكآبة والعويل وليس بالفرح والتهليل .

ولذلك ينبر بولس على الحاجة إلى التيقظ والحذر . « إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط . » فكم من الحصون التى سقطت فى يد الأعداء لمجرد أن المدافعين عنها ظنوا أن هذا لن يحدث. وفى سفر الرؤيا ٣ : ٣ نجد أن المسيح المقام ينبه كنيسة ساردس إلى ضرورة السهر . وقد كان الأكروبول فى ساردس مبنياً على بروز مرتفع من الصخر ؛ وكان يعتبر حصيناً منيعاً للغاية ؛

وعندما كان كورش يحاصره عرض مكافأة خاصة سخية لمن يتمكن من إيجاد طريقة لاقتحامه . فتسابق الجنود على مراقبة الحصن من كل جوانبه . وحدث أن أحد الجنود ، وإسمه هيروادس ، كان يراقب الحصن فرأى جندياً من جنود الحامية تسقط خوذته صدفة من بين شرفات الحصن . ورأى الجندى المراقب الجندى الآخر وهو ينزل ليحضر خوذته ، وهكذا عرف الطريق الذى يمكن به الوصول إلى داخل الحصن . وفى تلك الليلة قاد كورش جماعة من الجنود عبر هذا الطريق نحو الأكمة المرتفعة التى كانت القلعة فوقها . وعندما وصلوا إلى القمة وجدوا أن القلعة من هذه الناحية خالية من الحرس. فاقتحموا القلعة التى ظنوها أمنع من أن يستطيع أحد الاستيلاء عليها . إن الحياة قد لا تخلو من فتحات أو ثغرات يمكن أن يفاجئنا الخطر عن طريقها . ولذلك يجب أن نكون دائماً فى حالة تيقظ وسهر .

وهكذا يختم بولس هذا الفصل بذكر ثلاثة أشياء عن التجربة :

١ — فهو متأكد تماماً أن التجربة ستأتى ، وأنه لا مفر منها فى الحياة . ولكن الكلمة المترجمة « تجربة » هى فى الأصل اليونانى أقرب إلى كلمة « اختبار » أو « فحص » . فالتجربة إذا شىء لا يقصد به سقوطنا ، ولكن يقصد به اختبارنا وتمحيصنا لكى نخرج منها أكثر قوة وصلابة .

٢ — وإن أية تجربة تأتى إلينا ليست فريدة فى نوعها . فان آخرين قبلنا اجتازوا فيها ، وتحملوها فى صبر وجلد . يحدثنا أحد الأصدقاء أنه كان مرة يقود عربة يجرها حصان فى طريق جبلى ضيق فى بلاد النرويج . وكان معه فى العربة « لا يتفوت » أسقف درهام العظيم . ثم بدأ الطريق يضيق جداً

حتى أنه لم يكن هناك سوى بوصات قليلة بين عجلات العربة والجبل المرتفع من ناحية والهوة السحيقة من ناحية أخرى . فاقترح الصديق على الأسقف ألا يتفوت أن ينزل من العربة ويمشي على قدميه المسافة الباقية حتى لا يكون هناك خطر على حياته . ولكن لا يتفوت بعد أن عاين المكان ودرس الموقف جيداً قال : « لابد أن عربات أخرى قد سلكت هذا الطريق ، فلنواصل السير » وفي شعر الإغريق مقطوعة شعرية تتضمن عبارات عن بحار تحطمت سفينته . وفي هذه العبارات يقول البحار نفسه : « إن بحاراً تحطمت سفينته على هذا الساحل يأمرك بالإقلاع والإبحار . إن سفينته الشراعية قد تحطمت ، ولكن سفناً كثيرة غيرها استطاعت أن تصمد للعاصفة وتقاوم الرياح » . وهكذا يجب أن يكون شعورنا ونحن نجتاز أشياء كثيرة في الحياة . لنذكر أن آخرين قبلنا قد اجتازوها بنعمة الله واحتملوها وصبروا حتى تغلبوا عليها وقهروها .

٣ – إن مع التجربة دائماً المنفذ . وهذه الكلمة تعني في الأصل مخرجاً من مضيق أو ممر جبلي . ويمكن أن نقرب معنى هذا اللفظ إلى أذهاننا إذا تصورنا جيشاً محاصراً من كل ناحية ، ثم يكتشف هذا الجيش فجأة طريقاً للخروج من هذا الحصار في أمان . فلا ينبغي إذا أن يستسلم أي إنسان للتجربة ، لأنه مع التجربة هناك المنفذ أيضاً . والمنفذ هنا ليس طريق الاستسلام أو التراجع ، ولكنه طريق النصرة والغلبة بقوة نعمة الله .

التزام الفريضة

لِذَلِكَ يَا أَحِبَّائِى ٱهْرُبُوا مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ . أَقُولُ كَمَا لِلْحُكَمَاءِ ٱحْكُمُوا أَنْتُمْ فِى مَا أَقُولُ . كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِى نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِىَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ . الْخُبْزُ الَّذِى نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ . فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ جَسَدٌ وَاحِدٌ لِأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِى الْخُبْزِ الْوَاحِدِ . ٱنْظُرُوا إِسْرَائِيلَ حَسَبَ الْجَسَدِ . أَلَيْسَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الذَّبَائِحَ هُمْ شُرَكَاءَ الْمَذْبَحِ . فَمَاذَا أَقُولُ أَإِنَّ الْوَثَنَ شَىْءٌ أَوْ إِنَّ مَا ذُبِحَ لِلْوَثَنِ شَىْءٌ . بَلْ إِنَّ مَا يَذْبَحه الأمَمُ فَإِنَّمَا يذْبَحُونَهُ للشَّيَاطِين لا للهِ . فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ شُرَكَاءَ الشَّيَاطِينَ . لا تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وكَأْسَ شَيَاطِين . لا تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِى مَائِدَةِ الرَّبِّ وفى مَائِدَةِ شَيَاطِين . أَمْ نُغِيرُ الرَّبَّ أَلَعَلَّنَا أَقْوَى مِنْهُ .

(١ كورنثوس ١٠ : ١٤ – ٢٢)

توجد ثلاثة أفكار يجب ذكرها حتى تتضح لنا المعانى التى يحملها إلينا هذا الفصل ؛ إثنان منها يعتبران غريبين عنا لعلاقتهما بالعصر الذى عاش فيه بولس ، أما الفكر الثالث فهو حقيقى ومناسب فى كل عصر .

١ - كما سبقت الإشارة ، عندما كانت الذبيحة تقدم ، كان جزء من اللحم للعابد الذى كان يستخدمه فى إقامة وليمة ؛ وفى مثل هذه الوليمة كان المفهوم دائماً أن الإله نفسه هو الضيف . وأكثر من ذلك ، كان المفهوم فى أغلب الأحيان ، أن الإله نفسه يدخل فى اللحم بعد تقديم الذبيحة ، وأنه يدخل أيضاً فى أجساد وأرواح الذين يأكلون من اللحم فى الوليمة . وكان الإعتقاد السائد أنه كما كان يرتبط الرجلان اللذان يأكلان معاً خبزاً وملحاً رباطاً وثيقاً ومتيناً ، هكذا كان الأكل من الذبيحة يمثل شركة حقيقية ورباطاً وثيقاً بين الإله وعابده . أى أن الشخص الذى كان يقدم الذبيحة كان فى الحقيقة مشاركاً للمذبح ، وكانت له شركة سرية بالإله الذى قدم الذبيحة له .

٢ - فى ذلك العصر كان العالم كله يؤمن بوجود الأرواح أو الشياطين . وهذه الأرواح كانت إما صالحة أو شريرة ، ولكنها فى معظم الأحيان كانت شريرة . وكان الاعتقاد الشائع أن هذه الأرواح كانت الوسيط بين الآلهة والبشر . وبالنسبة لليونانيين ، كانوا يعتقدون أنه كان هناك روح أو شيطان خاص لكل ينبوع ماء ، لكل حديقة أو غابة صغيرة ، لكل جبل ، لكل شجرة ، لكل مجرى ماء ، لكل بركة ، لكل صخرة ، ولكل مكان وكانوا يعتقدون أيضاً أنه توجد آلهة خاصة لكل نافورة ماء ، ولكل قمة جبل ، وأنه توجد آلهة تتنفس فى الريح وتلمع فى البرق ، وأن هناك آلهة أخرى توجد فى إشعة الشمس ولمعان النجوم ، وأنه توجد أيضاً آلهة تجيش وتضطرب فى الزلازل والعواصف . أى أن العالم كان فى اعتقادهم زاخراً بالأرواح والشياطين . أما بالنسبة لليهود ، فقد كانوا يعتقدون أن الأرواح النجسة تسكن المنازل الشاغرة ، وتكمن فى فتات الخبز على الأرض ، وفى الزيت الذى فى الأوانى ، وفى ماء الشرب ، وفى الأمراض التى تصيب الناس ، وفى الهواء ، وفى الحجرات ، وأنها تبقى فى هذا كله نهاراً وليلا .

وكان بولس نفسه يؤمن بوجود هذه الأرواح أو الشياطين ، وسماها «الرؤساء والسلاطين » (افسس ٦ : ١٢). وكانت وجهة نظره أن الصنم أو الوثن كان لاشيء ، ولم يكن يمثل شيئاً ، ولكن عبادة الأوثان كانت كلها من عمل الشياطين . وعن طريق عبادة الأوثان كانوا يضلون الناس ويبعدونهم عن الله . فعندما كان الناس يعبدون الأصنام كانوا يظنون انهم يعبدون الآلهة ، ولم يدركوا أنهم كانوا مخدوعين بواسطة هذه الشياطين الخبيثة . وهكذا كانت عبادة الأوثان تجعل الناس فى شركة ، ليس مع الله ، ولكن مع الشياطين . ومن ثم فقد كان كل مايتعلق بهذه العبادة متسماً بهذه الشائبة وهذا العيب . أى أن اللحم المقدم للأوثان لم يكن فى ذاته شيئاً معيباً ، ولكن لأنه كان يخدم أغراض الشياطين ، فقد أصبح نجساً ودنساً .

٣ – ومن هذه المجموعة من المعتقدات القديمة يبرز أمامنا مبدأ هام ودائم ، وهو أن الشخص الذى يجلس على مائدة ربنا يسوع المسيح لا يمكنه أن يجلس على مائدة تستخدمها الشياطين . فهنالك أشياء لا يستطيع الشخص الذى تناول بيده من جسد المسيح ودمه أن يمسها . ومن أجمل الأمثلة على ذلك ماحدث مع الفنان ثوروولدش الذى عمل تمثالا للمسيح يعتبر من أعظم التماثيل التى عملت له . فقد كلف بأن ينحت تمثالا لفينوس ليوضع فى اللوفر . ومع أن الأجر الذى عرض عليه كان كبيراً لكنه رفض أن ينحته ، وأجاب قائلا : « إن اليد التى نحتت شكل المسيح لا يمكن أبداً أن تنحت شكل إلهة وثنية » . وعندما كان الأمير شارلى هارباً لحياته التجأ إلى ثمانية رجال من « جلن موريستن » ، ومع أن أولئك الرجال الثمانية كانوا مجرمين ومفلسين وخارجين على القانون ، وكانت المكافأة التى أعلن عنها ثمناً لرأس شارلى ضخمة بلغت ثلاثين ألف جنيه ، ومع ذلك كله قبلوه معهم بضعة أسابيع ، وحافظوا عليه سالما ، ولم يخنه أحد منهم . وبعد سنوات طويلة نسى الناس هذه

الحادثة . ولكن واحداً من الرجال الثانية ، واسمه هاج كسهولم ، ذهب إلى مدينة ادنبرة . وعندما روى للناس قصة الأمير أصغوا إليه باهتمام . وأعطوه مالا يعيش معه . ولكنه كان دائماً يصافحهم بيده اليسرى . ولما سألوه عن سبب هذه العادة قال لهم إن الأمير شارلى ، عندما ودعهم قبل رحيله عنهم صافحهم . ومنذ ذلك الوقت أقسم أن اليد التى صافح بها الأمير ، لن يصافح بها أى شخص آخر . وهذا هو المعنى الذى كان ينبغى أن يلتزم به مسيحيو كورنثوس ، بل وينبغى علينا نحن أن نلتزم به أيضاً ، إن الرجل الذى يلمس بيديه أشياء المسيح المقدسة لا يمكن أن يلطخهما بالأشياء الوضيعة الحقيرة التى لاقيمة لها .

حدود الحرية المسيحية

كُلُّ الأَشْيَاءِ تحِلُّ لِي لَكِنَّ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ تُوَافِق . كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي وَلَكِنَّ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ تَبْنِي . لا يَطْلُبْ أَحَدٌ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مَا هُوَ لِلآخَرِ . كُلُّ مَا يُبَاعُ فِي الْمَلْحَمَةِ كُلُوهُ غَيْرَ فَاحِصِينَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ الضَّمِيرِ . لأَنَّ الرَّبِّ الأَرْض وَمِلأَهَا . وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُوكمْ وَتُرِيدُونَ أَنْ تَذْهَبُوا فَكُلُّ مَا يُقَدَّمُ لَكُمْ كُلُوا مِنْهُ غَيْرَ فَاحِصِينَ مِنْ أَجْلِ الضَّمِيرِ . ولَكِنْ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ هَذَا مَذْبُوحٌ لِوَثَنٍ فَلاَ تَأْكُلُوا مِنْ أَجْلِ ذَاكَ الَّذِي أَعْلَمَكُمْ وَالضَّمِيرِ . لأَنَّ لِلرَّبِّ الأَرْضَ

وَمِلأَهَا . أَقُولُ الضَّمِيرُ . لَيْسَ ضَمِيرَكَ أَنْتَ بَلْ ضَمِيرَ الْآخَرِ . لِأَنَّهُ لِمَاذَا يُحْكَمُ فِى حُرِّيَّتِى مِن ضَمِيرِ آخَرَ . فَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَتَنَاوَلُ بِشُكْرٍ فَلِمَاذَا يُفْتَرَى عَلَىَّ لِأَجْلِ مَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ . فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئاً فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللهِ . كُونُوا بِلاَ عَثْرَةٍ لِلْيَهُود وَلِلْيُونَانِيِّينَ وَلِكَنِيسَةِ اللهِ . كَمَا أَنَا أَيْضاً أُرْضِى الْجَمِيعَ فِى كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ طَالِبٍ مَا يُوَافِقُ نَفْسِى بَلْ الْكَثِيرِين لِكَىْ يَخْلُصُوا . كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِى كَمَا أَنَا أَيْضاً بِالْمَسِيح .

(١ كورنثوس ١٠ : ٢٣ – ١١ : ١)

فى هذا الفصل نرى بولس يختم مناقشته الطويلة لمسألة اللحم المقدم للأوثان بتقديم بعض النصائح العملية جداً :

١ – فهو ينصح بأن المسيحى يستطيع أن يشترى أى شىء يباع فى الحوانيت دون أن يسأل أية أسئلة . وكما سبق أن رأينا ، كان اللحم المباع فى الحوانيت يحتمل أن يكون جزءاً من ذبيحة قدمت لإله أو ذبحت باسمه حتى لاتدخلها الشياطين ، ولكن كان يمكن أيضاً أن تكون المسألة مجرد مبالغة فى المجادلة الفارغة أو ترجع إلى التزمت الشديد أو لخلق صعوبات لاداعى لها. ويقرر بولس أن الأرض وكل ما فيها من أشياء هى ملك الرب .

٢ – إذا قبل المسيحى دعوة للعشاء فى بيت رجل وثنى ، فليأكل مما يقدم له دون أن يسأل أية أسئلة . ولكن إذا أخبر عمداً أن اللحم الذى أمامه هو جزء من ذبيحة فإنه ينبغى ألا يأكله . والمفروض أن الشخص الذى

أعلمه بذلك هو أحد الإخوة الذين لم يكونوا يستطيعون أن ينزعوا من ضمائرهم الإحساس بأن أكل مثل هذا اللحم خطية . لذلك كان ينبغي على المسيحي ألا يأكل من هذا اللحم حتى لا يضطرب مثل هذا الأخ أو يرتبك .

٣ — ومرة أخرى ، تبرز أمامنا حقيقة عظيمة من موقف قديم وبعيد . وهي أنه توجد أشياء كثيرة يمكن أن يعملها الإنسان دون أن يكون فيها أي خطر يهدد حياته الشخصية ، ولكن إذا كان عمل ما عثرة لشخص آخر فيجب ألا يعمله . فالحرية المسيحية عظيمة حقاً ، ولكن يجب أن تستخدم لمساعدة الآخرين وليس لعثرتهم أو إيذائهم . إن كل إنسان عليه واجب تجاه نفسه ، ولكن واجبه تجاه الآخرين أعظم وأهم .

وهنا يجب أن نلاحظ مدى واجبات المسيحي تجاه الآخرين :

١ — أصر بولس على أن المسيحي الكورنثي يجب أن يكون قدوة حسنة لليهود . بل حتى أمام الأعداء يجب أن يكون مثلا طيباً وقدوة صالحة في الأشياء الصغيرة . فقد يكرهه أعداؤه ؛ ولكن هذا لا يعفيه من واجبه أن يقودهم إلى الطريق الصحيح بسلوكه وقدوته .

٢ — وعليه أيضاً واجب تجاه اليونانيين ، بمعنى أنه ينبغي عليه أن يكون مثالا صالحاً أمام الذين كانوا لا يبالون بالمسيحية بالمرة . إن على المسيحي أن يكون مثالا للذين ليس لهم أي اهتمام بالكنيسة إطلاقاً . والحقيقة أن كثيرين يربحون للمسيح عن طريق هذه القدوة وهذا المثال . حدث مرة أن أحد الخدام بذل جهداً كبيراً في مساعدة إنسان لم تكن له أية علاقة بالكنيسة ، حتى أنقذه من مأزق صعب . ومنذ ذلك الوقت بدأ ذلك الإنسان يتردد على الكنيسة إلى أن جاء يوم تقدم فيه هذا الرجل — الذي كان يوماً ما لا يبالي بالدين ولا يكترث بالكنيسة — بطلب مدهش . فقد طلب أن يكون شيخاً

فى الكنيسة حتى يقضى بقية حياته يعبر عن عرفانه بالجميل إزاء مافعله المسيح به عن طريق خادمه .

٣ — ثم كان على المسيحى الكورنثى واجب تجاه زملائه من الأعضاء فى الكنيسة . إنه لمن الحقائق الواضحة فى الحياة أنه بين الآخرين من يراقبنا . وهناك من يتمثلون بنا فى سلوكهم وتصرفاتهم . وقد لا نعرف نحن ذلك . ولكن من المؤكد أنه يوجد إخوة صغار أوضعفاء يتطلعون دائماً إلينا ليقتدوا بنا وينتظروا إرشادنا وقيادتنا لهم . ومن واجبنا أن نقدم بحياتنا وقدوتنا ما يقوى الضعفاء ، وما يثبت المترددين والمتذبذبين ، وما ينقذ المجربين من السقوط فى الخطية .

ولن نستطيع أن نعمل كل الأشياء لمجد الله إلا عندما نراعى واجباتنا نحو الآخرين ؛ كما أننا لن نستطيع أن نفعل ذلك إلا عندما نتذكر أن حريتنا المسيحية لم تعط لنا لأجل خاطرنا نحن بل لأجل خاطر الآخرين .

* * *

تعتبر الإصحاحات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ من هذه الرسالة من أصعب الإصحاحات فى الرسالة كلها على مدارك الإنسان العصرى . ولكنها مع ذلك من أكثر الإصحاحات التى تثير الاهتمام فى الرسالة كلها ، لأنها تتعلق بالمشاكل التى نشأت فى كنيسة كورنثوس فيما يختص بالعبادة الجمهورية . وفيها نرى صورة كنيسة وليدة تكافح فى مسألة تقديم عبادة مقبولة ومناسبة لله . ولكى يسهل علينا متابعة هذه الفصول يحسن أن نبرز فى البداءة الأقسام المختلفة التى تشتمل عليها :

١ — إصحاح ١١ : ٢ — ١٦ يتعلق بمشكلة ما إذا كانت السيدات يعبدن برءوسهن غير مغطاة أم لا .

٢ ـ إصحاح ١١ : ١٧ ـ ٢٣ يتعلق بالمشاكل التى نشأت حول وليمة المحبة التى كانت الأكلة الأسبوعية التى يشترك فيها جمهور المسيحيين .

٣ ـ إصحاح ١١ : ٢٤ ـ ٣٤ يتعلق بالممارسة الصحيحة لفريضة عشاء الرب .

٤ ـ إصحاح ١٢ يناقش مشكلة إنسجام الذين لهم أنواع مختلفة من المواهب الروحية ، بحيث يكونون جميعاً وحدة متناسقة . وهنا نرى الصورة العظيمة للكنيسة باعتبارها جسد المسيح ، ولكل عضو فيها باعتباره عضواً فى ذلك الجسد .

٥ ـ إصحاح ١٣ هو ترنيمة المحبة العظيمة التى تظهر للناس الطريق الأمثل والأعظم للحياة والسلوك .

٦ ـ إصحاح ١٤ : ١ ـ ٢٣ يتعلق بمسألة التكلم بألسنة :

٧ ـ إصحاح ١٤ : ٢٤ ـ ٣٣ يصر على ضرورة مراعاة الترتيب فى العبادة الجمهورية ، ويحاول أن يجعل الحماس الفياض المتدفق فى كنيسة مولودة حديثاً يقترن بالتزام النظام وعدم التشويش :

٨ ـ إصحاح ١٤ : ٣٤ ـ ٣٦ يناقش مكانة النساء فى العبادة الجمهورية لله فى كنيسة كورنثوس .

التواضع الضرورى

فَأَمْدَحُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ عَلَى أَنَّكُمْ تَذْكُرُونَنِي فى كُلِّ شَيْءٍ وَتَحْفَظُونَ التَّعَالِيمَ كَمَا سَلَّمْتُهَا إِلَيْكُمْ . وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ . وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ . وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ . كُلُّ رَجُلٍ يُصَلِّي أَوْ يَتَنَبَّأُ وَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ شَيْءٌ يَشِينُ رَأْسَهُ . وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ وَرَأْسُهَا غَيْرُ مُغَطًّى فَتَشِينُ رَأْسَهَا لأَنَّهَا وَالْمَحْلُوقَةَ شَيْءٌ وَاحِدٌ بِعَيْنِهِ . إِذِ الْمَرْأَةُ إِنْ كَانَتْ لاَ تَتَغَطَّى فَلْيُقَصَّ شَعْرُهَا . وَإِنْ كَانَ قَبِيحاً بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُقَصَّ أَوْ تُحْلَقَ فَلْتَتَغَطَّ . فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّي رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ . وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ . لأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ . وَلأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ . لِهَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ أَجْلِ الْمَلاَئِكَةِ . غَيْرَ أَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنْ دُونِ الْمَرْأَةِ وَلاَ الْمَرْأَةُ مِنَ دُونِ الرَّجُلِ فِى الرَّبِّ. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْمَرْأَةَ هِيَ مِنَ الرَّجُلِ هَكَذَا الرَّجُلُ أَيْضاً هُوَ

بِالْمَرْأَةِ . وَلَكِنَّ جَمِيعِ الأَشْيَاءِ هِيَ مِن اللهِ أَحْكُمُوا فى أَنْفِسِكُمْ هَلْ يَلِيقُ بِالمرأَةِ أَنْ تُصَلِّى إِلَى اللهِ وَهِيَ غَيْرُ مُغَطَّاة . أَمْ لَيْسَتِ الطَّبِيعَةُ نَفْسَهَا تُعَلِّمُكُمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِنْ كَانَ يُرْخِي شَعْرَهُ فَهُوَ عَيْبٌ لَهُ . وَأَمَّا الْمَرْأَةُ إِنْ كَانَتْ تُرْخِي شَعْرَهَا فَهُوَ مَجْدٌ لَهَا لأَنَّ الشَّعْرَ قَدِ أُعْطِيَ لَهَا عِوَضَ بُرْقُعٍ . وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُحِبُّ الْخِصَامَ فَلَيْسَ لَنَا نَحْنُ عَادَةٌ مِثْلُ هَذِهِ وَلاَ لِكَنَائِسِ اللهِ .

(١ كورنثوس ١١ : ٢ – ١٦)

هذا الفصل هو أحد الفصول التى تتسم بالطابع المحلى والمؤقت . وقد تبدو هذه الفصول لأول وهلة كما لو كانت لا تستحق سوى إهتمام علماء الآثار ، إذ أنها تعالج موقفاً أو وضعاً لم يعد له أية صلة أو شأن بنا فى العصر الحاضر . ومع ذلك فإن مثل هذه الفصول مهمة جداً لأنها تلقى نوراً كبيراً على الشئون العائلية ، ومشاكل الكنيسة الأولى . كما أن لها أهمية عظمى لأن بولس فى معالجته لها وضع مبادىء أبدية مناسبة لكل عصر .

وكانت المشكلة هى ما إذا كان من الجائز فى الكنيسة المسيحية أن تشترك المرأة فى الخدمة ورأسها غير مغطى . وكان جواب بولس جواباً صارماًقاطعاً . فالحجاب أو البرقع هو دائماً رمز التبعية ، يلبسه الأقل أو الأصغر فى حضور الأعلى أو الأكبر . وما دامت المرأة أقل من الرجل ، باعتبار أن الرجل هو رأس الأسرة ، فإنه بالتالى من الخطأ أن يظهر الرجل فى العبادة الجمهوريةوهو مغطى ، كما كان من الخطأ أيضاً ، بالنسبة للمرأة ، أن تظهر وهى غير مغطاة . فحتى فى أثناء العبادة كان على كل منهما أن يحافظ على مقامه ونسبته

للاخر . ويتعذر علينا فى القرن العشرين أن نهضم فكرة نقص مركز النساء وتبعيتهم للرجال . ولكننا يجب أن نقرأ هذا الأصحاح ليس فى نور القرن العشرين بل فى نور القرن الأول . وعندما نقرأه يجب أن نتذكر ثلاثة أشياء .

١ — يجب أن نذكر مكانة البرقع أو الحجاب فى الشرق . فإلى يومنا هذا تلبس بعض سيدات الشرق « اليشمك » الذى هو عبارة عن برقع طويل يصل إلى القدمين تقريباً ولا يظهر من الجسم سوى الجبهة والعينين . وفى أيام بولس كان البرقع أو الحجاب الشرقى يغطى من الجسم أكثر من ذلك ، فلم يكن يظهر من الجسم سوى العينين . ولم يكن يخطر ببال أية سيدة شرقية محترمة ان تظهر دون حجاب . ويقول ت . و . ديفيز فى « قاموس الكتاب » : « لا يمكن أن تخرج امرأة محترمة فى قرية أو مدينة شرقية دون حجاب ؛ ولو فعلت ذلك فإنها تعرض نفسها لخطر إساءة الظن بها والتعريض بسمعتها» . والواقع أن الحجاب كان يعنى شيئين :

١ — كان رمزاً للنقص .

٢ — ولكنه كان يعتبر أيضاً حماية ووقاية والحقيقة أنه من الصعب ترجمة عدد ١٠ فى هذا الفصل . يمكننا أن نترجمه بعبارة كهذه : « لهذا ينبغى للمرأة أن تغطى رأسها رمز كونها تحت سلطان شخص آخر » . ولكن المعنى الحرفى للعبارة اليونانية يفيد أن المرأة ينبغى أن تبقى « سلطانها فوق رأسها » ويشرح سير ويليام رمزى هذا المعنى فيقول : « فى البلاد الشرقية يعتبر الحجاب أو البرقع بمثابة قوة المرأة وشرفها وكرامتها . وما دام الحجاب فوق رأسها فإنها تستطيع أن تذهب إلى أى مكان وهى فى أمان واحترام كامل . فلا ينظر إليها أحد ، لأن التطلع إلى امرأة متحجبة فى الشارع يعتبر دليلا على اسوأ الأخلاق وأحطها . فهى تمشى منفردة وكأن الناس من حولها غير موجودين ، كما تصبح هى بالنسبة للناس الآخرين غير موجودة . وتسير

فى وسط الجمهور والزحام متشامخة متسامية . ولكن المرأة غير المتحجبة لا قيمة لها ، وتكون عرضة لأن تهان أو تشتم أو يساء إليها من أى واحد . وكأن المرأة التى تتخلى عن حجابها الكامل يضيع كل سلطانها وتتلاشى كرامتها واحترامها » . فالحجاب إذا فى الشرق له الأهمية الكبرى . فهو ليس رمزاً لحالة المرأة باعتبارها أقل من الرجل وحسب ، ولكنه أيضاً بمثابة الحماية والوقاية التى تحفظ للمرأة تواضعها وطهارتها .

٣ ــ كما يجب أيضاً أن نتذكر المرأة ومنزلتها بحسب النظرة اليهودية . فبحسب الناموس اليهودى كانت المرأة تعتبر أقل من الرجل بكثير . فقد خلقت من ضلع من أضلاع آدم (تكوين ٢ : ٢٢ ، ٢٣) ، وخلقت لأجل الرجل لتكون معينا له ورفيقاً (تكوين ٢ : ١٨) . ويصور التلمود ، تفسيراً لذلك ، فيقول : « إن الله لم يخلق المرأة من رأس الرجل لئلا تتكبر وتتفاخر عليه ، ولا من عينه لئلا تشتهى ، ولا من أذنه لئلا تصبح فضولية ، ولا من فيه لئلا تصبح ثرثارة ، ولا من قلبه لئلا تحقد وتحسد ، ولا من يده لئلا تصبح طماعة جشعة ، ولا من قدمه لئلا تصبح مجرد جسم هائم على وجهه ؛ ولكنه خلقها من ضلع من أضلاعه . والضلع دائماً مغطى ، ولذلك فالتواضع ينبغى أن يكون صفتها الأولى » . ومن الحقائق التعسة أن المرأة بحسب الناموس اليهودى كانت تعتبر شيئاً ، وجزءاً من ممتلكات زوجها ، له عليها السلطان الكامل وحق التصرف المطلق .

وفى السنهدريم مثلا ، لم يكن للنساء أى حق فى المشاركة فى العبادة ، ولكنهن كن يعزلن تماماً عن الرجال فى رواق خاص يغلق عليهن أو يوضعن فى أى جزء آخر من المبنى . ولم يكن يخطر بالبال ، بحسب الناموس والتقليد اليهودى ، أن النساء يمكن أن يطالبن بأى نوع من المساواة مع الرجال . وفى عدد ١٠ نجد العبارة الغريبة أن النساء يجب أن تتغطى « من أجل الملائكة »

ولسنا نستطيع أن نحدد ما تعنيه هذه العبارة على وجه التأكيد ، ولكن من المحتمل جداً أنها تحمل المعنى عينه الذى ورد فى القصة القديمة الغريبة الواردة فى تكوين ٦ : ١ ، ٢ التى تحكى لنا كيف وقع الملائكة فى شرك فتنة النساء الحسنات وهكذا أخطأوا . فربما تكون الفكرة أن السيدة غير المغطاة تكون تجربة وفخاً حتى بالنسبة للملائكة ، لأن تقليداً تلمودياً قديماً يقول إن الذى أغوى الملائكة كان هو جمال شعر النساء الطويل .

٣ — وينبغى أن نذكر دائماً أن هذا الوضع كله نشأ فى كورنثوس ، ويحتمل أنها كانت أكثر بلاد العالم خلاعة ودعارة ؛ وأن وجهة نظر بولس أنه فى مثل هذا الوسط كان من الأفضل أن يكون الشخص متطرفاً وصارماً فى التواضع والمحافظة ، من أن يتساهل فى شىء لئلا يعطى للوثنيين فرصة لينتقدوا المسيحيين ويتهموهم بالتهاون والتراخى ؛ وقد يكون التساهل أيضاً سبباً فى تجربة المسيحيين أنفسهم . ومن الخطأ تماماً أن نظن أن الكلام فى هذا الفصل ينطبق على كل مكان فى العالم . لقد كان الأمر يتعلق بكنيسة كورنثوس ، ولكن لا علاقة له بمسألة ما إذا كانت السيدات فى عصرنا الحاضر يلبس قبعات فى الكنيسة أم لا .

غير أنه بالرغم من أن كل ما يعنيه هذا الفصل هو ذات طابع محلى بحت ، فإنه يقدم لنا ثلاث حقائق عظيمة دائمة :

١ — إنه من الأفضل أن نخطىء بأن نشتط فى الصرامة والتصميم من أن نخطىء بأن نتهاون ونتراخى . ومن الأفضل جداً أن نتخلى عن حقوق قد تكون معثرة لبعض الناس ، من أن نصر على ممارستها . وقد يكون طابع هذا العصر أن ينتقد تقاليد الماضى ، ويندد بما جرى عليه العرف ، ولكن العاقل يجب أن يتريث كثيراً قبل أن يتحدى التقاليد ، ويزدرى بها ، حتى

لا يصدم الآخرين ويعثرهم . حقاً إنه لا ينبغى أن يكون عبداً للتقاليد ، ولكنه فى الوقت عينه يجب أن يلاحظ أن التقاليد لم تنشأ فى الأصل للاشىء ، بل لابد أن فيها أشياء ذات قيمة وذات معنى .

٢ — وحتى بعد أن نبر بولس على تبعية النساء ، نراه يواصل حديثه منبراً بشدة على الشركة التى بين الرجل والمرأة باعتبارها شيئاً أساسياً لا غنى عنه . فلا يستطيع الواحد منهما أن يعيش دون الآخر . فإذا كانت هناك تبعية من طرف لآخر فليست التبعية مقصورة لذاتها ، ولكن لتكون الشركة الروحية بالنسبة للطرفين أجمل وأحلى وأكثر ثمراً .

٣ — ويختتم بولس هذا الفصل بتوبيخ للرجل الذى يجادل ويخاصم لمجرد هواية المجادلة والخصومة ، فمهما كانت الخلافات التى تنشأ بين الناس ، فإنه لامكان فى الكنيسة للشخص الذى يتعمد إثارة الخصام والنزاع . إننا يجب أن نتمسك بمبادئنا ونثبت عليها ، ولكننا لا ينبغى أبداً أن نضيع وقتاً فى المجادلات والمنازعات . وليس هناك ما يمنع الناس عن أن يختلفوا ، ومع ذلك فإنهم يستطيعون التعايش والبقاء جنباً إلى جنب فى سلام .

العشاء الخطأ

وَلَكِنَّنِى إِذْ أُوصِى بِهَذَا لَسْتُ أَمْدَحُ كَوْنَكُمْ تَجْتَمِعُونَ لَيْسَ لِلأَفْضَلِ بَلْ لِلأَرْدَإِ . لأَنِّى أَوَّلاً حِينَ تَجْتَمِعُونَ فِى الْكَنِيسَةِ أَسْمَعُ أَنَّ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٍ وَأُصَدِّقُ بَعْضَ التَّصْدِيقِ . لأَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَكُمْ بِدَعٌ أَيْضاً لِيَكُونَ الْمُزَكَّوْنَ ظَاهِرِينَ بَيْنَكُمْ . فَحِينَ تَجْتَمِعُونَ مَعاً لَيْسَ

هُوَ لِأَكْلِ عَشَاءِ الرَّبِّ . لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَسْبِقُ فَيَأْخُذُ عَشَاءَ نَفْسِهِ فِى الأَكْلِ فَالْوَاحِدُ يَجُوعُ وَالآخَرُ يَسْكَرُ . أَفَلَيْسَ لَكُمْ بُيُوتٌ لِتَأْكُلُوا فِيهَا وَتَشْرَبُوا . أَمْ تَسْتَهِينُونَ بِكَنِيسَةِ اللهِ وَتُخْجِلُونَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ . مَاذَا أَقُولُ لَكُمْ أَأَمْدَحُكُمْ عَلَى هَذَا لَسْتُ أَمْدَحُكُمْ .

(١ كورنثوس ١١ : ١٧ – ٢٢)

كان العالم القديم من نواح كثيرة عالمـاً إجتماعياً يفوق فى ذلك عالمنااليوم. فكان هناك ، مثلا ، تقليد عام وهو أن تجتمع جماعات من الناس ليشتركوا معاً فى تناول الطعام فى شبه ولائم عامة . وكان هناك ، بنوع خاص ، ولمية معينة يحضر فيها كل واحد طعامه الخاص معه ، ثم تجمع كل الأطعمة معاً لتكون كلها الوليمة العامة . وكان للكنيسة الأولى مثل هذه العادة،فكانت لهم وليمة يسمونها « وليمة المحبة » . وكان يأتى إلى هذه الوليمة كل المسيحيين حاملين معهم ما استطاعوا من الأطعمة . وبعد أن يقدم الجميع كل ما أحضروه ، كانوا يجلسون معاً ويشتركون فى تناول الطعام .

وكان هذا تقليداً جميلا ؛ ومما يؤسف له أن مثل هذا التقليد لم يعد له وجود بيننا اليوم . لقد كان هذا التقليد بمثابة بذرة الشركة المسيحية الحقيقية وغذاء لها . ولكن المؤسف أنه قد حدثت أخطاء وانحرافات فى كنيسة كورنثوس بخصوص ولمية المحبة هذه . فقد كان فى الكنيسة أغنياء وفقراء ، كان هناك الذين يستطيعون إحضار الكثير ، وكان هناك العبيد الذين لم يستطيعوا أن يحضروا شيئاً يذكر . والحقيقة أن ولمية المحبة كانت تعتبر بالنسبة لعبيد كثيرين ، الأكلة الوحيدة اللذيذة فى الأسبوع كله . ولكن فى كورنثوس ضاع فن المشاركة وفقدت روح الشركة .

وحدث أن الأغنياء امتنعوا عن مشاركة طعامهم مع الآخرين ، وكانوا يتناولونه فى مجموعات صغيرة تكاد تكون مقتصرة عليهم ، ولم يشتركوا مع الفقراء أو يتركوا لهم شيئاً . وكان من نتيجة ذلك أن المائدة التى كان ينبغى أن تزال فيها الفوارق الاجتماعية بين أعضاء الكنيسة ، أدت بالعكس إلى تعميق هذه الفوارق وزيادة حدتها . وما كان ينبغى أن ينظر إليه باعتباره شركة ومشاركة ، قد انحط فأصبح مجرد إظهار للفوارق الطبقية ، وتحزب سافر للطبقات ، ولم يتردد بولس فى توبيخ هذا كله توبيخاً صريحاً صارماً .

١ — ربما كانت الجماعات المختلفة تتكون من أفراد لهم آراء مختلفة . وقد قال أحدهم : « إذا كانت لك الغيرة الدينية ، دون أن تكون متحزباً دينياً ، فهذا برهان عظيم على التكريس الحقيقى » . ومهما اختلف تفكيرنا عن تفكير شخص آخر فإننا نستطيع — إذا تحدثنا إليه وحرصنا على استمرار الشركة معه أن نفهمه ، وقد نرثى له ونقدر دوافعه وظروفه ونواسيه ،ولكننا إن أبعدنا أنفسنا عنه ، وجعلنا من أنفسنا جماعة قليلة مقفلة بينما بقى هو داخل دائرة جماعته القليلة الخاصة به ، فى هذه الحالة لن يكون هناك تقارب أو أى فهم متبادل :

إن أفضل السبل إذا رأينا هذا الشخص يظل داخل دائرته ويقفل بابه فى وجوهنا ويندفع فى الضلال بعيداً عنا ، أن نكن له من المحبة وروح الشركة ما يجعلنا نفتح دائرتنا نحن فى وجهه ونكسبه :

٢ — كانت الكنيسة الأولى هى المكان الوحيد ، فى العالم القديم ، الذى تحطمت فيه الحواجز التى كانت تفصل العالم وتمزقه . كان ذلك العالم منقسماً بشكل عنيف وصارم جداً . وكان هناك الأحرار والعبيد ، واليونانيون

والبرابرة — أى الناس الذين لم يكونوا يتكلمون اليونانية ، واليهود والأمم ، والمواطنون الرومانيون وغيرهم ممن اعتبروا من جنسيات أقل من الجنسية الرومانية ، والمتعلمون والجهلاء : أما الكنيسة فكانت هى المكان الوحيد الذى يمكن لكل هؤلاء الناس المختلفين المنقسمين أن يجتمعوا فيه معاً . وقد كتب أحد مؤرخى الكنيسة عن تلك الجماعات المسيحية الأولى ، فقال : « لقد استطاعوا فى حدودهم الخاصة أن يحلوا المشكلة الاجتماعية التى أعيت رومة ، والتى لاتزال تحير أوروبا . لقد رفعوا من مقام المرأة فوضعوها فى مكانتها الشرعية ، وردوا للعامل كرامته ، وأزالوا الشحاذة ، وانتزعوا شوكة العبودية .

وقد كان السر فى هذه الثورة أن أنانية الجنس والطبقة قد اختفيت تماماً فى عشاء الرب ؛ وحل محلها أساس جديد للمجتمع دعامته محبة الناس الذين خلقوا على صورة الله والذين مات المسيح لأجلهم » . إن الكنيسة التى يوجد بها تمييز ومراعاة للفوارق الإجتماعية والطبقية ليست كنيسة حقيقية فالكنيسة الحقيقية هى بمثابة جسد واحد مكون من أعضاء من الرجال والنساء متحدين بعضهم مع بعض لأنهم جميعاً مرتبطون بالمسيح . وحتى اللفظ المستعمل لوصف الفريضة له دلالته . فإننا نسميها عشاء الرب ، وكلمة عشاء لم يعد لها المعنى العميق الذى كان يعرفه اليونانيون . فالعشاء قد لا يكون فى بعض البلدان الوجبة الرئيسية . أما عندهم فقد كان كل مايتناولونه فى الإفطار هو قطعة صغيرة من الخبز يغمسونها فى الخمر . وكانوا يتناولون وجبة الظهر فى أى مكان حسبما اتفق ، ربما فى الشارع . أما طعام العشاء فقد كان هو الوجبة الرئيسية فى اليوم حيث كان الناس يجتمعون معاً دون إحساس بالعجلة ، ولم يكتفوا بالأكل حتى الشبع ولكنهم كانوا يتسامرون طويلا : فى إطلاق

لفظ العشاء على الفريضة بيان بأن الأكلة المسيحية ينبغى أن تكون فرصة طويلة يستمتع فيها الناس بعضهم ببعض فى شركة جميلة متبادلة .

٣ — إن الكنيسة لا تكون كنيسة حقيقية إذا فقدت أو نسيت روح الشركة وفن المشاركة . فعندما يرغب أناس فى الإحتفاظ بكل شيء لأنفسهم وداخل دائرتهم الخاصة بهم ، فهم ليسوا بمسيحيين ، ولا يمتون للمسيحية بصلة . إن المسيحى الحقيقى لا يقبل أن يمتلك أكثر من اللازم ، بينما يرى الآخرين لا يجدون الكفاف . إن إمتيازه الأعظم ليس فى حرصه على ماله من إمتيازات والاحتفاظ بها لنفسه بل فى أن يشارك الآخرين إمتيازاته .

عشاء الرب

لِأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ ٱلرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً إِنَّ ٱلرَّبَّ يَسُوعَ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا أَخَذَ خُبْزاً . وَشَكَرَ فَكَسَرَ وَقَالَ خُذُوا كُلُوا هٰذَا هُوَ جَسَدِي ٱلْمَكْسُورُ لِأَجْلِكُمْ . اِصْنَعُوا هٰذَا لِذِكْرِي . كَذٰلِكَ ٱلْكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَ مَا تَعَشَّوْا قَائِلاً هٰذِهِ ٱلْكَأْسُ هِيَ ٱلْعَهْدُ ٱلْجَدِيدُ بِدَمِي . اِصْنَعُوا هٰذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي . فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هٰذَا ٱلْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هٰذِهِ ٱلْكَأْسَ تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ ٱلرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ . إِذاً أَيُّ مَنْ أَكَلَ هٰذَا ٱلْخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ ٱلرَّبِّ بِدُونِ ٱسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ ٱلرَّبِّ وَدَمِهِ . وَلٰكِنْ

لِيَمْتَحِنِ ٱلْإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ . لِأَنَّ الَّذِى يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونَ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ . مِنْ أَجْلِ هَذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءُ وَمَرْضَى وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ . لِأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا . وَلكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنا نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ . إِذاً يَا إِخْوَتِى حِينَ تَجْتَمِعُونَ لِلْأَكْلِ انْتَظِرُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً . إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَجُوعُ فَلْيَأْكُلْ فِى الْبَيْتِ كَيْ لاَ تَجْتَمِعُوا لِلدَّيْنُونَةِ . وَأَمَّا الْأُمُورُ الْبَاقِيَةُ فَعِنْدَ مَا أَجِيءُ أُرَتِّبُهَا .

(كورنثوس ١١ : ٢٣ – ٣٤)

يعتبر هذا الفصل من أعظم فصول العهد الجديد وأجدرها بالإهتمام . وذلك لسببين : السبب الأول لأنه يأمرنا بممارسة أقدس فريضة للعبادة فى الكنيسة ، وهى فريضة العشاء الربانى . والسبب الثانى لأن الرسالة إلى كورنثوس أسبق من أنجيل مرقس وهو أقدم البشائر . ومن ثم فان هذا الفصل يعتبر فى الواقع أول سجل لدينا يسرد لنا كلمات نطق بها يسوع .

ولا يمكن أن يكون للفريضة المعنى عينه بالنسبة لكل شخص . ونحن لسنا فى حاجة لأن نفهمها تماماً حتى نستفيد منها . كما قال أحدهم : « إننا لانحتاج لأن نفهم كيمياء الخبز حتى نتمكن من هضمه والإستفادة منه » . ولكن يجب أن نحاول ، على الأقل أن نفهم شيئاً عما كان يسوع يعنيه

عندما تحدث عن الخبز والخمر . فقد قال عن الخبز « هذا هو جسدى » . وهناك حقيقة واحدة بسيطة تمنعنا من أن نفهم هذا الكلام فهماً حرفياً. فعندما قال يسوع هذا ، كان لايزال فى الجسد . وكان واضحاً أنه فى تلك اللحظة التى نطق فيها بهذا الكلام كان جسده والخبز شيئين مختلفين تماماً . كما أنه لم يكن يقصد فقط أن يكون معنى كلامه : « هذا يقوم مقام جسدى » . إن هذا حق ، ولكنه ليس كل المعنى المقصود . أن الخبز المكسور فى الفريضة يقوم فعلا مقام جسد المسيح ، ولكنه بالنسبة للشخص الذى يتناوله بيديه وعلى شفتيه بإيمان ومحبة وتكريس حقيقى ، لا يكون الخبز مجرد أداة للذكرى ، بل يكون أيضاً وسيلة للاتصال الحى بيسوع المسيح . إنه بالنسبة للغريب ، ولغير المؤمن ، وللمستهزىء ، لا يعنى شيئاً ، ولكن بالنسبة لمن يحب المسيح هو الطريق لمحضر المسيح . وعن الكأس قال يسوع : « هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى » . ومن الأصل اليونانى يمكن ترجمة هذه العبارة على هذا النحو « هذه الكأس هى العهد الجديد الذى يكلفنى دمى » أى « الذى أدفع دمى ثمناً له » . والعهد هو علاقة يدخل فيها شخصان . وكان هناك عهد قديم أى علاقة قديمة بين الله والإنسان . وكانت هذه العلاقة مبنية على أساس الناموس . وفى هذه العلاقة اختار الله شعب إسرائيل وصار ، بمعنى خاص ، إلهاً لهم . ولكن كان هناك شرط لبقاء هذه العلاقة ودوامها ، وهو أنه ينبغى أن يحفظ شعب إسرائيل ناموس الله . (خروج ٢٤ : ١ — ٨) . فاستمرار العهد كان يتوقف على حفظ الناموس . ولكن بيسوع أعلنت علاقة جديدة أمام الإنسان ، لاتعتمد على أساس الناموس ، بل على أساس المحبة ، ولا تعتمد على قدرته على حفظ الناموس — لأنه لايوجد إنسان يستطيع أن يفعل ذلك — ولكنها تعتمد على النعمة المجانية لمحبة الله المقدمة للبشر . وهذا يغير كل علاقة الله بالإنسان من أساسها . ففى العهد القديم لم يكن أمام الإنسان سوى أن يكون

باستمرار خائفاً من الله ، لأنه كان يشعر دائماً بقصوره وعجزه عن أن يحفظ الناموس حفظاً كاملا . ولكن فى العهد الجديد يستطيع الإنسان أن يتقدم إلى الله كما يأتى الطفل لأبيه ، وليس كما يمثل المجرم المذنب أمام القاضى الديان . ومهما كانت نظرتك للأمور ، فالحقيقة هى أن حياة يسوع قد دفعت ثمناً لتجعل هذه العلاقة الجديدة بين الله والإنسان ممكنة . وإذا كان الناموس يقول إن « الدم هو النفس » (تثنية ١٢ : ٢٣) فاننا نستطيع أن نقول إن يسوع قد دفع نفسه ، أى دفع دمه ، ثمناً ليجعل العلاقة الجديدة ممكنة . وهكذا يقوم الخمر القرمزى الذى يتناول فى الفريضة مقام ذات دم المسيح عينه الذى لولاه لما كان العهد الجديد ، ولما كانت علاقة الإنسان الجديدة بالله أمراً ممكناً .

ثم يستطرد هذا الفصل فيتحدث عن الأكل من هذا الخبز والشرب من هذه الكأس بدون استحقاق . فما معنى ذلك ؟ إن عدم الاستحقاق يعنى أن الإنسان الذى كان يفعل ذلك كان « غير مميز جسد الرب » ويمكن أن تعنى هذه العبارة أحد شيئين أو كليهما معاً ؛ وكلاهما حقيق وهام :

١ ــ إنها قد تعنى أن الإنسان الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق لا يدرك ما تشير إليه هذه الرموز المقدسة وما تعنيه . وبذلك لايحس بعظمة هذا الشيء الذى يعمله ، ولا يقدر قداسته وقد تشير أيضاً إلى الشخص الذى يأكل ويشرب بلا وقار أو احترام للفريضة ، ودون إدراك للمحبة التى تمثلها هذه الرموز ، ودون فهم للالتزام المفروض عليه إزاءها .

٢ ــ ولكن يمكن أن يكون لهذه العبارة معنى آخر . فان عبارة جسد المسيح تستخدم فى مرات كثيرة لتشير إلى الكنيسة كما سنرى فى إصحاح ١٢ . وقد رأينا أن بولس كان يوبخ الذين كانوا يقسمون الكنيسة بسبب انشقاقاتهم، وتمييزهم للفروق الطبقية .

لذلك يمسى الشخص الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق ، هو الذى لايدرك أن كل الكنيسة هى جسد المسيح ، أو الشخص الذى بينه وبين أخيه خلافات ، أو الذى يحتقر أخاه ويزدرى به ، أو الذى – لأى سبب من الأسباب – ليس فى وئام مع إخوته . فكل شخص يتقدم إلى مائدة الرب وفى قلبه روح الكراهية أو الحقد أو المرارة أو الاحتقار لأخيه فهو يأكل ويشرب بدون استحقاق . فالخلاصة إذاً أن هذه العبارة تعنى إما عدم الوقار وقلة الإدراك لعظمة هذه الفريضة ، أو القيام بها حينما يكون المرء فى خلاف مع أخيه الذى مات المسيح لأجله كما مات لأجلنا .

ويستطرد بولس فيقول إن المصائب التى حلت على كنيسة كورنثوس كان مردها إلى أنهم يتقدمون إلى هذه الفريضة بينماهم منقسمون فيما بينهم ؛ ولكن هذه المصائب لم يقصد بها تحطيمهم بل تأديبهم وإعادتهم إلى الطريق الصحيح .

وهناك شىء واحد يجب أن يكون واضحاً تماماً أمامنا . وهو أن العبارة التى تمنع الإنسان من أن يأكل ويشرب بدون استحقاق ، لا تقفل الباب فى وجه الشخص الخاطىء الذى يعرف ذلك ويحس به . عندما لاحظ أحد الخدام فى كنيسة من الكنائس أن سيدة عجوز تتردد فى التناول من الكأس مد يده وقدمها إليها قائلا « خذيها ياسيدتى ، إنها للخطاة ، إنها لك » . فلو كانت مائدة المسيح تقدم للكاملين فقط ، فلن يوجد إنسان يمكنه التقدم إليها أو الاقتراب منها . إن باب الاقتراب إليها والتناول منها لا يمكن أن يغلق فى وجه الخاطىء التائب النادم . والطريق دائماً مفتوح أمام الإنسان الذى يحب الله ويحب الناس ؛ حتى ولو كانت خطاياه كالقرمز ، فانها تبيض كالثلج .

اعتراف الروح

« وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا . أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ أُمَماً مُنْقَادِينَ إِلَى الأَوْثَانِ الْبُكْمِ كَمَا كُنْتُمْ تُسَاقُونَ . لِذَلِكَ أُعَرِّفُكُمْ أَنَّ لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِرُوحِ اللهِ يَقُولُ يَسُوعُ أَنَاثِيمَا . وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ يَسُوعُ رَبٌّ إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ .

(١ كورنثوس ١٢ : ١ – ٣)

كانت الأمور العجيبة المذهلة التى تحدث فى كنيسة كورنثوس تتم بلاشك بعمل الروح القدس . ولكن فى عصر ساده الاستغراق والانجذاب الروحى كان يمكن أن يكون هناك حماس هستيرى ، أو غرور وهوس ، أو أخطاء بالغة . وفى هذا الإصحاح والأصحاحين التاليين يتحدث بولس عن الظواهر الحقيقية والصادقة لعمل الروح :

وهذا الفصل مهم جداً لأنه يقدم لنا عبارتين كانتا ترددان كصيحات المعارك :

١ — فهناك عبارة « يسوع أناثيما » . وهذه العبارة الشنيعة كانت تقال لأحد أربعة أسباب :

(أ) فاليهود قد يستعملونها ، إذ أن صلوات المجمع كانت تشمل باستمرار صب اللعنات على الهراطقة المارقين وأهل البدع المرتدين ،

ولابد أنهم كانوا يحسبون يسوع واحداً من هؤلاء . وفضلا عن ذلك فان بولس كان يعرف جيداً (غلاطية ٣ : ١٣) أن الناموس اليهودى يقول إنه « ملعون كل من علق على خشبة » ، وقد علق يسوع على خشبة الصليب . إذا لم يكن شيئاً غريباً أن يسمع اليهود وهم يكيلون لعناتهم على ذلك المنحرف الملعون الذى كان المسيحيون يعبدونه .

(ب) ويحتمل جداً أن اليهود كانوا يخيرون المهتدين حديثاً إلى المسيحية بين أن ينطقوا بهذا اللعن أو أن يتحملوا نتائج الطرد والنبذ من كل العبادة اليهودية . وعندما كان بولس يتحدث إلى أغريباس عن الأيام التى كان يضطهد فيها المسيحيين قال : « وفى كل المجامع كنت أعاقبهم مراراً كثيرة واضطرهم إلى التجديف » وإذ أفرط حنقى عليهم كنت أطردهم إلى المدن التى فى الخارج » (أعمال ٢٦ : ١١) . ومن المرجح أنه كان يشترط بل ويحتم على من يرغب البقاء داخل المجمع أن ينطق بلعن على يسوع المسيح . . .

(ج) بغض النظر عن حقيقة ما كان يجرى فى ذلك الوقت المعين الذى كان بولس يكتب رسالته فيه ، فان الحقيقة المؤكدة أنه فيما بعد ، أيام الاضطهاد المرير الذى وقع على المسيحيين ، كان المضطهدون يجبرون المسيحيين على أن يختاروا بين الموت أو لعن المسيح . وفى أيام الأمبراطور تراجان كان الشخص الذى يتهم بأنه مسيحى يطلب منه أن يلعن المسيح ، وبذلك يعرف ما إذا كان مسيحياً أم لا . وعندما قبض على بوليكاربوس ، أسقف سميرنا ، طلب منه الوالى الرومانى استاتيوس كوادراتوس « أن يلعن الكافرين وأن يقسم برأس الإله قيصر وأن يجدف على المسيح » .

وأجاب الأسقف العجوز بعبارته المشهورة : « لقد خدمت المسيح ستة وثمانين عاماً ، لم يسىء إلى فيها ولا مرة واحدة ، فكيف ألعن ملكى

الذى خلصنى وكيف أجدف عليه ؟ » . لقد جاء وقت ما ، كان يتحتم على الإنسان فيه أن يختار بين لعن المسيح أو مواجهة الموت .

(د) كما كان محتملا ، حتى فى الكنيسة ، أنا شخصاً ما — فى حالة من حالات الخبل ونصف الجنون — يصرخ قائلا : « ليكن يسوع ملعوناً » . ففى ذلك الجو الهستيرى كان كل شىء محتملا ثم يزعم أنه من عمـــل الروح . ولذلك يسجل بولس ويؤكد أن ليس أحد يقدر أن يقول كلمة ضد المسيح ثم ينسب تلك الكلمة إلى تأثير الروح أو عمله .

٢ — ولكن إلى جانب هذا توجد أيضاً الصيحة المسيحية : « يسوع رب » . وكانت هذه العبارة البسيطة هى بمثابة عقيدة الكنيسة الأولى ودستور إيمانها (فيلبى ٢ : ١١) . وكانت كلمة « رب » باليونانية هى اللقب الرسمى للأمبراطور الرومانى . وكان المضطهدون دائماً يطلبون من المسيحيين أن يقولوا « قيصر رب » . وهى نفس الكلمة اليونانية التى ترجم إليها إسم يهوه القدوس فى الترجمة اليونانية لأسفار العهد القديم . فعندما كان شخص ما يقول « يسوع رب » فانه كان يعنى أنه يقدم ليسوع ولاءه الأعظم فى حياته وعبادته الأسمى من قلبه .

وجدير بالذكر أن بولس آمن أنه ليس أحد يقدر أن يقول «يسوع رب» إلا عندما يمكنه الروح القدس من ذلك . فان ربوبية يسوع ليست شيئاً يمكن أن يكتشفه الإنسان لنفسه ، بقدر ما هى شىء يكشفه الله بنعمته للانسان .

مواهب الله المتنوعة

« فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ . وَأَنْوَاعُ خِدَمٍ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ الرَّبُّ وَاحِدٌ . وَأَنْوَاعُ أَعْمَالٍ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ الَّذِى يَعْمَلُ الْكُلَّ فِى الْكُلِّ . وَلَكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ . فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةَ . وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ . وَلآخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ . وَلآخَرَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ . وَلآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ وَلآخَرَ تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ . وَلآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ . وَلآخَرَ تَرْجَمَةَ أَلْسِنَةٍ . وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ قَاسِماً لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ »

(١ كورنثوس ١٢ : ٤ – ١١)

إن مجمل فكرة بولس فى هذا الفصل هى أن ينبر على لزوم الوحدة فى الكنيسة وأهميتها القصوى . فالكنيسة هى جسد المسيح ، والصفة المميزة لجسد السليم هى أن كل عضو من أعضائه يؤدى وظيفته على الوجه الأكمل لصالح الجسد ككل . ولكن الوحدة لا تعنى أن يكون الجميع من طراز واحد ، ففى الكنيسة توجد مواهب مختلفة ووظائف متنوعة ، ولكن كل واحدة منها إنما هى هبة من الروح الواحد ، وكل واحدة منها لم يقصد بها مجد عضو الكنيسة كفرد ، بل قصد بها خير الكل .

ويبدأ بولس كلامه هنا بالقول إن كل المواهب الخاصة هى من الله . فهو يعتقد أن أية موهبة أو قدرة خاصة عند الإنسان هى فى الأصل من الله ، وأنها لذلك يجب أن تستخدم فى خدمته . إن خطأ الكنيسة ، فى العصور الحديثة على الأقل ، هو أنها فسرت فكرة المواهب الخاصة هذه تفسيراً ضيقاً للغاية . فمن الواضح أن الكنيسة قد تصرفت فى أغلب الأحوال على افتراض أن المواهب الخاصة التى يمكن أن تستفيد منها هى تقريباً المواهب الفكرية والأكاديمية ، كالوعظ والصلاة والتعليم والكتابة . وكان يجدر بالكنيسة أن تدرك أن مواهب الرجل ذى الحرفة وصاحب الصنعة الذى يشتغل بيديه ليست أقل شأناً ، وأنها هى أيضاً فى الحقيقة هبة من الله . فالبناء والنجار والكهربائى والنقاش والمهندس والسباك ، كل هؤلاء لهم مواهبهم الخاصة . ولسوف تزيد قدرات الكنيسة وتتسع إمكانياتها وتخصب نواحى نشاطها وخدمتها ، لو أنها وظفت فى أعمالها وخدماتها أصحاب الحرف والصناعات المستعدين أن يكرسوا لله كل مهاراتهم اليدوية ، تماماً كما تفعل مع المقتدرين فى الخطابة أو التفكير أو الكتابة .

فلا يوجد مبرر لعدم تعيين أصحاب الحرف الذين يرحبون بوضع حرفهم فى خدمة الكنيسة ، شيوخاً فى الكنيسة مثلا . فكل موهبة خاصة هى من الله . ويمكن استخدامها لمجد الله .

ومن الأهمية بمكان أن نفحص قائمة المواهب الخاصة التى يذكرها بولس لأننا نستطيع منها أن نعرف الكثير عن سجايا الكنيسة الأولى وعملها . فلنتحدث عن هذه المواهب واحدة واحدة .

يذكر بولس فى البداية شيئين يبدوان وكأنهما متشابهان تماماً :

« كلام حكمة » و « كلام علم » . وقد عرف اكليمندس الأسكندرى

الكلمة اليونانية المترجمة هنا « حكمة » بأنها « معرفة الأمور الإنسانية والإلهية ومسبباتها » وقد وصفها أرسطو طاليس بأنها « الكفاح للوصول إلى أحسن الأهداف باستخدام أحسن الوسائل » . وهذه هى أسمى أنواع الحكمة ، وهى ليست أقل من معرفة الله نفسه . ولذلك فهى لا تأتى من الفكر والعقل البشرى بقدر ما هى نابعة من الشركة مع الله . إنها الحكمة التى تعرف الله . أما الكلمة اليونانية المترجمة « علم » هنا فهى تعنى الجانب العملى . إنه العلم الذى يعرف ماذا يفعل وكيف يتصرف فى أى موقف . فهو التطبيق العملى « للحكمة » فى الحياة الإنسانية وشئونها . وكلا الشيئين لازم وضرورى : الحكمة التى بالشركة مع الله تعرف أعماق الله ، والعلم الذى يستطيع أن يمارس هذه الحكمة فى الحياة اليومية وفى العمل الدنيوى وفى خدمة الكنيسة .

وتأتى بعد ذلك فى قائمة المواهب موهبة « الإيمان » .

ولعل بولس يقصد شيئاً أكثر مما يمكن أن نسميه الإيمان العادى . فهذا النوع من الإيمان هو الإيمان المقتدر ، وهو القوة التى تدرك الروحيات وغير المنظور . إنه الإيمان الذى يستطيع أن يحقق نتائج واضحة ؛ الإيمان الذى — بحسب العبارة القديمة — يستطيع أن يحرك الجبال . إنه ليس مجرد الاقتناع الفكرى بصدق شىء ما ، ولكنه الإيمان السريع الحاد الذى يدفع الإنسان أن ينفق كل ما عنده وأن يضحى بكل ماله فى سبيل هذا الشىء الذى يؤمن أنه حق . إنه الإيمان الذى يجعل الإرادة صلبة والعزيمة قوية ، ويدفع الإنسان إلى العمل بقوة ونشاط ليتمم مقاصد الله فى حياته . إنه الإيمان الذى يترجم الرؤى إلى حقائق وأعمال .

ثم يتحدث بولس بعد ذلك عن « مواهب الشفاء » . ولقد عاشت الكنيسة الأولى فى عالم كانت فيه معجزات الشفاء شيئاً شائعاً . فاذا مرض

يهودى فانه كان يفكر فى الذهاب إلى الحبر أو الحاخام قبل أن يفكر فى الذهاب إلى الطبيب . وكان يشفى فى أغلب الأحيان . وكان اليونانيون يذهبون إلا اسكيولا بيوس إله الشفاء فيزورون هياكله ، ويقضون هناك ليالى بأكملها لكى يشفوا ؛ وكانوا يشفون . وإلى يومنا هذا لا تزال توجد نقوش أثرية على لوحات تذكارية من آثار تلك الهياكل ، مسجل عليها تذكارات لحوادث الشفاء التى تمت فى تلك الهياكل . وفى معبد أبيدوروس يوجد نقش يحكى كيف أن شخصاً اسمه الكيتاس كان أعمى ، ولكنه رأى فى حلم وكأن الإله جاء إليه ليفتح عينيه بأصابعه . وعند طلوع النهار مضى فى طريقه وقد نال الشفاء وصار يبصر . وفى الهيكل الموجود فى روما يوجد نقش أثرى آخر يحكى كيف أن جندياً اسمه فالريوس أبركان أعمى ، وأوحى الإله إليه أن يمزج دم ديك أبيض بعسل نحل ويعمل منهما مرهماً يدهن به عينيه لمدة ثلاثة أيام . ولما شفى الجندى من العمى وصار يبصر جاء إلى هيكل الإله ليقدم له الشكر علانية .

وهكذا نرى أن حوادث الشفاء كانت كثيرة فى ذلك العصر . ولا يوجد أدنى شك فى أن مواهب الشفاء كانت موجودة فعلا فى الكنيسة الأولى .

ولم يكن بولس ليذكرها لولا أنها كانت موجودة حقاً . وفى رسالة يعقوب (٥ : ١٤) يعلم الرسول بأنه إذا كان أحد مريضاً فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب . ومن الحقائق التاريخية البسيطة أن فريضة المسحة كانت حتى القرن التاسع تمارس للشفاء .

وحينئذ فقط أصبحت فريضة المسحة النهائية ، وإعداداً للموت . ولم تفقد الكنيسة أبداً موهبة الشفاء هذه . وهى اليوم بدأت تستكشفها من جديد . قال الكاتب الفرنسى الحكيم مونتين وهو يتحدث عن تعليم الولد : « إننى

لا أحب أن يكون تدريب أعضاء جسمه أقل جودة أو عناية من تدريب عقله وتفكيره . إننا لا نربى عقلا فحسب ، ولا جسماً فحسب ، ولكننا نربى إنساناً ولا ينبغى أن نشطر هذا الإنسان شطرين » . ولقد ظلت الكنيسة لمدة طويلة تقسم الإنسان إلى نفس وجسد . وتحملت مسئولية نفسه فقط ولم تشعر بأن عليها مسئولية تجاه جسده . ومن أعظم ما استرددناه فى عصرنا الحاضر أننا أصبحنا مرة أخرى نتعلم أن نعامل الإنسان ككل . وسيأتى اليوم الذى سيعمل فيه الطبيب والقسيس جنباً إلى جنب بيد واحدة .

ثم يضع بولس فى القائمة موهبة « عمل قوات » وأغلب الظن أن الرسول يشير هنا إلى مسألة الرقى والتعاويذ . وفى تلك الأيام كانت أمراض كثيرة ، إن لم يكن كلها ، وخصوصاً الأمراض العقلية ، تنسب إلى عمل الشياطين والأرواح النجسة . وكانت إحدى وظائف الكنيسة وأعمالها هى أن تطرد هذه الأرواح النجسة . وسواء أكانت هذه الأرواح حقيقية أم لا ، فان الشخص الذى كانت تمتلكه لا يخامره الشك فى أنها حقيقية . واستطاعت الكنيسة أن تساعده ، وساعدته فعلا . ولا يزال إخراج الشياطين والأرواح النجسة أمراً حقيقياً وملموساً فى حقول العمل المرسلى . إن على الكنيسة فى كل الأوقات والعصور أن تهتم بخدمة العقل المريض والمضطرب .

ثم يستطرد بولس فى حديثه عن المواهب فيذكر موهبة « النبوة » . ولو أننا ترجمنا هذه الكلمة إلى « الوعظ » لكان معناها أكثر وضوحاً أمامنا . ذلك لأن كلمة « نبوة » ترتبط فى أذهاننا بمعنى التنبوء بالمستقبل . ولكن الحقيقة هى أن معنى هذه الكلمة كان أقرب إلى الحديث عن المستقبل منه إلى التنبوء بما سيحدث فى المستقبل . إن النبى هو الإنسان الذى يعيش على مقربة وثيقة جداً من الله بحيث يتمكن من معرفة فكر الله وقلبه وإرادته وقصده ، وهكذا يستطيع أن يعلن ذلك للناس . ولهذا السبب فان عمل النبى مزدوج :

(أ) إنه يقدم للناس التوبيخ والإنذار ويخبرهم أن سلوكهم ليس مطابقاً لمشيئة الله .

(ب) وهو أيضاً يقدم للناس النصح والإرشاد حتى يقودهم إلى الطريق الذى يعرف أن الله يريدهم أن يسيروا فيه .

ثم يواصل بولس حديثه فيذكر موهبة القدرة على « تمييز الأرواح » . وفى مجتمع يكون الجو فيه متوتراً ومتكهرباً ، وحيث تكون كل أنواع الشذوذ أشياء عادية ، كان من اللازم التمييز بين ما هو حقيقى وما هو مجرد مظاهر هستيرية ؛ بين ما هو أصيل وما هو خداع أو وهم ؛ بين ما كان من الله وما كان من الشيطان . وإلى يومنا هذا ، عندما نرى شيئاً غير عادى أو غير مألوف لنا ، فانه من الصعوبة بمكان أن نميز ما إذا كان ذلك الشيء من الله أم لا . والمبدأ الوحيد الذى ينبغى أن نلتزم به هو أنه يجب علينا دائماً أن نحاول أن نفهم قبل أن ندين .

وأخيراً يختتم بولس قائمة المواهب بموهبة « أنواع ألسنة » وموهبة القدرة على « ترجمة ألسنة » . وقد كانت هذه أهم المسائل ، كما سنرى فيما بعد ، وكانت سبب حيرة عظيمة وارتباك شديد فى كنيسة كورنثوس . ومع أن موضوع التكلم بألسنة لا يزال موجوداً ، لكنه فى معظم جوانبه غريب عن اختبارنا والذى كان يحدث هو هذا : فى أثناء الخدمة فى الكنيسة كان أحدهم من فرط سروره الذى يصل إلى حد الذهول يتدفق منه سيل من الأصوات غير المفهومة بغير لغة معروفة . وكانت هذه الموهبة هى أعلى ما يطمع فيه من المواهب لأنه كان ينظر إليها باعتبارها نتيجة للتأثير المباشر لروح الله. وبالنسبة للجمهور كانت هذه الموهبة بالطبع غير مفهومة كلية . وكان الشخص الذى يصل إلى هذا الحد من التأثر يستطيع أحياناً أن يترجم كل ما يتدفق من لسانه من أصوات ؛ ولكن الأمر كان يتطلب شخصاً آخر له موهبة الترجمة

لكى يقوم بهذه المهمة . ولم يشك بولس أبداً فى حقيقة موهبة الألسنة هذه ، ولكنه كان يدرك جيداً أن لها أخطارها ، لأنه من الصعب التميز بينها وبين حالات الذهول والهستيريا والاستسلام لما يشبه التنويم المغناطيسى .

والصورة التى ترسم أمامنا من هذا كله هى صورة كنيسة حية نشطة . حدثت فيها مظاهر مدهشة عمقت الحياة وسمت بها وزادت من قدرها وعظمتها وجعلتها زاخرة بالحيوية والقوة . ولم يكن هناك عن الكنيسة الأولى شيء تافه أو ممل أو عادى . وقد علم بولس أن كل هذا النشاط القوى الزاخر بالبهاء المليء بالانتعاش والحيوية كان من عمل الروح القدس الذى أعطى لكل واحد موهبته التى يستخدمها لأجل الكل .

جسد المسيح

لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءُ كَثِيرَةٌ وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ كَذَلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً . لِأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً وَجَمِيعَنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً . فَإِنَّ الْجَسَدَ أَيْضاً لَيْسَ عُضْواً وَاحِداً بَلْ أَعْضَاءُ كَثِيرَةٌ . إِنْ قَالَتِ الرِّجْلُ لِأَنِّي لَسْتُ يَداً لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ . أَفَلَمْ تَكُنْ لِذَلِكَ مِنَ الْجَسَدِ . وَإِنْ قَالَتِ الْأُذُنُ لِأَنِّي لَسْتُ شَيْئاً لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ . أَفَلَمْ تَكُنْ لِذَلِكَ مِنَ الْجَسَدِ . لَوْ كَانَ كُلُّ الْجَسَدِ عَيْناً فَأَيْنَ السَّمْعُ . لَوْ كَانَ الْكُلُّ سَمْعاً فَأَيْنَ الشَّمُّ .

وَأمّا الآنَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ الأَعْضَاءَ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهَا فى الْجَسَدِ كَمَا أَرَادَ . وَلَكِنْ لَوْ كَانَ جَمِيعُهَا عُضْواً وَاحِداً أَيْنَ الْجَسَدُ . فالآنَ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ جَسَدٌ وَاحِدٌ . لاَ تَقْدِرُ العَيْنُ أَن تَقولَ للِيَدِ لاحاجَةَ لى إِلَيْكِ . أَوالرَّأْس أَيضاً لِلرِّجْلَيْنِ لاَ حَاجَةَ لِى إِلَيْكُمَا . بَلْ بالأَوْلَى أَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِى تَظْهَرُ أَضْعَفَ هِيَ ضَرُورِيَّةٌ . وَأَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِى نَحسبُ أَنَّهَابِلاَ كَرَامَةٍنُعْطِيهاكَرَامَةً أَفْضَل.وَالْأَعْضَاءُالْقَبِيحَةُ فِينَا لَهَا جَمَالٌ أَفْضَلُ . وَأَمَّا الْجَمِيلَةُ فِينَا فَلَيْسَ لَهَا ٱحْتِيَاجٌ . لَكِنَّ اللهَ مَزَجَ الْجَسَدَ مُعْطِياً النَّاقِصَ كَرَامَةً أَفْضَلَ . لِكَيْ لاَ يَكُونَ ٱنْشِقَاقٌ فى الْجَسَدِ بَلْ تَهْتَمُّ الْأَعْضَاءُ ٱهْتِمَاماً وَاحِداً بَعْضُهَا لِبَعْضٍ . فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ فَجَمِيعُ الأَعْضاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ . وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ فَجَمِيعُ الأَعْضاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَاداً . فَوَضَعَ اللهُ أُنَاساً فى الْكَنِيسَةِ أَوّلاً رُسُلاً ثَانِياً أَنْبِيَاءَ ثَالِثاً مُعَلِّمِينَ ثُمَّ قُوّاتٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ أَعْوَاناً تَدَابِيرَ وَأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ . أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ رُسُلٌ . أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ أَنْبِيَاءُ . أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ مُعَلِّمُونَ . أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ أَصْحَابُ قُوّاتٍ . أَلَعَلَّ لِلْجَمِيعِ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ . أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ . أَلَعَلَّ

الْجَمِيعَ يُتَرْجِمُونَ . وَلَكِن جِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الْحُسْنَى . وَأَيْضاً أُرِيكُمْ طَرِيقاً أَفْضَلَ .

(١ كورنثوس ١٢ : ١٢ – ٣١)

نجد هنا فى هذا الفصل صورة من أشهر الصور التى كتبت عن وحدة الكنيسة . ولقد تعود الناس أن يسحروا ويبهروا عندما يتأملون الطريقة التى تتعاون بها أجزاء الجسم المختلفة . ومنذ زمان طويل رسم أفلاطون فى كتاباته صورة شهيرة قال فيها إن الرأس هى القلعة ، والرقبة فى البرزخ ، بين الرأس والجسم ، والقلب هو نبع الجسد ، والمسامات هى دروب الجسم ، والشرايين هى قنواته ، وهكذا رسم بولس صورة الكنيسة كجسد . فالجسد يتكون من أجزاء كثيرة ولكنها فى مجموعها تعتبر وحدة لازمة . وأوضح أفلاطون أننا لا ينبغى أن نقول : « إصبعى يتألم » بل أن يقول « أنا أحس بألم » . ومن ثم فانه يوجد « أنا » الشخصية ، التى تكسب الوحدة لكل أعضاء الجسم الكثيرة والمختلفة . والمسيح بالنسبة للكنيسة هو بمثابة « أنا » — الشخصية — بالنسبة للجسد . فى المسيح تجد كل الأجزاء المختلفة والمتنوعة وحدتها .

ثم يستطرد بولس فنراه ينظر إلى هذا الأمر بطريقة أخرى . فهو يقول : « أنتم جسد المسيح » . وهو فى هذه الفقرة يقدم لنا فكرة عظيمة رائعة . فلم يعد يسوع المسيح موجوداً بالجسد فى هذا العالم . ولذلك فاذا كان يريد أن يؤدى شيئاً أو عملا ما فى هذا العالم فلا بد أن يجد إنساناً يؤديه له . فاذا أراد أن طفلا يتعلم ، فلا بد أن يجد له المعلم . وإذا أراد أن مريضاً يشفى ، فلا بد أن يهيء له الطبيب أو الجراح الذى يقوم له بهذا العمل . وإذا أراد أن قصته تذاع وتنشر ، فلا بد أن يجد الشخص الذى يفعل ذلك . أى أننا ينبغى أن نكون جسد المسيح ؛ أن نكون اليدين اللتين تؤديان عمله ، وأن نكون القدمين اللتين تسرعان لأداء المهام والمأموريات التى يكلفنا بها ، وأن نكون الصوت

الذى يتكلم بما يريد هو أن يعلنه . وهذا هو المجد العظيم السامى الذى يتوج هامة الإنسان المسيحى — أنه جزء من جسد المسيح على الأرض .

وهكذا يرسم بولس صورة الوحدة التى ينبغى أن تكون داخل الكنيسة إذا ما أرادت أن تحقق رسالتها الحقيقية ووظيفتها الصحيحة . فالجسد يكون صحيحاً وقوياً وكفءاً عندما يؤدى كل جزء فيه عمله على الوجه الأكمل . وأعضاء الجسم مترابطة لا يحسد واحد منها الآخر ، ولا يطمع واحد منها فى عمل الآخر أو وظيفته . بل إن كل جزء يقوم بعمله الخاص ، وبهذا فقط يمكن أن يتمتع الجسم بصحة جيدة . وفى هذه الصورة التى يرسمها بولس نجد أشياء معينة ينبغى توافرها فى الكنيسة التى هى جسد المسيح .

١ — ينبغى أن ندرك أن كلا منا يحتاج إلى الآخر . فلا يمكن أن يوجد فى الكنيسة شىء اسمه انعزالية أو انفصالية . ولكن يحدث كثيراً أى أن بعض الناس فى الكنيسة ينشغلون بعمل ما ، ويستغرقون فيه ويحسون بأهميته العظمى حتى ينسون الآخرين الذين اختاروا لأنفسهم عملا آخراً يقومون به داخل الكنيسة نفسها ، وقد ينتقدونهم ويسخرون من عملهم . وهذا خطأ كبير . فلكى تكون الكنيسة جسداً صحيحاً ، فانها تحتاج إلى العمل المشترك الذى يستطيع كل واحد أن يقوم به .

٢ — كما ينبغى أن يحترم كل منا الآخر . فلا مجال فى الجسد لأن يشعر جزء منه بأنه أهم من الآخر أو أكثر لزوماً منه . وإذا توقف أى عضو من أعضاء الجسم عن أداء وظيفته فان الجسد كله سيتعطل . وهكذا الأمر بالنسبة للكنيسة فكل أنواع الخدمة فيها على درجة متساوية من الأهمية والضرورة فى نظر الله وفى الوقت الذى نبدأ فيه فى التفكير فى أهميتنا الذاتية فى الكنيسة المسيحية ، تضيع من أيدينا كل إمكانية لأى عمل مسيحى حقيقى .

٣ ـ يجب أن يواسى كل منا الآخر ويشاركه ظروفه . فاذا تأثر أى جزء فى الجسم من شىء ما فان كل أجزاء الجسم الأخرى يجب أن تشعر به ، ولا تستطيع أن تتغاضى عن مواساته أو تتجاهل مشاعره . والكنيسة وحدة كاملة بأعضائها . والشخص الذى لا يستطيع أن يمد بصره ليرى ما وراء جمعيته أو منظمته ، والشخص الذى لا يستطيع أن يرى ما وراء طائفته أو جماعته ، والشخص الذى لا يستطيع أن يرى ما هو خارج دائرة الروابط العائلية والعلاقات الشخصية ، مثل هؤلاء الأشخاص لم يعوا بعد حقيقة وحدة الكنيسة الكبيرة الجامعة .

وفى نهاية هذا الأصحاح يواصل بولس حديثه عن الأنواع المختلفة للخدمة فى الكنيسة . وقد سبق أن ذكر بعضها فيما تقدم ، ولكن البعض الآخر لم تسبق الإشارة إليه :

١ ـ يضع بولس « الرسل » أو كل شىء . وكان الرسل بلا جدال هم أعظم الشخصيات فى الكنيسة . ولم يكن سلطانهم محصوراً فى مكان واحد ، ولم تكن خدمتهم ذات صبغة محلية مستقرة ، بل كانت تشمل الكنيسة كلها ، كلها ، وكانت كلمتهم مسموعة فى جميع أنحائها . ولماذا ؟

لقد كان المؤهل الأساسى للرسول هو أن يكون شخصاً رافق يسوع حياته على الأرض ، وكان شاهداً للقيامة (أعمال ١ : ٢٢) .

فكان الرسل إذن أوثق الناس اتصالا لا بيسوع فى أيام وجوده فى الجسد وشاهدين لقيامته . ولم يسطر يسوع كلمة على ورق ، ولم يخلف وراءه كتاباً مطبوعاً ، ولكنه كتب رسالته على قلوب جماعة من الناس ، وكان هؤلاء الناس هم الرسل . فلا يمكن لأية منظمة بشرية أن تعطى إنساناً ما نفوذا أو سلطاناً كهذا . إن النفوذ الحقيقى يناله الإنسان الذى كان مرافقاً ليسوع . قال أحدهم مرة لا لكساندر هوايت بعد انتهاء الاجتماع :

« لقد وعظت اليوم كما لو كنت قادماً مباشرة من محضر الله » . إن الشخص الذى يأتى من محضر الله لا بد أن يكون لكلماته سلطان وتأثير رسولى بغض النظر عن الطائفة التى ينتمى إليها .

٢ ــ سبق الكلام عن الأنبياء ، ولكن بولس الآن يضيف إليهم « معلمين » . ومهما وصفنا أهمية هؤلاء المعلمين فلن يصل وصفنا إلى حد المبالغة . فقد كانوا هم المنوط بهم تثبيت وبنيان المتجددين الذين ربحهم المبشرون والرسل . وكان عليهم أن يواصلوا تعليم الرجال والسيدات الذين لم يكونوا يعرفون شيئاً عن المسيحية . فاذا تذكرنا أن أول ما كتب من بشائر الإنجيل ، وهو إنجيل مرقس . لم يكتب إلا حوالى عام ستين بعد الميلاد تقريباً ، أى بعد صلب يسوع بحوالى ثلاثين عاماً ، وإذا تذكرنا أن الطباعة لم تكن معروفة فى ذلك العصر وأن الكتب كانت تكتب باليد وكانت نادرة جداً ، وأن شراء كتاب فى حجم العهد الجديد كان يكلف حوالى أربعين جنيهاً ، وهو مبلغ أكبر من طاقة الرجل العادى . لامتلاك كتاب خاص به ، عرفنا أنه كان لا مناص من الاعتماد على الكلام الشفوى بسرد قصة يسوع وتعاليمه وكان المعلمون هم الذين يقومون به.وهذا يرينا الأهمية الكبرى لوجود هؤلاء المعلمين للقيام بهذا العمل العظيم وبهذه المهمة الضخمة . كما يجب أن نذكر أن الدارس يتعلم من المعلم القدير أكثر مما يتعلم من أى كتاب . وحتى فى أيامنا هذه ، وبالرغم من وجود الكتب الكثيرة وسهولة اقتنائها ، لا تزال هذه الحقيقة قائمة . إننا نتعلم كثيراً عن المسيح من الناس .

٣ ــ ويتحدث بولس عن « أعوان » . وكان واجب هؤلاء إعانة الفقراء ومساعدة الأيتام والأرامل والغرباء . إن المسيحية كانت منذ بدايتها ديانة عملية . وقد يحرم إنسان من موهبة الكلام أو التعليم ، ولكن إعانة الآخرين هو باب مفتوح أمام الجميع .

٤ — ثم يتحدث بولس عن « تدابير » . وجدير بالذكر أن هذه الكلمة ، فى الأصل ، تعنى حرفياً عمل قبطان السفينة الماهر الذى يقود سفينته خلال الصخور والأماكن الضحاة ، حتى يصل بها إلى ميناء بسلام . والناس الذين يشير إليهم بولس هنا هم الذين يتولون تنفيذ الأمور الإدارية فى الكنيسة. وهو عمل رئيسى ومهم للغاية . ففى المقدمة يعمل الوعاظ والمعلمون ويقومون بأداء الرسالة التى يحملون مشعلها . ولكنهم لا يستطيعون المضى فى ذلك إطلاقاً إذا لم يكن خلفهم الذين يحملون مسئولية شئون الكنيسة الإدارية يوماً بعد يوم. وكما أن هناك أعضاء فى الجسد غير منظورة ، ولكن عملها أكثر أهمية من أى عضو آخر ، كذلك هناك الذين يخدمون الكنيسة بطرق متنوعة بلا ظهور أو إعلان ، وبدون خدمتهم لا تستطيع الكنيسة مواصلة أداء رسالتها .

وفى ختام الأصحاح يقول بولس إنه سيتحدث عن موهبة أعظم من كل المواهب الأخرى . فهناك دائماً خطر يتهدد الذين لهم مواهب مختلفة ، وهو أنه قد يختلف الواحد منهم مع الآخر ، وبذلك يتعطل الجسد عن العمل الفعال المنتج . ولكن هناك شيئاً واحداً فقط هو الذى لا يستطيع أن يربط الكنيسة فى وحدة كاملة ، وهو المحبة . وهكذا سيواصل بولس حديثه فيترنم بأنشودته التى تدعو إلى المحبة .

أنشودة المحبة

إنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَقَدْ صِرْتُ نُحَاساً يَطِنُّ أَوْ صَنْجاً يَرِنُّ . وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الْأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلَسْتُ شَيْئاً . وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئاً الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ . الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسُدُ . الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَنْتَفِخُ . وَلاَ تَقَبِّحُ ولا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا وَلاَ تَحْتَدُّ وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ . وَلاَ تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ . وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . الْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَداً . وَأَمَّا النُّبُوَّاتُ فَسَتُبْطَلُ وَالْأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي وَالْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ . لأَنَّنَا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ وَنَتَنَبَّأُ بَعْضَ التَّنَبُّوءِ . وَلَكِنْ مَتَى جَاءَ الْكَامِلُ فَحِينَئِذٍ يُبْطَلُ مَا هُوَ بَعْضٌ . لَمَّا كُنْتُ طِفْلاً كَطِفْلٍ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ وَكَطِفْلٍ كُنْتُ أَفْطَنُ وَكَطِفْلٍ كُنْتُ

أَفْتَكِرُ . وَلَكِنْ لَمَّا صِرْتُ رَجُلاً أَبْطَلْتُ مَا للطِّفْلِ . فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِى مِرْآةٍ فِى لُغْزٍ لَكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهاً لِوَجْهٍ . الْآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ لَكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ . أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ الْإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ هَذِهِ الثَّلاثَةُ وَلَكِنْ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ .

(١ كورنثوس : ١٣)

يعتبر الكثيرون أن هذا الأصحاح هو أعظم أصحاحات العهد الجديد . ولو أننا حاولنا أن نحلل بالتفصيل المعانى العظيمة التى تحويها كلمات هذا الأصحاح لقضينا طول عمرنا ونحن نكتشف منها فى كل يوم جديداً .

يبدأ بولس كلامه هنا بالقول إن كل هبة روحية يمتلكها الإنسان ، إذا لم تكن مصحوبة بالمحبة فلا جدوى منها .

١ ــ فقد يكون للانسان موهبة التكلم بألسنة . ولكن هذه الموهبة ، التى كان يتطلع إليها الكثيرون ، إذا خلت من المحبة فانها لن تكون أفضل من العبادة الوثنية ــ وخصوصاً عبادة ديونيسيوس وسايبل ــ التى كانت تتميز بضجيج رن الصنج أو طن النحاس أو نفخ البوق .

٢ ــ وقد يكون للانسان موهبة النبوة . وقد رأينا أن النبوة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوعظ . وهناك نوعان من الوعاظ ؛ فهناك الواعظ الذى يجعل هدفه الوحيد أن يخلص نفوس شعبه ، وهو يخطب ودهم ويشتاق إليهم بكل حنين ومحبة . ولم تنطبق هذه الأوصاف على أحد قدر انطباقها على بولس نفسه . فقد كان يحس بالضرورة العظمى الملقاة على عاتقه أن يبشر النفوس ليربحها للمسيح . كان مستعداً أن يهلك ويموت عنهم ، إذا كان هذا هو السبيل لخلاصهم جميعاً . والنوع الثانى هو الواعظ الذى يمطر على سامعيه

وابلا من التهديد والوعيد ويرهبهم بلهب الجحيم الذى ينتظرهم إذا لم يخلصوا ، يظهر لهم أنه سيكون مبتهجاً سواء خلصوا أم هلكوا . قيل أن سير جورج آدم سميث سأل مرة أحد أعضاء الكنيسة اليونانية ، وكان قد قاسى كثيراً من الاضطهاد على أيدى جماعة من غير المسيحيين : « لماذا أوجد الله غير مسيحيين كثيرين هكذا » . فكان جواب عضو الكنيسة : « ليملأ بهم جهنم » . إن الوعظ المملوء لتهديد ولوعيد لا مكان فيه لنغمة المحبة والعطف واللطف — مثل هذا الوعظ قد يخيف ويرعب ، لكنه لن يخلص أحداً .

٣ — وقد يكون للانسان موهبة العلم والمعرفة العقلية . والخطر الدائم الذى يتهدد العلم والمعرفة هو خطر الزهو والخيلاء والكبرياء الفكرية . فالرجل المتعلم قد تعتريه روح احتقار تفكير الآخرين ، والإوزدراء بأشخاصهم . أما العلم الذى تؤججه نار المحبة هو العلم الذى يمكن أن يستخدم فى خلاص النفوس.

٤ — وقد يكون للانسان كل الإيمان حتى ينقل الجبال . ولكن إذا لم تكن له محبة فليس شيئاً . إن الإيمان المجرد شيء قاسى حقاً . قيل إن رجلا أحس بتعب شديد ولما استشار طبيبه أخبره بأن قلبه متعب وأنه ينبغى أن يستريح . فأمسك الرجل المريض بالتليفون وأخبر رئيسه فى العمل بذلك . وكان ذلك الرئيس رجلا مسيحياً معروفاً . فاذا به يجيبه فى جفاف وخشونة : « إن لى إيماناً يمكننى من مواصلة العمل بدونك » . ولقد كانت هذه كلمات إيمان ، لكنها كانت كلمات إيمان خال من المحبة . ولذلك كانت كلمات جارحة مؤذية .

٥ — وربما أطعم الإنسان كل أمواله ويمارس كثيراً مما يسميه الناس بالإحسان . ربما تصدق بما عنده على الفقراء . ولكن هذا الإحسان المزعوم إذا خلا من المحبة كان أقسى مذلة للانسان . فان تعطى كمجرد واجب ، وأن

تعطى بشيء من الازدراء والاحتقار للآخرين، وأن تقدم للفقراء الفتات الذى يفضل عنك ، أن تعطى وأنت تصحب عطاءك بمحاضرة أخلاقية عن عمل الخير ، أو بتوبيخ وتعنيف لأولئك المحتاجين — فان ما تفعله هذا ليس إحساناً أو عمل خير ، إنه الكبرياء بعينها . والكبرياء دائماً قاسية ، لأن الكبرياء لا تعرف المحبة .

٦ — وقد يسلم الإنسان جسده حتى يحترق ، ولكن إذا لم تكن له محبة فلا ينتفع شيئاً . وهنا ربما يكون فكر بولس قد انصرف إلى شدرخ وميشخ وعبد نغو وأتون النار المتقدة (دانيال ٣) . أو ربما فكر بولس فى أثر مشهور من آثار أثينا يسمى « قبر الهندى » . حيث أحرق أحد الهنود نفسه أمام الناس بعد أن نحت على القبر الذى أوصى بدفنه فيه هذه الكلمات التى تدل على روح الكبرياء والتفاخر : « هنا يرقد ذار مانو تشيجاز الهندى من بلدة بارجوزا الذى خلد نفسه طبقاً للتقاليد الهندية » . وربما قصد بولس أيضاً أن يشير إلى نوع من المسيحيين الذين قاسوا الاضطهاد فعلا . وكأنه يريد أن يقول إنه إذا كان الدافع الذى يجعل الإنسان يسلم حياته لأجل المسيح هو دافع الكبرياء وحب إظهار النفس وتمجيد الذات ، فحتى الاستشهاد عندئذ يصبح بلا قيمة وبلا جدوى . ولسنا نتهكم إذا كنا نذكر أن كثيراً من الأعمال التى تبدو فى نظرنا كتضحيات ، ليست من ثمار المحبة والتكريس ولكنها فى الحقيقة من ثمار الكبرياء والتفاخر .

والواقع أنه لا يكاد يوجد فصل آخر من الكتاب المقدس يتطلب من المؤمنين فحص نفوسهم فحصاً دقيقاً فى نور ما جاء فيه قدر ما يتطلبه هذا الأصحاح .

طبيعة المحبة المسيحية

يسجل بولس فى الأعداد من ٤ — ٧ من هذا الأصحاح قائمة تضم خمس خمس عشرة صفة تتميز بها هذه المحبة المسيحية .

فالمحبة « تتأنى » . والكلمة الأصلية المستعملة فى اللغة اليونانية تعنى « التأنى مع الناس » وليس التأنى مع الظروف . ويقول القديس يوحنا فم الذهب إن هذه الكلمة هى التى تستعمل لتصف الرجل الذى يساء إليه ، وفى إمكانه أن ينتقم لنفسه ، ولكنه مع ذلك لا يفعل . إنها تصف الرجل الذى لا يغضب بسرعة . وهى تستعمل أيضاً لتصف موقف الله نفسه فى علاقته مع الناس . وفى معاملاتنا مع الناس ينبغى أن ندرب أنفسنا على التأنى معهم ، تماماً كما يتأنى الله معنا ، مهما كان الناس مشاكسين ضدنا ، ومهما كانوا قساة علينا ، ومهما أساءوا إلينا . والحقيقة البسيطة أن مثل هذا التأنى ليس مظهراً من مظاهر الضعف ، ولكنه علامة من علامات القوة . إنه ليس هزيمة ، ولكنه الطريق الوحيد للنصر .

والمحبة ترفق : قال عنها أوريجانس إنها « عذبة مع الجميع » . وتحدث عنها أيرونيموس فوصفها « بالرأفة والشفقة » . وهناك مسيحيون كثيرون متدينون ، ولكن تدينهم ، للأسف ، ينقصه الرفق والرأفة ، ويشينه العنف والقسوة . فقد كان فيليب الثانى ملك أسبانيا مثلا أكثر الناس تديناً ، ومع ذلك فقد أقام فى أسبانيا « محاكم التفتيش » ، وظن أنه كان يؤدى خدمة لله بذبح وقتل كل من كان يخالفه فى الرأى . وأعلن الكاردينال بول المشهور أن القتل والزنا أشنع وأفظع من الهرطقة والضلال ، ومن ثم يجب أن يكون عقابهما أشد وأقسى . وبغض النظر عن روح الاضطهاد والتنكيل هذه ، فان فى نفوس كثير من الناس الطيبين المتدينين إتجاهاً إلى الانتقاد وإدانة الآخرين . وكثير من أعضاء الكنائس اليوم كانوا يقفون إلى جانب الفريسيين المنتقدين وليس إلى جانب يسوع لو أنهم تدخلوا فى موضوع المرأة التى أمسكت وهى تزنى .

والمحبة لا تحسد . وقد قيل إن هناك طبقتين فقط بين الناس فى هذا العالم ، وهما « طبقة أصحاب الملايين ، وطبقة الذين يتمنون أن يصبحوا كذلك » . وهناك نوعان من الحسد : النوع الأول هو الذى يشتهى ممتلكات الآخرين ويطمع فيها . ومثل هذا النوع من الحسد يصعب جداً تجنبه لأنه يكاد يكون طبيعة بشرية . ولكن النوع الآخر هو أسوأ من هذا بكثير ، إنه يحقد على الذين يمتلكون ما لا يمتلكه هو . والحاسد من هذا النوع هو الشخص الذى لا يشتهى الأشياء التى يمتلكها الآخرون لذاتها بقدر ما يتمنى لو أنهم لم يمتلكوها بالمرة . وهذه هى أحط الدركات التى يمكن أن تنحدر إليها النفس الوضيعة الحقيرة .

والمحبة لا تتفاخر : إنها تتميز بمحاولة إخفاء الذات ومحو ظهورها . إن المحبة الحقيقية تشعر دائماً بعدم جدارتها .

ولكن هناك بعض الناس ممن يظهرون محبتهم للآخرين باشعارهم أنهم يمنحونهم امتيازاً . إن المحب الحقيقى يبقى دائماً متواضعاً ، ويشعر باستمرار أنه لا يستطيع أن يقدم لمحبوبه شيئاً يكفى للتعبير عن حبه .

وهو لا ينتظر لقاء ذلك أجراً أو شكراً أو عرفاناً بالجميل .

والمحبة لا تنتفخ : كان نابليون يردد دائماً أن قداسة البيت ، ولزوم العبادة الجمهورية فضائل يطالب بها الآخرون . أما عن نفسه فقد قال : « إننى لست مثل الآخرين . إن نواميس الآداب والأخلاق لا تنطبق على » .

أما الرجل العظيم حقاً فانه لا يفكر فى أهميته الشخصية . كان وليم كارى أول المرسلين إلى بلاد الهند واحداً من أعظم المرسلين . كما كان بكل تأكيد واحداً من أعظم اللغويين الذين عرفهم العالم ، فقد ترجم أجزاء من الكتاب المقدس إلى ما لا يقل عن أربع وثلاثين لغة من اللغات الهندية . وكان قد بدأ

حياته إسكافياً . وعندما ذهب إلى الهند ازدرى به الكثيرون وعاملوه بكراهية واحتقار .

وكان يوماً فى حفل عشاء ، أن أراد أحدهم أن يذله ويحقره أمام الناس ، فقال بصوت عال سمعه الجميع . « وأظن يامستر كارى أنك اشتغلت مرة صانع أحذية » . فأجاب كارى قائلا : « لا ياسيدى ، لم أكن صانع أحذية . ولكنى كنت فقط إسكافياً أصلح الأحذية » . إن كارى العظيم المتواضع لم يدع أنه كان حتى صانع أحذية ، بل قال إنه كان فقط يصلح الأحذية . إن الناس لا يحبون الرجل « المهم » المنتفخ . وهو عندما يضفى على نفسه هالة من النفوذ والسلطان والأهمية يصبح إنساناً يستحق الأسف والرثاء .

والمحبة لا تقبح : إنها تتسم باللطف والرقة والجمال . ويخطىء بعض المسيحيين الذين يجدون لذة فى أن تكون مسيحيتهم خشنة وفظة . هذا وإن كان يجعلهم يظهرون بمظهر القوة ولكنهم بذلك يجعلون مسيحيتهم ووجوههم تفتقر إلى روح البهجة والسرور التى هى الطابع الأصيل للمسيحية الحقيقية . كان « لا يتفوت » يقول عن تلميذه « أرتوسيم » : « دعه يذهب أينما يذهب إن وجهه فى حد ذاته عظة » . إن المحبة المسيحية الجميلة لا تنسى أن المجاملة والأدب والحصافة والذوق فى المعاملة هى كلها فضائل يجب أن يتحلى بها كل مسيحى .

والمحبة لا تطلب ما لنفسها : هناك نوعان فقط من الناس فى هذا العالم : أناس يفكرون باستمرار فى حقوقهم ، وآخرون يفكرون باستمرار فى واجباتهم ؛ أناس يصرون دائماً على امتيازاتهم وآخرون يذكرون دائماً مسئولياتهم ، أناس يفكرون دائماً فيما تدين به الحياة لهم ، وآخرون لاينسون أبداً ماهم مدينون به للحياة . ولو أن الناس فكروا فى واجباتهم أكثر من

تفكيرهم فى حقوقهم لا ستطاعوا التوصل إلى المفتاح الذى يمكنهم من حل معظم المشاكل التى تواجههم اليوم . وعندما يتسلط علينا التفكير المستدير فى « مركزنا ومكانتنا » فاننا نكون بذلك قد بعدنا كثيراً عن المحبة المسيحية .

والمحبة لا تحتد : والمعنى الحقيقى لهذه العبارة هو أن المحبة المسيحية لاتحنق أبداً على الناس ولا تسخط عليهم ولا تغتاظ منهم . فالحنق والسخط والغيظ دليل الهزيمة . وعندما نحتد نحن نفقد كل شيء .

قال كبلنج : إن أدق اختيار للانسان هو ما إذا كان يستطيع أن يحتفظ بهدوئه عندما يثور عليه الجميع ويلومونه ويوبخونه ، وما إذا كان يستطيع أن يتمالك نفسه فلا يكره الآخرين عندما يكرهونه هم . إن الرجل الذى يتمكن من أن يكون سيد مشاعره ومزاجه وطباعه يمكنه أن يرقى بنفسه فيصبح سيد كل شيء آخر .

والمحبة لا تظن السوء : فكثيرون من الناس يحرصون على أن يذكروا السوء وقد يدونونه حتى لا ينسونه . ولكن المحبة المسيحية لا تحاول أن تحتفظ بالسوء فى الذاكرة ، بل تتناساه حتى تنساه فعلا . ومن أعظم الفنون فى الحياة فن تعلم نسيان ما ينبغى أن ينسى . قيل إن أهل بلد من البلاد كانوا يقضون جل وقتهم فى المعارك . وكان من عادة كل واحد منهم أن يحتفظ فى بيته بأشياء تذكره بكراهيته للآخرين ، كما كانوا يعلقون فى سقوف أكواخهم بعض الأدوات التى تذكرهم دائماً باساءات الآخرين لهم — سواء أكانت تلك الإساءات حقيقية أو وهمية . وهذا ما يفعله كثيرون من الناس الذين يغذون فى نفوسهم عوامل الغضب والكراهية ، والذين يتفكرون باستمرار فى الإساءات التى يوجهها الآخرون إليهم حتى يصبح مستحيلا عليهم بعد ذلك أن ينسوها . إن المحبة المسيحية تعلم صاحبها الدرس العظيم فى نسيان السوء .

والمحبة لا تفرح بالإثم : وليس المقصود هنا التلذذ بعمل الإثم ، بقدر التلذذ الخاطىء الردىء الذى يحس به معظمنا عندما نسمع أشياء مهينة عن الآخرين وماسة بكرامتهم . فمن الصفات الغريبة التى تتصف بها طبيعتنا البشرية أننا أغلب الأحيان نفضل أن نسمع عن مآسى الآخرين ومصائبهم أكثر من أن نسمع عن أفراحهم وأخبارهم الطيبة . فأن نبكى مع الباكين أسهل علينا بكثير من أن نفرح مع الفرحين . ونحن نهتم أن نسمع قصة تذم شخصاً ما وتسىء إلى سمعته أكثر من اهتمامنا بسماع قصة تمدحه . ولكن المحبة المسيحية السامية لاتسمح بوجود هذه الصفة البشرية الرديئة التى تتلذذ بسماع الأخبار السيئة عن الآخرين .

والمحبة تفرح بالحق : وهذا ليس بالأمر السهل كما يبدو . فهناك أوقات لانريد فيها أن يسود الحق ، وهناك أوقات أكثر يكون الحق فيها هو آخر شىء نحب أن نسمعه . ولكن المحبة المسيحية لا ترغب أبداً أن تقيم أمام الحق حجاباً حاجزاً ، لأن لها الشجاعة الكافية أن تواجه الحق ، إذ ليس لها شىء تريد إخفاءه أو التستر عليه ، ولذلك فهى تفرح عندما يسود الحق .

والمحبة تحتمل كل شىء : ويمكن أن تعنى هذه العبارة أيضاً أن المحبة تستطيع أن تستر كل شىء ، أى أنها لا تحاول أبداً أن تفضح أخطاء الآخرين وتشهر بهم . ولكنها بالحرى تحاول فى هدوء أن تصلح الأمور بدلا من إشهارها علانية والتنديد بها وتوبيخها أمام الناس . كما أن هذه العبارة تعنى بالأكثر أن المحبة تستطيع أن تحتمل أية إهانة أو إساءة أو خيبة أمل . إنها تصف نوع المحبة التى كانت فى قلب يسوع نفسه الذى كان ممتلئاً بالمحبة الغافرة لكل إساءات الناس .

والمحبة تصدق كل شىء : وهذه الصفة للمحبة يمكن أن يكون لها معنى

مزدوج : ١ — بالنسبة لعلاقاتنا مع الله فهى تعنى أن المحبة تؤمن إيماناً مطلقاً بصدق كلمة الله وبصدق مواعيده التى تشمل كل واحد منا . إنها المحبة التى تنبثق من الإيمان بأن الله موجود . ٢ — وبالنسبة لعلاقاتنا مع الناس فهى تعنى المحبة التى تصدق دائماً ماهو الأفضل عن الآخرين . وقد قيل حقاً ، إننا نصنع الناس بحسب مانعتقده فيهم ونعاملهم به . فاذا كنا نتصرف معهم بطريقة تشعرهم أننا لا نصدقهم ، وأننا نشك فيهم ، فاننا بذلك نجعلهم غير جديرين بالثقة . أما إذا كنا نعامل الناس بطريقة تشعرهم أننا نثق فيهم ثقة مطلقة ، ما دام لم يصدر عنهم ما يخل بالشرف ، فاننا بذلك نخلق منهم إناساً جديرين بالثقة حقاً .

والمحبة ترجو كل شىء : وقد كانت عقيدة يسوع أنه لا ينبغى أن نفقد الرجا بالنسبة لأى شخص . كان آدم كلارك واحداً من أعظم اللاهوتيين . وعندما كان فى المدرسة كان بطيئاً جداً فى الدراسة . وحدث يوماً أن زار المدرسة ضيف كبير . فأشار المدرس إلى آدم كلارك وقال للضيف : « هذا هو أغبى ولد فى المدرسة » . ولكن الزائر قبل أن يغادر المدرسة جاء إلى آدم كلارك وقال له برفق ومحبة : « لا تقلق أيها الصبى ، فقد تصبح يوماً من الأيام دارساً وعالماً عظيماً . لا تفشل أبداً ، ولكن جاهد وكافح وثابر على الاجتهاد » لقد كان المعلم يائساً منه ، ولكن الزائر كان يرجو ويأمل . وتحقق الرجاء . ومن يدرى ؟ — ربما كانت تلك الكلمة التى قالها الزائر للتلميذ آدم كلارك هى التى بعثت فى نفسه الرجاء والأمل فجعلت منه العالم اللاهوتى الكبير « آدم كلارك » .

والمحبة تصبر على كل شىء : والكلمة اليونانية الأصلية المترجمة هنا « تصبر » هى من أعظم الكلمات اليونانية . وهى فى الحقيقة لا تعنى روح الاستسلام السلبى للأشياء ، ولكن الروح التى ، مع تحملها للأشياء ، تنتصر عليها وتغيرها وتبدلها إلى الأفضل . عندما فقد جورج ماثيسون بصره كتب فى إحدى صلواته يقول : « يارب ، دعنى أقبل مشيئتك ، ليس باستسلام أبكم

بل بفرح مقدس ؛ ليس بعدم تذمر بل أيضاً بالتسبيح بحمدك » . إن المحبة تصبر على كل شيء ليس بالاستسلام السلبي ولكن بالثبات والعزم المنتصر ، لأنها تعرف أن الله محبة وأن يد الأب لا يمكن أن تسمح لطفله أن يذرف دمعة لا لزوم لها .

يبقى بعد ذلك شيء واحد ينبغي أن يقال . وهو أننا عندما نفكر فى صفات هذه المحبة كما صورها بولس فاننا نجدها كلها قد تحققت وتمثلت وتجسدت كاملة فى حياة يسوع نفسه .

سمو المحبة

فى ١ كورنثوس ١٣ الأعداد ٨ – ١٣ يذكر بولس ثلاثة أشياء يختم بها حديثه عن هذه المحبة المسيحية .

١ – فهو ينبر على دوامها المطلق : فالمحبة ستظل باقية حتى عندما تنتهى وتبطل كل الأشياء التى يتفاخر بها الناس وتدفعهم إلى الكبرياء والانتفاخ : إن من أعظم الآيات الشعرية فى الكتاب المقدس ماجاء فى سفر نشيد الأنشاد ٨ : ٧ « مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها » . أى أن المحبة هى الشيء الوحيد الذى لا يقهر أبداً . وهذا سبب من أعظم الأسباب للايمان بالخلود . فالمحبة تدخل فى حياة الإنسان شركة وعلاقة لا تسقط أبداً ، ولا تستطيع هجمات الزمن وتقلبات الأيام أن تزعزعها . إن قوة المحبة تفوق قوة الموت .

٢ – وهو ينبر على كمالها المطلق : إن الأشياء التى نراها الآن إنما هى مجرد إنعكاسات كما لو أننا ننظر فى مرآة . وهذه الفكرة كانت ذات مغزى بالنسبة للكورنثيين أكثر مما تعنيه لنا اليوم . فان كورنثوس كانت تشتهر

بصناعة المرايا . أما المرآة الحديثة التى نعرفها اليوم فلم تكن معروفة حتى القرن الثالث عشر . وكانت المرآة الكورنثية تصنع من معدن مصقول صقلا جيداً . ولكنها لم تكن تستطيع أن تعكس ، حتى فى أفضل حالاتها ، إلا صورة باهتة غير واضحة . ومعنى كلام بولس هنا هو أنه يشعر أننا فى هذه الحياة نرى فقط إنعكاسات الله وأننا لذلك نجد أنفسنا أمام ألغاز وغوامض كثيرة ، ونحن نرى هذا الانعكاس فى عالم الله ، لأن أعمال يدى أى صانع تعرفنا شيئاً عن شخص الصانع نفسه ، ونراه فى الإنجيل ، ونراه أيضاً فى يسوع المسيح . وحتى إذا كنا نرى فى المسيح الإعلان الكامل ، فان عقولنا المحدودة لا تستطيع أن تدرك إلا جزءاً يسيرا فقط من هذا الإعلان ، لأن المحدود لا يمكن أبداً أن يستوعب غير المحدود . إن معرفتنا لا تزال كمعرفة طفل . ولكن طريق المحبة سيوصلنا فى النهاية إلى اليوم الذى تزول فيه الغشاوة من أعيننا وحينئذ سنراه وجهاً لوجه ، وسنعرف كما عرفنا . ونحن لا يمكن أبداً أن نصل إلى ذلك اليوم بدون المحبة ، لأن الله محبة ، ولا يستطيع أحد أن يرى الله إلا إذا كان قلبه عامراً بالمحبة .

٣ ـ **هو ينبر أيضاً على سموها المطلق** : فمهما كان الإيمان عظيماً ، ومهما كان الرجاء عظيماً ، فان المحبة تظل أعظم . فالإيمان بدون المحبة بارد ،والرجاء بدون المحبة عابس . والمحبة هى النار التى تضرم الإيمان ، وهى النور الذى يحول الرجاء تأكداً ويقيناً .

العبادة المخلصة والعبادة المزيفة

إِتْبَعُوا الْمَحَبَّةَ وَلَكِنْ جِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ وبالأَوْلَى أَنْ تَتَنَبَّأُوا . لأَنَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ لا يُكَلِّمُ النَّاسَ بَلِ اللهَ لأَنَّ لَيْسَ أَحَدٌ يَسْمَعُ . وَلَكِنَّهُ بالرُّوحِ يَتَكَلَّمُ بِأَسْرَارٍ . وَأَمَّا مَنْ يَتَنَبَّأُ فَيُكَلِّمُ النَّاسَ بِبُنْيَانٍ وَوَعْظٍ وَتَسْلِيَةٍ . مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ يَبْنِي نَفْسَهُ . وَأَمَّا مَنْ يَتَنَبَّأُ فَيَبْنِي الْكَنِيسَةَ . إِنِّي أُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَكُمْ تَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ وَلَكِنْ بالأَوْلَى أَنْ تَتَنَبَّأُوا . لأَنَّ مَنْ يَتَنَبَّأُ أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةٍ إِلاَّ إِذَا تَرْجَمَ حَتَّى تَنَالَ الْكَنِيسَةُ بُنْيَاناً . فالآنَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ إن جِئْتُ إِلَيْكُمْ مُتَكَلِّماً بِأَلْسِنَةٍ فَمَاذَا أَنْفَعُكُمْ إن لَمْ أُكَلِّمْكُمْ إِمَّا بإِعْلانٍ أَوْ بِعِلْمٍ أَوْ بِنُبُوَّةٍ أَوْ بِتَعْلِيمٍ ، الأَشْيَاءُ العادِمَةُ النُّفُوسِ الَّتِي تُعْطِي صَوْتاً مِزْمَارٌ أَوْ قِيثَارَةٌ مَعَ ذَلِكَ إن لَمْ تُعْطِ فَرْقاً لِلنَغَمَاتِ فَكَيْفَ يُعْرَفُ مَا زُمِّرَ أَوْ مَا عُزِفَ بِهِ . فإِنَّهُ إن أَعْطَى الْبُوقُ أَيضاً صَوْتاً غَيْرَ وَاضِح فَمَنْ يَتَهَيَّأُ لِلْقِتَالِ . هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً إِنْ لَمْ تَعْطُوا بِاللِّسَانِ كَلاَماً يُفْهَمُ فَكَيْفَ يُعْرَفُ مَا تُكُلِّمَ بِهِ . فإِنَّكُمْ تَكُونُونَ تَتَكَلَّمُونَ فِى الْهَوَاءِ . رُبَّمَا تَكُونُ

أَنْوَاعُ لُغَاتٍ هَذَا عَدَدُهَا فِي الْعَالَمِ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنها بِلا مَعْنَى . فَإِنْ كُنْتُ لا أَعْرِفُ قُوَّةَ اللُّغَةِ أَكُونُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ أَعْجَمِيًّا وَالْمُتَكَلِّمُ أَعْجَمِيًّا عِنْدِي . هَكَذَا أَنْتُمْ أَيضاً إِذ أَنَّكُمْ غَيُورُونَ لِلْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ اطْلُبُوا لأَجْلِ بُنْيَانِ الْكَنِيسَةِ أَنْ تَزْدَادُوا . لِذَلِكَ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ فَلْيُصَلِّ لِكَيْ يُتَرْجِمَ . لأَنَّهُ إِن كُنْتُ أُصَلِّي بِلِسَانٍ فَرُوحِي تُصَلِّي وأَمّا ذِهْنِي فَهُوَ بِلاَ ثَمَرٍ . فَمَا هُوَ إِذًا . أُصَلِّي بالرُّوحِ وَأُصَلِّي بالذِّهْنِ أَيضاً . أُرَتِّلُ بالرُّوحِ وَأُرَتِّلُ بالذِّهْنِ أَيضاً . وإِلاَّ فإِنَّ بَارَكْتَ بالرُّوحِ فالَّذِي يُشْغِلُ مَكَانَ الْعَامِيِّ كَيْفَ يَقُولُ آمِينَ عِنْدَ شُكْرِكَ . لأَنَّهُ لاَ يعْرِفُ مَاذَا تَقُولُ . فإِنَّكَ أَنْتَ تَشْكُرُ حَسَناً وَلَكِنَّ الآخَرَ لايُبْنَى . أَشْكُرُ إِلٰهِي إِنِّي أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةٍ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِكُمْ وَلَكِنْ فِي كَنِيسَةٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَكَلَّمَ خَمْسَ كَلِمَاتٍ بِذِهْنِي لِكَيْ أُعَلِّمَ آخَرِينَ أَيْضاً أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ آفِ كَلِمَةٍ بِلِسَانٍ .

(١ كورنثوس ١٤ : ١ – ١٩)

إن هذا الأصحاح كله صعب جداً على أفهامنا ، لأنه يعالج ظاهرة هي في الواقع بالنسبة لمعظمنا ، خارجة عن دائرة اختبارنا . وفي هذا الإصحاح يعقد بولس مقارنة بين موهبتين من المواهب الروحية . الموهبة الأولى هي «التكلم

بألسنة » . وقد كانت ظاهرة شائعة جداً فى الكنيسة الأولى . وكان الشخص الذى له هذه الموهبة يصبح من فرط السرور فى حالة تقرب من الذهول بحيث لايستطيع معها التحكم فى سيل الأصوات التى تتدفق من لسانه بلغة غير مفهومة . وما لم تترجم هذه الأصوات فلا يكون ممكنا لأى واحد أن يدرك معناها . والغريب أن هذه الموهبة كانت من أعظم ما يطمع فيه من المواهب فى الكنيسة الأولى . ولكنها كانت موهبة خطيرة لسببين : السبب الأول أنها كانت موهبة شاذة يتهافت الجميع عليها ، ويعجبون بها إعجاباً عظيماً ، فقد كان الشخص الذى يمتلكها معرضاً ، أن يسقط فى فخ الكبرياء الروحية ؛ والسبب الثانى أن نفس هذه الرغبة المتهافتة على امتلاك هذه الموهبة نتج عنها عند بعضهم شبه تنويم مغناطيس أو إيحاء ذاتى متعمد جعلهم يستسلمون إلى الغش والتزييف ، فيتظاهرون بالتكلم بألسنة دون أن تكون لهم هذه الموهبة حقيقة . وفى مقابل التكلم بألسنة يضع بولس موهبة التنبؤ . وليس المقصود بالتنبؤ هنا ذكر حوادث فى المستقبل بل هى ، كما أشرنا من قبل ، أقرب ما يكون إلى الوعظ ، وليس لها علاقة بالنبوة عن المستقبل . وفى هذا الفصل كله يتحدث بولس عن أخطار التكلم بألسنة ، وعن أفضلية التنبؤ بالحق بطريقة يمكن أن يفهمها الجميع .

ولكى نتتبع تفكير بولس فى هذا الموضوع يحسن بنا أن نتناول الفصل كله بالتحليل والتفصيل .

يبدأ بولس هذا الفصل باعلان أن من يتكلم بألسنة يكلم الله وليس الناس ، لأن الناس لا يستطيعون أن يفهموه . والشخص الذى يمارس هذه الموهبة قد يبنى اختباره الروحى الشخصى ، ولكنه بكل تأكيد لا يبنى نفوس الجمهور فى الكنيسة ، لأن كلامه بالنسبة لهم غير مفهوم . ومن الناحية الأخرى ، تقدم موهبة النبوة للناس شيئاً يمكن أن يفهمه كل واحد وتستفيد منه كل نفس

ثم يستطرد بولس فيستخدم إيضاحاً وتشبيهات معينة . فهو إن جاء إليهم متكلماً بألسنة فماذا ينفعهم بذلك ؟ إنهم لن يفهموا ما يحدثهم عنه . وضرب لهم مثلا بالآلة الموسيقية . فان كان اللاعب عليها يلعب بحسب القوانين العادية للتوافق بين الأصوات فانها تستطيع أن تعطى نغمات يتعرف عليها كل واحد ؛ ولكنه إن لم يفعل ذلك فان كل ما يقدمه ماهو إلا مجرد أصوات مشوشة . وقدم لهم مثلا آخر هو البوق . فاذا أعطى البوق الصوت الصحيح للنداء فهو يستطيع أن يدعو الناس إلى التقدم ، وإلى التراجع ، وإلى النوم ، وإلى الإستيقاظ .

أما إذا أعطى البوق خليطاً من الأصوات غير الواضحة ، والتى لا معنى لها فلا يستطيع أحد أن يعرف ماذا يفعل . وفى هذا العالم توجد أنواع لغات كثيرة ، ولكن إذا التقى إثنان لا يفهم الواحد منهما لغة الآخر ، وتحدث كل منهما للآخر ، فان حديثهما سيكون بالنسبة لكل منهما مجرد تمتمة أو رطانة لا معنى لها ، فلا يخرجان من إجتماعهما معاً بأية نتيجة أو فائدة . وهكذا نرى أن بولس لا ينكر وجود موهبة الألسنة ، بل يقول إنه يتكلم بألسنة أكثر من أى واحد آخر ، ولكنه يصر على أن قيمة أية موهبة تقاس بمدى فائدتها لكل جمهور الكنيسة . ولذلك فان موهبة الألسنة عندما تستعمل لن تكون لها فائدة ما إذا لم تترجم . فاذا كان الواحد يتكلم أو يصلى أو يرتل فانه ينبغى أن يفعل ذلك لا بروحه فقط بل بذهنه أيضاً . فينبغى أن يكون هو عارفاً بما يقول كما ينبغى أن يكون الآخرون قادرين على أن يفهموه . وهكذا يصل بولس إلى النتيجة الحاسمة القاطعة أنه ، فى الكنيسة ، من الأفضل أن يقول عبارات قليلة مفهومة من أن يفيض بأصوات غير مفهومة بلسان .

وهنا تبرز أمامنا حقائق معينة قيمة جداً من هذا الفصل الصعب جداً والبعيد جداً عن دائرة اختبارنا .

يسجل عدد ٣ إجمالاً موجزاً للهدف من الوعظ والتعليم : وهو هدف مثلث :

١ – فهو يجب أن يهدف إلى البنيان ؛ أى إلى زيادة معرفة الإنسان عن الحق المسيحى وزيادة مقدرته على أن يحيا الحياة المسيحية . وهو يجب أن يوسع من إدراك عقل الإنسان ليكون له فهم أفضل ، وأن يزود حياته بما تحتاج من قوة للسلوك فى الطريق المسيحى .

٢ – كما يجب أن يهدف أيضاً إلى التشجيع . فى كل جماعة من الناس يوجد الحائرون واليائسون والمنكسرو القلوب لأن أحلامهم لم تتحقق ؛ أو لأن مجهوداتهم قد باءت بالفشل ولم تحقق لهم إلا القليل ، أو لأنهم لا يرون شيئاً سوى نقائصهم وضعفاتهم وفشلهم . ومثل هؤلاء يجب أن يجدوا فى الشركة المسيحية ما يبهج قلوبهم ويشد أزرهم ويرفع رءوسهم . يمكن أن يبدأ الوعظ بأن يشعر الناس بذلهم وبوضاعتهم بعيداً عن الله ، وبأن يبين لهم خطاياهم ونقائصهم ، ولكنه إذا اقتصر على هذا ولم يشر للناس إلى نعمة الله ، ويقودهم إلى الله الذى يمكنهم من قهر خطاياهم والتغلب على ضعفاتهم ونقائصهم فانه حتماً سيفشل .

٣ – ويجب أن يهدف الوعظ أيضاً إلى التسلية والتعزية . فى كل يوم يوجد أناس تكسر قلوبهم وتذرف الدموع غزيرة من عيونهم لسبب ما ، فهناك من جرحتهم تجارب الحياة وآلامها ، ومن ضاع من حياتهم جمال الربيع وبسمته ورونقه ، وخيم عليهم جدب الخريف أو زمهرير الشتاء وليله الطويل هؤلاء يجب أن يشعروا أنهم فى داخل دائرة الشركة المسيحية يمكنهم أن يجدوا ما يغذى حياتهم بزيت الابتهاج ، وما يغمر قلوبهم بالفرح والتعزية ، وما يملأ أفواههم بالتسبيح والترنيم ، وما يضفى على حياتهم الممزقة اليائسة ثوباً من الجمال والرجاء والمحبة .

ويقدم لنا العدد الخامس الأشياء التي كانت بالنسبة لبولس أرضية ومادة كل الوعظ والتعليم :

١ ــ فقد جاء هذا من إعلان مباشر من الله ، إذ لا يستطيع أحد أن يكلم الآخرين إلا إذا كان الله قد كلمه أولا . قيل عن واعظ عظيم إنه كان يصمت قليلا بين وقت وآخر أثناء العظة كأنما كان ينصت إلى صوت . إننا عندما نعظ أو نعلم لسنا نعطى الناس حقاً من صنعنا نحن ، أو حتى من اكتشافنا ، ولكننا ننقل إليهم الحق الذى أعطى لنا .

٢ ــ وقد يحمل إليهم بعض المعرفة الخاصة فليس هناك من يستطيع أن يكون خبيراً فى كل شيء ، ولكن لكل إنسان معرفة خاصة بشيء ما . وقد قيل أن فى استطاعة أى إنسان أن يكتب كتاباً شيقاً إذا كان يدون بأمانة كاملة كل ماقد يحدث له . إن اختبارات الحياة ذات مغزى خاص بالنسبة لكل واحد منا . والوعظ والتعليم الأكثر تأثيراً وفعالية هو ببساطة ، الشهادة لما نعرف أنه حق لأننا اختبرناه ووجدنا أنه هو الحق .

٣ ــ وهو يشمل التنبؤ . وفى الكنيسة الأولى كان أول وعظ يقدم لأية جماعة هو عبارة عن إعلان مباشر بسيط عن حقائق القصة المسيحية . هناك أشياء معينة لا يرقى إليها شك أو جدل . ومهما كان الأمر فانه يحسن بنا دائماً أن نبدأ بحقائق عن المسيح والمسيحية .

٤ ــ ثم يأتى دور التعليم . إذ لابد أن يأتى الوقت الذى يسأل فيه الإنسان عن معنى هذه الحقائق وعن مغزاها . ولأننا مخلوقات مفكرة يجب أن يتضمن الدين علم اللاهوت . فقد يضمر إيمان الكثيرين ويضعف ولاؤهم وإخلاصهم لله لأنهم لم يفكروا فى الأمور ويدرسوها كما ينبغى .

ومن هذا الفصل كله يبرز أمامنا ميدانان عريضان بخصوص العبادة المسيحية .

١ – فالعبادة ينبغي ألا تكون أنانية . وكل ما يجرى فيها ينبغي أن يكون لأجل الجميع . وليس من حق أى واحد فى العبادة ، سواء أكان قائدا لها أو مشتركا فيها ، ان يواجهها حسب استحسانه ومزاجه الشخصى . بل يجب أن يراعى خير وبنيان شركة جميع العابدين . إن أعظم اختبار لأى جزء من أجزاء العبادة هو : « هل هذا يساعد كل واحد ؟ » . ليس المهم هو : « هل يظهر هذا مواهبي الخاصة ؟ » ، ولكن المهم هو : « هل يزيد من شركة العابدين هنا مع الله ومن شركتهم بعضهم مع البعض ؟ » .

٢ – والعبادة يجب أن تكون واضحة ومفهومة . إن الأشياء العظيمة هى الأشياء البسيطة ؛ وأسمى اغة هى أبسط لغة . وما يمكن أن يفهمه عقلى هو ما يستطيع أن يعزى قلبى ؛ وما يستطيع عقلى أن يدركه هو ما يستطيع أن يملأ حياتى بالقوة :

تأثيرات العبادة المخلصة والعبادة المزيفة

أَيُّهَا الإِخْوَةُ لا تَكُونُوا أَوْلاداً فى أَذْهَانِكُمْ بَلْ كُونُوا أَوْلاَداً فى الشَّرِّ . وَأَمَّا فى الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ . مَكْتُوبٌ فى النَّامُوسِ إِنِّى بِذَوِى أَلْسِنَةٍ أُخْرَى وَبِشِفَاهٍ أُخْرَى سَأُكَلِّمُ هَذَا الشَّعبَ وَلا هَكَذَا يَسْمَعُونَ لِى يَقُولُ الرَّبُّ . إِذاً الأَلْسِنَةُ آيَةٌ لا لِلْمُؤمِنِينَ بَل لِغَيْرِ الْمُؤمِنِين . أَمَّا النُّبُوَّةُ فَلَيْسَتْ لِغَيْرِ الْمُؤمِنِين بَلْ لِلْمُؤمِنِينَ . فإِنْ اجْتَمَعَتِ الْكَنِيسَةُ كُلُّهَا فى مَكَانٍ وَاحِدٍ وَكَانَ الْجَمِيع يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ فَدَخَلَ عَامِيُّونَ أَوْ غَيْرُ مُؤمِنِينَ أَفَلاَ

يَقُولُونَ إِنَّكُمْ تَهْذُونَ . وَلَكِنْ إِنْ كَانَ الْجَمِيعُ يَتَنَبَّأُونَ فَدَخَلَ أَحَدٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ أَوْ عَامِيٌّ فَإِنَّهُ يُوَبَّخُ مِنَ الْجَمِيعِ . يُحْكَمُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَمِيعِ . وَهَكَذَا تَصِيرُ خَفَايَا قَلْبِهِ ظَاهِرَةً وَهَكَذَا يَخِرُّ عَلَى وجْهِهِ وَيَسْجُدُ لِلّهِ مُنَادِياً أَنَّ اللّهَ بِالْحَقِيقَةِ فِيكُمْ .

(١ كورنثوس ١٤ : ٢٠ – ٢٥)

لا يزال بولس يعالج مسألة التكلم بألسنة . فيبدأ كلامه بطلب إلى الكورنثيين ألا يكونوا أولاداً . وقد كانت هذه الرغبة الجامحة للتكلم بألسنة والمبالغة فى تقدير قيمتها – كانت فى الحقيقة نوعاً من حب الظهور الذى لا يتهافت عليه سوى الأولاد الصغار .

ثم يسوق بولس دليلا من العهد القديم – وقد كان بولس ككل حبر من أحبار اليهود – يستطيع أن يجد فى العهد القديم معانى دفينة يستند إليها . فنراه يذكر ما ورد فى إشعياء ٢٨ : ٩ – ١٢ . وكان الله فى هذا الفصل ، عن طريق نبيه ، يهدد الشعب . فقد وعظهم إشعياء بلغتهم العبرانية ، ولكنهم لم ينصتوا ولم يفهموا . وبسبب عدم طاعتهم ، أخبرهم بأن الأشوريين سيهزمونهم ويحتلون مدنهم ، وسيضطرون إلى الاستماع إلى لغة لا يفهمونها أى انهم كانوا سيجبرون على الإصغاء إلى ألسنة قاهريهم الأجنبية وهم يتكلمون بأشياء غير مفهومة . وحتى ذلك الاختبار المرعب لم يستطع أن يجبر شعباً غير مؤمن أن يتجه إلى الله .

وهكذا نرى بولس يعلن أن الألسنة قصد بها شعب قاسى القلب وغير مؤمن ، وانها كانت فى النهاية عديمة التأثير بالنسبة لهم .

ثم يستخدم بولس حجة أخرى عملية جداً . وهى أنه إذا دخل إنسان غريب ، أو شخص بسيط ، إلى اجتماع مسيحى حيث كان كل واحد ينطق بأصوات غير مفهومة ، كما كانوا يفعلون عندما يتكلمون بألسنة ، فان هذا الشخص قد يتوهم أنه دخل إلى مستشفى للمجاذيب به مجانين يهذون . ولكن اذا كان حق الله يعلن فى وسط الاجتماع بوقار وبلغة مفهومة فن النتيجة ستكون مختلفة . إذ أن هذا الشخص سيسجد نفسه وجهاً لوجه أمام خفايا قلبه ونفسه وأمام الله .

ونجد فى عددى ٢٤ ، ٢٥ تلخيصاً حياً لتأثيرات الوعظ المسيحى ، ولما يحدث عندما يعلن حق الله بلغة واضحة مفهومة :

١ — فهو يوبخ الإنسان على خطاياه . ولأول مرة يكتشف الإنسان حقيقة نفسه فيذهل ويفزع . كان « السيبيادس » الفاسد صديقاً لسقراط . وقدتعود أحياناً أن يقول لسقراط : « إننى أكرهك ياسقراط لأنك فى كل مرة ألقاك فيها تجعلنى أرى فساد نفسى وما أنا عليه » . وقالت المرأة السامرية فى دهشة وخجل : « هلموا انظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت » (يوحنا ٤ : ٢٩) . إن أول شىء تفعله رسالة الله هو أنها تجعل الإنسان يدرك أنه خاطىء .

٢ — وهو يجعل الإنسان يشعر بأن أمامه حكم ودينونة . ولأول مرة يحس بأنه ملتزم أن يعطى حساباً عما فعل . فحتى هذه اللحظة ربما كان قد عاش حياته دون تفكير فى نهايتها . وربما عاشها منغمساً فى الشهوات والملذات ؛ ولكنه يرى الآن أن لها نهاية ، وأنه هناك ، عند هذه النهاية ، يقف الله ولا مفر من لقائه .

٣ — وهو يظهر للانسان خفايا قلبه . فان الشىء الوحيد الذى لا ينظر الإنسان عادة إليه هو ذاته . والشى الأخير الذى نفكر فى مواجهته وكشفه هو

قلوبنا ذاتها . وكما يقول المثل : « لا يوجد عميان مثل الذين لايريدون أن أن يبصروا » . إن الرسالة المسيحية تجبر الإنسان على أن يكون متضعاً وأميناً وصريحاً فى مواجهة نفسه وكشف خبايا وخفايا قلبه .

٤ — وهو يجعل الإنسان يخر على وجهه ويسجد لله . إن المسيحية تبدأ بانسان جاث على ركبتيه أمام الله . فالبوابة التى تدخل منها إلى محضره منخفضة جداً بحيث لا نستطيع أن ندخل منها إلا على ركبنا . وعندما يواجه الإنسان الله ، ويواجه نفسه ، لا يبقى أمامه من شيء سوى أن يركع أمامه ويصلى قائلا : « ارحمنى اللهم أنا الخاطىء » .

وهكذا يخرج الإنسان من الكنيسة وهو متأكد أنه كان فى محضر الله . إن محك أى جزء من أجزاء العبادة هو : « هل هذا الجزء يجعلنا نشعر بمحضر الله ؟ » . وعندما نشعر بالقرب من الله وبقرب الله منا نكون قد اشتركنا حقاً فى العبادة ومارسناها واختبرناها .

النصيحة العملية

فَمَا هُوَ إِذاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ . مَتَى اجْتَمَعْتُمْ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَهُ مَزْمُورٌ لَهُ تَعْلِيمٌ لَهُ لِسَانٌ لَهُ إِعْلاَنٌ لَهُ تَرْجَمَةٌ . فَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ لِلْبُنْيَانِ . إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ فَاثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَوْ عَلَى الأَكْثَرِ ثَلاَثَةً ثَلاَثَةً وَبِتَرْتِيبٍ وَلْيُتَرْجِمْ وَاحِدٌ . وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَرْجِمٌ فَلْيَصْمُتْ فِى الْكَنِيسَةِ وَلْيُكَلِّمْ نَفْسَهُ وَاللهَ . أَمَّا الأَنْبِيَاءُ فَلْيَتَكَلَّمِ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ وَلْيَحْكُمِ الآخَرُونَ . وَلَكِنْ إِنْ أُعْلِنَ لآخَرَ جَالِسٍ فَلْيَسْكُتِ

الأَوَّلُ ، لأَنَّكُمْ تَقْدِرُونَ جَمِيعُكُمْ أَنْ تَتَنَبَّأُوا وَاحِداً وَاحِداً لِيَتَعَلَّمَ الْجَمِيعُ وَيَتَعَزَّى الْجَمِيعُ . وَأَرْوَاحُ الأَنْبِيَاءِ خَاضِعَةٌ لِلأَنْبِيَاءِ . لأَنَّ اللهَ لَيْسَ إِلٰهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلٰهُ سَلاَمٍ . كَمَا فِي جَمِيعِ كَنَائِسِ الْقِدِّيسِينَ » .

(١ كورنثوس ١٤ : ٢٦ - ٣٣)

إذ يقترب بولس من نهاية هذا الفصل يقدم نصيحة عملية فهو مصمم على أن من له موهبة ينبغى أن ينتهز كل فرصة لممارسة هذه الموهبة ، ولكنه مصمم أيضاً ، وبالقدر عينه ، على أن الخدمات فى الكنيسة لا ينبغى أن تكون مجالا للتنافس الفوضوى المشوش . فهو يصرح لإثنين أو ثلاثة فقط أن يمارسوا موهبة الألسنة ، وذلك بشرط أن يكون هناك شخص يقوم بالترجمة . وإن كان لجميعهم موهبة التنبوء ، فلا يستطيع إلا إثنان أو ثلاثة فقط أن يمارسوها ، وإذا اقتنع أحد الحاضرين الجالسين فى الكنيسة أن لديه إعلاناً خاصاً فان الرجل المتكلم ينبغى أن يفسح له المجال ويعطيه الفرصة ليعبر عن رسالته . ويستطيع المتكلم أن يفعل هذا بسهولة وتأن ، ولا حاجة للادعاء بأنه محمول ومدفوع بالوحى ولا يستطيع التوقف . وذلك لأن الواعظ قادر على أن يتحكم فى نفسه . أى أنه يجب أن تكون هناك حرية ولكن يجب أيضاً ألا يكون هناك فوضى أو تشويش . فان إله السلام ينبغى أن يعبد فى هدوء وسلام .

حقاً لايوجد فى كل الرسالة إلى كورنثوس فصل يثير الاهتمام أكثر من هذا الفصل ، لأنه يلقى ضوءاً كبيراً على نظام الخدمة الكنسية كما كانت تمارس فى الكنيسة الأولى . فمن الواضح أنها كانت تتسم بالحرية وعدم التقيد بالرسميات — الأمر الذى يعتبر غريباً تماماً على أفكارنا اليوم . ومن هذا الفصل تبرز أمامنا مسألتان عظيمتان جداً :

١ – من الواضح أنه لم يكن فى الكنيسة الأولى خدام محترفون . صحيح أن الرسل كان لهم سلطان كبير ونفوذ خاص ، ولكن حتى هذه المرحلة لم يكن للكنيسة أشخاص محترفون يقومون بالخدمة فى الكنيسة المحلية . بل كان المجال مفتوحاً أمام أى واحد له موهبة لأن يستخدم موهبته ويمارسها . فهل أخطأت الكنيسة بعد ذلك فى إنشاء نظام الاحتراف فى الخدمة أم أنها أصابت فى ذلك ؟ من الواضح أن هناك سبباً أساسياً دفع الكنيسة إلى إدخال هذا النظام إليها ، وهو أنه فى عصرنا هذا الذى أصبح كل الناس فيه مشغولين بالأشياء المادية ، أضحى من اللازم أن يفرز أحدهم ليحيا حياة قريبة إلى الله ووثيقة الصلة به حتى يستطيع أن يوصل إلى الناس الحق والإرشاد والتعزية التى يعطيها له الله . ولكن من الناحية الأخرى هناك خطر واضح فى هذا الأمر ، وهو أن الشخص الذى يصبح واعظاً محترفاً يجد نفسه على الأقل فى بعض الأحيان فى موقف يضطره أن يقول شيئاً ما ، بينما لا يحمل فى نفسه رسالة ما . ومهما كان الأمر ، فان الباب يجب أن يبقى مفتوحاً أمام كل واحد يحس أن لديه رسالة يريد أن يبلغها للناس ؛ ولا ينبغى أن تقف الأنظمة الكنسية حائلا دون إعطائه الفرصة لأن يعمل هذا . فمن الخطأ البالغ ، بكل تأكيد ، أن نظن أن الخادم المحترف هو وحده الذى يستطيع أن يبلغ الحق الإلهى للبشر .

٢ – ومن الواضح أنه كانت هناك مرونة فى نظام الخدمة فى الكنيسة الأولى ، الأمر الذى تفتقر إليه الكنيسة الآن . فلم يكن هناك نظام ثابت مستقر . بل كان كل شىء فى الخدمة بعيداً عن الصبغة الرسمية حتى كان يسمح لأى واحد يشعر أن لديه رسالة يعطيها دون تردد أو تقيد بشىء . أما فى يومنا هذا فاننا نلتزم أكثر من اللازم بالوقار والنظام حتى كدنا نصبح عبيداً للأنظمة الموضوعة للخدمة . إن الصفة الجميلة حقاً الواضحة حقاً التى كانت

تتميز بها الخدمة فى الكنيسة الأولى هى أن كل واحد كان يحضر إلى الكنيسة كان يشعر أن له إمتياز الوجود فى الكنيسة كما أن عليه فى الوقت نفسه التزام الاشتراك فى الخدمة بشىء ما . فلم يكن يحضر إلى الكنيسة ليكون مجرد مستمع سلبى يأخذ دون أن يعطى ، بل كان يشعر أنه يجب أن يكون إيجابياً وأن يعطى أيضاً كما يأخذ ومن الواضح أن هذا الأمر كانت له أخطاره أيضاً ، إذ أنه كان فى كورنثوس جماعة مغرمون بأن يسمعوا أصواتهم هم بأى شكل من الأشكال . ولكنه على الرغم من هذا فلابد أن المسيحى العادى فى تلك الأيام كان ينظر إلى الكنيسة باعتبارها ملكاً حقيقياً له . ولقد خسرت الكنيسة كثيراً عندما أعطت الكثير للخدمة المحترفة ، ولم تترك لعضو الكنيسة العادى إلا القليل . وقد لا يقطع اللوم على الخدام فيما أصبح لهم من حقوق بقدر ما يقع على العلمانيين لأنهم تخلوا عنها . فهناك عدد كبير من أعضاء الكنيسة الذين يفكرون أكثر من اللازم فيما تستطيع الكنيسة أن تفعله لأجلهم ، ولا يهتمون بالتفكير فيما يستطيعون هم أن يفعلوه لأجل الكنيسة . وهم على استعداد كبير لأن ينتقدوا كل ما يعمل فى الكنيسة ، ولكنهم ليسوا على استعداد لأن يسهموا بأنفسهم بنصيب ما من عمل الكنيسة .

البدع المتنوعة

لِتَصْمُتْ نِسَاؤُكُمْ فِى الْكَنَائِسِ لأَنَّهُ لَيْسَ مَأْذُوناً لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضاً . وَلَكِنْ إِنْ كُنَّ يُرِدْنَ أَنْ يَتَعَلَّمْنَ فَلْيَسْأَلْنَ رِجَالَهُنَّ فِى الْبَيْتِ لأَنَّهُ قَبِيحٌ بِالنِّسَاءِ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِى كَنِيسَةٍ . أَمْ مِنْكُمْ

خَرَجَتْ كَلِمَةُ اللهِ . أَمْ إِلَيْكُمْ وَحْدُكُمُ انْتَهَتْ . إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْسِبُ نَفْسَهُ نَبِيًّا أَوْ رُوحِيًّا فَلْيَعْلَمْ مَا أَكْتُبُهُ إِلَيْكُمْ أَنَّهُ وَصَايَا الرَّبِّ . وَلَكِنْ إِنْ يَجْهَلْ أَحَدٌ فَلْيَجْهَلْ . إِذاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ جِدُّوا لِلتَّنَبُّوْ وَلاَ تَمْنَعُوا التَّكَلُّمَ بِأَلْسِنَةٍ . وَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ .

(١ كورنثوس ١٤ : ٣٤ – ٤٠)

ظهرت فى كنيسة كورنثوس بدع كانت تهددها . ولكن بولس أبى أن يسمح لها بالوجود أو البقاء فيها . ولذلك يسأل الكورنثيين عما دفعهم للانزلاق فيها . هل كانوا هم مؤسسى الكنيسة المسيحية ؟ وهل لهم الحق فى أن يحتكروا حق الإنجيل وقصته ؟ لقد تسلموا تقليداً ، ويجب أن يطيعوا هذا التقليد .

ليس من السهل أن يرتفع إنسان ما فوق الأفكار والتقاليد السائدة فى بيئته وفى العصر الذى يعيش فيه ، وفى المجتمع الذى ينشأ بين أحضانه . لذلك لم يستطيع بولس فى فهمه وتصوره لمكانة النساء داخل الكنيسة ، أن يرتفع فوق مستوى الأفكار التى شب عليها وعرفها طوال حياته . وقد سبق أن عرفنا أن مكانة النساء فى العالم القديم كانت منخفضة . وكان الصمت هو الصفة الطيبة التى ينبغى أن تتحلى بها المرأة الفاضلة . وكانت النساء فى اليونان يعشن حياة انعزالية متحجبة ، ما عدا النساء الفقيرات أو النساء الخليعات الفاجرات . وكانت فكرة اليهود عن النساء أكثر إنخفاضاً وإنحطاطاً . وفى التلمود توجد أقوال كثيرة تقلل من شأن النساء وتحط من قدرهن ، مثل « إن تعليم الناموس للمرأة هو بمثابة إلقاء الدرر واللآلىء أمام الخنازير » . ويضع التلمود فى قائمة الأوبئة فى العالم « الأرملة الفضولية الثرثارة والعذراء

التى تضيع وقتها فى الصلوات » . وكان محظوراً أن يتكلم أحد مع امرأة فى الشارع . وبحسب أقوال التلمود كان يجب ألا يطلب أحد خدمة ما من امرأة ولا أن يحييها . وفى مجتمع كهذا كتب بولس عباراته التى وردت فى هذا الفصل . ولابد أن الفكرة التى سيطرت على ذهنه هى حالة الإنحلال الخلقى الذى كان سائداً فى كورنثوس ؛ وكان هدفه ألا يسمح لأى شىء يثير الشك بالنسبة إلى كنيسة مافتئت فى المهد . ومن الخطأ أن ننتزع عبارات بولس هذه من العصر الذى كتبت فيه ثم نحاول أن نجعل منها قاعدة عامة أو مبدأ ثابتاً للكنيسة فى كل مكان .

ثم يستطرد بولس فيتحدث بشىء من العبوسة والصرامة . ويعلن أن ما يحظى به فرد من مواهب روحية لا يعطيه أى حق فى أن يكون متمرداً ضد السلطة . وهو يعلن أن النصائح التى قدمها والقواعد التى وضعها قد جاءته من يسوع المسيح ومن روحه ؛ وأنه إذا أحد رفض أن يفهمهم فانه يجب أن يترك فى جهله المتعمد .

ثم يختتم بولس أقواله فى هذا الصدد ؛ فيؤكد بوضوح تام أنه لا يرغب فى أن يطفىء موهبة أى واحد ، وأن الشىء الواحد الذى يطالب به باصرار هو حسن الترتيب واللياقة فى الكنيسة . والقاعدة التى يضعها هى أن كل من قبل موهبة من الله ، مهما كانت هذه الموهبة ، فانه ينبغى أن يذكر أن القصد من هذه الموهبة ليس أن تكون لأجل ذاته هو بل لأجل بنيان الكنيسة ، وليس لمجده هو بل لمجد الله الأعظم . وعندما يستطيع إنسان أن يقول « ليكن المجد لله » فانه عندئذ وعندئذ فقط تستطيع أن يستخدم مواهبه داخل الكنيسة وخارجها الاستخدام الصحيح .

قيامة يسوع وقيامتنا

إن الإصحاح الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى كورنثوس ، الذى نبدأ الآن فى دراسته ، يعتبر من أعظم أصحاحات العهد الجديد وأصعبها فى الوقت نفسه . وهو ليس صعباً فى حد ذاته فقط ، ولكن لأنه يضيف إلى قانون الإيمان عبارة يجد الكثيرون صعوبة كبيرة فى إثباتها ، فعلى هذا الإصحاح بصفة رئيسية ، بنيت عقيدة قيامة الجسد . إلا أن هذا الأصحاح يصبح بالنسبة لنا ، أقل صعوبة لو أننا درسناه فى ضوء البيئة التى ظهر فيها ؛ وحتى هذه العبارة الصعبة ستصبح واضحة تماماً ومقبولة تماماً عندما ندرك حقيقة ما كان بولس يعنيه بها . لذلك قبل أن ندرس هذا الإصحاح يجدر بنا أن نذكر جيداً أشياء معينة :

١ ــ انه لأمر على جانب عظيم من الأهمية أن نذكر أن الكورنثيين لم ينكروا قيامة يسوع المسيح ؛ وان ما كانوا ينكرونه هو قيامة الجسد ؛ وان ما كان بولس ينبر عليه هو أن إنكار إمكانية قيامة الجسد إنما هو بمثابة إنكار إمكانية قيامة يسوع المسيح ، وان من يفعل هذا فكأنه يجرد الرسالة المسيحية من صدقها ، والحياة المسيحية من حقيقتها وواقعيتها .

٢ ــ وكان يوجد فى كل كنيسة ، فى بداية عهد المسيحية ، جماعتان تختلف بيئتاهما وتفكيرهما هما اليهود واليونانيون . ويجب أن نتأمل الآن هاتين البيئتين .

فأولا ، كان هناك الوسط اليهودى . وكان فيه الصدوقيون الذين كانوا ينكرون أنه توجد حياة بعد الموت . ولذلك أنكروا إنكاراً تاماً كلا من خلود النفس وقيامة الجسد . (أعمال ٢٣ : ٨) وحتى فى العهد القديم نفسه لم يكن قد اتضح بعد ، كما حدث فى العهد الجديد ، رجاء الحياة

بعد الموت . وبحسب الاعتقاد العام فى ذلك الزمن كان كل الناس دون استثناء ، سيذهبون بعد الموت إلى « شيول » (الهاوية) وكثيراً ما ترجمت شيول خطأ إلى جهنم . مع أنها فى حقيتها وبحسب العقيدة التى كانت سائدة هى مقر كل الأموات ، وهى عبارة عن أرض قاحلة مجدبة تحت هذا العالم ، كان الأموات فيها يعيشون كظلال وأشباح ، بلا قوة ، وبلا نور ، وفى معزل تام عن الناس وعن الله .

وكان العهد القديم زاخراً بمثل هذا التشاؤم الكئيب البشع عما سيحدث بعد الموت .

« لأنه ليس فى الموت ذكرك . فى الهاوية من يحمدك » (مزمور ٦ : ٥)

« ما الفائدة من دمى إذا نزلت إلى الحفرة . هل يحمدك التراب . هل يخبر بحقك » (مزمور ٣٠ : ٩) .

« أفلعلك للأموات تصنع عجائب أم الأخيلة تقوم تمجدك . هل يحدث فى القبر برحمتك أو بحقك فى الهلاك . هل تعرف فى الظلمة عجائبك وبرك فى أرض النسيان » . (مزمور ٨٨ : ١٠ — ١٢) .

وكانت شيول إذن هى أرض الظلام والموتى الذين يطويهم النسيان . « ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر إلى أرض السكوت » (مزمور ١١٥ : ١٧) . « لأن الهاوية لا تحمدك . الموت لا يسبحك . لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك » : (إشعياء ٣٨ : ١٨) .

« اقتصر عنى فاتبلج قبل أن أذهب فلا أوجد » : (اشعياء ٣٩ : ١٣) « لكل الأحياء يوجد رجاء فان الكلب الحى خير من الأسد الميت . لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون . أما الموتى فلا يعلمون شيئاً . . : كل ماتجده

يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها » : (جامعة ٩ : ٤ و ٥ و ١٠) .

ويقول أحد مشاهير علماء العهد القديم إن هذا القصور في عقيدة الخلود في العهد القديم يرجع إلى « فهم أولئك الناس لشخصية الله فاعتقدوا أنه قوة مسيطرة في هذا العالم وكانوا يخشونه » ثم يستطرد فيقول : « وفي تاريخ الدين الطويل عاش الناس في قرون كثيرة أنبل حياة أدوا فيها الفرائض المطلوبة منهم وتحملوا فيها آلامهم وأحزانهم بلا أمل أو رجاء في مكافأة أو جزاء في المستقبل . وقد فعلوا ذلك لأنهم كانوا في خروجهم ودخولهم متيقنين من وجود الله .

حقاً إنه توجد في العهد القديم بعض الإشارات القليلة عن حياة حقيقية في المستقبل . وأحياناً كان الناس يشعرون أنه لابد أن يأتي وقت فيه يبرهن الله على وجوده وقوته بعمل ما ينقض به الأوضاع أو الأحكام غير المفهومة في هذا العالم . ولذلك يصرخ أيوب قائلا :

« أما أنا فقد علمت أن وليي حي والآخر على الأرض يقوم . وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله . الذي أراه أنا لنفسي وعيناي تنظران وليس آخر . إلى ذلك تتوق كليتاي في جوفي » . (أيوب ١٩ : ٢٥ — ٢٧) .

وكان الشعور الحقيقي للقديس هو أنه ، حتى في هذه الحياة ، يمكن للانسان أن يدخل في علاقة وشركة مع الله — علاقة وشركة قوية وثمينة ، ووثيقة جداً حتى أنه حتى الموت لا يستطيع أن يفصم عراها أو يضع لها نهاية .

« جسدى أيضاً يسكن مطمئناً . لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية : لن تدع تقياك يرى فساداً . تعرفنى سبل الحياة . أمامك شبع سرور . فى يمينك نعم إلى الأبد » . (مزمور ١٦ : ٩ — ١١) .

« أمسكت بيدى اليمنى . برأيك تهدينى وبعد إلى مجد تأخذنى » ، (مزمور ٧٣ : ٢٤) .

قد نما وتطور الرجاء فى الخلود فى إسرائيل . وقد ساعد على انتشار هذا الرجاء وتطوره عاملان :

(أ) العامل الأول أن إسرائيل كان الشعب المختار ، ومع ذلك فان تاريخهم كان قصة متصلة الحلقات من المصائب والكوارث .

ولذلك بدأ الناس يشعرون أن الأمر يتطلب عالماً آخراً . يتم فيه الإنصاف وتعادل كفتى الميزان .

(ب) والعامل الثانى هو أن الفرد ظل قروناً كثيرة يكاد يكون لا قيمة له ولا اعتبار . فقد كان المفهوم أن الله هو إله الشعب ككل ، أما الفرد فهو مجرد وحدة ليس لها أية أهمية . ولكن بمرور القرون بدأت الديانة تصبح ديانة شخصية . ولم يعد الله فى نظر الناس هو إله الأمة أو الشعب ككل ، ولكنه أصبح إلهاً لكل إنسان كفرد . وهكذا أصبح الناس بسليقتهم وبغريزتهم يشعرون أنه يوم أن يعرف الإنسان الله ، ويعرف منه ، فعندئذ تنشأ علاقة بينهما لا يستطيع حتى الموت أن يفصمها أو يقطعها .

٣ — والآن لنتجه إلى العالم اليونانى . وإذ نفعل ذلك يجب أن نفهم شيئاً واحداً هو فى الحقيقة مفتاح الأصحاح كله . فقد كان اليونانيون بوجه عام يؤمنون بخلود النفس ، ولكن لم يخطر ببالهم أبداً أن يؤمنوا بقيامة الجسد .

وكان اليونانيون بغريزتهم يخافون من الموت . وقد كتب عنهم أحد مفكريهم فقال : « مع أنهم يعرفون أنهم بشر مائتون ومثقلون بعدد لا يحصى من العيوب والشرور ، لكنهم ظلوا يحبون الحياة . وكانوا يشتاقون إلى كل يوم جديد ، يسرون بأن يحتملوا المصائب التى يعرفونها بدلا من مواجهة الموت الذى يجهلونه » . ولكن ، اليونانيين بوجه عام وكل الذين تأثروا بالفكر اليونانى فى هذه المنطقة من العالم ، يؤمنون إيماناً واثقاً بخلود النفس . غير أنهم كانوا يؤمنون — وهنا موضع الخلاف — أن خلود النفس يتضمن محو الجسد وانقراضه وانحلاله الكامل . وكان عندهم مثل يقول : « إن الجسد هو قبر » . وقال أحدهم : « « أنا نفس مسكينة مقيدة ومكبلة بجثة مائتة » . وقال سينكا الفيلسوف الرومانى : « لقد سرنى أن أحقق فى مسألة خلود النفس وأن أؤمن بها . ولقد سلمت نفسى لذلك الرجاء العظيم ؛ » . ولكنه قال أيضاً : « عندما يأتى اليوم الذى يفصل بين هذا المزيج الإلهى والإنسانى فى حياتى ، فانى سأعود بنفسى إلى الآلهة ، أما جسدى فانى سأتركه هنا » . وقال إبكيتس Epictetus : « عندما ينفتح باب الله وينادينا فاننا نتحلل ونعود إلى العناصر التى منها أتينا » . وقال أفلاطون : « إن الجسم هو نقيض النفس ، لأنه مصدر كل الصفات ومعطل كل شىء صالح » . وهكذا كان اليونانيون يعتقدون أن الإنسان عندما يموت يتحلل جسده إلى عناصره الأولية التى يتكون منها وترجع نسمة الحياة التى كانت فيه إلى الله باعتبارها جزء منه ونفحة من نفحاته ، وأن الخلود يتوقف ، فى الحقيقة على التخلص من الجسد . أما فكرة قيامة الجسد فلم تخطر ببال اليونانى ولم يكن يتصورها . وبعبارة أخرى ، لم يكن اليونانيون فى الواقع يعتقدون بالخلود « الشخصى » ، لأن القوة التى كانت تعطى الحياة للناس كانت ترجع إلى الله الذى هو مصدر كل حياة .

٤ ـ أما وجهة نظر بولس فقد كانت تختلف عن ذلك تماماً . فاذا كنا نبدأ بحقيقة واحدة ضخمة فان كل شيء بعد ذلك سيصبح واضحاً تماماً . والعقيدة المسيحية فيما يتعلق بما بعد الموت تؤمن أن الفرد سيحيا من جديد بشخصه ، أى أنك أنت ستظل أنت ، وأنا سأظل أنا . وبالإضافة إلى ذلك هناك حقيقة أخرى ضخمة ، فبحسب رأى اليونانى لم يكن تكريس الجسم أمراً ممكناً . فان الجسم كان فى نظره مجرد مادة ، وهو أصل كل شر ، وهو قيد للنفس وسجن لها . ولكن فى نظر المسيحى ليس الجسد فى حد ذاته شريراً : ولم يكن ممكناً أن يكون كذلك بعد التجسد الإلهى . فان يسوع ، ابن الله ، قد اتخذ لنفسه هذا الجسد الإنسانى ، ومن ثم فلا يمكن اعتباره شيئاً حقيراً يستحق الازدراء. ولذلك فان الحياة المقبلة ، فى نظر المسيحى وبحسب إيمانه ، ستشمل الإنسان كله ، جسداً ونفساً . ومن السهل أن يساء فهم عقيدة قيامة الجسد : وقديماً حاول سلسس Selsus الذى عاش حوالى عام ٢٢٠ بعد الميلاد والذى كان من بين أوائل الذين هاجموا المسيحية ـ حاول أن يفعل ذلك ؛ فقال : « كيف يستطيع الذين ماتوا أن يقوموا بنفس الأجساد التى ماتوا بها ؟ إذ هذا فى الحقيقة هو أمل الديدان . فأى إنسان تقبل نفسه أن تعود إلى جسد قد تعفن وبلى ؟ » . ومن السهل أن يحتج المتشككون بأمثلة كثيرة مثل شخص تهشم جسده فى حادثة ، وآخر مات بالسرطان ، وثالث أصابه العجز والشلل وشخص رابع تشوه جسده لسبب ما وهكذا . ولكن بولس لم يقل إننا سنقوم بنفس الأجساد التى متنا بها . بل أصر على أنه ستكون لنا أجسام روحانية . وما كان بولس يعنيه فى الحقيقة هو أن « شخصية » الإنسان هى التى سيحيا فى القيامة من الموت . ويكاد يكون مستحيلا أن نتصور شخصية بلا جسم ، لأن الشخصية تعرف عن طريق الجسم وبه تستطيع أن تعبر عن نفسها . وما يحاول بولس جاهداً أن يؤكده هو أنه بعد الموت لن يكون هناك ضياع أو تلاشى

للنفس أو للشخصية ، بل سيبقى الفرد كفرد ، له شخصيته المميزة . فلم يرث بولس أو يعتنق الفكر اليونانى الذى كان يحتقر الجسد ويزدرى به ، بل كان يؤمن بقيامة الإنسان كله . ولا يستطيع أحد أن يدرك أو يتصور شكل الحياة بعد القيامة ، ولكن العقيدة المسيحية تؤكد أن الذى سيقوم ثانية ليس جزءاً من الإنسان بل الإنسان كله . أى أن الإنسان سيظل هو بنفسه ، وسيحيا كشخص ، وهذا ما كان يعنيه بولس بقيامة الجسد . إن الجسد والنفس كلاهما يلزمان لجعل الإنسان شخصاً متميزاً يحيا ثانية ، ولكن بصورة جديدة . وسيكون كل من الجسم والروح مختلفاً عن الأرضيات ، لأن كلا منهما سيصبح سماوياً .

الرب المقام

الاصحاح الخامس عشر :

وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بالإِنْجِيلِ الَّذِى بَشَّرْتُكُمْ بِهِ وَقَبِلْتُمُوهُ وَتَقُومُونَ فِيهِ . وَبِهِ أَيْضاً تَخْلُصُونَ إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَىُّ كَلاَمٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ إِلاَّ إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثاً . فَإِنَّنِى سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فى الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ . وَأَنَّهُ دُفِنَ وَأَنَّهُ قَامَ فى الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ . وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاِثْنَى عَشَرَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ دفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسَمِئَةِ أَخٍ أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآنَ وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا . وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ ثُمَّ للرُّسُلِ أَجْمَعِينَ . وَآخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ للسِّقْطِ ظَهَرَ لِى أَنَا . لأَنِّى

أَصْغَرَ الرُّسُلِ أَنَا الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً لأَنْ أُدْعَى رَسُولاً لأَنِّي اضْطَهَدْتُ كَنِيسَةَ ٱللهِ . وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أَنَا مَا أَنَا وَنِعْمَتُهُ الْمُعْطَاةُ لِي لَمْ تَكُنْ باطِلَةً بَلْ أَنَا تَعِبْتُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ . وَلَكِنْ لاَ أَنَا بَلْ نِعْمَةُ اللهِ الَّتِي مَعِي . فَسَوَاءٌ أَنَا أَمْ أُولٰئِكَ هَكَذَا نَكْرِزُ وَهَكَذَا آمَنْتُمْ .

(١ كورنثوس ١٥ : ١ – ١١)

فى هذا الفصل يجمل بولس الأخبار المفرحة أو الإنجيل الذى بشر به الكورنثيين فى الأول . ولم يكن ذلك الإنجيل من اختراعه هو ؛ بل كان الإنجيل الذى سلم إليه أولاً ، إنجيل الرب المقام .

وفى العددين الأول والثانى يذكر بولس سلسلة من الأشياء الجديرة بالاهتمام عن هذا الإنجيل :

١ – فقد كان شيئاً « قبله » المسيحيون . إن الإنجيل دائماً شيء نقبله من شخص سبق أن قبله وامتلكه . فلم يحدث أن إنساناً اخترع الإنجيل أو اكتشفه لنفسه . إنه شيء يقبله ويتسلمه . وهذا الحقيقة توضح وظيفة الكنيسة وعملها . فالكنيسة هى المجرى الذى ينساب فيه الإنجيل . وكما قال أحد الآباء الأقدمين : « لا يمكن لأحد أن يعرف الله كأب ما لم يعرف الكنيسة كأم » . إن الإنجيل شيء يقبل ويستلم مرة خلال شركة ورفقة .

٢ – وكان هذا الإنجيل شيئاً ، كان الكورنثيون « يقومون » فيه . إن العمل الأول للإنجيل هو أن يعطى الانسان ثباتاً واستقراراً . ففى عالم ملئ بالمخاطر والمزالق يحفظ الإنجيل أقدام الإنسان من السقوط والانزلاق . وفى

عالم ملىء بالتجارب والمغريات والشهوات ، يعطيه قوة للمقاومة والصمود . وفى عالم ملىء بالجراح والإساءات يمنحه قوة تحفظه من الاستسلام لانكسار القلب واضطراب الجسم وآلامه . وما أجمل ما جاء فى سفر أيوب ٤ : ٤ « قد أقام كلامك العاثر وثبت الركب المرتعشة » . وهذا بالضبط هو ما تفعله كلمة الإنجيل .

٣ — وكان هذا الإنجيل أيضاً شيئاً « به تخلصون » . ومما تجدر ملاحظته أن هذه العبارة باللغة اليونانية ، تفيد الزمن المضارع وليس الزمن الماضى . فيصبح تماماً أنها تترجم « به تخلصون » وليس « به قد خلصتم » . إن عظمة الخلاص هى أنه يتقدم بالإنسان من مجد إلى مجد . ولذلك فهو لا يكمل أو يتم فى هذا العالم . بل يتطلب عالماً آخراً فيه يفتح أمام الإنسان كنوز الخلاص كاملة . إن إحدى المميزات العظمى للحياة المسيحية أنها غير محدودة ، توجد أشياء كثيرة فى هذه الحياة يمكن أن نستهلكها ونستنفذها ، ولكن الخلاص ليس شيئاً من هذا القبيل .

٤ — وهذا الإنجيل شيئاً يجب أن « يذكروه » وأن يتمسكوا ويتشبثوا به باستمرار . فى الحياة تصادفنا قوى تحول انتزاع إيماننا أو زعزعته . وكم من من الأشياء التى تحدث لنا وللآخرين تحير عقولنا وتخيب انتظاراتنا . والحياة زاخرة بالمشاكل التى يبدو أن لا حل لها ، وبالأسئلة التى يبدو أن لا جواب عليها . والأماكن المظلمة التى يبدو أن لا شىء يمكن عمله سوى أن نواصل السير فيها بثبات . إن الإيمان يحمل بين طياته دائماً نصرة ، هى نصرة النفس التى تظل متمسكة بالله بقوة وإصرار .

٥ — وهو شىء يجب ألا يتمسكوا به اعتباطاً أو « عبثاً » فالإيمان الذى ينكمش ويضمر هو الإيمان الذى لا يدرس الأمور ولا يعيها ولا يفكر فيها

وكثيراً ما يكون الإيمان والعقيدة شيئاً سطحياً فى حياتنا ، فنحن نميل إلى أن نقبل أشياء لمجرد أننا سمعناها من آخرين ، وأن نمتلكها بعد أن يستعملوها هم ، ولكن إذا تعمقنا فى دراسة المواقف فاننا قد نكتشف أشياء يجب أن نبعدها عنا ، ولكن ما يتبقى لنا يصبح ملكاً لنا حقاً ولا يستطيع أحد أن ينتزعه منا .

وفى مرات ظهور الرب المقام والتى يشير إليها بولس ، توجد إثنتان جديرتان بالاهتمام والتأمل . :

١ ـ الأولى ظهور الرب لبطرس . وفى أول قصة القيامة كانت كلمات الشاب اللابس حلة بيضاء فى القبر الفارغ هى :

« إذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس » . (مرقس ١٦ : ٧) . وفى لوقا ٢٤ : ٣٤ يقول التلاميذ : « إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان » . وإنه لشىء مدهش حقاً أن يظهر الرب أولا للتلميذ الذى كان قد أنكره .

وهذا يظهر عمق محبة يسوع المسيح ونعمته العجيبة. ولربما كره الآخرون بطرس ، لكن يسوع رغب فى أن يشجع ويثبت هذا التلميذ العزيز الذى ضل وأخطأ . فمع أن بطرس أساء إليه وجرح قلبه ، ولكن قلبه انفطر حزناً وندماً على هذه الإساءة وبكى بكاءاً مراً ، لذلك كانت رغبة يسوع العجيب أن يواسى هذا الإنسان الحزين ، إن أعظم ما يمكن أن تصل إليه المحبة ، هى أن تعمل على مواساة الشخص الذى يسبب لها الجراح ويسىء إليها ، أكثر من تفكيرها فى مداواة الجراح التى أصابتها .

٢ ـ وهناك أيضاً ظهور الرب ليعقوب . ويعقوب المشار إليه هنا هو بلا شك أخو الرب . ويتضح مما رواه الإنجيل ، أن أقرباء يسوع لم يفهموه ،

ل وناصبوه العداء . ومن مرقس ٣ : ٢١ يتبين لنا أنهم حاولوا أن يردعوه وأن يقبضوا عليه لأنهم اعتقدوا أنه مختل . ولا بد أن يعقوب أحس أخيراً بالندم الشديد على هذه المعاملة التي عامل الرب بها . وهنا تظهر نعمة يسوع ومحبته المذهلة ، فقد ظهر لهذا الأخ الذي اتهمه بالجنون وعامله بعداء ؛ ظهر له لكي يملأ بالسلام نفسه المضطربة ، التي كانت تعانى من تأنيب الضمير ومن الإحساس بالندم الشديد .

ومن أكثر ما يذيب القلب تأثراً في كل قصة يسوع أنه يظهر مرتين عند قيامته للرجلين اللذين كانا قد أساءا إليه بقسوة ، ثم شعرا بالأسف والندم . إن يسوع يسرع للالتقاء بصاحب القلب النادم الراجع إليه عند أبعد بكثير من منتصف الطريق .

وأخيراً يلقى لنا هذا الفصل نوراً ساطعاً على شخصية بولس نفسه . فقد كان يحسب أن ثمن شيء في العالم هو أن يسوع قد ظهر له هو أيضاً . وكان هذا الظهور نقطة التحول في حياته بل كان في الوقت نفسه لحظة نواله للقوة الدافعة والمحركة لحياته كلها . وتلقى لنا الأعداد من ٩ — ١١ مزيداً من الضوء على هذه الشخصية :

١ — فمن هذه الأعداد نرى « تواضع » بولس . فهو يعتبر نفسه أصغر الرسل ، ويشعر أنه لم يكن أهلا لنوال هذه الوظيفة العظمى . ولم يزعم لنفسه أى فضل فيما وصل إليه بل إنه يعترف أنه بلغ ما بلغه بفضل نعمة الله المعطاة له ، ولم يتردد في تواضعه عن أن يذكر نقصاته وعيوبه ، (٢ كورنثوس ١٣ : ١٠) .

وربما كان اليهود ، بعد أن صار مسيحياً يشيرون إليه بازدراء ويقولون

« هذا السقط » . وربما اشترك فى هذا الازدراء المسيحيون من اليهود ، الذين كانوا يريدون أن يفرضوا الناموس والختان على من يصيرون مسيحيين ولذلك يكرهوا تعليمه عن النعمة المجانية . وكان بولس يشعر بعدم استحقاقه حتى أنه كان يحس أنه مهما قيل عنه من سوء ، ومهما وجه إليه من نقد ، فلن يصل إلى حد المبالغة . إننا عندنا نراجع حياتنا بوجه عام نجد أننا نستحق كل ما يوجه إلينا من نقد ولوم . وكان هذا شعور بولس ، إنه لم يكن متكبراً حتى يرفض إنتقاد الناس وتعييرهم له ، بل كان متواضعاً إلى الدرجة التى شعر فيهما أنه يستحق هذا النقد والتعيير .

٢ ــ ترينا هذه الأعداد فى الوقت عينه « إحساس بولس بقدره وقيمته » فهو يدرك جيداً أنه قد تعب أكثر منهم جميعهم . إن تواضع بولس لم يكن تواضعاً مزيفاً . ولذلك كان يتحدث دائماً ، لا عما فعله هو ، ولكن عما عملته به نعمة الله التى معه .

٣ ــ وتحدثنا أيضاً عن « إحساسه بالشركة » . فانه لم يعتبر نفسه ظاهرة منعزلة له رسالة فريدة ؛ ولكنه كان يشعر أنه والرسل الآخرون يكرزون بالإنجيل الواحد . وهنا تتجلى عظمة بولس الحقيقية التى كانت تزيد إحساسه وارتباطه بالشركة المسيحية قوة وتوثقاً . إن العظمة التى تفصل الإنسان عن شركائه وزملائه ، وتفصم روابط الشركة والتعاون بينه وبينهم ، هى عظمة ناقصة تفتقر إلى عنصر الشركة الذى لا يمكن الاستغناء عنه لتدعيمها وبقائها ؛

لو لم يقم المسيح

وَلَكِنْ إِنْ كَانَ الْمَسِيحُ يُكْرَزُ بِهِ أَنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. فَكَيْفَ يَقُولُ قَوْمٌ بَيْنَكُمْ إِنْ لَيْسَ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَات فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ. وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيضاً إِيمانُكُمْ وَنُوجَدُ نَحْنُ أَيضاً شُهُودَ زُورٍ لِلّهِ لأَنَّنَا شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللّهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ وَهُوَ لَمْ يُقِمْهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتَى لايَقُومُونَ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتَى لايَقُومُونَ فَلا يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ. وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحِ قَدْ قَامَ فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِى خَطَايَاكُمْ. إِذاً الَّذِينَ رَقَدُوا فِى الْمَسِيحِ أَيضاً هَلَكُوا. إِنْ كَانَ لَنَا فِى هَذِهِ الْحَيْوةِ فَقَطْ رَجَاءُ فِى الْمَسِيحِ فَإِنَّنَا أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ.

(١ كورنثوس ١٥ : ١٢ — ١٩)

هنا يهاجم بولس خصومه فى كورنثوس فى صميم ما كانوا يحاولون أن يقاوموه به. فقد كانوا ينادون صراحة أن « الموتى لا يقومون ». وكان جواب بولس القاطع هو : إن زعمكم هذا معناه أن يسوع المسيح لم يقم ، وإن كان الأمر كذلك ، فان الإيمان المسيحي يكون انهار من أساسه.

ولكن لماذا نظر بولس إلى الإيمان بقيامة يسوع كعقيدة أساسية ؟ ولماذا

كانت تتضمن هذه العقيدة من قيم عظيمة وحقائق ثمينة ؟ . . إن قيامة يسوع تبرهن أربع حقائق إذا تأكدت لإنسان فانها تطستيع أن تغير وجهة نظره عن الحياة الحاضرة والحياة المستقبلة .

١ — إن القيامة تبرهن على أن « الحق أقوى من الباطل » . وبحسب ما جاء فى البشارة الرابعة قال يسوع لأعدائه : « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق » (يوحنا ٨ : ٤٠) . لقد جاء يسوع يحمل للناس فكرة حقيقية عن الله وعن الصلاح والخير ؛ ولكن أعداءه تمكنوا من أن ينفذوا مؤامرتهم فصلبوه لأنهم أرادوا ألا تتحطم آراؤهم المزيفة عن الله وعن الصلاح . وبعبارة أخرى ، لو أن أعداء يسوع كانوا قد نجحوا فى القضاء عليه نهائياً ، لكان معنى ذلك أن الباطل أقوى من الحق . قال ايرل مورتون حاكم اسكوتلندا فى مناسبة ما لأندرو ملفيل زعيم الإصلاح العظيم : « لن تهدأ هذه البلاد إلا إذا شنق عدد منكم أو نفوا من البلاد » . فأجاب ملفيل « يمكنك يا سيدى أن تهدد رجال بلاطك أو رجال حكومتك بمثل هذا الكلام . أما أنا فانه يستوى عندى أن يتعفن جسدى فى التراب أو يعلق فى الهواء . ومع ذلك فانه ، مجداً لله ، لن يكون فى مقدورك إطلاقاً أن تشنق الحق الإلهى أو تنفيه ! » . إن القيامة هى الضمان النهائى لخلود الحق وعدم قابليته للفناء .

٢ — والقيامة تبرهن على أن « الخير أقوى من الشر » . وهنا نقتبس مما جاء فى البشارة الرابعة أيضاً ما قاله يسوع وهو يواجه أعداءه : « أنتم من أب هو إبليس » . (يوحنا ٨ : ٤٤) . إن القوى التى صلبت يسوع كانت هى بعينها قوى الشر ، وإذا لم تكن هناك قيامة فان قوى الشر هذه تكون قد انتصرت . كتب I. A. Froude المؤرخ العظيم يقول : « هناك درس

واحد وواحد فقط ، يمكن أن يقال إن التاريخ يردده بشكل واضح ومميز ، وهو أن العالم قد بنى بشكل ما على أسس أدبية وأخلاقية . وعلى المدى البعيد سوف يتضح لنا أن الخير لا بد يعلو وينتصر ، وأن الشر لا بد يقضى عليه وينهزم » ولكن لو لم تحدث القيامة لتزعزع هذا المبدأ العظيم للناموس الأدبى والأخلاقى للكون ، ولما كان لنا أن نستعيد ثقتنا ويقيننا فى أن الخير أقوى من الشر .

٣ — والقيامة تبرهن على أن « المحبة أقوى من الكراهية » لقد كان يسوع هو الحب الإلهى متجسداً . ومن الناحية الأخرى كان موقف الذين قاموا بصلبه يعكس الكراهية المجسمة . لقد بلغت كراهيتهم له حداً جعلهم ينسبون المحبة والنعمة المتجسدة فى حياته إلى قوة الشيطان . ولو لم تكن هناك قيامة لكان معنى هذا أن كراهية الإنسان فى النهاية هزمت محبة الله . ولكن القيامة كانت برهان انتصار المحبة على كل ما استطاعت الكراهية أن تفعله . إن القيامة هى البرهان النهائى القاطع على أن المحبة أقوى من الكراهية .

٤ — والقيامة تبرهن على أن « الحياة أقوى من الموت » . فلو أن يسوع قد مات دون أن يقوم ثانية لكان معنى هذا أن الموت قد استطاع أن يقضى نهائياً على أجمل وأحسن حياة ظهرت فى الوجود . حدث فى سنوات الحرب الأخيرة أن إحدى كنائس لندن قامت بجمع تقدمات وهبات عيد الشكر . وكان من بين الهبات حزمة من نبات القمح . ولكن الاجتماع الذى كانت ستقام فيه خدمة الشكر لم يعقد بالمرة لأن غارة جوية وحشية جاءت على لندن مساء السبت ، وأصابت مبنى الكنيسة فحولته إلى أنقاض ومرت الشهور وجاء الربيع . ولاحظ أحدهم فى وسط الخرائب حيث كان مبنى الكنيسة قائماً قبل أن تحطمه القنابل — بعض الأغصان الخضراء . ثم جاء الصيف ، فاذا بهذه الأغصان تنضر وتترعرع . وعندما جاء فصل الخريف كان الناس يرون فى

وسط الخرائب والأنقاض رقعة من نبات القمح المترعرع . إن القنابل المدمرة المخربة لم تستطع أن تقتل الحياة فى نبات القمح وبذوره . لقد كانت الحياة أقوى من الموت . إن القيامة هى البرهان النهائى القاطع على أن الحياة أقوى من الموت .

وأصر بولس على أنه إذا لم تكن قيامة يسوع حقيقة ، فان أساس الرسالة المسيحية عندئذ يكون باطلا وكذباً ، ويكون كل أولئك الذين ماتوا وهم يؤمنون بالقيامة ، إنما كانوا يثقون فى أوهام باطلة . فبدون القيامة لن يكون هناك أى ضمان لانتصار القيم العظمى فى الحياة أو لبقائها . وإذا انتزعت حقيقة القيامة من المسيحية لتحطم أساس الإيمان المسيحى وبنيانه .

باكورة الراقدين

وَلَكِنِ الْآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ . فَإِنَّه إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ بِإِنْسَانٍ أَيْضاً قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ . لأَنَّهُ كَمَا فى آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ هكَذَا فى الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ . وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فى رُتْبَتِهِ . الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فى مَجِيئِهِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ النِّهَايَةُ مَتَى سَلَّمَ الْمُلْكَ لِلهِ ٱلْآبِ مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ . لأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ ٱلْأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ . آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ . لأَنَّهُ أَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ . وَلَكِنْ حِينَمَا يَقُولُ إِنَّ

كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُخْضِعَ فَوَاضِحٌ أَنَّهُ غَيْرُ ٱلَّذِى أَخْضَعَ له ٱلْكُلَّ . وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ ٱلْكُلُّ فَحِينَئِذٍ ٱلإِبْنُ نَفْسُهُ أَيضاً سَيَخْضَعُ لِلَّذِى أَخْضَعَ لَهُ ٱلْكُلَّ، كَىْ يَكُونَ ٱللهُ ٱلْكُلَّ فِى ٱلْكُلِّ .

(١ كورنثوس ١٥ : ٢٠ – ٢٨)

هذا الفصل يعتبر أيضاً من الفصول الصعبة بالنسبة لنا ، لأنه يعالج أفكاراً ومفاهيم غريبة علينا .

فهو يتحدث عن المسيح باعتباره « باكورة الراقدين » . وهنا يستخدم بولس لتوضيح هذا المعنى ألفاظاً كانت فى مدلولها معروفة عند كل يهودى : فهو يستعير بعضاً من معانى عيد الفصح الذى كان له أكثر من دلالة أو معنى . فهو ، كما يعرف كل واحد ، ذكرى تحرير بنى إسرائيل من أرض مصر . ولكنه كان أيضاً عيداً عظيماً للحصاد . وكان يجىء عادة فى الوقت الذى يبدأ فيه حصاد الشعير ؛ وقد حدد الناموس ما يعمله الشعب فى ذلك العيد بقوله « تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن . فيردد الحزمة أمام الرب للرضاعنكم . فى غد السبت يرددها الكاهن (لاويين ٢٣ : ١٠ و ، ١١) . وأمرهم بوجوب حصاد بعض حزم الشعير من حقل عام . فلا ينبغى أن تؤخذ هذه الحزم من حديقة أو بستان أو من أرض تعد خصيصاً لذلك ؛ بل كان لا بد أن يؤتى بها من حقل رمزى . وعندما كان الشعير يقطع كان يؤتى به إلى الهيكل . وهناك كان يدرس أو يدق بقضيب ناعم حتى لا يهرس . ثم يجفف أو يحمص فوق النار فى حلة مخرمة حتى تلمس النار حبة من حبات الشعير . ثم كان يعرض للريح حتى يتطاير منه القش . وبعد ذلك كان يسحق فى طاحونة شعير . ثم يقدم الدقيق لله . وتلك كانت الباكورة . ومن المهم جداً أن نلاحظ أن

الناموس يمنع بيع الشعير الجديد أو شراءه أو طحنه إلى دقيق إلا بعد تقديم الباكورة لله . وكما كانت الباكورة إشارة للمحصول المستقبل ، كذلك كانت قيامة يسوع إشارة لقيامة كل المؤمنين فى المستقبل . وكما أن الشعير الجديد لم يكن ليستعمل حتى تقدم الباكورة ، كذلك لم يكن ممكناً أن يأتى حصاد الحياة الجديد حتى قام يسوع من الأموات .

ثم يستطرد بولس فيستخدم فكرة يهودية أخرى . فبحسب القصة القديمة فى تكوين ٣ : ١ – ١٩ . دخل الموت إلى العالم عن طريق خطية آدم . وكان الموت هو النتيجة المباشرة والعقاب المباشر لتلك الخطية . وكان اليهود يعتقدون أن كل الناس قد أخطأوا حرفياً فى آدم . ومن السهل علينا أن نرى أن خطية آدم قد أمكنها أن تنقل إلى ذريته « الميل » إلى الخطية . وكما قال (اشليوس) Aeschylus : « إن العمل غير التقى يخلف نسلا أكبر يحمل نفس طابع عدم التقوى » . وكما كتب « جورج اليوت » George Eliot : « إن أعمالنا مثل الأطفال الذين يولدون لنا ، فهم يعيشون ويتصرفون بعيداً عن تدخل إرادتنا وتأثيرنا عليهم . بل ربما أمكن قتل الأطفال أو التخلص منهم ، أما الأعمال فلا يمكن ملاشاتها أبداً ، إن هذه الأعمال لها حياة لا يمكن القضاء عليها سواء فى داخل أو خارج وعينا وإدراكنا » . ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الطفل يمكن أن يرث ميلا لعمل الخطية ، أو أن خطايا الآباء لها رد فعل عند الأبناء . ولا يستطيع أحد أن ينكر كذلك أن الطفل يمكن أن يرث نتائج خطية الأب . فنحن نعرف جيداً أن الآثار الجسمية لنتائج الحياة للأخلاقية التى يحياها الأب يمكن أن تنتقل إلى الطفل . ولكن اليهود كانوا يعنون ما هو أكثر من هذا . فقد كانوا يحسون إحساساً ضخماً بالتضامن

بين المجموع . فكان يثق أنه لا يستطيع إنسان ما أن يعمل شيئاً ما يتأثر به هو بمفرده فكل واحد كان لا بد أن يكون مرتبطاً بحزمة الحياة .

وكان اليهود يعتقدون أن كل الناس قد أخطأوا فى آدم ؛ لأن آدم ، فى نظرهم ، كان أب الجنس البشرى أى أن كل عالم البشر كان فيه . وعندما أخطأ هو أخطأ الجميع . وقد تبدو هذه فكرة غريبة لنا ، وقد تبدو أمامنا أنها غير عادلة ، ولكن كان هذا هو الاعتقاد اليهودى . فالجميع قد أخطأوا فى آدم ، ولذلك كان الجميع تحت عقاب الموت . وهكذا صار الوضع الحتمى أن جميع الناس خطاة لذلك يجب أن يموت الجميع . ولكن بمجىء المسيح تحطم هذا القيد وكسرت هذه السلسلة . وأصبح هذا الوضع القديم يواجه شيئاً جديداً يقتحمه ويغزوه . فالمسيح كان بلا خطية . والمسيح قد هزم الموت .

وكما أخطأ الجميع فى آدم ، هكذا فى المسيح ينجو الجميع من الخطية . وكما مات الجميع فى آدم ، هكذا فى المسيح يهزم الجميع الموت . ووحدتنا بالمسيح هى حقيقة واقعة مثل وحدتنا مع آدم . وهذه الوحدة الجديدة تقضى على التأثير الشرير للوحدة القديمة . وهكذا يكون لدينا مجموعتان متناقضتان من الحقائق .

فهناك أولا : آدم ، والخطية ، والموت . يقابلها : المسيح ، والصلاح ، والحياة ، وكما أن خطية الإنسان الأول قد شملتنا جميعاً ، كذلك انتصار الإنسان الثانى يشملنا جميعاً . ومهما كان نظرنا اليوم إلى طريقة التفكير تلك ، فانها كانت مقنعة للذين سمعوها لأول مرة . ومهما تشككنا فى كثير من الأمور فان الأمر الذى يبقى حقيقة لا يرقى إليها الشك هو أنه بيسوع المسيح دخلت إلى العالم قوة جديدة لتحرير الناس من الخطية ومن الموت اللذين جازا على الناس جميعاً .

وقد تبدو الأقوال الواردة فى الأعداد من ٢٤ — ٢٨ غريبة بالنسبة لنا؛ فاننا قد اعتدنا أن نفكر بالأسلوب الذى يضع الآب والابن على قدم المساواة. ولكننا نرى بولس هنا يخضع الابن للآب بوضوح تام ومقصود ولسنا نملك سوى التعبيرات أو التشبيهات البشرية لكى نوضح فكرة بولس هنا ، فنقول إن الله أعطى يسوع عملا ليقوم به . وكان هذا العمل هو أن يهزم الخطية ويقهر الموت ويحرر الإنسان . وسيأتى اليوم الذى يتمم فيه عملا كاملا ونهائياً ؛ وحينئذ ، ويمكن أن نتصور الأمر على هذا النحو ، سيعود الإبن إلى أبيه حاملا معه النصرة والغلبة الكاملة . فالأمر إذاً ليس حالة ابن خاضع لأبيه كما يخضع العبد أو حتى الخادم لسيده . ولكنه ابن أكمل العمل الذى كلف بالقيام به فيتممه ويعود بمجد الطاعة الكاملة كاكليل له . وكما أرسل الله ابنه ليفدى العالم ، فان الله سيتسلم فى النهاية عالماً مفدياً . وحينئذ لن يكون فى السماء أو فى الأرض شيء خارجاً عن دائرة محبة وقوة الله .

لو لم تكن هناك قيامة

وَإِلاَّ فَمَاذَا يَصْنَعُ ٱلَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ مِن أَجْلِ ٱلْأَمْوَاتِ . إِنْ كَانَ ٱلْأَمْوَاتُ لاَ يَقُومُونَ ٱلْبَتَّةَ فَلِمَاذَا يَعْتَمِدُونَ مِن أَجْلِ ٱلْأَمْوَاتِ . وَلِمَاذَا نُخَاطِرُ نَحْنُ كُلَّ سَاعَةٍ . إِنِّى بِافْتِخَارِكُمْ ٱلَّذِى لِى فِى يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ رَبِّنَا أَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ . إِنْ كُنْتُ كَإِنْسَانٍ قَدْ حَارَبْتُ وُحُوشاً فِى أَفَسُسَ فَمَا ٱلْمَنْفَعَةُ لِى . إِنْ كَانَ ٱلْأَمْوَاتُ لا يَقُومُونَ فَلْنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ لأَنَّنَا غَداً نَمُوتُ . لا تَضِلُّوا . فَإِنَّ ٱلْمُعَاشَرَاتِ ٱلرَّدِيَّةَ

تُفْسِدُ ٱلْأَخْلاَقَ ٱلْجَيِّدَةَ أُصْحُوا لِلْبِرِّ ولا تُخْطِئُوا لأَنَّ قَوْماً لَيْسَتْ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ باللهِ . أَقُولُ ذَلِكَ لِتَخْجِيلِكُمْ .

(١ كورنثوس ١٥ : ٢٩ – ٣٤)

مرة أخرى نجد أنفسنا أمام فصل صعب جداً ، وقد وقف الناس دائماً حيارى أمام ما تعنيه عبارة ، يعتمدون من أجل الأموات » . وحتى الآن لا يمكن القول إنهم قد استقروا على تفسير محدود قاطع بشأنها . وكلمة « لأجل » فى العبارة المشار إليها لها فى الأصل اليونانى معنيان رئيسيان . فعندما تستخدم للمكان فانها تعنى « فوق » . ولكنها غالباً ما ترتبط بالأشخاص أو الأشياء وتعنى « بدلا من » أو « بالنيابة عن » . وإذ نتذكر هذين المعنيين لنتأمل بعض المعانى التى فسرت بها هذه العبارة .

١ — استنتج بعض المفسرين الذين يترجمونها بكلمة « فوق » — أن هذه العبارة تشير إلى الذين كانوا يعتمدون فوق قبور الشهداء . وعزوا هذه الفكرة إلى أن الاعتماد فوق الأرض المقدسة ، أرض السحابة غير المنظورة من الشهود المحيطة بالمكان — هو شيء مثير بصفة خاصة . وهى فكرة جذابة وجميلة ، إلا أنه فى الوقت الذى كان بولس يكتب فيه إلى أهل كورنثوس لم يكن الاضطهاد العنيف للمسيحيين قد بدأ بعد . ربما كانوا يتعرضون فى ذلك الوقت للنفى أو للاضطهاد الاجتماعى ، ولكن عصر الشهداء لم يكن قد بدأ بعد . .

٢ — أما إذا كنا نفهمها بمعنى « بدلا من » أو « بالنيابة عن »، فان العبارة المشار إليها يمكن أن تقودنا إلى ثلاثة احتمالات . فقد تشير إلى الذين يعتمدون ليشغلوا الأماكن الخالية فى الكنيسة التى خلفها الأموات . وما أمجد أن يملأ المؤمن الجديد ، والشاب المسيحى ، الذى يأتى إلى الكنيسة مكان المتمرنين

المدربين الذين أدوا رسالتهم وانطلقوا إلى راحتهم . فالكنيسة تحتاج إلى مدد يقويها وينعشها ، وإلى أعضاء جدد يملأون الفراغ الذى يخلفه الراحلون ويحلون محلهم .

٣ — كما أن هذه العبارة يمكن أن تشير إلى الذين يعتمدون احتراماً للموتى وتعبيراً عن محبتهم لهم . وهنا أيضاً توجد حقيقة ثمينة . فان كثيرين منا قد انضموا إلى الكنيسة لأنهم عرفوا وتذكروا إنسان أحبهم وأحبوه ، وكان قبل موته يصلى لأجلهم ويتمنى هدايتهم . وكثيرون منا سلموا حياتهم للمسيح بفضل التأثير غير المنظور الذى كان لأحد المؤمنين عليهم قبل أن يعبر إلى الحياة الأخرى .

٤ — ومع أن كل هذه الأفكار جميلة ، ولكننا فى النهاية نظن أن هذه العبارة لا يمكن إلا أن تشير إلى عادة واحدة كانت موجودة فى الكنيسة الأولى ، ولكن ممارستها اختفت تماماً فيما بعد . فقد كانت فيها عادة المعمودية بالنيابة . فاذا حدث أن مات شخص ما كان ينوى أن يصير عضواً فى الكنيسة وكان يتلقى التعليم المسيحى فعلا ، فان شخصاً آخراً كان يعتمد نيابة عنه بعد موته . أى أنها كانت بمثابة معمودية بالإنابة أو بالتوكيل . وقد نشأت هذه العادة بسبب وجهة نظر غير صحيحة عن المعمودية وهى أنه ما لم يعتمد الشخص فانه سيحرم من سعادة السماء ومن الهناء والمجد الذى سيتمتع به الأمناء المخلصون ولكى يحمى الناس أصدقاءهم الموتى من هذا الحرمان ، كانوا أحياناً يتطوعون لأن يعتمدوا فعلا بالنيابة عن أولئك الموتى . وهنا لا يؤيد بولس ممارسة هذه العادة ولا يعارضها ، ولكنه فقط يتساءل عما إذا كان لها أى معنى على الإطلاق إذا لم تكن هناك قيامة وإذا لم يكن الأموات سيقومون ثانية .

ثم ينتقل بولس من هذه النقطة ليتحدث عن أحد الدوافع العظيمة للحياة

المسيحية . فنراه يتساءل : « لماذا يقبل المسيحي مخاطر ومتاعب الحياة المسيحية إذا كان كل شيء يمضي دون جدوى أو منفعة ؟ » .

ويذكر هنا اختباره الشخصي ؛ فقد كانت حياته كل يوم في خطر . ولا بد أن شيئاً ما مرعباً قد حدث لبولس في أفسس ولم يسجله العهد الجديد وهو يشير إلى ذلك ثانية في ٢ كورنثوس ١ : ٨ — ١٠ فيقول إنه كان في آسيا في أفسس ، في ضيقة كبيرة فوق الطاقة حتى أنه يئس من الحياة وكان له في نفسه حكم الموت . وإلى يومنا هذا نجد في أفسس مبنى يعرف بسجن بولس . وهو هنا يدعوه « محاربة وحوش » . والكلمة التي يستعملها هنا تستعمل للمصارع الذي كان يضطر إلى أن يصارع الأسود في الساحة . وتخبرنا القصص الدينية فيما بعد أن بولس قد عمل ذلك فعلا وأن حياته حفظت بكيفية عجيبة لأن الوحوش لم تكن تهجم عليه . ولكن بولس كان مواطناً رومانياً ، ولم يكن يجبر على الصراع من الوحوش في الساحة أو في ميدان المصارعات . ولذلك يحتمل أن يكون بولس قد استخدم هذه العبارة ليصور تصويراً حياً مدى ما تعرض له من تهديد وإرهاب ومعاملة سيئة لقيها من الناس أو من الغوغاء الذين كانوا له بمثابة وحوش مفترسة . وإزاء هذا كله يتساءل بولس عما يدفع المسيحي إلى تحمل كل هذه المخاطر والآلام والجروح إذا لم تكن هناك قيامة وإذا لم تكن هناك حياة أخرى بعد حياتنا هنا في هذا العالم .

إن الرجل الذي يظن أن هذه الحياة هي كل شيء ، وأنه لا يوجد شيء بعدها ، يمكن أن يقول « لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت » . والكتاب المقدس نفسه يذكر أقوال بعض الذين تكلموا بمثل هذا الكلام .

فيتحدث إشعياء (٥٦ : ١٢) عن الذين يقولون « هلموا آخذ خمراً

ولنشتف مسكراً ويكون الغد كهذا اليوم عظيماً بل أزيد جداً » . والجامعة الذى ظن أن الموت هو خاتمة المطاف كتب يقول : « ليس للانسان خير من أن يأكل ويشرب ويرى نفسه خيراً فى تعبه » (جامعة ٢ : ٢٤ ، ٣ : ١٢ ؛ ٥ : ١٨ ؛ ٨ : ١٥ ؛ ٩ : ٧) . بل أن يسوع نفسه تحدث عن الغنى الغبى الذى نسى الأبدية واتخذ شعاراً لنفسه : « كلى واشربى وافرحى » (لوقا ١٢ : ١٩) . والأدب القديم زاخر بهذه الروح . نذكر على سبيل المثال ما كتبه المؤرخ اليونانى هيرودوت عن عادة من عادات المصريين القدماء ؛ قال : « عندما تنتهى المأدبة فى حفلة من الحفلات التى تقام بين الأغنياء ، يأتى خادم يحمل نعشاً به تمثال خشبى لجثة إنسان طوله ذراع أو ذراعان ؛ ثم يمر الخادم بهذا التمثال بين الضيوف ويريه لكل واحد منهم ثم يقوله له : « تأمل هذا جيداً وحملق فيه ، إشرب وافرح لأنك عندما تموت ستكون مثل هذا » .

ويحدثنا أحد مؤرخى اليونان أنه عندما بدأ وباء الطاعون ينتشر فى أثينا ، استباح الناس لأنفسهم ارتكاب كل جريمة فاضحة ، واندفعوا بشغف إلى محاولة إشباع كل شهواتهم الجسدية ، لأنهم اعتقدوا أن الحياة كانت قصيرة وأنه لن يكون هناك متسع من الوقت لتوقع عليهم أية عقوبة . وفى قصيدة من أشهر القصائد فى العالم كتب شاعر اللاتين يقول : « لنعش يا عزيزتى « لسبيا » ، ولنحب ، ولنعمل ما يحلوا لنا ، ودعك من قصص العجائز المليئة بالعبوس فهى لا تساوى بنساً واحداً . إن الشمس تغرب ثم تشرق ثانية بعد ليل قصير ، أما حياتنا فعندما يغيب ضياؤها الخافت القصير فاننا لا بد أن ننام بعد ذلك فى ليل واحد دائم » .

إننا لو أنكرنا فكرة حياة أخرى فى المستقبل ، فان هذه الحياة الحاضرة

تفقد كل قيمها . ولو أنكرنا أن هذه الحياة هي تدريب وإعداد لحياة أعظم في المستقبل لتزعزعت كل دعائم وروابط الأخلاق والشرف . ومن العبث أن نزعم أو نصدق عكس هذا بحجة أن الناس يجب أن يكونوا طيبين وشرفاء دون توقع لمكافأة أو جزاء . فان الحقيقة التي ستظل باقية هي أن الرجل الذى يعتقد أن هذا العالم هو العالم الوحيد فانه يعيش كأن هذا العالم وحده هو مشتهاه .

وهكذا يصر بولس على أن الكورنثيين ينبغي ألا يعاشروا أولئك الذين يقولون بأنه لا توجد قيامة . فعاشرة أمثال هؤلاء هي مخاطرة تجلب العدوى التي تدنس الحياة وتنجسها . والقول بأنه لا توجد قيامة ليس علامة تدل على علو المعرفة أو سموها ، ولكنه علامة الجهل المطبق بالله . ويحاول بولس عن طريق تخجيلهم أن يعيد هؤلاء الضالين إلى الطريق الصحيح .

الحيواني والروحاني

لكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ كَيْفَ يُقَامُ ٱلأَمْوَاتُ وبِأَيِّ جِسْمٍ يَأْتُونَ . يا غَبِيُّ . ٱلَّذِي تَزْرَعُهُ لا يُحْيا إِنْ لَمْ يَمُتْ . وٱلَّذِى تَزْرَعُهُ لَسْتَ تَزْرَعُ ٱلْجِسْمَ ٱلَّذِي سَوْفَ يَصِيرُ بلْ حَبَّةً مُجَرَّدَةً رُبَّمَا مِن حِنْطَةٍ أَوْ أَحَدِ البَوَاقِي . ولكِنَّ ٱللّٰهَ يُعْطِيهَا جِسْماً كَمَا أَرَادَ ولِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْبُزُورِ جِسْمَهُ . لَيْسَ كُلُّ جَسَدٍ جَسَداً وَاحِداً بَلْ لِلنَّاسِ جَسَدٌ وَاحِدٌ ولِلبَهَائِم جَسَدٌ آخَرُ . ولِلسَّمَكِ آخَرُ ولِلطَّيْرِ آخَرُ . وَأَجْسَامٌ سمَوِيَّةٌ وَأَجْسَامٌ أَرْضِيَّةٌ . لكِنَّ مَجْدَ السَّمَوِيَّاتِ

شَيْءٌ وَمَجْدَ ٱلْأَرْضِيَّاتِ آخَرُ . مَجْدُ الشَّمْسِ شَيْءٌ وَمَجْدُ الْقَمَرِ آخَرُ وَمَجْدُ النُّجُومِ آخَرُ . لأَنَّ نَجْماً يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِى الْمَجْدِ هكَذَا أَيضاً قِيامَةُ ٱلْأَمْواتِ . يُزْرَعُ فِى فَسَادٍ وَيُقَامُ فِى عَدَمِ فَسَادٍ . يُزْرَعُ فِى هَوَانٍ وَيُقَامُ فِى مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِى ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِى قُوَّةٍ . يزرَعُ جِسْماً حَيَوَانِياً وَيُقَامُ جِسْماً رُوحَانِيًّا . يُوجَدُ جِسْمٌ حَيَوَانِيٌّ وَيُوجَدُ جِسْمٌ رُوحَانِيٌّ . هكَذَا مَكْتُوبٌ أَيضاً . صَارَ آدَمُ الإِنْسَانُ ٱلْأَوّلُ نفْساً حَيَّةً وآدَمُ ٱلْأَخِيرُ رُوحاً مُحْيِياً . لكِنْ لَيْسَ الرُّوحانِيُّ أَوّلاً بَلِ الحَيَوَانِيُّ وَبَعْدَ ذَلكِ الرُّوحانِيُّ . ٱلإِنْسَانُ الأَوّلُ مِنَ ٱلْأَرْضِ تُرَابِيٌّ . ٱلإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السّمَاءِ . كَمَا هُوَ التُّرَابِيُّ هكَذَا التُّرَابِيُّونَ أَيضاً . وكَمَا هُو السّمَاوِيُّ هكَذَا السّمَاوِيُّونَ أَيضاً . وكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ سَنَلْبَسُ أَيْضاً صُورَةَ السّمَاوِيِّ . (١ كورنثوس ١٥ : ٣٥ – ٤٩)

قبل أن نبدأ فى محاولة تفسير وفهم هذا الفصل يجدر بنا أن نتذكر شيئاً واحداً ، وهو أن بولس يتحدث هنا عن أشياء لا يعرف أحد عنها شيئاً على وجه التحقيق . فهو لا يتحدث عن أمور معروفة لها صلة بالاختبار البشرى ولكن أمور نقبلها بالإيمان . فهو يحاول أن يعبر عن الأشياء التى لا يعبر وأن يصف الأشياء التى لا يمكن وصفها ، مستخدماً لذلك كل ما أمكنه استخدامه من الأفكار والألفاظ البشرية . وإذا تذكرنا هذا فاننا نجنب أنفسنا خطر

الوقوع فى خطأ محاولة التفسير الحرفى لهذه الأقوال ، ونركز أفكارنا على المبادىء التى كانت فى ذهن بولس والتى أراد أن يعبر عنها بهذه الأقوال . فان بولس فى هذا الفصل يتحدث إلى أناس كانوا يقولون : « إذا إفترضنا وسلمنا جدلا أن هناك قيامة للجسد ، فأى نوع من الجسد يقوم الناس به ؟ » . وفى إجابة بولس عن هذا السؤال نرى مبادىء ثلاثة :

١ ـ فهو يتخذ البذرة مثلا وتشبيها . فالبذرة توضع فى الأرض وتموت ، ولكنها فى وقت معين تقوم ثانية لتحيا بجسم يختلف تماماً عن الجسم الذى زرعت به . ويريد بولس بهذا التشبيه أن يبين أنه فى وقت واحد يمكن أن يكون هناك تحلل واختلاف للجسم ، ومع ذلك يظل مستمراً وباقياً . فالبذرة تتحلل ، وعندما تنمو يكون الجسم الذى أعطاه الله لها مختلفاً اختلافاً كبيراً ، ومع ذلك ، فبالرغم من تحللها وبالرغم من اختلافها ، هى نفس الحياة الأولى ، ونفس البذرة التى زرعت وهذه الحجة تبرهن على أن أجسامنا الأرضية تدفن وتتحلل ، ولكنها ستقوم ثانية . وقد يكون الشكل الذى تقوم به مختلفاً جداً ولكن الحقيقة التى تبقى دائماً هى أن الشخص الذى يقوم هو نفس الشخص الذى مات ، مهما كان اختلاف شكل الجسد المقام . إننا قد نتحلل بالموت ، وقد نتغير بالقيامة ولكن الحقيقة أن أشخاصنا تظل وتبقى هى بعينها .

٢ ـ والمبدأ الأساسى الثانى الذى يسجله بولس هو أنه حتى فى هذا العالم كما نعرفه لا يوجد نوع واحد من الأجسام . فلكل قسم مستقل من الخليقة جسمه القائم بذاته . وهذه الحجة تبرهن أن الله يعطى لكل مخلوق حى ، ولكل شىء حى الجسم المناسب والملائم لدوره فى الخليقة . وإذا كان الأمر كذلك فانه من المعقول أن نتوقع أن الله سيعطينا أيضاً جسماً مناسباً لحياة القيامة .

٣ ـ والمبدأ الأساسى الثالث هو أنه يوجد فى الحياة تقدم وتحسن :

فقد جبل آدم ، الإنسان الأول ، من تراب الأرض (تكوين ٦ : ٧) • ولكن يسوع آدم الثانى هو أسمى من أن يكون مجرد إنسان جبل من تراب الأرض . إنه تجسيد لروح الله ذاته . وكما كنا واحداً مع آدم ، بحسب طبيعة حياتنا القديمة ، مشتركين معه فى خطيته ، وارثين موته ، لابسين جسده ؛ هكذا ، وبحسب طبيعة الحياة الجديدة ، نحن واحد مع المسيح ، ولذلك سوف نشترك معه فى حياته وكيانه . وهذه الحجة تبرهن على أنه وإن كنا حقاً نبدأ بجسم مادى ، فلابد أنه سيكون لنا يوماً ما جسم روحى أيضاً .

وفى هذا الفصل كله ظل بولس فى وقار وحكمة ، يمسك عن الحديث عن الصورة التى سيكون عليها ذلك الجسد وكأنه يريد أن يقول إنه يكفى الآن أن نعرف أنه سيكون جسماً روحانياً ، وأنه سيكون بالصورة التى يعلم الله أننا نحتاج إليها ، وأننا سنكون مثل المسيح . ولكن فى الأعداد من ٤٢ — ٤٤ يصور بولس أمامنا أربع مقابلات تلقى أمامنا بعض الضوء عن حالتنا التى سنكون عليها فى المستقبل .

١ — إن جسمنا الحاضر قابل للفساد ؛ أما جسمنا المقبل فلن يكون كذلك ، إن كل شيء فى عالمنا هذا خاضع للتغيير والفساد ، وكما قال الشاعر اليونانى القديم سوفكليس Sophocles « إن جمال الشباب يذبل ، ونضارة الرجولة تذوى » ولكن الحياة القادمة سيكون لها البقاء والدوام . وتظل فيها الأشياء الجميلة جميلة ، وتحتفظ فيه الأشياء الناضرة بنضرتها ورونقها .

٢ — إن جسمنا الحاضر فى هوان ؛ أما جسد القيامة فسيكون فى مجد . وماذا يعنى بولس بهذا ؟ ربما قصد أن الهوان يمكن أن يأتينا بسهولة فى هذه الحياة ، عن طريق مشاعرنا الجسدية وشهواتنا وغرائزنا ، أما فى تلك الحياة القادمة فان أجسادنا لن تكون فيها بعد خادمة لشهواتنا وبواعثنا ، ولكنها

ستكون أدوات الخدمة الطاهرة لله — الأمر الذى لا يمكن أن يكون هناك ما هو أكثر منه مجداً أو أعظم منه شرفاً .

٣ — إن جسمنا الحاضر فى ضعف ؛ أما جسمنا المقبل فسيكون فى قوة ، إن الناس يتحدثون كثيراً فى عصرنا الحاضر عن قوة الإنسان ، ولكن الشىء الملحوظ حقاً هو ضعفه لا قوته . فقطرة ماء أو مجرى هواء قد يؤدى إلى قتله. ونحن محدودون فى هذه الحياة فى أغلب الأحيان بسبب ما يفرضه علينا الجسد ويحتمه من حصر وتحديد ، وقد يقف تكويننا الجسدى المادى مراراً وتكراراً فى وجه رؤانا وخططنا وأحلامنا ويقول لنا : « إلى هنا قف » . وفى أغلب الأحيان تخيب آمالنا فى الحياة بسبب ما نحن عليه من عجز وضعف ومحدودية . ولكن فى تلك الحياة القادمة لن يكون هناك أدنى أثر لهذا كله . بل إننا سنكتسى بالقوة التى لاتعرف الضعف ، وسنجد كل ما أملنا فيه هنا أو أردناه أوحلمنا به من خير . وسنصل إلى كل ما كنا نظن أنه لا يمكننا الوصول إليه ؛ وسنبلغ كل ما كان يبدو أمامنا ، ونحن على الأرض ، ضرباً من المحال. إن كل ما لدينا على الأرض هو « أقواس مكسرة » ولكن فى الحياة القادمة سيكون لنا « الدائرة الكاملة » .

٤ — إن جسمنا الحاضر جسم حيوانى طبيعى ، أما جسمنا المقبل فسيكون جسماً روحانياً ، وربما قصد بولس بهذا أننا ، فى الحالة التى نحن عليها ، لسنا إلا أوان غير كاملة للروح القدس ، وأننا أدوات ناقصة له ، ولكننا فى الحياة القادمة سنصل إلى الحالة التى فيها يستطيع الروح حقاً أن يملأنا بطريقة لانختبرها هنا ، وسيستطيع الروح حقاً أن يستخدمنا ، كما لا يمكن الآن ، ويمكننا هناك أن نقدم العبادة الكاملة ، والخدمة الكاملة ، والمحبة والكاملة التى لا يمكن أن تكون فى هذا العالم إلا مجرد رؤية وحلم .

غلبة الموت

فَأَقُولُ هَذَا أَيُّهَا ٱلإِخْوَةُ إِنَّ لَحْماً وَدَماً لا يَقْدِرَانِ أَنْ يَرِثَا مَلَكُوتَ ٱللهِ . ولا يَرِثُ الفَسَادُ عَدَمَ الفَسَادِ . هُوذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ . لا نَرْقُدُ كُلُّنَا ولكِنَّنَا كلُّنَا نَتَغَيَّرُ . فى لَحْظَةٍ فى طَرْفَةِ عَيْنٍ عِنْدَ البُوقِ ٱلأَخِيرِ . فإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ فَيُقَامُ ٱلأَمْوَاتُ عَدِيمِى فَسَادٍ وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ . لأَنَّ هَذَا الفَاسِدَ لا بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ وَهَذَا المَائِتُ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ . وَمَتَى لَبِسَ هَذَا الفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ وَلَبِسَ هَذَا المَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الكَلِمَةُ المَكْتُوبَةُ ٱبْتُلِعَ المَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ . أَيْنَ شَوْكَتُكَ يا مَوْتُ . أَيْنَ غَلَبَتُكِ يا هَاوِيَةُ . أَمَّا شَوْكَةُ المَوْتِ فَهِىَ ٱلْخَطِيَّةُ . وقُوَّةُ ٱلْخَطِيَّةِ هِىَ للنَّامُوسُ . ولكِنْ شُكْراً للهِ يُعْطِينَا الغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ . إِذاً يا إِخْوَتِى ٱلأَحِبَّاءَ كُونُوا رَاسِخِينَ غَيْرَ مُتَزَعْزِعِينَ مكْثِرِينَ فى عَمَلِ الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ عَالِمِينَ أَنَّ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلاً فى الرَّبِّ .

(١ كورنثوس ١٥ : ٥٠ – ٥٨)

مرة أخرى يجب أن نتذكر قبل أن نبدأ التأمل فى هذا الفصل أن بولس لا يزال يتحدث عن أشياء تتحدى أية لغة وتفوق أى تعبير . ويجب أن نقرأ

هذا الفصل بالذهن الذى نقرأ به قصيدة عظيمة ، فهذا أفضل من أن نقرأه بالذهن النقدى الذى يحاول أن يشرح أو يحلل مقالة أو رسالة .

ويسير الموضوع هنا متدرجاً فى سلسلة من الخطوات حتى يصل إلى ذروته

١ — يصر بولس على أننا بحالتنا الحاضرة لا نصلح لأن نرث ملكوت الله . ربما كنا الآن على درجة من الأهلية تكفينا للحياة فى هذا العالم ، ولكنها لا تصلح أبداً للحياة فى العالم الآتى . فقد يستطيع إنسان ما أن يجرى بسرعة تمكنه من اللحاق بالقطار الذى يستقله فى الصباح ، ولكنه يحتاج إلى أن يكون إنساناً آخراً مختلفاً تماماً حتى يستطيع أن يجرى بسرعة تؤهله لأن يشترك فى الألعاب الأولمبية . وقد يستطيع إنسان أن يكتب كتابة حسنة تكفى لتسلية أصدقائه ، ولكنه يحتاج إلى أن يكون إنساناً آخر ليجيد الكتابة التى تمكنه من أن يكتب شيئاً يحرص أصدقاؤه على الإحتفاظ به كذخيرة تستحق الإقتناء الدائم . وقد يستطيع إنسان أن يتحدث حديثاً طيباً مناسباً ومقبولاً فى دائرة ناديه ، ولكنه يحتاج إلى أن يكون إنساناً آخر حتى يستطيع أن يقود الحديث فى دائرة الخبراء والعلماء . إن الإنسان يحتاج دائماً إلى أن يتغير حتى يدخل إلى مرتبة أعلى من مراتب الحياة . ولذلك يصر بولس على أنه ينبغى أن نتغير أولا قبل أن نتمكن من الدخول فى ملكوت الله .

٢ — وفضلا عن ذلك فأن يلح على أن ذلك التغيير المفاجىء قد يحدث فى زمان حياته إذ كان يتطلع إليه عند مجىء يسوع المسيح ثانية .

٣ — ثم يستطرد ليعلن فى إحساس بالنصرة والغلبة أنه لا ينبغى أن يخشى أحد ذلك التغيير . لقد كان الموت دائماً هو الشبح الذى يخيف الناس ويرعبهم . فقد كان الدكتور « جونسون » من أعظم وأطيب الناس ، ومع ذلك كان يخشى شبح الموت . ولما أخبره صديقه « بوسول » مرة أنه كثيراً مالا يخشى

الموت ، أجابه جونسون بأنه لا يذكر لحظة واحدة لم يكن الموت فيها ، بالنسبة له أمراً مخيفاً مرعباً . وعندما قالت له « مسز نولز » مرة ، إنه ينبغي ألا يخشى ذلك الذي هو بمثابة باب الحياة الأخرى ، أجابها بقوله « لا يستطيع إنسان عاقل أن يموت دون الإحساس بكثير من الخشية والرهبة » . وأعلن أن الخوف من الموت هو أمر طبيعي بالنسبة لكل إنسان ، حتى أن الحياة كلها إنما هي جهد واحد متواصل يبذله الإنسان لكي لا يفكر في الموت . فمن أين يتأتى للانسان هذا الخوف من الموت ؟ إن جانباً منه يحدث بسبب الخوف من المجهول . ولكن الجانب الأكبر يرجع إلى الإحساس بالخطية . أما إذا كان إنسان ما يشعر أنه سيقابل الله فى سهولة فان الموت عندئذ سيكون بالنسبة له ، كما قال « بيتر بان » ، مجرد مغامرة عظيمة . ولكن من أين يأتى للانسان ذلك الإحساس بالخطية ؟ إنه يأتى من إحساسه بأنه تحت الناموس . فما دام يرى الإنسان فى الله مجرد ناموس للبر ، فانه يكون دائماً فى مركز المجرم فى قفص المجرمين أمام الله القاضى ، بلا أمل فى البراءة بل بيقين الإدانة . ولكن هذا هو ما جاء يسوع ليمحوه ويلاشيه . فقد جاء ليخبرنا أن الله ليس هو الناموس ، بل المحبة ، وأن مركز كيان الله ليس هو القانون أو الشريعة ، بل النعمة ، وأننا سنمثل ليس أمام قاض ، بل أمام أب ينتظر عودة أبنائه إلى حظيرة البيت . ولهذا السبب عينه أعطانا يسوع المسيح النصرة على الموت . وهكذا يزول الخوف من الموت أمام محبة الله العجيبة .

٤ — وختاماً ، فى نهاية هذا الأصحاح ، يفعل بولس ما يفعله دائماً . فنرى الحقيقة اللاهوتية تصبح فجأة حافزاً ودافعاً ، ونرى التأملات تتحول إلى أشياء عملية ، ونرى أن هناك حاجة ملحة للعمل الدائم . . وهكذا يختم بولس هذا الأصحاح بقوله : « إذاً يا إخوتى الأحباء كونوا راسخين غير

متزعزعين مكثرين فى عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلا فى الرب » . إن الحياة المسيحية قد تكون صعبة ، ولكن هدفها فى النهاية جدير بكل ما يبذل فى الطريق من كفاح ونضال وتعب . وهذا الهدف هو الذى يعطينا الرجاء السماوى العظيم الذى يمكننا من تحمل كل التجارب والمتاعب ، وهو الذى يطهر النفس من كل زغل أو خطية .

خطط عملية

وَأَمَّا مِن جِهةِ ٱلْجَمْعِ لأَجْلِ القِدِّيسِينَ فَكَمَا أَوْصَيْتُ كَنَائِسَ غَلاَطِيَّةَ هكذَا ٱفْعَلُوا أَنْتُمْ أَيضاً . فِى كُلِّ أَوّلِ أُسْبُوعٍ لِيَضَعْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عِنْدَهُ . خَازِناً ما تَيَسّرَ حَتّى إِذَا جِئْتُ لا يَكُونُ جَمْعٌ حِينَئِذٍ . وَمَتَى حَضَرْتُ فالَّذِينَ تَسْتَحْسِنونَهُمْ أُرْسِلُهُمْ بِرَسَائِلَ لِيَحْمِلُوا إِحْسَانَكُمْ إِلَى أُورُشَلِيمَ . وَإِنْ كَانَ يَسْتَحِقٌّ أَنْ أَذْهَبَ أَنَا أَيضاً فَسَيَذْهَبُونَ مَعِى . وَسَأَجِئُ إِلَيْكُمْ مَتَى ٱجْتَزْتُ بِمَكِدُونِيَّةَ لأَنِّى أَجْتَازُ بِمَكِدُونِيَّةَ . وَرُبَّمَا أَمْكُثُ عِنْدَكُمْ أَوْ أُشَتِّى أَيضاً لِكَىْ تُشَيِّعُونِّى إِلى حَيْثُمَا أَذْهَبُ . لأَنِّى لَسْتُ أُرِيدُ ٱلآنَ أَنْ أَرَاكُمْ فِى العُبُورِ لأَنِّى أَرْجُو أَنْ أَمْكُثَ عِنْدَكُمْ زَمَاناً إِنْ أَذِنَ الرّبُّ . وَلكِنَّنِى أَمْكُثُ فِى أَفَسُسَ إِلى يَوْمِ ٱلْخَمْسِينَ . لأَنَّهُ قَدِ ٱنْفَتَحَ لِى بَابٌ عَظِيمٌ فَعّالٌ وَيُوجَدُ مُعَانِدُونَ كَثِيرُونَ .

ثُمَّ إِنْ أَتَى تِيمُوثاوس فانْظُرُوا أَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمْ بِلاَ خَوْفٍ . لأَنَّهُ يَعْمَلُ عَمَلَ الرّبِّ كَمَا أَنَا أَيضاً . فَلاَيَحْتَقِرْهُ

أَحَدٌ بَلْ شَيِّعُوهُ بِسَلاَمٍ لِيَأْتِيَ إِلَيَّ لأَنِّي أَنْتَظِرُهُ مَعَ ٱلإِخْوَةِ.
وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ أَبُلُّوسَ ٱلأَخِ فَطَلَبْتُ إِلَيْهِ كَثِيراً أَنْ يَأْتِيَ
إِلَيْكُمْ مَعَ ٱلإِخْوَةِ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ إِرَادَةٌ البَتَّةَ أَنْ يَأْتِيَ ٱلآنَ.
وَلَكِنَّهُ سَيَأْتِي مَتَى تَوَفَّقَ ٱلْوَقْتُ .

(١ كورنثوس ١٦ : ١ – ١٢)

ليس هناك مايوضح أمامنا شخصية بولس بشكل نموذجي أكثر من التغيير المفاجىء بين الأصحاح الخامس عشر والأصحاح السادس عشر . فهو فى الأصحاح الخامس عشر يحلق بنا فى أرقى أجواء الفكر واللاهوت ويناقش حياة العالم الآتى ؛ بينما يعالج فى الأصحاح السادس عشر بطريقة عملية جداً أشياء تتعلق بالحياة اليومية وبشئون الكنيسة الإدارية . أى أن بولس كان يستطيع أن يصعد إلى أرقى وأسمى مستويات الفكر ، كما كان يستطيع أن يتذكر أدق وأصغر التفاصيل العملية للادارة . إنه لم يكن واحداً من أصحاب الأحلام والرؤى الذين يستطيعون التحليق فى التأملات اللاهوتية ولكنهم يتيهون ويعجزون تماماً فى الأمور العملية . لقد مرت ببولس أوقات كان رأسه فيها فى السحاب ، وربما أعلى من ذلك بكثير ولكن أقدامه كانت دائماً ثابتة على هذه الأرض الصلبة .

وهو يبدأ كلامه فى هذا الفصل بالحديث عن الجمع لأجل فقراء القديسين فى أورشليم . وقد كانت هذه الخدمة عزيزة جداً على قلبه (راجع غلاطية ٢ : ١٠ ؛ ٢ كورنثوس ٨ ، ٩ ؛ رومية ١٥ : ٢٥ ؛ أعمال ٢٤ : ١٧) . ولابد أنه كانت هناك أخوة معينة فى العالم القديم . ففى العالم اليونانى كانت هناك جمعيات تسمى « أرانوى » . فاذا وقع إنسان ما فى ضائقة أو عوز مالى مفاجىء ، كان أصدقاؤه فى الجمعية يجتمعون معاً ليوفروا له قرضاً لمساعدته.

بدون فوائد . وكان للسنهدريم موظفون من واجبهم أن يجمعوا من الأغنياء الموسرين ثم يوزعوا على المعدمين المحرومين .

وكان اليهود الذين هاجروا خارج بلادهم وأفلحوا وأغتنوا — كانوا كثيراً ما يبعثون برسلهم إلى أورشليم محملين بتبرعاتهم للهيكل وللفقراء . ولم يكن بولس يريد أن تتخلف الكنيسة المسيحية فى العطاء والسخاء عن العالم اليهودى والعالم الوثنى . ولكن هذا الجمع للفقراء فى أورشليم كان يعنى لبولس ما هو أكثر من ذلك :

١ — إنه كان طريقة لإظهار وحدة الكنيسة ، ولتعليم المسيحيين المبعثرين ، إنهم ليسوا أعضاء فى جمعية بل هم أعضاء كنيسة ، وأنه على كل واحد منهم إلتزامات ومسئوليات تجاه الباقين . لقد كان مفهوم الكنيسة فى نظر بولس أبعد من أن يكون نظرة مذهبية محـــدودة وضيقة لا تهتم باحتياجات الآخرين .

٢ — كما أن هذا الجمع كان طريقة لتطبيق التعليم العملى للمسيحية وبتنظيم هذا الجمع كان بولس يمد المتجددين بفرصة الترجمة العملية لتعليم المسيح عن فضيلة المحبة المسيحية .

ويستخدم بولس فى مواضع مختلفة من رسائله ما لا يقل عن تسع كلمات يصف بها هذا الجمع :

(١) فهو هنا يستخدم كلمة لوجيا **Logia** التى تعنى « جمعاً إضافياً » . ومعنى هذا أن المسيحى لا يكتفى بمجرد الوفاء بالإلتزامات التى يفرضها عليه القانون أو الشرع . بل إنه يفعل ويقدم أكثر مما يطلب منه . وقد كان سؤال يسوع يؤدى إلى هذا المعنى عينه « إن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون ؟ » (متى ٥ : ٤٧) .

(٢) وأحياناً يستخدم كلمة «خارس» Charis التى تعنى « إحساناً » (كورنثوس ١٦ : ٣؛٢ ٢ كو ٨ : ٤) . وقد تعنى « الهبـة المجانية التى تعطى بمحض إرادة الشخص وباختياره » . إن الشيء الجميل حقاً ليس هو الشيء الذى يؤخذ من الإنسان عنوة وقسراً . مهما كان كبيراً ، ولكنه الشيء الذى يأتى من قلب يفيض بالمحبة ، مهما كان ذلك الشيء صغيراً تافهاً . ويجب أن نلاحظ هنا أن بولس لا يحدد مبلغاً معيناً ينبغى أن يعطيه كل مسيحى كورنثى . ولكنه يخبرهم أنهم ينبغى أن يعطوا ما تيسر وما يتناسب مع ثروتهم . فالمبلغ الذى قد يكون تافهاً بالنسبة لرجل غنى قد يعتبر تضحية حقيقية ومبلغاً كبيراً بالنسبة لرجل فقير . إن كل واحد يجب أن يعطى بقدر ما يرشده إليه قلبه وما يحثه عليه ضميره .

(٣) وأحياناً يستعمل بولس لوصف هذا الجمع كلمة كوينونيا Koinonia (٢ كورنثوس ٨ : ٤ ؛ ٩ : ١٣ ؛ رومية ١٥ : ٦) . وهى كلمة تعنى «شركة» وجوهر الشركة هو « المشاركة » . إن الشركة المسيحية تقوم على أساس الروح التى لاتستطيع أن تستأثر لنفسها بما لها ، ولكنها تعتبر أن كل مالديها من ممتلكات يجب أن يكون مشتركاً مع الآخرين . والسؤال الذى ينبغى أن يكون مهيمناً عليها ليس هو « ماذا يمكننى الإحتفاظ به ؟ » ولكن : « ماذا يمكننى أن أعطيه ؟ » .

(٤) وأحياناً يستخدم بولس كلمة دياكونيا diakonia . (٢ كورنثوس ٨ : ٤ ؛ ٩ : ١ ، ١٢ ، ١٣) . وهى كلمة تعنى الخدمة المسيحية العملية . ومنها اشتقت الكلمة الإنكليزية deacon التى تعنى شماس الكنيسة . وقد يحدث أحياناً أن محدودية حياتنا تحول دون أن تؤدى خدمات بأنفسنا شخصياً ؛ وهنا يمكن للمال الذى نسهم به أن يذهب حيث لانستطيع نحن أن نذهب بأشخاصنا .

(٥) ومرة يستخدم بولس كلمة هادروتيس hadrotes التى تعنى « جسامة » (٢ كورنثوس ٨ : ٢٠) . وفى ذلك الفصل يتحدث بولس عن رسل الكنيسة الذين يرافقونه لضمان عدم إساءته لإستخدام « جسامة » هذه المهمة الموكولة إليه . ولم يكن يرغب فى أن يحصل على شىء لنفسه ، فقد كان مكتفياً وقانعاً بما كان يكتسبه من تعب يديه وعرق جبينه . ولكنه كان بلا شك يفرح فى قلبه عندما تكون له وفرة أو جسامة للتوزيع . من التعليقات اللاذعة عن الطبيعة البشرية أنه عندما يحلم إنسان بما سوف يفعله إذا أصبح من أصحاب الملايين فانه دائماً يبدأ بالتفكير فيما سيشتريه لنفسه ، وقلما يفكر فيما يعطيه أو يوزعه على الآخرين . ولكن بولس لم يكن كذلك .

(٦) وأحياناً يستخدم بولس كلمة يولوجيا eulogia التى تعنى فى هذه الحالة « بركة » (٢ كورنثوس ٩ : ٥) . هناك نوع من العطاء ليس بركة ، وهو الذى يعطى كمجرد واجب ثقيل اضطرارى ، ويقدم بتضجر وبدون إبتهاج . ولكن كل العطاء الحقيقى توجد فيه بركة تسر وتفرح جداً بالعطاء السخى .

(٧) وأحياناً يستخدم كلمة لايتورجيا leitourgia (٢ كورنثوس ٩ : ١٢) وهى كلمة لها تاريخ نبيل عند اليونان . فى عهود أثينا العظيمة كان هناك مواطنون أسخياء يتبرعون من أموالهم الخاصة لدفع نفقات بعض المشروعات التى كانت تهم أهل المدينة ، مثل تدريب فريق لتمثيل روايةشعرية أو تلعب فى مباريات رياضية لشرف المدينة ؛ أو لدفع نفقات لوازم وتشغيل سفينة حربية عندما تكون المدينة فى خطر أو فى حرب . فهذه الكلمة كانت تستعمل فى الأصل بمعنى الخدمة التى يؤديها للدولة تطوعاً واختياراً . وهكذا العطاء المسيحى إنه شىء ينبغى ألا يطلب من أحد أو يفرض عليه ، ولكنه يجب أن يقدم طوعاً واختياراً وبمحض الإرادة الشخصية . ويجب أن يكون مقبولا باعتباره إمتيازاً لمساعدة القديسين وأهل بيت الله .

(٨) ومرة يتحدث بولس عن هذا الجمع مستخدماً كلمة أبليموسونى eleemosune (أعمال ٢٤ : ١٧) . وهى كلمة يونانية تعنى صدقات . وقد كان تقديم الصدقات أمراً جوهرياً بالنسبة للفكرة اليهودية عن الدين ، حتى أنه كان يمكن لليهود أن يستخدموا الكلمة عينها التى تعنى « تقديم الصدقات » بمعنى « البر » أيضاً . وكانوا يتساءلون « كيف يستطيع أحد أن يبين أنه رجل بار إلا بأن يكون كريماً سخياً ؟ » .

(٩) وأخيراً نرى أن بولس قد استخدم كلمة بروسفورا Prosphora (أعمال ٢٤ : ١٧) التى تعنى قرابين . ومما تجدر ملاحظته هنا أن هذه الكلمة هى الكلمة عينها التى تعنى تقدمة وذبيحة . وهذا يعنى أن كل ما يعطى لإنسان محتاج هو فى الحقيقة تقدمة وذبيحة لله . إن أفضل وأحسن الذبائح لله : بعد ذبيحة القلب التائب ، هى ذبيحة الشفقة والرحمة التى نظهرها لأحد أولاد الله عندما يكون فى ضيق أو فى حاجة .

وفى نهاية هذا الفصل نرى بولس يوصى باثنين من مساعديه ؛ أولهما هو تيموثاوس . وقد كان الموقف فى كورنثوس من الصعوبة بمكان حتى بالنسبة برجل مختبر كبولس ، فكم بالحرى تكون بالنسبة لشاب كتيموثاوس . وكانت وصية بولس لهم أن يحترموه ، ليس لأجل شخصه بل لأجل العمل الذى يقوم به . فليس الرجل هو الذى يمجد العمل بل إن العمل هو الذى يمجد الرجل . ولا يوجد شرف أو كرامة تضارع شرف العمل العظيم وكرامته . وكان الشخص الثانى الذى أوصى به بولس هو أبلوس . ويبرز أبولس أمامنا من هذا الفصل كرجل له حكمة عظيمة . وقد رأينا فى بداية هذه الرسالة أن جماعة فى كورنثوس أطلقت على نفسها إسم أبلوس دون مصادقة أو موافقة منه . ولقد علم أبلوس بذلك ، ولاشك فى أنه رغب فى البقاء بعيداً عن

كورنثوس لئلا تنشق هذه الجماعة وتتبعه لو ذهب إلى هناك . وكان أبلوس من الحكمة بحيث أدرك أنه عندما تكون الكنيسة ممزقة بسبب الخلافات والتحزبات فإن البقاء بعيداً يكون أكثر حكمة وأبعد نظراً .

كلمات وتحيات ختامية

اسْهَرُوا . اُثْبُتُوا فِى الإِيمَانِ . كُونُوا رِجَالاً . تَقَوَّوْا . لِتَصِرْ كُلُّ أُمُورِكُمْ فِى مَحَبَّةٍ .

وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ . أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ بَيْتَ اسْتِفَانَاسَ أَنَّهُمْ بَاكُورَةُ أَخَائِيَةَ وَقَدْ رَتَّبُوا أَنْفُسَهُمْ لِخِدْمَةِ الْقِدِّيسِينَ . كَىْ تَخْضَعُوا أَنْتُمْ أَيْضاً لِمِثْلِ هٰؤُلَاءِ وَكُلِّ مَنْ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيَتْعَبُ . ثُمَّ إِنِّى أَفْرَحُ بِمَجِيءِ اسْتِفَانَاسَ وَفُرْتُونَاتُوسَ وَأَخَائِيكُوسَ لأَنَّ نُقْصَانَكُمْ هٰؤُلَاءِ قَدْ جَبَرُوهُ . إِذْ أَرَاحُوا رُوحِى وَرُوحَكُمْ . فَاعْرِفُوا مِثْلَ هٰؤُلَاءِ .

تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ كَنَائِسُ أَسِيَّا . يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ فِى الرَّبِّ كَثِيراً أَكِيلَا وَبِرِيسْكِلَّا مَعَ الْكَنِيسَةِ الَّتِى فِى بَيْتِهِمَا . يُسَلِّمُ عَلَيْكُمُ الإِخْوَةُ أَجْمَعُونَ . سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ . السَّلَامُ بِيَدِى أَنَا بُولُسَ . إِنْ كَانَ أَحَدٌ لا يُحِبُّ الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمَا . مَارَانْ أَثَا .

نِعْمَةُ الرَّبِّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ مَعَكُمْ . مَحَبَّتى مَعَ جَمِيعِكُمْ فى ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ . آمِينَ .

(١ كورنثوس ١٦ : ١٣ - ٢٤)

هذا فصل شائق ، لأنه فى عباراته العادية والعملية يلقى لنا ضوءاً ساطعاً على الحياة اليومية فى الكنيسة الأولى

وفى العددين الثالث عشر والرابع عشر يبدأ بولس بتقديم سلسلة من خمس أوامر . ويلاحظ أن الأوامر الأربعة الأولى ذات طابع عسكرى ، وكأنها أوامر يصدرها قائد جيش إلى جنوده : « اسهروا كالحارس أو الديدبان . وعندما يهجم العدو عليكم أن تثبتوا فى الإيمان ولا تسلموا للعدو بوصة واحدة . وفى وقت المعركة كونوا رجالا وأبطالا . وكالجندى المعد إعداداً جيداً والمدرب تدريباً حسناً ، تقووا للحرب لأجل ملككم » .

ثم تتغير الكناية فى أوامر الرسول بعد ذلك . فمهما كان موقف الجندى المسيحى بالنسبة لأولئك الأشخاص والأشياء التى تهدد الإيمان المسيحى من الخارج ، فانه بالنسبة للذين داخل الكنيسة ينبغى أن يكون رفيقاً ومحباً . إن الحياة المسيحية ينبغى أن يكون فيها الشجاعة التى لا تتراجع ، كما ينبغى أن يكون فيها المحبة التى لاتسقط أو تفشل أبداً .

وكان قد جاء إلى بولس فى أفسس استفاناس وفرتوناتوس وأخائيكوس. يحملون إليه الأخبار التى تضمنت معلومات جديدة عما كان حادثاً فى كورنثوس. والعبارات التى كتبها فى هذا الفصل ليوصى الإخوة باستفاناس وليثنى عليه ، هى عبارات شائقة جداً . واستفاناس هذا كان جديراً بالإحترام لأنه كان قد وضع نفسه فى خدمة الكنيسة .

وفى الكنيسة الأولى كانت الخدمة التطوعية الإختيارية هى بداية الخدمة

الرسمية . ولم يكن أحد يصبح قائداً بتعيين أو بتكليف من الناس ، بل لأن حياته وعمله كانا يبرزانه كشخص نافع يحترمه الجميع ويوقرونه ، وكان الإحترام واجباً لكل أولئك الذين يشتركون فى العمل والتعب لأجل الإنجيل ، لا لأن الناس عينوهم لهذه الخدمة ، ولكن لأنهم يواصلون عمل المسيح . وقد علق أحدهم تعليقاً مختصراً عن الذين يعملون ويتعبون ، فقال : « فى الكنيسة كثيرون يعملون ، ولكن قليلين يتعبون » .

أما العددان التاسع عشر والعشرون فهما سلسلة من التحيات . ومن بينها تحيات كثيرة يرسلها إليهم أكيلا وبريسكلا . وقد تردد ذكر هـذين الشخصين فى رسائل بولس وفى سفر الأعمال وكانا يهوديين . وكانا يشتغلان مثل بولس بصناعة الخيام . وكانا يقيمان فى الأصل فى رومية ؛ ولكن حوالى سنة ٤٩ أو ٥٠ ق . م . أصدر الإمبراطور الرومانى كلوديوس أمراً بطرد كل اليهود من رومية . فمضى أكيلا وبريسكلا إلى كورنثوس حيث التقى بهما بولس لأول مرة وأقام معهما (أع ١٨ : ٢) . ومن كورنثوس ذهبا إلى أفسس التى منها يرسل الآن بولس تحياتهما وسلامهما لرفقائهما وأصدقائهما القدامى فى كورنثوس . ومن رومية ١٦ : ٣ نعرف أنهما قد عادا إلى رومية وأقاما هناك ثانية . ومن الأشياء الشائقة عن أكيلا وبريسكلا أن السفر بالنسبة لهما كان سهلا وطبيعياً حتى فى ذلك الزمان . فقد تنقل الإثنان بحكم حرفتهما من فلسطين إلى رومية ، ومن رومية إلى كورنثوس ، ومن كورنثوس إلى أفسس ، ومن أفسس عائدين إلى رومية . ولكن هناك شيئاً واحداً عظيماً يذكر عن هذين الإثنين . ففى تلك الأيام لم يكن للكنيسة مبان خاصة . ولم نسمع على الإطلاق أنه قد بنيت كنائس حتى القرن الثالث . بل كانت جماعات المسيحيين القليلة تجتمع فى البيوت الخاصة حيث توجد غرف كبيرة تتسع لهم ليتمتعوا بالشركة المسيحية معاً . ونحن نرى أنه حيثما ذهب

أكيلا وبريسكلا كان بيتهما يصبح كنيسة . فعندما كانا فى رومية نرى أن بولس يرسل تحياته وسلامه لهما وللكنيسة التى فى بيتهما (رومية١٦ : ٣-٥). وعندما يكتب من أفسس يبعث بالسلام منهما ومن الكنيسة التى فى بيتهما . لقد كان أكيلا وبريسكلا من الناس الأتقياء العظماء الذين يجعلون بيوتهم مراكز إشعاع للنور المسيحى وللمحبة المسيحية ، والذين يرحبون بضيوف كثيرين لأن المسيح هو دائماً ضيفهم غير المنظور الموجود معهم دواماً ، والذين يجعلون بيوتهم ملاجىء راحة وسلام وصداقة للذين يعانون الوحدة والوحشة ، وللمجربين والحزانى والمتأملين ، وإذا كان أعظم ثناء ميز به هو ميروس إحدى شخصياته هو أن « ذلك الرجل كان يسكن فى بيت بجانب الطريق ، وكان بيته مفتوحاً لكل إنسان ، وكان صديقاً لكل عابر سبيل » ، فان كل مسيحى عابر سبيل كان يجد فى بيت أكيلا وبريسكلا ملجأ راحة وسلام . ليت الرب يمنحنا القدرة والنعمة لكى نجعل بيوتنا كلها هكذا .

ويقول بولس : « سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة » . لقد كانت قبلة السلام عادة جميلة فى الكنيسة الأولى . وربما كانت فى الأصل عادة يهودية ثم تناقلتها الكنيسة الأولى . ويظهر أنها كانت تعطى فى نهاية الصلوات وقبل أن يتناول الحاضرون من الفريضة المقدسة . وكانت إشارة ورمزاً إلى جلوسهم إلى مائدة المحبة ، وإلى أنهم متحدون معاً بالمحبة الكاملة . كما أنها لم تكن مثل القبلة التى يتبادلها الأصدقاء عندما يلتقون فى مكان ما كالسوق مثلا . وبالتأكيد لم تكن قبلة مختلطة بين الرجال والسيدات ، بل كانت بين رجل ورجل ، وبين امرأة وامرأة . وأحياناً لم تكن تعطى على الشفاه بل على الأيدى . وأطلق عليها ببساطة « السلام » . وبالتأكيد لم تكن هناك كنيسة فى حاجة إلى تذكيرها بممارسة هذه العادة الجميلة أكثر من كنيسة كورنثوس هذه ، التى مزقها الخصام والشقاق هكذا . ولماذا اختفت هذه العادة الجميلة من حياة الكنيسة ؟ . . .

لقد أبطلت أو قلت ممارستها ، بالرغم من جمالها لأنها كانت عرضة لإساءة إستخدامها ؛ الأكثر من ذلك ، كانت عرضة لافتراءات الوثنيين

الذين لابد أنهم أساءوا تفسيرها وتأويلها . ولكن السبب الثانى كان فى الحقيقة أن الشركة فى الكنيسة قلت وضعفت شيئاً فشيئاً . فعندما كانت الاجتماعات الصغيرة تعقد فى البيوت ، كانت هناك رابطة قوية وعلاقة وثيقة تربط جميع الأعضاء والأصدقاء الذين يلتقون هناك . ولكن عندما تحولت الاجتماعات الصغيرة إلى اجتماعات كبيرة وعندما أصبحت الغرف الصغيرة كنائس كبيرة ضاعت الألفة والمودة ، وضاعت معها قبلة السلام . لأنه كلما تتسع الكنيسة وتكبر ، وكلما يكثر عدد من يحضرون إجتماعاتها ، فانه من الصعب أن توجد الشركة الحقيقية التى فيها يعرف كل واحد الآخر معرفة حقيقية والتى فيها يحب كل واحد الآخر المحبة الحقيقية . ومع ذلك فان الكنيسة التى هى مجرد مجموعة من الغرباء ، أو على أحسن الفروض ، مجموعة من المعارف ، ليست كنيسة حقيقية بكل معنى الكلمة .

وهكذا نصل إلى نهاية الرسالة الأولى التى تولى سكرتير مامهمة كتابتها ، ونرى بولس فى ختامها يبعث بسلامه إلى أهل كورنثوس بخط يده . ويحذرهم من كل شخص لا يحب الرب يسوع المسيح . ثم يكتب بالأرامية عبارة « ماران أثا » التى يغلب أنها تعنى « الرب قريب » . ومن الغريب أن نجد عبارة أرامية فى رسالة باللغة اليونانية إلى كنيسة يونانية . وتفسير ذلك أن تلك العبارة كانت قد صارت بمثابة كلمة السر لدى المؤمنين فى ذلك الوقت . وهى عبارة تلخص فيها الرجاء الحيوى للكنيسة الأولى ، وكان المسيحيون يتهامسون بها الواحد مع الآخر ، ويتعرف بها الواحد منهم على الآخر ، بلغة لم يكن الوثنيون يفهمونها .

وأخيراً ، يرسل بولس إلى أهل كورنثوس شيئين : نعمة المسيح ، ومحبته هو الشخصية . لقد سبق أن حذرهم وأنذرهم ووبخهم بل وحدثهم بغضب مقدس ، ولكن بعد كل ما قيل وعمل ، فان الكلمة الأخيرة الباقية هى المحبة .

انتهت الرسالة الأولى بعون الله

الرسالة الثانية

الى

اهل كورنثوس

نعزى لنعزى

بُولُسُ رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ ٱللهِ وَتِيمُوثَاوُسُ الأَخ إلى كَنِيسَةِ ٱللهِ الَّتِى فى كُورِنْثُوس مَعَ القِدِّيسِينَ أَجْمَعِينَ الَّذِينَ فى جَمِيعِ أَخائِيَةِ . نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ ٱللهِ أَبِينا والرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ .

مبَارَكٌ ٱللهُ أَبُو رَبِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَبُو الرَّأْفَةِ وإلهُ كلِّ تَعْزِيةٍ . ٱلَّذِى يُعَزِينا فى كُلِّ ضِيقَتِنَا حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّىَ ٱلَّذِينَ هُمْ فى كُلِّ ضِيقَةٍ بالتَّعْزِيةِ الَّتِى نَتَعَزَّى نَحْنُ بِهَا مِنَ ٱللهِ . لأَنَّهُ كَمَا تَكْثُرُ آلاَمُ الْمَسِيحِ فِينا كَذَلِكَ بِالْمَسِيحِ تَكْثُرُ تَعْزِيَتُنَا أَيضاً . فَإِنْ كُنَّا نَتَضَايَقُ فلأَجْلِ تَعْزِيَتِكُمْ وَخلاَصِكُمْ الْعَامِلِ فى آحْتِمَالِ نَفْسِ الآلاَمِ الَّتِى نَتَأَلَّمُ بِهَا نَحْنُ أَيضاً . أَوْ نَتَعَزَّى فَلأَجْلِ تَعْزِيَتُكُمْ وَخَلاَصِكُمْ . فَرَجَاؤُنَا مِنْ أَجْلِكُمْ ثَابِتٌ . عَالِمِينَ أَنَّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ شُرَكَاءُ فى الآلاَمِ كَذَلِكَ فى التَّعْزِيةِ أَيضاً

(٢ كورنثوس ١ : ١ — ٧)

إن هذا الفصل يكاد يكون تلخيصاً للحياة المسيحية بشكل ما :

١ — يكتب بولس هذا الكلام إلى أصدقائه فى كورنثوس كانسان يعرف الضيق ويكتب إلى الذين يعانون من الضيق أيضاً . وكلمة « ضيقة » التى يستخدمها بولس هنا تصف ، فى اللغة اليونانية العادية ثقلا مادياً يوضع على جسم الإنسان . وقد كانت إحدى وسائل العقاب التى استباحها القانون الانكليزى القديم بوضع أحمال ثقيلة على صدور المذنبين لتسحقها . وهذا هو المعنى الحرفى للكلمة اليونانية المترجمة هنا « ضيقة » . وقد يجثم أحياناً على روح الإنسان ثقل كثير من أحمال هذا العالم ، وغوامضه التى يعسر فهمها أو تفسيرها ، وفى السنين الأولى للمسيحية كان الرجل الذى يختار أن يكون مسيحياً إنما يكون قد اختار لنفسه أن يواجه الضيق ويتحمله . فقد تنبذه عائلته ، ويناصبه جيرانه الوثنيون العداء وتذيقه السلطات الرسمية كل صنوف الاضطهاد والتنكيل وقد كان أمراً مكلفاً أن يكون الواحد مسيحياً حقيقياً ، فلا يمكن أن تكون هناك مسيحية حقيقية دون أن يكون فيها صليب .

٢ — والموقف الذى ينبغى أن يتحلى به كل مسيحى فى هذا الضيق هو موقف الإحتمال . والكلمة اليونانية المترجمة هنا « إحتمال » لا تعنى فى الأصل قبول الضيق والتجارب بكآبة وتذمر واستسلام ، بل تعنى الانتصار والغلبة إنها تصف الروح التى لا تتقبل التجربة فحسب ، بل تنتصر عليها وتسمو فوقها . قال أحدهم لإنسان متألم : « إن الألم يغير لون الحياة ، أليس كذلك؟» فأجابه المتألم قائلا « نعم ، ولكنى أنا الذى أختـــار اللون الجديد » . وكما تخرج الفضة من النار أكثر نقاء وأكثر لمعاناً ، هكذا يخرج المسيحى من الظروف الصعبة وأوقات الشدة أكثر نقاء وأكثر قوة . إن المسيحى هو رجل الله « الرياضى » الذى تزداد عضلاته الروحية قوة وصلابة كلما أكثر من

التدريب الشاق والتمرينات الصعبة ، وكلما واجه المزيد من مشقات الحياة ومصاعبها الكثيرة .

٣ — ولكننا لسنا متروكين وحدنا لكى نواجه هذه التجارب ونتحمل هذا الضيق . بل إن تعزية الله تغمرنا وترافقنا . فمن عدد ٣ إلى عدد ٧ ترد كلمة « تعزية » أو « يعزى » لا أقل من تسع مرات . وكلمة « تعزية » فى العهد الجديد تعنى دائماً ما هو أكثر من مجرد المواساة المسكنة والمخففة للألم . إنها تؤدى دائماً المعنى اللاتينى أى « الشجاعة » . إن التعزية المسيحية هى التعزية التى تعطى شجاعة وإقداماً ، والتى تمكن الإنسان من النضال والكفاح مع كل ما قد تتعرض له حياته . وقد كان بولس متأكداً أن الله لا يرسل لإنسان ما رؤية ، دون أن يصحبها بالقوة لتحقيقها وإتمامها ، ولا يكلف إنساناً ما برسالة دون أن يمنحه العزيمة لأدائها . وإلى جانب هذا هناك دائماً إلهام معين يحمله الألم الذى يصيب الإنسان بسبب مسيحيته ، وكل جهد يبذله لأجلها . لأن مثل هذا الألم ، كما يقول بولس ، هو فى الحقيقة فيض آلام المسيح التى تلحقنا ، إذ « تكثر آلام المسيح فينا » . فهى مشاركة فى آلام المسيح . اعتاد الفارس فى أيام الفروسية القديمة أن يقوم بعمل خاص صعب ومتعب ، وفيه الكثير من المجازفة والمخاطرة ، لكى يبرهن على مدى ولائه وإخلاصه للسيدة التى يحبها . والتشبيه مع الفارق العظيم ، فان الألم لأجل المسيح هو فى الحقيقة إمتياز وعندما تفرض الصعاب على المسيحى فانه يستطيع أن يقول كما قال القديس بوليكاربوس العجوز أسقف سمرنا ، عندما ربطوه إلى الوتد . « أشكرك يا إلهى لأنك حسبتنى أهلاً لهذه الساعة » .

٤ — والنتيجة العظمى لهذا كله هى أننا نكتسب القوة لنعزى الآخرين الذين يجتازون مثل هذه الآلام . فيقول بولس إن الأشياء التى حدثت له ،

والتعزية التى نالها ، قد جعلته قادراً على أن يكون مصدر تعزية للآخرين .

يحدثنا « بارى » كيف تعزت أمه عندما فقدت إبنها العزيز ، ثم يقول : « ومن هنا كانت عينا أمى تفيضان بكل معانى الاحتمال والتعزية ، ولذلك كانت تهرع إليها الأمهات الأخريات اللواتى فقدن أولادهن » .

ولقد قيل عن يسوع نفسه : « لأنه فى ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين » . (عبرانيين ٢ : ١٨) فرحباً باختبار الألم والأسى ، إذا كان هذا الاختبار يمكننا من مساعدة الآخرين الذين يكافحون ويناضلون ضد أمواج الحياة العالية ولججها العاتية .

متكلين على الله

فَإِنَّنَا لا نُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا ٱلإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ ضِيقَتِنَا الَّتِى أَصابَتْنَا فِى أَسِيَّا أَنَّنَا تَثَقَّلْنَا جِدًّا فَوْقَ الطَّاقَةِ حَتَّى أَيِسْنَا مِنَ ٱلحيوٰةِ أَيضاً ، لَكِنْ كَانَ لَنَا فِى أَنْفُسِنَا حُكْمُ ٱلْمَوْتِ لِكَىْ لا نَكُونَ مُتَّكِلِينَ عَلَى أَنْفُسِنَا بَلْ عَلَى ٱللهِ ٱلَّذِى يُقِيمُ ٱلأَمْواتَ . ٱلَّذى نَجَّانا مِنْ مَوْتٍ مِثْلِ هٰذَا وَهُوَ يُنَجِّى . ٱلَّذِى لنَا رَجَاءٌ فيهِ أَنَّهُ سَيُنَجِّى أَيضاً فِيما بَعْدُ . وَأَنْتُمْ أَيضاً مساعِدُونَ بالصَّلٰوةِ لأَجْلِنَا لِكَىْ يُؤدى شُكْرٌ لأَجْلِنا مِنْ أَشْخَاص كَثِيرِينَ عَلَى مَاوُهِبَ لَنَا بِوَاسِطَةِ كَثِيرِينَ .

(٢ كورنثوس ١ : ٨ – ١١)

إن ما يسترعى انتباهنا فى هذا الفصل هو أنه لا يذكر أية معلومات عن

الضيقة الفظيعة التى اجتاز ها بولس فى أفسس . فانشيئاً ما قد حدث له ، كان بالنسبة إليه فوق الطاقة . وكان الخطر محدقاً به حتى اعتقد بولس معها أنه قد حكم عليه بالموت وأنه لم يكن ممكناً أن ينجو ، حتى يئس من الحياة أيضاً . ومع ذلك فان بولس يكتفى هنا ، وفى مواضع أخرى من هاتين الرسالتين ، بمجرد الإشارة إلى هذه الحادثة ، وإلى بعض الحوادث الأخرى المماثلة دون أن يشرح بالتفصيل ما حدث . هذا مع أننا كبشر نميل إلى المبالغة والتهويل فى وصف ما قد نجتازه من شدائد أو ضيقات . فالشخص الذى عملت له عملية جراحية بسيطة يحاول أن يجعل منها موضوع حديثه لمدة طويلة .

حدثنا أحدهم عن رجلين التقيا زمن الحرب ليعقدا صفقة تجارية . وكان أحدهما يحكى فى حماس واهتمام بالغ كيف تعرض القطار الذى كان يستقله لغارة جوية عنيفة . وكان يعيد حديثه عن ذلك الخطر العظيم وعن نجاته بأعجوبة . ولم يقاطعه الشخص الآخر بكلمة ، ولكنه عندما انتهى من حديثه قال له الثانى فى هدوء : « حسناً ، دعنا الآن نتقدم لإنهاء صفقتنا . إنى أريد أن ننتهى بسرعة لأن بيتى قد حطمته القنابل تماماً فى الليلة الماضية » . ومن هذا نرى أن الناس الذين يقاسون المصائب العظيمة هم فى العادة أقل الناس حديثاً عنها .

اعتاد الملك جورج الخامس أن يقول : « إذا لم يكن هناك مفر من أن أقاسى أو أتألم ، فدعنى أخلو إلى نفسى لأتحمل الألم وحدى فى هدوء » . وهذا مافعله بولس . فانه لم يستعرض آلامه ومصائبه ولم يسجلها باستفاضة وإسهاب . وعلينا نحن الذين تقل آلامنا عن ذلك أن نقتدى بمثاله .

ولكن بولس رأى أن ذلك الاختبار الفظيع الذى اجتازه كانت له فائدة عظمى — ففيه قاده الله إليه لكى لا يكون متكلا على نفسه بل عليه . إن خطر النجاح واليسر هو أنه يقودنا إلى استقلال مزيف ؛ ويجعلنا نعتقد أننا نستطيع أن ندبر أمور حياتنا بمفردنا . إن كل صلاة ترفع إلى الله فى أوقات اليسر

يقابلها عشرة آلاف صلاة ترفع فى أوقات الضيق والعسر .

كما قال لنكولن : « لقد اضطررت فى أغلب الأحيان أن أركع على ركبتى فى الصلاة ، لأنه لم يكن أمامى أى مكان آخر أذهب إليه » .

إن الإنسان فى أغلب الأحيان لا يكتشف أصدقاءه الحقيقيين إلا فى أوقات الشدة والمصائب . لذلك كثيراً ما نحتاج إلى أوقات الشدائد والمحن والمصائب لنرى كم نحتاج إلى الله ولا نستطيع أن نستغنى عنه .

وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت لبولس ثقة فى الله لا تتزعزع . وقد علم الآن بما لا يقبل الشك مقدار ما يستطيع الله أن يفعله لأجله . فاذا كان الله قد استطاع أن ينقذه من هذه الضيقة ويخرجه منها بسلام ، فانه يستطيع إذاً أن يجيزه فى أية ضيقة أخرى دون أن يصيبه أذى أو ضرر . وما أجمل صيحة صاحب المزامير « لأنك أنقذت نفسى من الموت وعينى من الدمعة ورجلى من الزلق » (مزمور ١١٦ : ٨) .

وقد تجددت حياة يوحنا بنيان عندما سمع بعض السيدات العجائز يتحدثن عما فعله الله لنفوسهن . إن ثقة المسيحى فى الله ليست شيئاً نظرياً أو خيالياً ، لكنها شىء حقيقى يستند إلى التجربة والاختبار . فهو يعلم ما فعله الله له ، ولذلك فهو لا يخاف على الإطلاق .

وأخيراً يطلب بولس من الكورنثيين أن يصلوا لأجله . وهنا نلاحظ ، كما سبقت الإشارة ، أن أعظم القديسين لا يستحى أن يطلب من أقل الإخوة أن يصلوا لأجله . وربما لا يكون لدينا من الأشياء المادية التى نستطيع أن نعطى منها لأصدقائنا سوى القليل جداً . وربما اشتاقت نفوسنا أن يكون لنا من هذه الأشياء الكثير حتى نستطيع أن نعطى أحباءنا بسخاء . ولكن مهما كانت ممتلكاتنا المادية قليلة وتافهة ، فاننا نستطيع أن نعطى أصدقاءنا وأحباءنا الكثير من كنز صلواتنا التى لا تقدر بثمن .

فخرنا الوحيـــد

لأَنَّ فَخْرَنَا هُوَ هَذَا شَهَادَةُ ضَمِيرِنَا أَنَّنا فى بَسَاطة وَإِخْلاصِ ٱللهِ لا فى حِكْمَةٍ جَسَدِيَّةٍ بَلْ فى نِعْمَةِ ٱللهِ تَصَرَّفْنَا فى العَالمِ وَلا سِيَّمَا مِن نَحْوِكُم . فإِنَّنا لا نَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بِشَيْءٍ آخَرَ سِوَى ما تَقْرَأُونَ أَوْ تَعْرِفُونَ . وَأَنَا أَرْجُو أَنَّكُمْ سَتَعْرِفُونَ إِلى النِّهَايَةِ أَيضاً . كَمَا عَرَفْتُمُونَا أَيضاً بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ أَنَّنَا فَخْرُكُمْ كَمَا أَنَّكُمْ أَيضاً فَخْرُنَا فى يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ . (٢ كورنثوس ١ : ١٢ – ١٤)

هنا نبدأ فى ملاحظة الاتهامات الخفية التى كان الكورنثيون يتهامسون بها ضد بولس ، والافتراءات والوشايات التى كانوا يحاولون أن يثلموا صيته بها .

١ — ولعلهم كانوا ينسبون إليه بعضاً من التصرفات السرية والسلوك الخفى مما لم يكن يبدو للعيان . وكانت إجابة بولس على ذلك أنه كان يعيش فى قداسة وإخلاص الله . فليس فى حياته أية أعمال أو تصرفات خفية ، وهذه البساطة النقية يمكن أن تضاف إلى قائمة التطويبات « طوبى للانسان الذى ليس له ما يخبئه أو يخفيه » . ومن الطرائف القديمة أن إنساناً جعل يتنقل مرة من باب إلى باب وهو يقول للناس فى كل بيت : « اهربوا ! إن كل شيء قد اكتشف ! » : والغريب أن عدداً كبيراً من الناس قد تركوا بيوتهم فعلا وهربوا . ويقال إن مهندس مبان عرض مرة على فيلسوف يونانى أن يبنى له بيتاً يستحيل على أحد خارجه أن يرى شيئاً بداخله . ولكن الفيلسوف أجابه قائلا : « إننى مستعد أن أعطيك ضعف المبلغ الذى تطلبه لنفقات البناء إذا

كنت تبنى البيت بحيث يستطيع أى واحد من الخارج أن يرى ما بداخل كل غرفة فيه » إن الكلمة الأصلية التى يستخدمها بولس هنا والمترجمة «إخلاص » كلمة جديرة بالتأمل حقاً . فهى يمكن استخدامها لوصف شىء يلمع عندما يوضع أمام أشعة الشمس . وما أسعد الإنسان الذى تتحمل كل تصرفاته مواجهة نور النهار ، والذى يستطيع أن يجاهر — كما جاهر بولس — بأنه لا توجد أيه أفعال أو تصرفات خفية .

٢ — وكان هناك من ينسب لبولس دوافع خفية . وكانت إجابة بولس أن كل تصرفاته لم تكن تدفع إليها أو تحكمها حكمة جسدية بل نعمة الله . فلم تكن هناك فى حياة بولس أية دوافع خفية أو مستترة . وإذا كنا أمناء تماماً وصرحاء مع أنفسنا فاننا نعترف أننا قلما نعمل شيئاً دون أن يكون فى نفوسنا مزيج من الدوافع والبواعث . وحتى عند نعمل الأشياء الحسنة ، قد تكون الباعث عليها الحذر أو التعالى أو حب إثبات الذات أو الخوف أو انتظار المكافأة والجزاء . وقد لا يرى الناس هذه البواعث ، ولا يكتشفونها . ولكن كما قال توما الأكوينى : « الإنسان يلاحظ العمل ويحكم عليه ، أما الله فانه يرى الباعث والنية التى تدفع إليه » . فاذا كانت طهارة العمل ونقاوه والإخلاص فيه أمراً صعباً ، فان طهارة البواعث ونقاءها والإخلاص فيها أصعب بكثير . ولا يمكن أن تتسم أعمالنا وبواعثنا بالطهارة والنقاء والإخلاص إلا إذا كنا نستطيع أن نقول إن الذات القديمة فينا قد ماتت ، وإن المسيح هو الذى يحيا فينا .

٣ — وكان هناك من يقولون إن بولس فى رسائله لم يكن يعنى تماماً ما كان يقوله . وكانت إجابة بولس على ذلك أنه لم تكن هناك معان خفية أو مستترة لكلماته . والألفاظ كثيراً ما يشذ معناها وتكون قابلة للتلاعب بها .

فقد يستعمل إنسان ما كلمات معينة ليكشف بها عن أفكاره ويعلنها وقد يستعمل الكلمات عينها ليخفى بها أفكاره أو يداريها . وقليلون مناهم الذين يستطيعون أن يقولوا بأمانة وإخلاص أنهم يقصدون المعنى الحقيقى الكامل لكل كلمة يتفوهون بها . فقد نقول شيئاً ما لأنه هو الشيء الصائب فعلا ؛ وقد نقوله لمجرد المجاملة وإرضاء الآخرين ؛ وقد نقوله لتجنب المتاعب والمضايقات . وإذ رأى الرسول يعقوب أخطار اللسان واضحة وبينة ، قال : « إن كان أحد لا يعثر فى الكلام فذاك رجل كامل » (يعقوب ٣ : ٢) . إن الرجل الذى يستطيع أن يقول بأنه يعنى كل كلمة يقولها لهو رجل جدير حقاً بأن يشار إليه بالبنان .

وفى حياة بولس لم تكن هناك أعمال خفية أو بواعث مكنونة أو معان مستترة خلف كلامه . لقد كانت أعماله وبواعثه ومعانيه فى بساطة وإخلاص الله . وهذه حقاً أشياء جديرة بأن نجعلها هدفا لنا نقتدى بها .

((نعم)) الله فى يسوع المسيح

وبِهَذِهِ الثِّقَةِ كُنْتُ أَشَاءُ أَنْ آتِيَ إِلَيْكُمْ أَوَّلاً لِتَكُونَ لَكُمْ نِعْمَةٌ ثَانِيَةٌ . وَأَنْ أَمُرَّ بِكُمْ إلى مَكِدُونِيَّةَ وآتِيَ أَيضاً مِنْ مَكِدُونِيَّةَ إِلَيْكُم وأُشَيَّعَ مِنْكُم إلى الْيَهُودِيَّةِ . فإِذْ أَنا عازِمٌ عَلَى هَذا أَلَعَلِّي ٱسْتَعْمَلْتُ ٱلْخِفَّةَ أَمْ أَعْزِمُ عَلَى ما أَعْزِمُ بِحَسَبِ ٱلْجَسَدِ كَيْ يكُونَ عِنْدِي نَعَمْ نَعَمْ ولاَ لاَ لَكِنْ أَمينٌ هُوَ ٱللهُ إِنَّ كلامَنَا لَكُمْ لَمْ يَكُنْ نَعَمْ ولاَ . لأَنَّ

ٱبْنَ ٱللهِ يَسُوعَ الْمَسِيحَ ٱلَّذى كَرِزَ بِهِ بَيْنَكُم بِوَاسِطَتِنَا أَنَا وَسِلْوَانُس وتِيمُوثاوُس لَمْ يَكُنْ نَعَمْ ولاَ بلْ قَدْ كَانَ فيهِ نَعَمْ . لأَنَّ مَهْمَا كَانَتْ مَوَاعِيدُ ٱللهِ فَهُوَ فيهِ النَّعَمْ وفيهِ ٱلآمينُ لِمَجْدِ ٱللهِ بِوَاسِطَتِنَا . وَلَكِنَّ ٱلَّذِى يُثَبِّتُنَا مَعَكُمْ فى الْمَسِيحِ وَقَدْ مَسَحَنَا هُوَ ٱللهُ . ٱلَّذِى خَتَمَنَا أَيضاً وَأَعْطَى عُرْبُونَ ٱلرُّوحِ فى قُلُوبِنَا . (٢ كورنثوس ١ : ١٥ – ٢٢)

إن هذا الفصل يبدو لأول وهلة أنه صعب الفهم . وبين سطوره نستطيع أن نلمح اتهاما آخر وفرية أخرى ضد بولس . فقد وعدهم أنه سيزورهم ، ولكن عندما أصبح الموقف متأزما أجل زيارته لهم إشفاقاً عليهم ، وحرصاً منه على ألا يسبب لهم أى ألم (عدد ٢٣) . وعندئذ أسرع أعداؤه فاتهموه بأنه رجل يقول نعم ولا فى نفس الوقت . وقالوا إنه أعطى وعوداً طائشة مستهترة مترددة متقلبة ، وأنه لم يكن ممكنا أن يوثق فى كلامه أو يصدق فى وعوده بنعم أولا . ومع أن هذا الاتهام كان إلى هذا الحد سيئاً وشنيعاً ، ولكنهم استطردوا يجادلون قائلين : « إذا كنا لا نستطيع أن نثق فى مواعيد بولس اليومية ، وإذا كنا لانستطيع أن نعتمد عليه فى عمل ما وعد بعمله ، فكيف نستطيع أن نثق فيما يقوله لنا عن الله ! وكيف نؤمن أن كل مواعيد الله التى ذكرها لنا صادقة وحقيقية ؟ » .

وكان جواب بولس على هذا أننا نستطيع أن نعتمد على الله ، وأنه فى يسوع المسيح لم يكن هناك تردد أو ذبذبة بين نعم أو لا . ثم يلخص الأمر فى عبارة حية ساطعة بقوله : « مهما كانت مواعيد الله فهو فيه النعم »، أى

أن يسوع هو النعم لكل مواعيد الله . وهو يعنى بهذا أنه لو لم يأت يسوع لكان لنا أن نشك فى مواعيد الله العظمى والثمينة . وربما جاز لنا أن نقول إنها مواعيد صالحة جداً وعظيمة جداً بحيث يجوز لنا أن نصفها كالمواعيد البشرية حقيقية أو صادقة . ولكن الإله الذى يحبنا حتى أنه أعطانا إبنه لابد أنه يفى بكل وعد قطعه . وحقيقة مجىء يسوع هى فى حد ذاتها دليل على صدق مواعيد الله وتحقيق لها . وكأن يسوع يكتب بنفسه آخر كل وعد من وعود الله « نعم ! هذا حق ! » . إن يسوع هو الضامن والكفيل الشخصى . على أن مواعيد الله ، أعظمها وأقلها على السواء ، لابد أن تكون حقيقية وصادقة . ويستطيع كل إنسان أن يثق فى هذا بدون ريب ، وأن يؤمن بدون تساؤل ، وأن يعتمد كلية على المحبة التى تحقق له ذلك .

ومع أن الكورنثيين كانوا يفترون على بولس ، فاننا نجد فى هذا درساً نافعاً — إن الثقة فى الرسول أو المرسل تؤثر فى الثقة فى الرسالة التى يحملها . والوعظ دائماً ما هو إلا توصيل الحق عن طريق شخصية . وإذا لم يكن ممكناً أن يثق إنسان ما فى الواعظ فليس محتملا أنه يثق فى رسالته . وقد كان من بين القواعد اليهودية الخاصة بأخلاق المعلم وسلوكه أنه ينبغى ألايعد تلاميذه بشىء يعلم أنه لا يستطيع عمله أو ليس له نية عمله . فان ذلك سيعود التلاميذ على الكذب والبهتان . وهنا نجد تحذيراً أن الوعود لا ينبغى أن تعطى جزافاً أو باستخفاف . فان الوعود التى تعطى باستخفاف تكسر وتنكث باستخفاف أيضاً . وقبل أن يعطى إنسان وعداً ينبغى أن يحسب نفقات الوفاء به والمحافظة عليه ، وأن يكون متأكداً من أنه قادر وعازم على أن يفى به .

ويستطرد بولس فيذكر شيئين عظيمين جداً :

١ — أننا بيسوع نقول : « آمين » لمواعيد الله . ونحن نختم صلواتنابالقول

« بيسوع المسيح ربنا . آمين » . وعندما نقرأ كلمة الله كثيراً ما نختتمها بالقول « آمين » . و « آمين » تعنى « ليكن كذلك » والحقيقة العظمى هى أن « آمين » ليست مجرد عادة رسمية أو طقسية؛ ولكنها الكلمة التى تعبر عن ثقتنا المبينة على مجىء يسوع . ونحن نستطيع أن نقدم صلواتنا لله بكل ثقة ؛ وبكل ثقة أيضاً نستطيع أن نملك كل مواعيد الله العظيمة ويقين صلواتنا ستسمع ، وأن كل المواعيد العظمى هى حقيقية وصادقة . لأن يسوع هو الضامن ، وهو « نعم » الله التى لاتكسر أبداً .

٢ — وختاماً ، يتحدث بولس عما يسميه « عربون » الروح . والعربون هو بمثابة القسط الأول الذى يؤكد ويضمن أن الباقى سيتبع . وهى كلمة شائعة ومعروفة فى المعاملات التجارية والقانونية ، وتستعمل للدلالة على أن كل بنود العقد سيتم الوفاء بها بضمان هذا العربون . وهكذا عندما يتحدث بولس عن الروح القدس « كعربون » يعطيه الله لنا ، فهو إنما يعنى أن نوع الحياة التى نحياها فى الروح القدس وبمعونة الروح القدس إنما هى بمثابة القسط الأول من الحياة فى السماء ، والضمان على أن ملء هذه الحياة وكما لها سيتحقق لنا يوما ما . إن عطية الروح القدس هى إشارة وعهد من الله أنه لا تزال هناك أشياء أعظم تنتظرنا فى المستقبل .

عندما ينتهر قديس

وَلَكِنِّى أَسْتَشْهِدُ ٱللهَ عَلَى نَفْسِى أَنِّى إِشْفَاقاً عَلَيْكُمْ لَمْ آتِ إِلَى كُورِنْثُوسَ . لَيْسَ أَنَّنا نَسُودُ عَلَى إِيمَانِكُمْ بَلْ نَحْنُ مُوَازِرُونَ لِسُرُورِكُمْ . لأَنَّكُمْ بالإِيمانِ تَثْبُتُونَ . وَلَكِنِّى جَزَمْتُ بِهَذَا فِى نَفْسِى أَنْ لا آتِىَ إِلَيْكُمْ أَيضاً فِى حُزْنٍ ؛

لأَنَّهُ إنْ كُنْتُ أُحْزِنُكُمْ أَنا فَمَنْ هُوَ الَّذى يُفْرِحُنِى إلاَّ الَّذى أَحْزَنْتُهُ . وَكَتَبْتُ لَكُمْ هَذَا عَيْنَهُ حَتَّى إذا جِئْتُ لا يَكُونُ لِى حُزْنٌ مِن الَّذينَ كَانَ يَجِبُ أَنْ أَفْرَحَ بِهِمْ وَاثِقاً بِجَميعِكُمْ أَنَّ فَرَحِى هُوَ فَرَحُ جَمِيعِكُمْ . لأَنِّى مِن حُزْنٍ كَثِيرٍ وكَآبةِ قَلْبٍ كَتَبْتُ إلَيْكُمْ بِدُمُوعٍ كَثِيرَةٍ لا لِكَىْ تَحْزَنُوا بَلْ لِكَىْ تَعْرِفُوا الْمَحَبَّةَ الَّتى عِنْدِى وَلاَ سِيَّماَ مِن نَحْوِكُمْ .

(٢ كورنثوس ١ . ٢٣ – ٢ : ٤)

هنا نستطيع أن نسمع صدى الأشياء المحزنة والمؤلمة . وكما رأينا فى المقدمة لابد أن تتابع الحوادث على هذا النحو : كان الموقف فى كورنثوس قد صار من سيىء إلى أسوأ . وكانت الكنيسة قد مزقتها الإنقسامات والتحزبات ثم كان هناك من ينكر سلطان بولس . وأراد بولس أن يصلح الأمور فقام بزيارة خاطفة لكورنثوس . ولكنه لم ينجح فى مهمته ، الأمر الذى ملأ قلبه بالألم والحزن الشديد . ونتيجة لذلك كتب إليهم رسالة توبيخ عنيفة وشديدة اللهجة ، رسالة كتبها بدموع وبقلب كسير . وكان هذا الأمر بالذات هو السبب الذى جعل بولس لا يفى بوعده بزيارته لهم ثانية . لأن الزيارة ، والأمور على هذه الحال ، كان لابد أن تحزنه هو وأن تحزنهم هم أيضاً .

ويتجلى لنا من عبارات هذا الفصل كل مشاعر قلب بولس عندما اضطر أن يكون عنيفاً وصارماً مع الذين كان يحبهم . وهنا نرى بأجلى بيان كيف ينتهر القديس عندما يتحتم عليه أن ينتهر الآخرين :

١ – لقد اضطر بولس – على غير إرادته ورغبته – أن يلجأ إلى الانتهار

الصارم . ولم يلجأ إلى ذلك إلا مرغماً مضطراً ، بعد أن لم تفلح معهم أيةوسيلة أخرى وهناك أناس يفتحون أعينهم دائماً لتلمس أخطاء الآخرين ، ويحفزون ألسنتهم لإنتقادهم وإدانتهم وينهشون بأصواتهم الحادة سمعتهم . ولكن بولس لم يكن هكذا . بل كان فى انتهاره وصرامته حكيماً . فاذا كنا دائماً ننتقد الآخرين ونبحث عن أخطائهم ، وإذا كنا قد اعتدنا الغضب والخشونة والغلظة فى معاملة الآخرين ، وإذا كنا ننتهرهم ونوبخهم أكثر مما نمدحهم أو نثنى عليهم ، فان الحقيقة الحتمية التى تنتج عن ذلك هى أن انتهارنا أو توبيخنا سيفقد أثره ويصبح بلا جدوى . فان استمرار التوبيخ والتعنيف والانتهار يقلل بلا شك من قيمته ويضعف من تأثيره وكلما كان التجاء الإنسان إلى التوبيخ والانتهار نادراً أو قليلا ، وكان أثره كبيراً وفعالا عندما يضطر فى النهاية لاستخدامه كوسيلة لمحاولة العلاج أو الإصلاح . هذا وإن عينى المسيحى الحقيقى تبحثان دائماً عن النواحى الطيبة التى تمدحها وتثنى عليها ، وليس عن الأشياء التى تنتقدها وتدينها .

٢ ــ وعندما انتهر بولس ، فانه فعل ذلك فى محبة . إنه لم يتكلم فى كل حياته لمجرد أن يؤذى أو يجرح مشاعر الآخرين . هناك أناس يجدون لذة فى رؤية أحدهم عندما يجفل أو يفزع لكلمة قاسية عنيفة . ولكن بولس لم يكن هكذا . فهو لم ينتهر لكى يؤلم ، لكنه انتهر لكى يعيد البهجة ويجدد الفرح . عندما كان جون نوكس فى ساعاته الأخيرة على فراش الموت قال : «الله يعلم أن قلبى كان دائماً خالياً من الكراهية للناس الذين كنت أرعدهم بأقسى وأعنف أحكامى عليهم وإدانتى لهم» . إنه لفى الإمكان أن نكره الخطية ولكن نحب الخاطىء . إن الانتهار المؤثر المصلح حقاً هو الانتهار الذى يقدم بينما ذراع المحبة تحوط بالشخص الذى تنتهره . إن الإنتهار الذى يقدم فى غضب وهياج

شديد قد يؤذى وقد يخيف ويرعب ؛ ولكن انتهار المحبة الجريحة المتألمة هو وحده الذى يذيب القلب ويحطم قساوته وعناده .

٣ ــ وعندما انتهر بولس ، فان آخر شيء كان يريده أو يفكر فيه هو أن يسود أو يسيطر . إن الخطر العظيم الذى قد يتعرض له الواعظ أو المعلم هو خطر التفكير فى أنه من واجبه أن يحث الآخرين أو أن يجبرهم على أن يفكروا كما هو يفكر بالضبط ، وأنه إذا لم يوافقوا على كل ما يعتقده هو ، وإذا لم ينظروا إلى الأمور بمثل نظرته هو ، فلابد أنهم مخطئون . ولكن واجب المعلم الأول ليس أن يفرض معتقداته على الناس الآخرين ، بل أن يمكنهم ويشجعهم على أن يصلوا بأنفسهم إلى معتقداتهم الخاصة . فان الهدف ليس هو القضاء على شخصية الفرد وانطفائها ، بل بالعكس ، هو تنميتها وإبرازها . وليس الهدف هو خلق أفرادهم نسخة باهتة من شخصية الواعظ أو المعلم ، بل خلقهم شخصيات إنسانية مستقلة . ولقد عرف بولس جيداً أنه كمعلم لا ينبغى أن يسود أو يسيطر ، مع أنه كان ينبغى عليه أحياناً أن يهذب ويرشد .

٤ ــ وأخيراً ، وبالرغم من عدم رغبة بولس فى الانتهار ، وبالرغم من رغبته فى رؤية أفضل الأشياء فى الآخرين ، وبالرغم من كل ما كان فى قلبه من محبة ، بالرغم من كل ذلك فاننا نرى بولس يلجأ إلى الانتهار عندما يراه ضرورة لامناص منها . فهو لا يريد أن يفعل ذلك ، ولكنه لا يتردد أو يتراجع عنه عندما يراه أمراً حتمياً . عندما انتهر جون نوكس الملكة مارى بسبب مشروع زواجها من « دون كارلوس » ، حاولت الملكة أن تنتزع موافقته ، فجربت إظهار الغضب الشديد ثم جربت ذرف الدموع الغزيرة . ولكن نوكس أجابها قائلا : « لم أبتهج قط لبكاء أى واحد من مخلوقات الله . ولست أستطيع أبداً أن أفرح لبكاء جلالتك . ولكن ينبغى أن أحتمل ، ولو على غير إرادتى ، دموع جلالتك ، أفضل من أن أجرؤ على الإساءة إلى ضميرى وخيانة

بلادي بصمتي عن قول ما ينبغي قوله » . وكم من المرات التي نحجم فيها عن الانتهار بسبب شفقة مغلوطة ، أو بسبب الرغبة في تجنب المتاعب .

ولكن تجنب المتاعب قد يكون في بعض الأوقات بمثابة تخزين للمتاعب وتجنب الخطر والصدام عن طريق التخاذل والجبن باسم المحافظة على السلام قد يحمل بين طياته خطراً أعظم . وإذا كنا نسترشد في حياتنا بالمحبة والتبصر ، ليس لأجل ذواتنا أو كبريائنا الشخصية ، بل لأجل صالح الآخرين وخيرهم النهائي ، فاننا سنعرف أن نميز بين الوقت الذي ينبغي علينا فيه أن نتكلم ، والوقت الذي ينبغي علينا فيه أن نصمت .

طلب مسامحة الخاطىء

وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحدٌ قَدْ أَحْزَنَ فإِنَّهُ لَمْ يُحْزِنِّي بَلْ أَحْزَنَ جَمِيعَكُمْ بَعْضَ الْحُزْنِ لِكَيْ لا أُثَقِّلَ . مِثْلُ هَذَا يَكْفِيهِ هَذَا القِصَاصُ الَّذِي مِنَ الأَكْثَرِينَ . حتَّى تَكُونُوا بالعَكْسِ تُسامِحُونَهُ بالحَرِيِّ وتُعَزُّونَهُ لِئَلاَّ يُبْتَلَعَ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْحُزْنِ الْمُفْرِطِ . وَلَذلِكَ أَطْلُبُ أَنْ تُمَكِّنُوا لهُ المحبَّةَ . لأَنِّي لهذَا كَتبْتُ لكَيْ أَعْرِفَ تَزْكِيَتَكُمْ هَلْ أَنْتُمْ طائِعُونَ في كلِّ شَيْءٍ . والَّذِي تُسَامِحُونَهُ بِشَيْءٍ فأَنَا أَيضاً . لأَنِّي أَنا مَا سامَحْتُ بِهِ إِنْ كُنْتُ قَدْ سامَحْتُ بِشَيْءٍ فَمِنْ أَجْلِكُمْ بِحَضْرَةِ الْمَسِيحِ . لِئَلاَّ يَطْمَعَ فِينا الشَّيْطانُ لأَنَّنا لا نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ .

(٢ كورنثوس ٢ : ٥ — ١١)

مرة ثانية نجد أمامنا هنا فصلا هو صدى للمتاعب والحزن . فعندما زار بولس كورنثوس وجد هناك شخصاً يتزعم المعارضة . وقد عمل هذا الرجل كل مافى وسعه على تشويه وإفساد هذه الزيارة القصيرة غير السعيدة . ومن الواضح أنه قد أهان بولس وأساء إليه شخصياً . وكان بولس قد أصر على ضرورة توقيع التأديب والجزاء عليه . وكانت أغلبية الكورنثيين قد رأت أن سلوك هذا الرجل لم يسيء إلى بولس فقط بل أساء إلى شرف وسمعة كنيسة كورنثوس كلها . وقد وقع عليه التأديب بالفعل ، ولكن كان هناك بعض الأشخاص الذين شعروا أن ذلك العقاب لم يكن شديداً كما ينبغى ، ومنهم من كانوا يرغبون فى اتخاذ إجراءات أكثر صرامة وقسوة معه ، وفى فرض عقاب أشد عليه . وهنا تبرز عظمة بولس وتتجلى . فهو يناشدهم الاكتفاء بما عمل مع هذا الرجل فان الكورنثيين قد أظهروا طاعتهم بممارستهم التأديب . وقد ندم الرجل الآن على ما فعل . وتوقيع المزيد من التأديب عليه قد يضر أكثر مما ينفع ؛ فقد يقوده إلى اليأس ، وهذا لا يخدم المسيح أو الكنيسة ، بل بالعكس يعطى فرصة للشيطان ليمارس منها قوته المجربة وليستحوذ على الرجل ويضعه تحت سلطانه . ولو أذعن بولس للدوافع والحوافز البشرية فقط لطرب بلاشك للمصير الصعب الذى وصل إليه عدوه السابق . فلاشك أن الطبيعة البشرية تبتهج عندما ترى الجزاء تلو الجزاء يصب ويكوم فوق رأس الخصم . ولسنا نرى عظمة شخصية بولس تتجلى فى أى مكان آخر قدر تجليها عندما نراه بكل النعمة والمحبة المتدفقة من قلبه يطلب الرحمة لإنسان كان عدوا له . وهكذا يقدم لنا مثلا أعلى للسلوك المسيحى الذى يجب أن نلتزم به عندما نهان أو يساء إلينا من أحد .

١ — إن بولس لم يعتبر الأمر مسألة إهانة شخصية وجهت له . فلم يكن الأمر الذى يهمه هو الإساءة التى جرحت مشاعره الشخصية ولكن الأمر الذى كان حريصاً عليه هو سـلام الكنيسة واستتباب النظام فيها .

هناك بعض الناس الذين يأخذون كل شيء على محمل شخصي . فالنقد مثلا ، حتى إذا كان يوجه في لطف ورفق ، يعتبرونه إهانة وإساءة شخصية . ومثل هؤلاء الناس يصبحون أكثر تشويشاً للسلام في الكنيسة أكثر من أية فئة أخرى. ولعله مما يجدر بنا أن نذكره أن النقد والنصح إنما يقدمان لنا عادة ليس للاساءة إلينا بل لمساعدتنا ؛ ليس لنكف عن الخدمة بل لتكون خداماً أفضل للمجتمع أو للكنيسة .

٢ – إن الدافع الذى كان يحفز بولس إلى ممارسة التأديب لم يكن هو الانتقام بل الإصلاح والتقويم . فهو لم يكن يهدف إلى أن يلقى بانسان أرضاً ، بل أن يساعده على النهوض والوقوف على قدميه . ولم يكن يحكم على إنسان أو يدينه بحسب قواعد ومقاييس العدالة المجردة ، بل بقواعد وأصول المحبة المسيحية . وبعبارة أخرى لم يكن هدفه مجرد عقاب إنسان فعل شراً أو ارتكب إثماً بقدر ما كان هدفه تغيير هذا الإنسان وإصلاحه . وكثيراً ما تكون الخطايا صفات طيبة انحرفت أو أخطأت السبيل .

فالرجل الذى يستطيع أن يدبر خطة ناجحة للسطو والسرقة لابد أن يكون له ذهن قادر على الابتكار والتنظيم . والكبرياء هى نوع من المبالغة فى النزعة الاستقلالية والإحساس بالقدرة على الاعتماد على النفس . والبخل الدنىء الخسيس هو المبالغة فى الاقتصاد . وهكذا دواليك . ولم يكن هدف بولس من التأديب أن يستأصل مثل هذه الصفات التى قد تتوافر فى شخص ما ، بل بالحرى أن يهذبها ويسمو بها ، ويشق أمامها الطريق السليم ليصل بها إلى الأهداف العليا السامية . والواجب المسيحى لا يجعلنا نحاول أن نشل الخاطىء ونكبته ونخضعه حتى يكف عن الأذى ، بل أن نحفزه إلى الصلاح ونشجعه عليه ليصبح قديساً .

٣ — يصر بولس على أن العقاب يجب ألا يصل إلى الدرجة التى تبعث على الفشل وتدفع الرجل إلى هوة اليأس والقنوط . فالمعاملة الخاطئة قد تقذف به نهائياً إلى أحضان الشيطان . والمبالغة فى استعمال القسوة قد تقوده بعيداً عن الكنيسة وشركتها ، بينما قد يعيده إليها ويقومه الإصلاح المترفق الشفوق . فقد كانت معاملة الأم القاسية سبباً فى إصابة « مارى لامب » باختلال العقل . وكانت الإبنة تصيح دائماً « لماذا لم أتمكن من عمل أى شىء يسر أمى ؟ » . واستطاع لوثر بصعوبة أن يصلى الصلاة الربانية لأن أباه كان عنيفاً صارماً معه حتى صارت كلمة أب مرتبطة فى ذهنه بصورة قاتمة من الرعب والفزع . واعتاد بعد ذلك أن يقول : « لا تمنع التأديب عن الولد لأنك إن ضربته بعصا لا يموت — نعم ، هذا صحيح ، ولكن ، إلى جانب العصا ، ليكن معك تفاحة تعطيها له إذا عمل حسناً » . إن العقاب يجب أن يكون مشجعاً لعمل الصواب وليس مثبطاً للهمة . إنه لا ينبغى أن يهدف إلى توليد اليأس الذى يجعل الرجل يبطل وينبذ كل كفاح فى سبيل الصلاح والصواب ، بل ينبغى أن يكون لإيجاد حافز جديد ، ونظرة جديدة تدفع بالرجل إلى كفاح أعظم وأكثر نجاحاً . وهذا لايتأتى إلا إذا كنا ، عندما نعاقب شخصاً ما ، نحرص على أن نبين له بوضوح أننا لا نزال نثق فيه ونحبه .

فى نصرة المسيح

وَلكِنْ لمَّا جِئْتُ إِلى تَرْوَاسَ لأَجْلِ إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ وَٱنْفَتَحَ لِي بَابٌ فى الرَّبِّ . لَمْ تَكُنْ لِي رَاحَةٌ فى رُوحِي لأَنِّى لَمْ أَجِدْ تِيطُسَ أَخِي . لكِنْ وَدَّعْتُهُمْ فَخَرَجْتُ إِلى مَكِدُونِيَّةَ وَلَكِنْ شُكْراً للهِ الَّذِى يَقُودُنا فى مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ

فِى الْمَسِيحِ كلَّ حِينٍ وَيُظْهِرُ بِنَا رائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فى كُلِّ مكانٍ . لأَنَّنَا رائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةُ لِلّهِ فى الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وفى الَّذين يَهْلِكُونَ . لِهٰؤُلاءِ رائِحَةُ مَوْتٍ لِمَوْتٍ ولأُولٰئِكَ رائِحَةُ حَيٰوةٍ لِحَيٰوةٍ . وَمَنْ هُوَ كُفْءٌ لِهٰذِهِ الأُمُورِ . لأَنَّنَا لَسْنَا كالكَثِيرِينَ غاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ لكِنْ كَمَا مِن إخْلاصٍ بَلْ كَمَا مِنَ اللهِ نَتَكَلَّمُ أَمامَ اللهِ فى الْمَسِيحِ .

(٢ كورنثوس ٢ : ١٢ - ١٧)

يذكر بولس فى بداية هذا الفصل كيف أن اهتمامه الشديد بمعرفة ما كان يحدث فى كورنثوس قد جعله قلقاً حتى أنه لم يستطع الانتظار فى ترواس ، مع أن حقل الخدمة هناك كان مفتوحاً وكان خصيباً ، فأسرع لمقابلة تيطس الذى لم يكن قد وصل بعد . وهناك يطلق بولس صيحة الانتصار والشكر لله الذى أتى بكل الأشياء إلى خاتمة سعيدة .

وقد تبدو الأعداد من ١٤ — ١٦ صعبة الفهم عندما نتأملها قائمة بذاتها ، ولكن عندما نتأملها فى ضوء الأرضية الفكرية التى كانت أفكار بولس متأثرة بها فاننا نجد فيها صورة زاهية بهية . إذ يتحدث بولس عن قيادتنا فى موكب نصرة المسيح ؛ ثم يستطرد فيتحدث عن كوننا رائحة المسيح الذكية أمام الناس ، رائحة موت بالنسبة لبعضهم ، ورائحة حياة بالنسبة لأناس آخرين .

وقد كان فى ذهن بولس صورة موكب النصرة الرومانى ، وصورة المسيح باعتباره المنتصر الأعظم فى كل الكون . وقد كان التقدير الحقيقى

والتشريف لقائد رومانى منتصر هو أن يعمل له موكب نصرة . وقبل أن ينال هذا الشرف العظيم يجب أن يكون قد استوفى شروطاً معينة . فلابد أن يكون هو القائد الفعلى المسئول فى ميدان المعركة . ولابد أن تكون الحملة قد انتهت تماماً وأن يكون الهدوء قد ساد المنطقة وأن تكون القوات المنتصرة قد عادت إلى أرض الوطن . ولابد أن يكون خمسة آلاف جندى على الأقل من جنود الأعداء قد سقطوا قتلى فى معركة واحدة . ولابد أن تكون مساحة من الأرض قد أكسبت فعلا وأضيفت إلى ممتلكات الدولة ، ولا يكون الأمر مجرد استرداد لخسارة لحقت أو صد لاعتداء وقع . كما كان يشترط أن يكون النصر الذى تم قد أحرز على عدو أجنبى وليس فى حرب أهلية . وعندما تتوافر الشروط الفعلية لهذا النصر كان موكب القائد المنتصر يسير فى شوارع روما إلى هيكل الكبيتول على النحو التالى :

يسير أولا كبار موظفى الدولة وأعضاء مجلس الشيوخ أو مجلس الأعيان ثم يتبعهم نافخو الأبواق . وبعدهم تحمل الغنائم المنهوبة من البلد المهزوم . فمثلا عندما هزم تيطس القائد الرومانى أورشليم حمل الشمعدان ذات السبعة فروع فى الهيكل ، والمائدة الذهبية ، والأبواق الذهبية — حملت كل هذه الأشياء وطافوا بها فى شوارع روما . ثم كانوا يحملون فى الموكب أيضاً صور البلد المهزوم ونماذج للقلاع والسفن المهزومة . ويتبع ذلك الثور الأبيض الذى كان سيقدم كذبيحة . وبعد ذلك كان يسير الأسرى التعساء ، وأمراء العدو وزعماؤه وقادة جيشه مقيدين بالسلاسل ليزج بهم فى السجن حالا بعد انتهاء الموكب. ثم يسير الموسيقيون حاملين قياثيرهم وأعوادهم ، يتبعهم الكهنة حاملين مباخرهم التى يحترق فيها البخور ذات الرائحة العبقة . وبعد ذلك كله كان يأتى قائد الجيش نفسه واقفاً فى عربة يجرها أربع جياد . وكان يلبس صدريا أرجوانياً مطرزاً بالذهب ومزيناً بنجوم ذهبية . وكان يمسك

فى يده بصولجان من العاج عليه النسر الرومانى ويضع فوق رأسه تاج الإله جوبيتر . وخلفه كانت تركب عائلته . وأخيراً كان يأتى جنود الجيش لابسين كل أوسمتهم ونياشينهم وهم يصيحون صيحة النصر . وهكذا كان الموكب يخترق الشوارع ، والكل يحملون أوسمتهم وأكاليلهم ، وسط الجموع الهاتفة المهللة ، فى يوم النصر العظيم ، ذلك اليوم الذى قد لا يحدث أكثر من مرة واحدة فى العمر . هذه هى الصورة التى كانت فى ذهن بولس .

فهو يرى فى المسيح القائد المنتصر سائراً فى موكب نصرته فى جميع أنحاء العالم ، وهو يرى نفسه سائراً فى موكب نصرته هذا ويؤكد أن هذه النصرة لايستطيع شيء ما أن يعوقها أو يعترض سبيلها . وكما رأينا فى ذلك الموكب كان الكهنة يسيرون بمباخرهم المليئة بالبخور . التى تبعث للقائد وللمنتصرين معه رائحة الفرح والنصرة والحياة ؛ ولكنها فى نفس الوقت كانت بالنسبة للأسرى البؤساء ، الذين كانوا يسيرون على مقربة منهم ، رائحة الموت لأنها كانت تشير إلى هزيمتهم الماضية وإلى حكم الإعدام الذى ينتظرهم . وهكذا كانت فكرة بولس عن الذين كانوا يسمعون الكرازة بإنجيل المسيح المنتصر . منه أو من زملائه الرسل . فبالنسبة للذين يقبلونه ويخلصون هى رائحة حياة ، كما كانت بالنسبة للمنتصرين من الرومان ، وبالنسبة للذين يرفضون هى رائحة موت ، كما كانت بالنسبة للمقهورين المغلوبين . والشيء الواحد الذى كان بولس متأكداً منه ، دون أدنى شك ، هو أنه ليس فى وسع العالم كله أن يهزم المسيح . ولذلك لم يكن يحيا فى خوف متشائم ، بل فى رجاء مجيد يعرف عظمة المسيح التى لا يمكن أن تهزم أو تقهر أبداً .

ثم يعود الصدى الحزين يتردد مرة أخرى فى ختام هذه الآيات . فقد كان هناك من كانوا يقولون عنه إنه لم يكن يصلح للكرازة بالمسيح . بل كان هناك

من يوغل فى سوء النية فيقول عنه إنه كان يستخدم الإنجيل كتجارة، وكوسيلة ليملأ بها جيوبه بالمال . وهنا يستخدم بولس مرة أخرى كلمة «إخلاص». فان دوافعه ونياته لم تكن تخشى مواجهة أشعة الشمس الكاشفة ؛ وكانت إرسالياته من الله ، ولذلك كان مستعداً للفحص الدقيق من المسيح نفسه . إن بولس لم يكن يخاف أبداً مما قد يقوله الناس عنه ، لأن ضميره كان يؤكد له موافقة الله ورضاء المسيح .

الأصحاح الثالث :

كل واحد هو رسالة المسيح

أَفَنَبْتَدِئُ نَمْدَحُ أَنْفُسَنَا أَمْ لَعَلَّنَا نَحْتَاجُ كَقَوْمٍ رَسَائِلَ تَوْصِيَةٍ إِلَيْكُمْ أَوْ رَسَائِلَ تَوْصِيَةٍ مِنْكُمْ . أَنْتُمْ رِسَالَتُنَا مَكْتُوبَةً فى قُلُوبِنَا مَعْرُوفَةً وَمَقْرُوءَةً مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ . ظَاهِرِينَ أَنَّكُمْ رِسَالَةُ الْمَسِيحِ مَخْدُومَةً مِنَّا مَكْتُوبَةً لا بِحِبْرٍ بَلْ بِرُوحِ ٱللهِ الحيِّ . لا فى أَلْوَاحٍ حَجَرِيَّةٍ بلْ فى أَلْوَاحِ قَلْبٍ لَحْمِيَّةٍ .

(٢ كورنثوس ٣ : ١ – ٣)

كانت هناك عادة شائعة فى العالم القديم ، وهى عادة إرسال رسائل توصية مع الأشخاص . فاذا كان شخص ما ذاهباً إلى مجتمع غريب ، فانه كثيراً ما يأخذ معه رسالة توصية من أحد أصدقاءه الذين يعرفون أحد الناس فى ذلك المجتمع ، وذلك ليقدمه إليه أو ليشهد له عن أخلاقه . وهذه الرسائل هى أقرب ماتكون إلى الشهادات أو المراجع التى نعرفها اليوم . ومن أمثلة تلك الرسائل رسالة كتبها شخص يدعى « أوريليوس أرخيلاوس » ، كان جندياً يتمتع بامتيازات خاصة ، إلى « يوليوس دومديوس » الذى كان قائداً لفرقة ومحاميا عسكرياً ، يقدم إليه فيها شخصاً يدعى « ثيون » ويوصيه به . تقول الرسالة : « إلى يوليوس دومديوس المحامى العسكرى وقائد الفرقة من جنديه أوريليوس أرخيلاوس . تحياتى . سبق أن أوصيتكم بصديق ثيون ؛ وهأنذا الآن أيضاً أسألكم ياسيدى أن يحظى برعايتكم وعنايتكم واهتمامكم كما

لو كنتم تفعلون ذلك بى أنا . لأنه رجل جدير بمحبتكم ، إذ أنه ترك أهله وممتلكاته وعمله وتبعنى ؛ وقد بذل الكثير من أجل سلامتى . ولذلك أرجوكم أن تمنحوه حق الحضور لرؤيتكم . وهو يستطيع أن يخبركم بكل شيء عن عملنا . . . . لقد أحببت هذا الرجل . . . . وإنى أتمنى لكم ، ياسيدى ، مع عائلتكم ، سعادة عظيمة وعمراً طويلاً وصحة طيبة . وأرجو أن تكون هذه الرسالة أمام أنظاركم لتذكركم بى . والسلام » . كانت هذه الرسالة عينة من رسائل التوصية التى كان بولس يشير إليها . وهناك رسالة مثل هذه فى العهد الجديد .

فان الأصحاح السادس عشر من الرسالة إلى أهل رومية هو بمثابة رسالة توصية كتبها بولس إلى كنيسة رومية ليقدم إليهم فيبى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا وليوصيهم بها . ولكن أحيانا لم يكن فى العالم القديم ، كما هو الحال فى أيامنا الحاضرة ، لهذه الشهادات أو التوصيات المكتوبة قيمة كبيرة . فقد طلب أحدهم مرة من « ديوجينس »، الفيلسوف الساخر ، رسالة توصية إلى صديق له ، فأجابه « ديوجينس » قائلا : « لأنك رجلا فانك لا تحتاج إلى رسالة توصية ، فان صديقى سيعرف ذلك لأول وهلة ، ولئن كنت رجلا صالحاً أو شريراً ، فانه سيكتشف ذلك إذا كانت لديه القدرة على التمييز بين الخير والشر أما إذا لم تكن له هذه القدرة فانه لن يستطيع أن يكتشف الحقائق حتى لو كتبت له آلاف الرسائل » . ومع ذلك فقد كانت مثل هذه الرسائل مهمة جداً فى الكنيسة المسيحية التى كانت تضم كثيرين من المسيحيين البسطاء الذين يسهل التأثير عليهم ، حتى أن لوسيان الوثنى الساخر ، قال إنه كان من السهل على أى دجال أن يكون ثروة كبيرة من المسيحيين البسطاء السذج .

وقد خشى بولس أن يفهم من عباراته السابقة فى رسالته أنه كان يريد أن يعطى لنفسه شهادة عن نفسه ، فأعلن أنه ليس فى حاجة إلى مثل هذه التوصية .

ثم يلقى نظرة سريعة جانبية على الذين كانوا يسببون المتاعب فى كورنثوس ، فيقول إن هناك قوماً يحتاجون إلى رسائل توصية إليهم أو رسائل توصية منهم ويرجح جداً أنه كان يقصد أولئك الأشخاص الذين أرسلهم اليهود إلى كورنثوس لكى يفسدوا عمل بولس هناك ، وكانوا قد أخذوا معهم رسائل توصية من السنهدريم تفوضهم لهذه المهمة . وقد حدث مرة أن بولس نفسه أخذ مثل هذه الرسائل عندما شرع فى الذهاب إلى دمشق بقصد اضطهاد الكنيسة والقضاء عليها (أعمال ٩ : ٢) . ويقول بولس إن شهادته أو رسالته الوحيدة هى الكورنثيون أنفسهم . فان التغيير الذى حدث فى أخلاقهم وفى حياتهم هى التوصية الوحيدة التى يحتاج إليها .

ثم يستطرد فيسجل إدعاء وطلباً عظيماً ، وهو أن كل واحد منهم هو رسالة المسيح . وقديماً قال «أفلاطون » إن المعلم الصالح لايكتب رسالته بحبر يبهت ، أو بكلمات تعجز عن النطق . ولكنه يفتش لنفسه عن تلميذ نابه ويغرس رسالته فى قلبه وعقله . أى أنه يكتب رسالته على الناس . وهذا ما فعله يسوع . فقد كتب يسوع رسالته على الكورنثيين ، عن طريق خادمه بولس ، ليس بحبر يزول أو يبهت بل بروح الله الحى ، وليس على ألواح من حجر كما كتب الناموس أولا ، بل على قلوب الناس .

وفى هذا الإعلان حقيقة عظيمة ، وحافز ملهم ، وفى الوقت عينه تحذير خطير — وكل إنسان هو رسالة مفتوحة ليسوع المسيح . فكل مسيحى ، سواء أراد أو لم يرد ، هو إعلان للمسيح والمسيحية . أى أن كرامة الكنيسة ، ومجد المسيح يتركزان فى أيدى تابعيه . فنحن نحكم على صاحب الدكان من نوع البضاعة التى يبيعها ، وعلى صاحب الحرفة من نوع الأدوات التى يصنعها ، وعلى الكنيسة من نوع الناس الذين تكونهم ، ولذلك فان الناس يحكمون على

المسيح مما يرونه من حياة سلوك تابعيه . بعد أن ظل « ديك شبرد » سنوات يعظ للناس الذين لم تكن لهم صلة بالكنيسة ، أعلن أنه قد اكتشف أن « أكبر معطل يعرقل الكنيسة فى العالم حولها هو الحياة غير اللائقة وغير المدققة التى يعيشها عدد كبير ممن يزعمون أنهم مسيحيون » . عندما نخرج إلى العالم الكبير حولنا ليكن فينا الإحساس الملهم بالمسئولية الرهيبة التى علينا ، وهى كوننا رسائل مفتوحة ، أو إعلانات ، عن المسيح وكنيسته .

المجد الفائق

وَلٰكِنْ لَنَا ثِقَةٌ مِثْلُ هٰذِهِ بِالْمَسِيحِ لَدَى اللهِ . لَيْسَ أَنَّنَا كُفَاةٌ مِن أَنْفُسِنَا أَنْ نَفْتَكِرَ شَيْئاً كَأَنَّهُ مِن أَنْفُسِنا بلْ كِفَايَتُنَا مِن ٱللهِ . ٱلَّذِى جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ . لا الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ . لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلٰكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي . ثمَّ إِنْ كانَتْ خِدْمَةُ الْمَوْتِ الْمَنْقُوشَةُ بِأَحْرُفٍ فى حِجَارَةٍ قَدْ حَصَلَتْ فى مَجْدٍ حتَّى لَمْ يَقْدِرْ بَنُو إِسْرَائيلَ أَنْ يَنْظُرُوا إلى وَجْهِ مُوسَى لِسَبَبِ مَجْدِ وَجْهِهِ الزَّائِلِ . فَكَيْفَ لا تَكُونُ بالأَوْلَى خِدْمَةُ الرُّوحِ فى مَجْدٍ . لأَنَّهُ إِنْ كَانَتْ خِدْمَةُ الدَّيْنُونَةِ مَجْداً فَبِالأَوْلَى كَثيراً تَزِيدُ خِدْمَةُ البِرِّ فى مَجْدٍ . فإِنَّ الْمُمَجَّدَ أَيضاً لم يُمَجَّدْ مِن هٰذَا الْقَبِيلِ لِسَبَبِ الْمَجْدِ الفَائِقِ . لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الزَّائِلُ

فى مَجْد فَبالْأَوْلى كَثيراً يكُونُ الدَّائِمُ فى مَجْدٍ .

(٢ كورنثوس ٣ : ٤ - ١١)

ينقسم هذا الفصل فى الواقع إلى جزءين . فى بدايته نرى بولس يشعر أن إعلانه عن الكورنثيين أنهم رسالة المسيح الحية بواسطة خدمته هو ، قد يبدو كأنه مدح لذاته . ولذلك نراه يستدرك بسرعة فيؤكد باصرار أن كل مافعله ليس من عمله هو ولكنه من عمل الله . فان الله هو الذى جعله كفءاً للعمل الذى عمله . ولعله وهو يذكر هذا كان يفكر فى إحدى صفات الله العظيمة التى تعود اليهود أن يذكروها ألا وهى كلمة « شداى » أى القدير . فاناليهود كانوا أحياناً يفهمون من هذه الكلمة معنى « الواحد الذى فيه كل الكفاية » وكأن بولس يريد أن يقول إن الله الذى فيه كل الكفاية هو الذى جعله كفءاً لأن يكون خادماً له . وبهذا يرجع كل الفضل إلى الله ، ويؤكد أنه لم يكن سوى أداة متواضعة فى يده تستمد كل كفايتها منه ، وليس لها أى فضل فى ذاتها . فالمجد كله والمدح كله إذاً يجب أن يكون لله .

ولهذا يحاول بولس ألا يلفت الأنظار إلى مافعله هو . ولكنه كان يريد أن المجد لله وحده ، وينسب إليه كل الفضل فلم يتصور فى نفسه أبداً الكفاية الذاتية للقيام بأى عمل ، ولكنه كان دائماً يعتقد أن الله هو الذى يعطيه الكفاية . وهذا هو السبب الذى من أجله لم يخش القيام بأى عمل بالرغم من إدراكه لضعفه الذاتى . إنه كان يعرف أنه لايقوم بالعمل بمفرده ، ولكنه كان يقوم به مع الله .

أما الجزء الثانى من الفصل فانه يتحدث عن التباين بين العهدين القديم والجديد . وكلمة عهد تعنى تدبيراً أو ترتيباً أو اتفاقاً يعقد بين شخصين وبمقتضاه يرتبطان معاً بشركة معينة . ولكن هذه الكلمة بحسب الاستعمال الكتابى لا تعنى اتفاقاً عادياً ، ذلك لأن الأطراف المتعاقدة فى الاتفاق العادى

يكون على قدم المساواة ولكن بحسب المعنى الكتابى لكلمة عهد ، نجد أن الله هو الذى له المبادأة ، وأنه المحرك الأول ، وأنه هو الذى يتقرب من الإنسان ويعرض عليه العلاقة معه والارتباط به بحسب الشروط التى يضعها هو ، والتى لا يمكن للانسان أن يعدل فيها أو يغيرها ، ولكنه يستطيع فقط أن يقبلها أو يرفضها . والكلمة التى يستخدمها بولس بمعنى « جديد » عندما يتكلم عن « العهد الجديد » هى الكلمة عينها التى استخدمها يسوع ، وهى كلمة مهمة جداً لها مغزاها ودلالتها . وتوجد كلمتان فى اللغة اليونانية بمعنى « جديد » . فهناك أولا كلمة نيوس Neos بمعنى « جديد » بالنسبة للمكان والزمان فقط . وهناك ثانياً كلمة كاينوس Kainos التى تعنى ، ليس الجدة بالنسبة للزمان فقط ، بل الجدة بالنسبة للنوع أيضاً . فاذا وصفنا شيئاً ما بكلمة Kainos فمعنى هذا أنه أضاف إلى الموقف أو الوضع الموجود عنصراً جديداً مختلفاً كلياً . وهذه هى الكلمة التى يستخدمها كل من يسوع وبولس عن العهد الجديد . والمغزى فى ذلك هو أن ذلك العهد الجديد ليس جديداً من ناحية الزمان فقط ، ولكن من ناحية نوعه وصفاته فهو ينتج ، ليس مجرد شركة جديدة أو علاقة جديدة بين الإنسان والله فحسب ، ولكنه ينتج أيضاً شركة من نوع مختلف تماماً .

فأين إذاً يوجد ذلك الاختلاف ؟ .

١ ــ لقد كان العهد القديم مؤسساً على وثيقة مكتوبة . ونستطيع أن نجد قصة بداية هذا العهد فى سفر الخروج ٢٤ : ١ ــ ٨ . فقد أخذ موسى كتاب العهد وقرأه فى مسامع الشعب فوافقوا عليه وقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له . أما العهد الجديد فانه مؤسس على قوة الروح الواهب الحياة . الحياة الوثيقة المكتوبة ، أو الكتاب ، أو القانون هو دائماً شىء خارجى ؛ أى أنه يفرض من الخارج على الإنسان الذى يوافق عليه ، بينما عمل الروح

القدس يغير قلب الإنسان نفسه من الداخل . فقد يحرص إنسان ما على طاعة القانون المكتوب بينما هو يرغب فى قرارة نفسه طول الوقت أن يعصاه .

ولكن عندما يدخل الروح القدس إلى قلبه ويتحكم فيه ويسود عليه، فانه لايحرص على عدم مخالفة القانون ظاهراً فحسب ، ولكنه فى قرارة قلبه لا يرغب فى مخالفته ، لأنه قد تغير وأصبح إنساناً جديداً . إن العهد المكتوب أو القانون المكتوب قد يغير تصرفات الإنسان وسلوكه من الخارج ، ولكن الروح القدس وحده هو الذى يستطيع أن يغير قلب الإنسان وطبيعته البشرية .

٢ — كان العهد القديم شيئاً مميتاً . لماذا ؟ ذلك لأنه أنتج علاقة قانونية شرعية بين الله والإنسان . وخلاصة هذه العلاقة كانت : « إذا كنت أيها الإنسان ترغب فى الاحتفاظ بهذه العلاقة ، فلابد أن تنفذ هذه القوانين ، أما إذا كسرتها فان علاقتك بالله ستنقطع وستضيع » . وبذلك أنشأ وضعاً يقف الله فيه بالضرورة موقف القاضى ، بينما يقف الإنسان فيه بالضرورة أيضاً ، ودائماً ، موقف المذنب والمقصر فى قفص المجرمين . كان العهد القديم مميتاً لأنه قتل أشياء معينة .

(أ) لقد قتل الرجاء . فلم يكن هناك أدنى رجاء فى أى إنسان أن يحافظ على ذلك العهد . فبالنسبة للطبيعة البشرية كانت المحافظة على ذلك العهد — ولا تزال — أمراً مستحيلا . ولذلك لم ينتج عن ذلك العهد سوى الخيبة والفشل واليأس .

(ب) وقتل الحياة . فى ظل ذلك العهد لم يتمكن الإنسان من أن يكتسب لنفسه شيئاً سوى الدينونة والعقاب . فلم يكن هناك مفر من أن يدان لفشله فى المحافظة عليه ؛ والدينونة كانت تعنى الموت ؛

(ج) وقتل القوة . لقد أعلن للناس ما كان ينبغى أن يفعلوه ، ولكنه لم

يكن يستطيع أن يساعدهم على عمله . لقد شخص الداء لكنه لم يستطع أن يقدم العلاج ، أما العهد الجديد فكان يختلف عن ذلك تماماً .

١ – لقد كانت العلاقة فيه هي علاقة المحبة . وقد خرج إلى حيز الوجود لأنه هكذا أحب الله العالم .

٢ – وكان علاقة بين أب وأبنائه . فلم يعد الإنسان ذلك المحروم المقصر فى قفص الإتهام ، ولكنه صار ابناً لله ، حتى ولو كان ابناً عاصياً .

٣ – وقد غير حياة الإنسان ، ليس بفرض مجموعة جديدة من القوانين ولكن بتغيير قلبه وجعله إنساناً جديداً .

٤ – ولذلك فهو لم يقتصر على مجرد الإعلان عما ينبغى أن يفعله الناس ، بل أعطاهم القوة لعمله . أى أنه قدم مع الوصايا والتعاليم القوة التى تمكن الناس من اتباعها وتنفيذها .

وهكذا يستطرد بولس فيشرح التباين بين العلاقتين وبين العهدين فيذكر أن العهد القديم قد ولد فى مجد . فعندما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يده وعليهما الوصايا العشر ، التى هى دستور العهد القديم ، كان وجهه يلمع بمجد حتى لم يقدر بنو إسرائيل أن ينظروا إليه (خروج ٣٤ : ٣٠)؛ وواضح أن ذلك المجد كان عابراً ومؤقتاً . فهو لم يدم ولم يكن ممكناً له أن يدوم أو يبقى؛ لأنه ولد لكى يذوى ويزول . ولكن العهد الجديد، الذى هو العلاقة الجديدة التى جعلها يسوع المسيح ممكنة بين الإنسان والله ، فله مجد أعظم ، لأنه يقدم الغفران وليس الدينونة ، الحياة وليس الموت . إنه مجد فائق لن يزول ، وليس كالمجد الزائل الذى بدأ يذوى بمجرد أن بدأ يسطع .

وهنا يجب أن نتنبه إلى تحذير مهم . فان اليهود فضلوا العهد القديم – عهد الناموس والقانون ؛ ورفضوا العهد الجديد – عهد العلاقة الجديدة فى

المسيح . ولم يكن العهد القديم شيئاً رديئاً ، ولكنه كان مرحلة على الطريق . قال أحد المفسرين: « عندما تشرق الشمس ، لا يصبح هناك داع لاستعمال الشموع » . ولكن الخطأ الذى يقع فيه الناس دائماً هو أنهم يصرون على التعلق بالقديم ، بينما يقدم لهم الجديد ما هو أفضل من القديم الذى يتعلقون به . فعندما اكتشف الكلوروفورم مثلا ظل الناس مدة طويلة يحرمون استعماله ظناً منهم أنه يتنافى مع أصول الدين . والناس فى مختلف أنحاء العالم يتمسكون بكل شيء قديم ألفوه واعتادوا عمله ويعتبرون أنه هو الحق والصواب ، أما الشيء الذى لم يسبق عمله فهو فى نظرهم خطأ لا ينبغى ارتكابه أو الوقوع فيه . إننا يجب أن نظل فى حياتنا حذرين لئلا نكون عباد مراحل أو تقاليد معينة . بدلا من أن تكون عيوننا شاخصة دائماً نحو الهدف الأسمى . وعلينا ألا نتمسك بالقديم لمجرد كونه مألوفاً ومعروفاً ، وبذلك نحرم أنفسنا من بركات الجديد الأفضل ؛ كما فعل اليهود الذين أصروا على أن طرقهم القديمة هى الحق ورفضوا الأمجاد الجديدة التى فتحها الله أمامنا .

البرقع الذى يخفى الحقيقة

فَإِذْ لَنَا رَجَاءٌ مِثْلُ هَذَا نَسْتَعْمِلُ مُجَاهَرَةً كَثِيرَةً . وَلَيْسَ كَمَا كَانَ مُوسَى يَضَعُ بُرْقُعاً عَلَى وَجْهِهِ لِكَيْ لا يَنْظُرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى نِهَايَةِ الزَّائِلِ . بَلْ أُغْلِظَتْ أَذْهَانُهُمْ لأَنَّهُ حَتَّى الْيَوْمِ ذَلِكَ الْبُرْقُعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ بَاقٍ غَيْرُ مُنْكَشِفٍ الَّذِي يُبْطَلُ فِي الْمَسِيحِ . لَكِنْ حَتَّى الْيَوْمِ حِينَ يُقْرَأُ مُوسَى الْبُرْقُعُ مَوْضُوعٌ عَلَى

قَلْبِهِمْ . وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَرْجِعُ إِلى الرّبِّ يُرْفَعُ الْبُرْقُعُ . وَأَمّا الرّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ . وَنَحْنُ جَمِيعاً ناظِرِينَ مَجْدَ الرّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ كَمَا فى مِرْآةٍ تَتَغَيّرُ إِلى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنَهَا مِن مَجْدٍ إِلى مَجْدٍ كَمَا مِن الرَّبِّ الرُّوحِ .

(٢ كورنثوس ٣ : ١٢ — ١٨)

إن كل الصور التى تظهر أمامنا فى هذا الفصل تبرز مباشرة من الفصل السابق . فاننا نرى بولس يبدأه بالفكرة أن موسى عندما نزل من الجبل كان المجد الذى على وجهه ساطعاً ولامعاً حتى أن أحداً لم يستطع أن يحملق فيه أو ينظر إليه .

١ — وهو يعود بفكره إلى خروج ٣٤ : ٣٣ . وقد ترجمت هذه الآية فى الترجمة المعروفة باسم The Authorised Version الانكليزية بما يعنى أن موسى وضع برقعاً على وجهه حتى انتهى من الكلام . لكن الترجمة الصحيحة من العبرانية ، وهى الترجمة التى تنبع منها أفكار بولس ، تفيد أن موسى وضع برقعاً على وجهه لما فرغ من الكلام . ويعلل بولس هذا بقوله إن موسى وضع برقعاً على وجهه حتى لا يرى الناس المجد الذى كان مرة على وجهه وهو يذوى ويزول ببطء . ولذلك كان أول ما لاحظه بولس هو أن مجد العهد القديم ، مجد العلاقة القديمة بين الله والناس ، كان فى جوهره مجداً زائلاً . وكان مصيره إلى الزوال ، ليس باعتباره شيئاً خاطئاً ينتهى ليحل محله شىء صواب أو حق ، ولكن باعتباره شيئاً غير كامل ينتهى ليحل محله الكامل أو باعتباره مرحلة على الطريق نحو الهدف النهائى . لقد كان الإعلان الذى جاء به موسى حقيقاً وعظيماً ولكنه كان إعلاناً جزئياً فقط . أما الإعلان

الذى جاء فى شخص يسوع المسيح فهو تام ونهائى وكامل . وقد عبر أغسطينوس عن ذلك تعبيراً حكيماً عندما قال :

« إننا نسىء إلى العهد القديم إذا كنا ننكر أنه يصدر عن نفس الإله العادل والصالح الذى يصدر عنه العهد الجديد . ومن ناحية أخرى نحن نسىء إلى العهد الجديد إذا كنا نضعه فى مستوى العهد القديم . إن العهد القديم هو خطوة نحو المجد ، أما العهد الجديد فهو قمة المجد وذروته .

٢ — إن فكرة البرقع هنا تسيطر على ذهن بولس ، وهو يستخدمها فى طرق مختلفة . فهو يقول إنه عندما ينصت اليهود إلى قراءة العهد القديم ، كما يفعلون كل يوم سبت فى المجمع ، يمنعهم البرقع الذى على عيونهم من رؤية المعنى الحقيقى الأصلى لما يسمعونه . وهذا الذى ينصتون له يشير إلى يسوع المسيح ، ولكن البرقع يمنعهم من رؤية ذلك . ونحن أيضاً قد نفشل فى رؤية المعنى الحقيقى لكلمة الله بسبب الحجاب الذى نغطى به عيوننا :

(أ) فقد تغطى عيوننا بحجاب **التعصب لأفكارنا** . فاننا كثيراً ما نكون لأنفسنا نظريات معينة ونتعصب لها ثم نحاول أن نبحث لها عن الآيات الكتابية التى يمكن أن نستند إليها لإثباتها ، وذلك بدلا من أن نتقدم باتضاع إلى كلمة الله لنتعلم منها ما تريد أن تعلمنا إياه . وبعبارة أخرى ، كثيراً ما نذهب إلى كلمة الله لنحاول أن نجد سنداً ندعم به وجهات نظرنا نحن ، بدلاً من أن نحاول تفهم وقبول الحقائق الإلهية .

(ب) وقد نغطى عيوننا بحجاب التفكير فى **رغباتنا الشخصية** . فاننا كثيراً ما نحاول أن نجد فى كلمة الله ما نرغب نحن أن نجده هناك ، وليس ما هو موجود هناك فعلا . وعلى سبيل المثال ، نحن نفرح ونبتهج لكل الشواهد الكتابية التى تتكلم عن محبة الله ورحمته ، ولكننا نتجاوز أو نتجاهل عمداً كل الشواهد التى تذكرنا بغضبه وقضائه . أى أننا نجدما نريد أن نجده ونهمل ما لا نريد أن نراه .

(ج) وقد نغطى عيوننا بحجاب التفكير المجزأ . ينبغى أن نفهم روح الكتاب ككل أولاً . من السهل أن نأخذ آيات فردية من الكتاب وننتقدها . ومن السهل أن نجد سنداً كتابياً للنظريات الشخصية الخاصة ، وذلك باختيار آيات وفصول معينة وإغفال آيات وفصول أخرى . ولكننا يجب أن نحرص على فهم رسالة كلمة الله ككل لا أجزاء منها فقط . وبعبارة أخرى يجب أن نقرأ كل كلمة الله فى نور يسوع المسيح .

٣ — ولا يقتصر الأمر على البرقع الذى يحجب عن اليهود رؤية المعنى الحقيقى للمكتوب ، ولكن هناك أيضاً برقع يفصلهم عن الله ، ويحول بينهم وبينه .

(أ) قد يكون هذا البرقع ، برقع العصيان . فكثيراً ما يكون العمى الأدبى ، وليس العمى العقلى ، هو الذى يمنعنا من رؤية الله . وإذا تمادينا فى عصياننا لله بعناد وإصرار ، فاننا نفقد شيئاً فشيئاً القدرة على رؤية الله . إن الرؤى الإلهية ومعاينة الله هى لأنقياء القلب .

(ب) وأحياناً يكون برقع الروح غير القابلة للتعلم . وكما يقول المثل الاسكتلندى « لا يوجد بين الناس من هم أكثر عمى من الذين لا يريدون أن يبصروا » . إن أعظم معلم على الأرض لا يستطيع أن يعلم إنساناً جاهلاً لا يرغب فى التعلم ، وفى الوقت نفسه يظن أنه يعلم كل شىء . إن الله أعطانا إرادة حرة ؛ فاذا كنا نصر على السير فى طريقنا الخاص ، فاننا لا نستطيع أن نتعلم طريقه هو .

٤ — ثم يستطرد بولس فيقول إننا ننظر مجد الرب بوجه مكشوف ، ولهذا السبب نتغير نحن أيضاً من مجد إلى مجد . وما يعنيه بولس هنا هو أننا إذا كنا نطيل النظر إلى المسيح فان صورته فى النهاية ستنعكس فينا وتظهر فى حياتنا . فان من ناموس الحياة أننا نصبح مثل الناس الذين نطيل النظر إليهم .

فالناس ، مثلاً ، الذين يطيلون النظر إلى نجوم الأناقة يبدأون فى تقليد أزيائهم . والناس الذين يعشقون أحد الأبطال سرعان ما تنعكس بطولته فى حياتهم. فيقلدونه فى أعماله . وإذا كنا نطيل التأمل فى الله ، وإذا كنا نسير متطلعين وناظرين إلى يسوع المسيح ، وإذا كنا نثبت أعيننا عليه ، فاننا فى النهاية سنجد أننا قد بلغنا مجد الحياة المسيحية التى هى فى الحقيقة انعكاس لشخصيته فينا .

وقد تعرض بولس فى هذا الفصل لأكثر من مشكلة لاهوتية . فهو يقول « الرب الروح » . ويبدو هنا أنه يريد أن يثبت شخصية الرب المقام وشخصية الروح القدس . ويجب أن نذكر أن بولس هنا لم يكن يقصد أن يكتب علم لاهوت ، ولكنه كان يسجل اختباراً . الاختبار المسيحى يؤكد أن عمل الروح وعمل الرب المقام هما عمل واحد . فان القوة ، والنور ، والإرشاد يأتينا من الروح ومن الرب المقام . ولا يهم كيف نعبر عن ذلك ما دمنا نختبره فى حياتنا.

ويقول بولس إنه حيث روح الرب هناك حرية . وهو يعنى بذلك أنه طالما كانت طاعة الإنسان لله محكومة ومشروطة بالطاعة لكتاب ولناموس ، فان الإنسان فى هذه الحالة يكون فى وضع العبد أو الخادم الذى يخدم بدون رغبته . ولكن عندما يعمل الروح فى قلبه ، فان مركز وجوده وكيانه يتغير ، فتصبح رغبته الوحيدة هى أن يخدم الله ويطيعه ، لأن المحبة حينئذ هى التى تدفعه وتربطه وليس الناموس . وهناك أشياء كثيرة نستاء من عملها ، إذا كنا نجبر ، كالخدم ، على عملها ؛ ولكننا نعتبر عملها امتيازاً لنا إذا كنا نؤديها لإنسان عزيز علينا ونحبه ، إن المحبة تلبس أدنى الأعمال وأحقرها ثوباً من المجد . إننا فى خدمة الله نجد حريتنا الكاملة .

الأصحاح الرابع :

الذهن الأعمى

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِذْ لَنَا هَذِهِ الْخِدْمَةُ كَمَا رُحِمْنَا لا نَفْشَلُ بَلْ قَدْ رَفَضْنَا خَفَايَا الْخِزْيِ غَيْرَ سَالِكِينَ فِى مَكْرٍ ولا غاشِّينَ كَلِمَةَ ٱللهِ بلْ بإِظْهَارِ الْحَقِّ مادِحِينَ أَنْفُسِنَا لَدَى ضَمِيرِ كُلِّ إِنْسَانٍ قُدَّامَ اللهِ . وَلَكِنْ إِنْ كَانَ إِنْجِيلُنَا مَكْتُوماً فإِنَّمَا هُو مَكْتُومٌ فى ٱلهالِكِينَ . الَّذِينَ فِيهِمْ إِلٰهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ الَّذِى هُوَ صُورَةُ اللهِ . فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا بَلْ بالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا وَلَكِنْ بأَنْفُسِنَا عَبِيداً لَكُمْ مِن أَجْلِ يَسُوعَ . لأَنَّ اللهَ الَّذِى قَالَ أَن يُشْرِقَ نُورٌ مِن ظُلْمَةٍ هُوَ الَّذِى أَشْرَقَ فى قُلُوبِنَا لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِى وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ .

(٢ كورنثوس ٤ : ١ — ٦)

فى هذا الفصل يتحدث بولس ، صراحة أو تضمينا ، عن أربعة أشخاص مختلفين أو أنواع مختلفة من الناس :

١ — فهو يتحدث أولا عن نفسه ، فيقول إنه لا يفشل أبداً فى الخدمة

العظيمة التي كلف بها وأعطيت له . ويذكر ضمناً أن هناك شيئين يجعلانه يواصل خدمته ويثابر عليها .

(أ) فهناك الإدراك والوعي الكامل بعظمة الخدمة التي يقوم بها : والرجل الذي يدري عظمة خدمته ورسالته ويعيها جيداً يستطيع أن يعمل أشياء عظيمة مذهلة . تعتبر موسيقى « المسيا » التي ألفها هاندل من أعظم روائع الموسيقى التي أنتجتها عبقرية الإنسان في عالم الموسيقى . ومما يذكر أن كل هذا العمل العظيم لم يستغرق لتأليفه وتسجيله أكثر من اثنين وعشرين يوماً ، وأن هاندل خلال هذه المدة كلها لم ينم أو يأكل إلا قليلا . إن العمل العظيم يحمل بين طياته القوة التي تعين الإنسان على عمله وإتمامه .

(ب) وهناك ذكرى الرحمة والمحبة اللتين شملتاه . وكان كل هدف بولس أن يقضي حياته كلها وأن يبذل طاقته كلها في عمل كل ما يمكن عمله لأجل خاطر المحبة التي فدته وخلصته .

٢ — ثم يشير بولس تضمينا إلى خصومه والمفترين عليه . وهنا نسمع مرة أخرى صدى لأشياء مؤلمة . فاننا نستطيع أن نستنتج أن أعداءه كانوا قد وجهوا إليه ثلاث تهم . فقد اتهموه باستخدام أساليب احتيالية ماكرة لتحقيق أهدافه ، كما اتهموه بتزييف رسالة الإنجيل . عندما يساء تفسير نياتناوبواعثنا ، وعندما تفهم أعمالنا على غير المقصود منها ، وعندما تحرف معاني كلماتنا عن معانيها الحقيقية . ليكن عزاؤنا أن نذكر أن هذا أيضاً قد حدث من قبل لرجل عظيم هو بولس نفسه .

٣ — ثم يستطرد بولس فيتحدث عن الذين قد رفضوا قبول الإنجيل . فنراه يصر على أنه كرز بالإنجيل بطريقة تجعل أي إنسان ، لديه أي نوع من الضمير ، أن يستجيب لندائه ودعوته . ولكن بالرغم من ذلك ، كان هناك

من أعاروا نداء الإنجيل أذناً صماء ، ومن عميت أعينهم عن رؤية مجده وجلاله: فماذا يقول بولس عن هؤلاء ؟ إنه يقول عنهم شيئاً صعباً جداً . إنه يقول إن إله هذا الدهر قد أعمى أذهانهم حتى لا يؤمنوا . وكتاب الوحى فى الكتاب المقدس يعلنون أن فى هذا العالم قوة للشر ، وتسمى أحياناً إبليس ، وأحياناً أخرى الشيطان . ويذكر يوحنا ثلاث مرات تحدث فيها يسوع عن « رئيس هذا العالم » وهزيمته (يوحنا ١٢ : ٣١ ، ١٤ : ٣٠ ، ١٦ : ١١) .

ويتحدث بولس فى (أفسس ٢:٢) عن « رئيس سلطان الهواء » ، وهنا نراه يتحدث عن « إله هذا الدهر » . وحتى فى الصلاة الربانية توجد إشارة إلى وجود هذه القوة الشريرة المؤذية : « نجنا من الشرير » . (متى ٦:١٣) . وخلف هذه الفكرة التى تظهر فى العهد الجديد توجد مؤثرات وأصول معينة .

(أ) فالديانة الفارسية المسماة « دين زرادشت » تعتبر الكون كله ميدان معركة بين إله النور وإله الظلام ، بين « ارموزد Ormuzd » و « اهرمان Ahriman » والإنسان ومايقرر مصيره عن طريق الجانب الذى يختاره فى هذا الصراع الكونى . وعندما كان اليهود خاضعين للفرس تأثروا بهذه الفكرة ، ولاشك أنها صبغت تفكيرهم بلونها .

(ب) ومن العقائد الأساسية فى الديانة اليهودية فكرة وجود دهرين : الدهر الحاضر والدهر الآتى . وقبيل بداية المسيحية كان اليهود يعتقدون أن الدهر الحاضر ردىء وشرير ولا علاج له ، وأنه فى قبضة الشرير كلية ، وأن مصيره الخراب والدمار الكامل عندما يبزغ نور فجر الدهر الآتى . ومعنى هذا بعبارة أخرى أن الدهر الحاضر تحت سلطان إله هذا العالم ، وأنه فى عداء وخصومة مع الإله الحقيقى .

(ج) ولكننا يجب أن نتذكر أن هذه الفكرة عن وجود قوة شريرة معادية لله ، ليست فى الحقيقة فكرة لاهوتية بقدر ما هى حقيقة اختبارية. فاننا إذا اعتبرناها مسألة لاهوتية سنجد أنفسنا أمام صعوبات خطيرة . فمن أين نشأت تلك القوة الشريرة فى عالم خلقه الله ؟ وما هو مصيرها النهائى؟ ولكننا إذا اعتبرناها مسألة اختبارية فاننا جميعاً نختبر حقيقة وجود الشر فى عالمناهذا . فهما كانت فكرة وجود قوة للشر صعبة القبول من الناحية اللاهوتية أو من الناحية الفلسفية ، إلا أنها فكرة مقبولة ومفهومة من الناحية الاختبارية . والذين لا يستطيعون أن يؤمنوا بالمسيح أو أن يقبلوا البشارة المسيحية هم أولئك الذين قد أسلموا نفوسهم لشر العالم بحيث أنهم لا يستطيعون أن يسمعوا صوت دعوة الله عندما تقدم لهم . فليس الأمر أن الله قد نبذهم أو منعهم من الإيمان به وقبوله ، ولكن الأمر هو أنهم بسلوكهم الخاص قد أبعدوا أنفسهم عن الله بعيداً .

٤ — ثم يتحدث بولس فى ختام هذا الفصل عن يسوع . وهنا نجد أن الفكرة العظيمة التى أراد أن يبرزها ويؤكدها هى أننا فى يسوع المسيح نرى الله . قال يسوع : « الذى رآنى فقد رأى الآب»(يوحنا ١٤ : ٩) . عندما كان بولس يكرز لم يكن يقول : « انظروا إلى » . ولكنه كان يقول : «انظروا إلى يسوع المسيح ، وفيه سترون مجد الله وقد أتى إلى الأرض فى صورة يستطيع الإنسان أن يراها ويفهمها .

الضيق والنصرة

وَلَكِنْ لَنَا هَذَا الْكَنْزُ فِى أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لِلَّهِ لاَ مِنَّا . مُكْتَئِبِينَ فِى كُلِّ شَيْءٍ لكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِين

مُتَحَيِّرِينَ لَكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ . مُضْطَهَدِين لكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ . مَطْرُوحِينَ لكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ . حَامِلِينَ فى ٱلْجَسَدِ كلَّ حِينٍ إِماتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ لِكَيْ تَظْهَرَ حَيٰوةُ يَسُوعَ أَيضاً فى جَسَدِنَا . لأَنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ نُسَلَّمُ دائِماً لِلْمَوْتِ مِن أَجْلِ يَسُوعَ لِكَىْ تَظْهَرَ حَيٰوة يَسُوعَ أَيضاً فى جَسَدِنَا ٱلْمَائِتِ . إِذاً الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا وَلكِنِ الْحَيٰوةُ فِيكُمْ . فَإِذْ لَنَا رُوحُ الإِيمَانِ عَيْنُهُ حَسَبَ الْمَكْتُوبِ آمَنْتُ لِذَلِكَ تَكَلَّمْتُ . نَحْنُ أَيضاً نُؤْمِنُ وَلِذَلِكَ نَتَكَلَّمُ أَيضاً . عَالِمِينَ أَنَّ الَّذِى أَقَامَ الرَّبَّ يَسُوعَ سَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيضاً بِيَسُوعَ وَيُحْضِرُنَا مَعَكُمْ . لأَنَّ جَمِيعَ الأَشْيَاءِ هِىَ مِنْ أَجْلِكُمْ لِكَىْ تَكُونُ النِّعْمَةُ وَهِىَ قَدْ كَثُرَتْ بالأَكْثَرِين تَزِيدُ الشُّكْرَ لِمَجْدِ اللهِ .

(٢ كورنثوس ٤ : ٧ — ١٥) .

يبدأ بولس هذا الفصل بالاعتقاد أن الامتيازات والأمجاد التى يتمتع بها المسيحى قد تؤدى به إلى الكبرياء . ولكن طبيعة الحياة نفسها قد رسمت بحيث تحفظ الإنسان من هذا الخطأ . فهما بلغت عظمة الامتيازات والأمجاد التى يتمتع بها المسيحى فهو لا يزال إنساناً مائتاً ؛ وهو لا يزال فريسة وضحية للظروف ، وهو لا يزال مورطاً أو غارقاً فى مواقف إنسانية ليس له تحكم فيها أو سيطرة عليها ، ولا يزال فى الجسد المائت بكل ما فيه من ضعفات وآلام . إنه يشبه إنساناً يمتلك كنزاً ثميناً ، ولكن كنزه هذا موضوع فى آنية خزفية ضعيفة ولا قيمة لها . إننا نتحدث كثيراً عن قدرة الإنسان ، وعن القوات

الضخمة الشاسعة التى يتحكم فيها الآن . ولكن الصفة الحقيقية المميزة للانسان ليست هى قوته أو قدرته ، بل هى ضعفه . قال الفيلسوف « بسكل Pascal » « إن نقطة واحدة من الماء أو نسمة واحدة من الهواء تستطيع قتل إنسان » .

وقد سبق أن رأينا كيف كانت النصرة بالنسبة للقائد الرومانى شيئاً عظيماً مجيداً يفتخر به . ولكن كان هناك أمران يعملا فيحفظان القائد الرومانى من الكبرياء . الشىء الأول ، إنه عندما كان يركب المركبة والتاج على رأسه ، لم يكن الجمهور يهتفون ويهللون له فقط ، ولكنهم كانوا ، بين وقت وآخر ينادونه قائلين : « أنظر خلفك وتذكر أنك يوماً ما سوف تموت » . والشىء الثانى إن جنود القائد الخصوصيين كانوا يمشون فى مؤخرة الركب ، وكانوا فى سيرهم يعملون شيئين : كانوا ينشدون الأناشيد فى مدح القائد ، ولكنهم كانوا أيضاً يصيحون بهزل مرتفع وبشتائم بذيئة لكى يحفظوا القائد من خطر الكبرياء والتشامخ .

إن الحياة قد أحاطتنا بالعجز ، مع أن المسيح قد أحاطنا بالمجد ، حتى نتذكر أن العجز هو منا وفينا ، وأن المجد هو من الله وله ، وحتى ندرك أن نعتمد على الله اعتماداً مطلقاً كاملا ، وأن فضل القوة لله لا منا .

ثم يستطرد بولس فيصف هذه الحياة المسيحية التى يمتزج فيها عجزنا بمجد الله ، فى سلسلة من التناقضات الوهمية :

١ – فنحن مكتئبون فى كل شىء لكن غير متضايقين . وقد نتعرض لكل أنواع المآذق والضيقات ، ولكننا فى كل مرة نجد لنا مخرجاً ومنفذاً ؛ إن من مميزات الحياة المسيحية أنها تتصف دائماً بوجود عنصر الرحابة والفرج فمهما كانت ظروف الإنسان ضيقة وصعبة فلا ينبغى أن يشعر أنه محصور أو حبيس . قد يكون جسده حبيساً فى بيئة صعبة أو فى ظروف ضيقة ، ولكن

يجد دائماً منفذاً لروحه يؤدى به إلى رحابة الله وفرجه . قد يكتئب جسده ويتحير لوجوده فى مكان ضيق أو وضيع ، ولكن نفسه تستطيع أن تنطلق إلى فسحة ورحابة الشركة مع المسيح ، وأن تنتصر على ظلام اليأس والكآبة بنور الرجاء والبهجة .

٢ – ونحن مضطهدون من الناس لكن غير متروكين من الله . من أعجب وأعظم ما يذكر عن الشهداء أنهم تمتعوا بأحلى أوقات الشركة مع المسيح فى وسط أمر وأظلم أوقات الاضطهاد . وكما قالت « جان دارك » عندما تخلى عنها الذين كان ينبغى أن يقفوا إلى جانبها : « إنه من الأفضل جداً أن أكون وحيدة مع الله ، فان صداقته المخلصة لا يمكن أن تخيب رجائى ، ومشورته الصالحة لا يمكن أن تخذلنى ، ومحبته الفائقة لا يمكن أن تتنكر لى . واستناداً إلى قوته التى أؤمن أنها معى ، لن أتردد فى أن أظل جسورة جريئة حتى أموت » وكما كتب صاحب المزامير : « إن أبى وأمى قد تركانى والرب يضمنى » (مزمور ٢٧ : ١٠) . ولا يوجد شىء يستطيع أن يغير أمانة الله ووفائه ومواعيده الصادقة .

٣ – ونحن متحيرون لكن غير يائسين . هناك أوقات يتحير فيها المسيحى ولا يعرف ماذا ينبغى أن يفعل ، ولكنه حتى فى مثل هذه الأوقات لا يشك أبداً فى أن شيئاً ما يمكن أن يعمل . هنالك أوقات لا يستطيع المسيحى فيها أن يتبين بوضوح طريق الحياة قدامه ، ولكنه لا يشك فى أن هذا طريق لا يخلو من الرجاء والإبتسام والفرج . وإذا وجد المسيحى نفسه ، وقد أحاطت بها الغيوم من كل جانب ، فانه سيظل واثقاً أنه يستطيع أن يشق طريقه فيها ويعلو فوقها فى الوقت الذى يراه الله مناسباً لخيره ونفعه . وهناك أوقات يتحتم فيها على المسيحى أن يتعلم أصعب الدروس ، وهو كيف أن يتقبل ما لا يستطيع

أن يفهمه . هناك أوقات يصادف المؤمن فيها أشياء لا يستطيع أن يفهمها ، ولكنه يظل منادياً : « يا الله . أنت محبة. وأنا أبني إيماني على هذا الأساس » . إننا فى أحلك أوقات حياتنا وأكثرها إرتباكاً وحيرة ، نستطيع أن نتمتع بحضور المسيح فينا وبشركته المباركة معنا . قد نتحير أحياناً ، ولكن إذا كان المسيح حاضراً فينا ، فاننا لن نكون يائسين أبداً .

٤ — ونحن مطروحون لكن غير هالكين . إن أسمى صفة يتميز بها المسيحى ليست هى أنه لا يسقط ، بل فى كل مرة يسقط فيها يقوم مرة ثانية ، ولا أنه لا يغلب أبداً ، بل أنه لا يهزم هزيمة نهائية . قد يخسر معركة فى حربه مع الشيطان ، ولكنه لن يخسر الحرب كلها أو يهزم هزيمة كاملة . قد يتعثر ولكنه لا يولى الأدبار . قد يسقط ، ولكنه يتعلم من سقوطه كيف يحارب أحسن وأفضل . قد يلقى أرضاً ولكنه سرعان ما ينهض . قد ينام ولكنه سرعان ما يستيقظ ليعاود السهر من جديد .

وبعد أن سجل بولس التناقضات الوهمية العظيمة للحياة المسيحية يستطرد ليذكر سر حياته الخاصة ، والأسباب التى جعلته يستطيع أن يفعل ما فعله ، وأن يبذل ما بذله ، وأن يتحمل ما تحمله .

١ — كان بولس يدرك جيداً أنه إذا كان إنسان ما يرغب فى أن يتمتع بحياة المسيح فيه ، فلا بد أن يشترك أيضاً فى مخاطر هذه الحياة وتضحياتها ، وأنه إذا أراد أحد أن يحيا مع المسيح ، فانه ينبغى أن يكون مستعداً أيضاً لأن يموت مع المسيح . لقد علم بولس قانون الحياة المسيحية الذى لا يلين ولا يتبدل « لا تاج بدون صليب » ، وقبل هذا القانون والتزم به .

٢ — ولقد واجه بولس كل شيء وهو يذكر قوة الله التى أقامت يسوع المسيح من الموت . وقد استطاع أن يتكلم بمثل هذه الشجاعة وبمثل هذه

اللامبالاة بسلامته الشخصية ، لأنه كان يؤمن أنه حتى ولو انتزعه الموت ، فان الإله الذى أقام يسوع المسيح سيقيمه هو أيضاً . لقد كان متأكداً أنه كان يعتمد على قوة فيها كفاية للحياة ، وهى أيضاً أعظم من الموت .

٣ – وقد تحمل كل شىء معتقداً أنه بواسطة آلامه وتجاربه كان يقود آخرين إلى نور الله ومحبته . حينما كانوا يبنون سد « بولدر » العظيم فى أمريكا الذى بفضله تحولت أراض صحراوية شاسعة إلى أراض زراعية تكسوها الخضرة الجميلة ، لم يكن هناك مفر من أن يموت عدد كبير من العمال بسبب الحوادث والكوارث . وعندما تم بناء السد علقت لوحة تذكارية على جدار السد نقش عليها أسماء العمال الذين ماتوا أثناء العمل ، وكتب تحتها : « هؤلاء ماتوا لكى تتحول الصحراء القاحلة إلى أراض خضراء مثمرة » . ولقد استطاع بولس أن يتحمل كل ما تحمله من عناء وتعب لأنه علم أن جهده لم يكن هباء ، وأن الهدف من وراء كل ذلك هو أن يأتى بالآخرين إلى المسيح . وعندما يكون للانسان إقتناع كامل بأن كل ما يحدث له إنما يحدث لأجل خاطر المسيح ، فانه يستطيع أن يواجه أى شىء وأن يتحمل أى شىء .

سر الصبر والتحمل

لِذَلِكَ لا نَفْشَلُ بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا ٱلْخَارِجُ يَفْنَى فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْماً فَيَوْماً . لِأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا ٱلْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقْلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا . وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى ٱلأَشْيَاءِ ٱلَّتِي تُرَى بَلْ إِلَى ٱلَّتِي لا تُرَى لِأَنَّ ٱلَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ وَأَمَّا ٱلَّتِي لا تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ .

(٢ كورنثوس ٤ : ١٦ – ١٨)

يقدم لنا بولس فى هذا الفصل سر الصبر والتحمل :

١ — بمرور الأيام لا بد أن يصيب جسد الإنسان الضعف والوهن ، ولكن بمرور الأيام أيضاً ينبغى أن تظل نفس الإنسان متجددة ونامية . وربما تكون الآلام التى تضعف الإنسان جسدياً هى بعينها التى تقوى نفسه وتبعث فيها الحيوية والنشاط . إن السنين التى تنتزع منا الجمال الجسدى لا بد أن تضيف إلينا الجمال الروحى . وقد تكون الحياة من وجهة النظر الجسدية إنزلاقاً بطيئاً لا مفر منه على المنحدر الذى يؤدى بنا إلى الموت وينتهى بنا فى القبر . ولكنها من وجهة النظر الروحية هى صعود للجبل الذى يرفعنا إلى قمة الشركة مع الله . ومن ثم ينبغى ألا يخشى أحد مرور السنين ، لأنها تقربنا أكثر فأكثر ، لا إلى الموت ، بل إلى الله .

٢ — كان بولس مقتنعاً تماماً بأن كل ما كان يحمله من آلام فى هذا العالم ، لم يكن شيئاً يذكر بالنسبة للمجد الذى سيتمتع به فى العالم الآتى . وكان متأكداً أن الله لا يمكن أن يكون مديناً لأى إنسان ، وأن الآلام والضيقات الأرضية ستنسى عندما نتمتع بالأمجاد السماوية . من الحقائق الجديرة بالذكر فى قصة الإنجيل أن يسوع لم يشر إلى موته أبداً دون أن يشير إلى قيامته . وكل من يتألم لأجل المسيح سينال نصيباً فى مجده . هذه حقيقة تضمنها أمانة الله وصدق مواعيده .

٣ — ولهذا السبب عينه ، يجب أن تكون أنظارنا متطلعة ومثبتة ، لا على الأشياء التى ترى ، بل على الأشياء التى لا ترى . فان الأشياء التى ترى — أشياء هذا العالم — لها زمانها المؤقت ثم تنتهى ، أما الأشياء التى لا ترى — أشياء السماء — فانها تبقى إلى الأبد . وهناك طريقتان ننظر بهما إلى الحياة . فنحن نستطيع أن ننظر إلى الحياة باعتبارها عملية انحطاط بطيئة ولا مفر منها ، أو

تباعد بطيء عن الله . وإذا كنا نفكر فقط فى الأشياء المنظورة ، فان هذا يدل على أننا ننظر إلى الحياة بهذه الطريقة . ولكننا نستطيع أن ننظر إلى الحياة بطريقة أخرى ، وهى أن نتطلع إلى الأشياء التى لا ترى . وهذه هى الطريقة الأفضل طبعاً . قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين عن موسى إنه « تشدد كأنه يرى من لا يرى » (عبرانيين ١١ : ٢٧) وكل من ينظر النور ويظل سائراً نحوه وهو شاخص إليه ، فهو أيضاً يتشدد ويصبر ويتحمل « كأنه يرى من لا يرى » .

السرور والدينونة القادمين

لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنا الأَرْضِيُّ فَلَنَا فِى السَّمَوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ أَبَدِيٌّ . فَإِنَّنَا فِى هَذِهِ أَيضاً نَئِنُّ مُشْتَاقِينَ إِلى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا مَسْكَنَنَا الَّذِى مِن السَّمَاءِ . وإِن كُنَّا لا بِسِينَ لا نُوجَدُ عُرَاةً . فَإِنَّنَا نَحنُ الَّذِين فِى الْخَيْمَةِ نَئِنُّ مُثْقَلِينَ إِذْ لَسْنَا نُرِيدُ أَن نَخْلَعَهَا بلْ أَن نَلْبَسَ فَوْقَهَا لِكَىْ يُبْتَلَعَ المائِتُ مِن الْحَيٰوةِ . ولكِنَّ الَّذى صَنَعَنَا لِهَذِهِ عَيْنِهِ هُو اللهُ الَّذى أَعْطَانَا أَيضاً عُرْبُونَ الرُّوحِ . فَإذا نَحْنُ وَاثِقُونَ كلَّ حِينٍ وَعَالِمُونَ أَنَّنَا وَنَحْنُ مُسْتَوْطِنُونَ فِى الْجَسَدِ فَنَحْنُ مُتَغَرِّبُونَ عَن الرَّبِّ . لأَنَّنَا بالإِيمَانِ نَسْلُكُ لا بالْعِيانِ . فَنَثِقُ وَنُسَرُّ بالأَوْلَى أَن نتغرَّبَ عَن الجسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ . لِذَلِكَ نَحْتَرِصُ أَيضاً مُسْتَوْطِنينَ كُنَّا أَوْ مُتَغَرِّبِينَ أَن نكُونَ مَرْضِيِّين عِنْدَهُ . لأَنَّهُ لا بُدَّ أَنَّنَا جَمِيعاً نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِىِّ الْمَسِيحِ لِينَالَ كُلُّ وَاحِدٍ ما كَانَ بالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ خَيْراً كَانَ أَمْ شَرًّا .

(٢ كورنثوس ٥ : ١ – ١٠)

نرى فى هذا الفصل تدرجاً فى التفكير ذات مغزى كبير ، تدرجاً يعطينا خلاصة تفكير بولس .

١ — يشعر بولس أنه سيكون يوم فرح بالنسبة له عندما يتخلص من هذا الجسد الإنسانى . وهو يعتبره مجرد خيمة ، أو مكان سكنى موقت ، نقيم فيه حتى يأتى اليوم الذى ينحل فيه وندخل المسكن الحقيقى لنفوسنا . وقد سبق أن ذكرنا أن المفكرين اليونانيين والرومان كانوا يحتقرون الجسد . فكانوا يقولون أن « الجسد مقبرة » . وكان بلوتينس يذكر أنه خجل لأنه كان له جسد . وقال ابكتيس عن نفسه إنه « نفس مسكينة تحمل ثقل جثمان ميت » . وكتب سينكا يقول : « إننى كائن أسمى ، وقد ولدت لأشياء أسمى من أن أكون عبداً لجسدى الذى أعتبره قيداً يكبل حريتى ... وفى مثل هذا المنزل الكريه البغيض تسكن النفس الحرة » . وحتى الفكر اليهودى كانت له أحياناً هذه الفكرة عينها . ولكن الأمر بالنسبة لبولس كان مختلفاً . فلم يكن يحلم بسلام يناله بزوال الجسد ، ولم يكن يتطلع إلى حرية الروح المنفصلة عن الجسم ، ولكنه كان ينتظر اليوم الذى سيعطيه الله فيه جسماً جديداً ، جسماً روحانياً ، فيه سيظل قادراً — حتى فى الأماكن السماوية — أن يخدم الله وأن يمجده .

كان يعتبر حياة المستقبل التى يستوطن فيها عند الرب فرصة أعظم وأوسع لخدمة الله حيث تكون الخدمة للجميع لذة وبهجة فى ذاتها ، وليس من أجل مال أو شهرة أو ثناء من الناس . فهو لم يعتبر الأبدية مهرباً إلى العدم والفناء ، أو عتقاً إلى خمول وكسل دائم ، بل مدخلاً إلى حياة جديدة وجسم جديد فيهما يمكن أن تكون الخدمة على الوجه الأكمل .

٢ — ولكن ، بالرغم من شوق بولس وحنينه إلى الحياة المقبلة فهو لا يحتقر هذه الحياة الحاضرة . إنه — كما يقول — يثق ويسر . وسبب هذا هو

أننا ، حتى هنا وفى هذا الزمان نمتلك روح الله القدوس ، والروح القدس هو عربون (٢ كورنثوس ١ : ٢٢) الحياة القادمة . وهكذا كانت عقيدة بولس أننا حتى هنا فى هذا العالم وفى هذا الزمان ، يستطيع المسيحى أن يتمتع مقدماً بلذة الحياة الأبدية . أى أنه يمكن القول بأنه قد أعطى للمسيحى الحق فى أن يكون مواطناً فى عالمين . فهو يضع قدماً فى الزمان الحاضر ويضع الأخرى فى الأبدية . إنه بجسمه على الأرض ولكنه بقلبه فى السماء . ونتيجة لذلك ، ليس له أن يحتقر هذا العالم ، هذا العالم يصبح مكسواً بثوب من المجد الذى هو انعكاس للمجد الأعظم العتيد أن يكون .

٣ – تأتى بعد ذلك ملاحظة فيها عبوسة وتذكير . فان بولس ، حتى عندما كان يفكر فى الحياة القادمة ويشتاق إليها لم ينس أبداً أننا لسنا فى الطريق إلى المجد فحسب ، ولكننا فى الطريق إلى القضاء أيضاً . « لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح » . والكلمة التى يستخدمها بولس هنا لتعنى كرسى القضاء هى كلمة Dema . وربما كان فى ذهن بولس وهو يكتب هذه الكلمات محكمة القاضى الرومانى الذى سبق أن وقف أمامه . أو ربما كان يفكر فى طريقة العدالة اليونانية . فقد كان كل المواطنين اليونانيون مكلفون للقيام بمهمة القضاء أو الأعضاء فى مجلس شورى المحكمة . وعندما كان الرجل الأثينى يجلس للحكم فى قضية ، كان يعطى قرصين من البرونز لكل منهما مدار اسطوانى وكان أحد القرصين أجوف وهذا رمز إلى الدينونة . وكان الآخر أصم وذلك رمز إلى البراءة . وكان يوضع فوق كرسى القضاء Bema وعاءان ، أحدهما من البرونز ، ويضع فيه القاضى القرص الذى يشير إلى حكمه أو فتواه ، والآخر من الخشب ويضع القاضى فيه القرص الذى يرغب فى إبعاده . أى أن القاضى أو عضو مجلس المحكمة كان يسقط فى النهاية فى الوعاء البرونزى ، إما القرص الذى يشير إلى الإدانة أو القرص الذى يشير إلى

البراعة : ولكن بالنسبة لأى ناظر على بعد ، كان القرصان يبدوان متشابهين تماماً . ولم يكن أحد يستطيع أن يخبر بالأحكام التى أصدرها القضاة . ثم كانت الأقراص تحصى وبعد ذلك يعلن الحكم . وهكذا الأمر بالنسبة لنا . فاننا يوماً ما سننتظر حكم الله . وعندما نذكر هذا تصبح الحياة فى نظرنا شيئاً ضخماً ومثيراً ، لأننا منها نصنع مصيرنا أو نفسده ، نحن نكسب تاجاً أو نخسره . وهكذا يصبح الزمن أساس الاختبار بالنسبة للأبدية .

الخليقة الجديدة

فَإِذْ نَحْنُ عَالِمُونَ مَخَافَةِ الرَّبِّ نُقْنِعُ النَّاسَ . وَأَمَّا اللهُ فَقَدْ صِرْنَا ظَاهِرِينَ لَهُ وَأَرْجُو أَنَّنَا قَدْ صِرْنَا ظَاهِرِينَ فِى ضَمَائِرِكُمْ أَيضاً لَسْنَا نَمْدَحُ أَنْفُسَنَا أَيضاً لَدَيْكُمْ بَلْ نُعْطِيكُمْ فُرْصَةً لِلافْتِخَارِ مِن جِهَتِنَا لِيَكُونَ لَكُمْ جَوَابٌ عَلَى الَّذِينَ يَفْتَخِرُونَ بِالْوَجْهِ لا بِالْقَلْبِ . لأَنَّنَا إِنْ صِرْنَا مُخْتَلِّينَ فَلِلهِ . أَوْ كُنَّا عَاقِلِينَ فَلَكُمْ . لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا . إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هَذَا أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ فَالْجَمِيعِ إِذًا مَاتُوا . وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَىْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ بَلْ لِلذِى مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ . إِذًا نَحْنُ مِنَ الآنَ لا نَعْرِفُ أَحداً حَسَبَ الْجَسَدِ . وَإِنْ كُنَّا قَدْ عَرَفْنَا الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ لَكِنِ

ٱلآنَ لا نَعْرِفُهُ بَعْدُ . إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِى الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ . الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ . هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً . وَلَكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ الَّذِى صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ . أَىْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِى الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ وَوَاضِعاً فِينا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ .

(٢ كورنثوس ٥ : ١١ – ١٩)

يرتبط هذا الفصل مباشرة بالفصل الذى سبقه . فقد تحدث بولس فى الفصل السابق عن كرسى المسيح – كرسى القضاء . وقد عاش بولس حياته كلها وفى ذهنه هذه الفكرة عن نهاية الحياة ، ولا يظهر بولس ، بحديثه عن تفكيره هذا ، أنه يحس بالرعب والذعر من المسيح . ولكنه يظهر بالحرى إحساسه بالرهبة والخشوع والخوف الإلهى . إن العهد القديم حافل بفكرة الخوف المطهر . فيقول أيوب : « مخافة الرب هى الحكمة » (أيوب ٢٨ : ٢٨) .

ويتساءل كاتب سفر التثنية « ماذا يطلب منك الرب إلهك ؟ » . ثم يبدأ إجابته عن هذا التساؤل بقوله : « تتقى الرب إلهك » أى تخشاه وتخافه . ويقول سفر الأمثال : « مخافة الرب رأس المعرفة » (أمثال ١ : ٧) و « بدء الحكمة مخافة الرب » (أمثال ٩ : ١٠) و « فى مخافة الرب الحيدان عن الشر » (أمثال ١٦ : ٦) . إن هذا الخوف المقصود هنا ليس كخوف الكلب الذى يخشى جلده بالسوط ، أو كخوف الطفل الذى يحس بالرعب قبل أن يضرب بالعصا ، ولكنه بمثابة الخشوع والاحترام الذى يجعل حتى

الرجل العديم التفكير يمتنع عن تدنيس المكان المقدس أو انتهاك حرمته . إنه الخوف الذى يجعل الإنسان يحجم عن عمل الأشياء التى يعرف أنها تجرح قلب شخص يحبه أو أنها تسيء إلى مشاعره . ويقول صاحب المزامير : « خوف الرب نقى » (مزمور ١٩ : ٩) .

فهناك خوف يطهر وينقى ، وبدونه لا يستطيع الإنسان أن يعيش الحياة التى ينبغى أن يعيشها .

إن ما يحاول بولس هنا أن يقنع الناس به هو إخلاصه وصدق نواياه فهو لا يشك أبداً فى نقاوة يديه وطهارة نواياه فى نظر الله ، ولكن أعداءه قد ألقوا عليها ظلالا من الشك فى نظر الناس . لذلك يرغب فى أن يبين لأصدقائه الكورنثيين إخلاصه ونقاوة دوافعه ونياته . وهو لا يريد أن يفعل ذلك لرغبته فى تبرئة نفسه أو فى مدحها ، ولكن لعلمه أنه إذا تطرق الشك إلى الناس فى إخلاصه فان هذا سيصيب رسالته بالكثير من الأذى والإساءة . ذلك لأن رسالة إنسان ما تسمع دائماً مع قرائن شخصيته وصفاته . ولهذا السبب يجب أن يرقى شخص المعلم وشخص الواعظ فوق مستوى الشبهات . فعلينا إذاً أن نتجنب ، ليس الشر وحسب ، بل حتى مجرد مظهر الشر أو شبه الشر أيضاً ، لئلا يرى الآخرون فينا شيئاً يجعلهم يزدرون ، ليس بأشخاصنا فحسب ، بل أيضاً بالرسالة التى نحملها وننادى بها .

وفى عدد ١٣ نرى بولس يصر على أن يظهر أن مرارة كل تصرفاته وسلوكه دافعاً واحداً فقط — وهو أنه يخدم الله وأن يساعد الكورنثيين ولقد ظن بعضهم أكثر من مرة أن بولس كان مختلا وأنه كان يهذى (أعمال ٢٦ : ٢٤) . وهو بهذا كان يقاسى من سوء فهم الناس له كما حدث مع يسوع (مرقس ٣ : ٢١) . إن الشخص الغيور حقاً والمتحمس لرسالته

يبدو دائماً فى نظر الناس الفاترين كأنه مختل ، ويذكر « كبلنج » ماحدث عندما ركب الجنرال « بوث » السفينة فى أحد الموانىء أثناء جولة عالمية له ؛ فقد ودعه جماعة من القوم الرحل الذين نالوا الخلاص وهم يصيحون ويهللون بالدف والطبول ، وقال كبلنج أنه حينئذ استاء وتضايق كثيراً لما حدث . وعندما صارح الجنرال فيما بعد باستيائه وعدم موافقته على مثل هذه الأشياء قال له الجنرال بوث : « أيها الشاب العزيز ، لو أنهم طلبوا منى أن أقف على يدى وأضرب الدف بقدمى لكى أكسب نفساً واحدة أخرى للمسيح ، لما ترددت فى تعلم ذلك ، وفى عمله » . إن الشخص الغيور الحقيقى لا يعبأ كثيراً بما يظنه الآخرون به ، فاذا سلك أحد المسيحيين الأتقياء الطريق المسيحى فى السخاء ، والغفران ، والوفاء الكامل ، فلابد أن يتصدى له أناس كثيرون ممن يزعمون لأنفسهم الحكمة العالمية ، ويتهمون صراحة باختلال العقل . وقد عرف بولس أنه هناك وقتاً يتحتم فيه السلوك الهادىء العاقل الرزين ، وأن هناك وقتاً آخر يتحتم فيه السلوك والتصرف الذى يبدو فى نظر العالم وكأنه الجنون بعينه . وهكذا كان مستعداً لكل موقف لأجل خاطر المسيح والناس .

ثم يستطرد بولس ليذكر الدافع المحرك للحياة المسيحية كلها . فقد مات المسيح لأجل الجميع . والمسيحى فى نظر بولس ، وبحسب عبارته المحببة إليه ، هو فى المسيح ؛ ولذلك فان النفس أو الذات القديمة للمسيحى قد ماتت فى ذلك الموت ، وقد قام هو إنساناً جديداً تماماً ، كما لو أن يد الله قد خلقته من جديد . وفى جدة الحياة هذه يكتسب المسيحى مجموعة جديدة من المستويات والمقاييس . فهو لايعود يحكم على الأشياء بالمستويات والمقاييس عينها التى يستخدمها العالم . وهو لا يعود يسبغ على الأشياء القيم عينها التى يضفيها العالم عليها . فقد كان بولس قبلا يحكم على يسوع المسيح بحسب المقاييس البشرية ، وفى ذلك الوقت كان يحاول أن يمحو إسمه من الأرض ،

وأن يقضى على أتباعه ، فيزيل الإيمان المسيحى من العالم . ولكنه الآن لا يحاول ذلك ؛ إذ أن مقاييسه أصبحت تختلف عما كانت قبلا . الآن ، أصبح شخص يسوع المسيح الذى كان يريد قبلا أن يمحو إسمه من ذاكرة الناس ، أعظم وأعجب شخص فى العالم ؛ لأنه هو الذى كسب له الصداقة مع الله ، التى كان طوال حياته يتوق للحصول عليها ولم يتمكن ؛ ولكنه وجدها الآن فى شخصه .

سفراء عن المسيح

إِذاً نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا . نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ . لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِى لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً خَطِيَّةً لأَجْلِنَا لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فيهِ . فَإِذْ نَحْنُ عَامِلُونَ مَعَهُ نَطْلُبُ أَنْ لا تَقْبَلُوا نِعْمَةَ اللهِ باطِلاً . لأَنَّهُ يَقُولُ . فى وَقْتٍ مَقْبُولٍ سَمِعْتُكَ وَفى يَوْمِ خَلاصٍ أَعَنْتُكَ . هُوَذا ٱلآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ . هُوَذا ٱلآنَ يَوْمَ خَلاصٍ

(٢ كورنثوس ٥ : ٢٠ – ٦ : ٢)

هنا نرى أن المركز الذى وصل إليه بولس ، وكان يعتبره فخره الوحيد ورسالته الأساسية ، هو مركز سفير للمسيح . والكلمة اليونانية التى يستخدمها بولس هنا هى كلمة Presbeuein . وهى كلمة عظيمة كانت تستخدم فى اليونانية لتشير إلى معنيين . وكانت الكلمة اللاتينية التى ترجمت إليها وهى كلمة Legatus تستخدم أيضاً لهذين المعنيين :

١ — كانت الأقاليم أو الولايات الرومانية تنقسم إلى نوعين . النوع الأول

كان يخضع خضوعاً مباشراً لمجلس الشيوخ أو الأعيان ، والنوع الآخر يخضع لسلطان الأمبراطور مباشرة وكان التميز بين النوعين على هذا الأساس : كانت الولايات المسالمة التى لم يكن بها قوات من الجيش تتبع مجلس الشيوخ ، أما الولايات الأخرى التى كانت الأحوال فيها خطيرة والتى كانت تحتفظ فيها الدولة بقوات من الجيش للسيطرة عليها وحفظ الأمن بها فكانت تتبع الأمبراطور مباشرة . وكان الممثل الشخصى الذى يحكم هذه الولايات نيابة عن الأمبراطور يسمى Legatus أو باليونانية Presbeutes ولذلك فان هذه الكلمة تصور لنا رجلا يحمل تفويضاً أو تكليفاً مباشراً من الأمبراطور . وقد اعتبر بولس نفسه مفوضاً أو مكلفاً من يسوع المسيح لعمل الكنيسة .

٢ — ولكن لكلمتى Presbeutes و Legatus معنى آخر أكثر أهمية وجدارة بالتأمل . فهما تعنيان البعثة أو الرسل الذين يرسلهم مجلس الشيوخ أو الأعيان الرومانى ليضعوا مع القائد المنتصر شروط السلام للشعب المهزوم فى القطر الذى يقرر المجلس اعتباره ولاية رومانية ، وليحددوا حدود الولاية الجديدة ، وليضعوا دستوراً لإدارتها ؛ ثم يعودون ليرفعوا للمجلس تقريراً عما فعلوه حتى يصدق المجلس عليه . أى أن هؤلاء الرسل كانوا الرجال المسئولين عن ضم أناس جدد إلى عائلة الإمبراطورية الرومانية . وهكذا يعتقد بولس عن نفسه أنه رجل مرسل إلى الناس ليقدم لهم عرض الله وشروطه التى يستطيع الناس بها أن يصبحوا مواطنين فى أمبراطورية الله وأعضاء فى العائلة السماوية .

وليس هناك مركز أكثر أهمية ومسئولية من مركز السفير .

١ — فالسفير « المصرى » مثلا هو مواطن مصرى فى بلد أجنبى . وهو يقضى حياته بين أناس يتكلمون عادة لغة تختلف عن لغته ، ولهم تقاليد تختلف عن تقاليده ، ولهم أسلوب فى الحياة يختلف عن أسلوبه . وهكذا المسيحى دائماً

فهو يعيش فى العالم ، وهو يشترك فى كل حياة وأعمال العالم ؛ ولكنه مواطن سماوى : وإلى ذلك الحد هو غريب . فالمسيحى يعيش دائماً فى عالم يعتبر بالنسبة له أجنبياً وغريباً . والإنسان الذى لا يرضى أو يرغب فى أن يكون مختلفاً عن العالم لا يمكن أن يكون مسيحياً .

٢ – والسفير يتكلم نيابة عن بلده . فعندما يتكلم السفير « المصرى » فى مكان ما فان صوته هو صوت مصر . أى أنه يعبر عن رسالة مصر وسياستها وقراراتها . وهناك أوقات ينبغى أن يتكلم المسيحى فيها نيابة عن المسيح . فى كل القرارات والمشورات العالمية يجب أن يكون صوته ورأيه معبرين عن رسالة المسيح وكلمته فى الأوضاع والمواقف الإنسانية كافة .

٣ – وشرف بلدما وسمعته يتوقف على سفيرها . فان الناس يحكمون على بلده بما يرونه فى شخصه . فهم ينصتون إلى كلامه ، ويراقبون أعماله ، ثم يقولون « هذه هى الطريقة التى يتكلم بها أهل بلده ويتصرفون » . قال « لا يتفوت » – أسقف ضرهام العظيم – فى خطاب رسامة « إن السفير لا يتصرف كوكيل لدولته فقط ، ولكنه أيضاً كممثل لها . . . إن واجبه ليس أن يبلغ أو يوصل رسالة محددة ؛ أو أن ينفذ سياسة محددة وحسب ؛ ولكنه ملتزم بأن يراقب الفرص ، وأن يدرس الشخصيات ، وأن يتخير الوسائل حتى يقدم رسالته لسامعيه فى أجمل صورة ممكنة » . إن مسئولية السفير العظمى هى أن يقدم للناس الذين يوجد بينهم صورة مشرقة لبلاده ، تجعل الجميع يمدحونها ويشيدون بها . وهذا هو الامتياز العظيم الذى يفخر به المسيحى ، وهو أيضاً مسئوليته الخطيرة الرهيبة . فان مجد المسيح والكنيسة أمانة فى يديه ، فبكل كلمة يقولها وبكل عمل يقوم به يستطيع أن ينال مدح الناس أو ذمهم للكنيسة التى هو عضو فيها ، وللسيد الذى هو ملك له ، والذى يجب أن يتطلع دائماً إلى خدمته .

ولابد أن نذكر مضمون رسالة بولس : « تصالحوا مع الله » . إن العهد الجديد لا يتحدث أبداً عن تصالح الله مع الناس ، ولكنه يتحدث دائماً عن تصالح الناس مع الله . إذ ليست المسألة تهدئة أو مصالحة إله غاضب . فان كل عملية الخلاص قد بدأت من جانب الله . فهو قد « أحب » العالم وأرسل إبنه . إذاً فحقيقة الأمر ليس أن الله قد أنفصل عن الإنسان وتخاصم معه ، بل إن الإنسان هو الذى انفصل عنه ونفر منه . وليس الله هو الذى أقام الحواجز بينه وبين الإنسان ، ولكن الإنسان هو الذى فعل ذلك . ورسالة الله ، الرسالة التى حملها بولس ، كانت عبارة عن نداء من الآب المحب يناشد الأولاد الضالين المخطئين والنافرين البعيدين ، أن يعودوا إلى البيت حيث تنتظرهم المحبة المشتاقة الغافرة .

ويطلب بولس منهم ألا يقبلوا نعمة الله باطلا . فليس هناك مأساة أكثر إيلاماً وإحزاناً من مأساة رفض النعمة وإحباط مسعاها ، فهى مأساة الأبدية . ولكى نقرب الفكرة إلى أذهاننا ، لنفكر فى الأمر بصورة إنسانية . هب أن أباً يضحى ويتعب ويشقى لكى يقدم لابنه كل فرصة طيبة فى الحياة ، وهو يحيطه بكل إعزاز ، ويغدق عليه كل حب ، فيخطط لمستقبله بعناية واهتمام بالغ ، ويفرغ كل ما فى جعبته ليعده للحياة وليزوده بكل ما يحتاج إليه . ثم هب أن هذا الإبن لم يشعر نحو أبيه بأى دين أو عرفان بالجميل . ولم يحاول أن يثبت له جدارته بكل هذا . ثم ينحرف عن الطريق السوى ، ويمضى يعبث فى استهتار وعدم مبالاة ، ويختط لنفسه طريقاً خاصاً لا يرعى فيه مسئولية أو واجباً . ألا ينكسر قلب الأب ويحزن لتصرفات ابنه هذه ؟ هذا هو لب المأساة وجوهرها . فعندما يعطى الله كل نعمته للناس ، فاذ بالناس يسلكون فى طرقهم الخاصة بطياشة وحمق ، ويخيبون أمل النعمة التى كان يمكن أن تجدد حياتهم وتنعشهم وترفع من شأنهم ومصيرهم — عندئذ ينكسر قلب الله وكأن المسيح يصلب ثانية .

عاصفة من الشدائد والضيقات

وَلَسْنَا نَجْعَلُ عَثْرَةً فِي شَيْءٍ لِئَلاَّ تُلاَمَ الْخِدْمَةُ . بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخُدَّامِ اللهِ فِي صَبْرٍ كَثِيرٍ فِي شَدَائِدَ فِي ضَرُورَاتٍ فِي ضِيقَاتٍ . فِي ضَرَبَاتٍ فِي سُجُونٍ فِي اضْطِرَابَاتٍ فِي أَتْعَابٍ فِي أَسْهَارٍ فِي أَصْوَامٍ . فِي طَهَارَةٍ فِي عِلْمٍ فِي أَنَاةٍ فِي لُطْفٍ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي مَحَبَّةٍ بِلاَ رِيَاءٍ . فِي كَلاَمِ الْحَقِّ فِي قُوَّةِ اللهِ بِسِلاَحِ الْبِرِّ لِلْيَمِينِ وَلِلْيَسَارِ . بِمَجْدٍ وَهَوَانٍ بِصِيتٍ رَدِيءٍ وَصِيتٍ حَسَنٍ . كَمُضِلِّينَ وَنَحْنُ صَادِقُونَ . كَمَجْهُولِينَ وَنَحْنُ مَعْرُوفُونَ . كَمَائِتِينَ وَهَا نَحْنُ نَحْيَا . كَمُؤَدَّبِينَ وَنَحْنُ غَيْرُ مَقْتُولِينَ . كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِماً فَرِحُونَ . كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ . كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ .

(٢ كورنثوس ٦ : ٣ — ١٠)

فى كل فرص الحياة وتقلباتها كان لبولس إهتمام واحد فقط ، وهو أن يظهر نفسه كخادم مخلص ونافع ليسوع المسيح . وعندما ينسب إلى نفسه هذا كان يعود بذهنه إلى ما دعاه القديس يوحنا فم الذهب « عاصفة من الشدائد والضيقات » التى واجهها والتى كان لا يزال يكافح فى وسطها ولاشك أن كل كلمة وردت فى هذه القائمة الضخمة ، التى سماها أحدهم « لحن رسالة الخلاص » ، لها صورتها وأساسها فى حياة بولس المليئة بالمخاطرات .

ويبدأ الرسول القائمة بشعار النصرة فى الحياة المسيحية — وهى الصبر . وهذه الكلمة فى الأصل اليونانى ليس من السهل ترجمتها فهى لا تعنى حالة الإنسان عندما يجلس مضموم اليدين خافض الرأس مستسلماً لسيل الضيقات والمتاعب التى تكتسح تفكيره وتستولى على ذهنه . ولكن تصف القدرة على تحمل الأشياء ومواجهتها بطريقة منتصرة ، فتتمكن من أن تغير شكلها وتحولها إلى أشياء جديدة . وقد كتب الذهبى الفم يقرظ هذا الصبر المسيحى المنتصر ويثنى عليه فقال : « إنه أصل كل الأشياء الصالحة ، وهو أم التقوى ، والثمرة التى لا تذبل ، والقلعة التى لا تقهر ، والميناء الذى لا تعرف العواصف إليه سبيلا » وهو يسميه « ملك الفضائل ، وأساس كل الأعمال الصائبة ، إنه السلام فى وسط الحرب ، والهدوء والسكينة فى قلب العاصفة ، والأمان الكامل فى وسط المكائد والمؤامرات » . إن الصبر المسيحى هو المقدرة الباسلة الغلابة التى تمكن الإنسان من تحمل كل الأشياء دون أن ينحنى لها أو تخور قواه فيها ، وهو القوة التى يستطيع بها أن يهلل للمجهول ، وأن يواجه غير المنظور بابتسام وثقة . إنه الكيمياء العجيبة التى تحول الضيق إلى قوة ومجد .

ثم يستطرد بولس فيتحدث عن ثلاث مجموعات ، كل منها يشمل ثلاثة أشياء ، يظهر فيها هذا الصبر المنتصر :

١ — فهناك الصراعات الداخلية للحياة المسيحية .

(أ) الشدائد : والكلمة التى يستخدمها بولس هنا هى كلمة ثليبسيس thlipsis ؛ وكما سبق أن رأينا ، تعنى هذه الكلمة فى اليونانية الضغط المادى المحض الذى يقع على الإنسان . وهناك أشياء تثقل روح الإنسان وتضعف قواه المعنوية ، كالأحزان التى تجثم على قلبه كحمل ثقيل ، وأسباب الفشل التى تكاد تنتزع الحياة منه وتسحقه سحقاً ، ومطاليب الحياة المادية وضغطها عليه . ولا يستطيع أن يصمد فى مواجهة هذا كله سوى الصبر المسيحى الغلاب .

(ب) الضرورات : هناك أحمال معينة يمكن للانسان أن يهرب منها وأن يتجنبها ، ولكن هناك أحمالا أخرى لا يمكن الهروب منها . هناك أشياء معينة لابد أن يتحملها كل من ينتمي إلى الجنس البشرى . ومن أعظم هذه الأشياء الحزن ، لأن الحياة التي لا تعرف الحزن هي الحياة التي لم تعرف المحبة . وهناك الموت الذى لا مهرب منه لأى إنسان . إن الصبر المسيحي المنتصر هو الذى يمكن الإنسان من مواجهة كل ما يتعلق به أو يصيبه كانسان .

(ج) الضيقات : والمعنى الحرفى للكلمة التي يستخدمها بولس هنا هو المكان الضيق جداً . ويمكن أن تستخدم مثلا لتصف مضيقاً صخرياً حرجاً يقع فيه جيش ما ، فلا يستطيع الهروب ولا هو يستطيع المقاومة . ويمكن أن تستخدم أيضاً لتصف سفينة فاجأتها العاصفة فلم تدع لها فرصة للنجاة ، ولم تستطع السفينة الإفلات منها . وفى الحياة أوقات يشعر فيها الإنسان بأن الدنيا قد ضاقت فى وجهه وأحكمت عليه الخناق . وقد يميل الإنسان فى مثل هذه الأوقات إلى نوع من اليأس والكآبة الروحية ، إذ يبدو له أن كل منافذ الحياة قد سدت أمام وجهه . ولكن ، حتى فى مثل هذه المواقف والظروف الضيقة ، يستطيع الصبر المسيحي أن يجعل الإنسان يسمو فوقها ويتمتع بالحرية والانطلاق ، واثقاً أن فى رحابة السماء وفسحتها متسعاً للرجاء والانتظار والأمل .

٢ — وهناك ضيقات الحياة وشدائدها الخارجية .

(أ) الضربات : ولم تكن الحياة المسيحية بالنسبة لبولس آلاماً روحية فقط ، ولكنها كانت أيضاً آلاماً جسدية . ومن الحقائق البسيطة والواضحة أنه لولا الذين كانوا مستعدين وقادرين على تحمل الألم والتعذيب والاضطهاد بالنار وبالوحوش المفترسة ، لما كنا اليوم ننعم بالحياة المسيحية . ولا تزال هناك إلى

يومنا هذا بلاد يعانى فيها المسيحيون آلاماً جسدية . وستظل عبارة « دم الشهداء بذار الكنيسة » حقيقية دائماً .

(ب) السجون : يذكر أكليمندس الرومانى أن بولس دخل السجن مالا يقل عن سبع مرات ويتبين لنا من سفر الأعمال أن بولس ، قبل أن يكتب رسالته إلى الكورنثيين ، كان فى سجن فيلبى ، وبعد أن كتب الرسالة دخل السجن فى أورشليم ، ثم فى قيصرية ثم فى رومية . إن موكب المسيحيين الذين دخلوا السجن بسبب مسيحيتهم يمتد من القرن الأول إلى القرن العشرين . وقد كان هناك دائماً الذين يرحبون بأن يتخلوا عن حريتهم إذا لزم الأمر ، ولكنهم لم يكونوا ليقبلوا أبداً أن يتخلوا عن إيمانهم .

(ج) الاضطرابات : مراراً وتكراراً نجد أمامنا صورة المسيحى وهو يواجه ، ليس شدة القانون أو صرامته ، بل عنف الغوغاء وقسوتهم . إن السوقة والغوغاء الذين يندفعون فى أعمال العنف والقسوة ، دون أن يجدى معهم أى جهد للتفاهم والإقناع ، هم فى أغلب الأحيان أعداء المسيحية . وليس العنف هو الموقف الذى يجب أن يجابه المسيحى ويثبت أمامه فى عصرنا هذا ، بل هو سخرية الغوغاء وهزؤهم وتندرهم باحتقار المسيحى والازدراء به .

٣ — وكانت هناك جهود الحياة المسيحية .

(أ) الأتعاب : والكلمة التى يستخدمها بولس هنا تكاد تكون اصطلاحاً فنياً مميزاً للحياة المسيحية فى العهد الجديد . فهى تصف التعب الذى يصل إلى حد الإعياء المتناهى ، التعب الذى ينتزع من الإنسان كل ما يستطيع أن يبذله من جسده وعقله وروحه . إن المسيحى هو العامل الذى يعمل ويتعب لأجل الله .

(ب) الأسهار : كان بولس يقضى لياليه أحياناً فى الصلاة ، وأحياناً

أخرى فى اضطرابات وأخطار حيث كان النوم مستحيلا . لقد كان فى كل الأوقات مستعداً لأن يكون الديدبان أو الحارس الذى لا ينام لأجل المسيح .

(ج) الأصوام : ولا شك أن بولس هنا لم يكن يقصد الأصوام المقصودة أو المتعمدة باختياره ، ولكنه كان يقصد الأوقات التى اضطر فيها أن يمضى جائعاً لأجل عمل الله . ما أبعد الفرق بين روح بولس هذه وروح الرجل الذى لايقبل أن تفوته وجبة واحدة من الطعام إذا لزم الأمر لكى يحضر اجتماعاً للعبادة فى بيت الله .

ثم يتحول بولس من الحديث عن الضيقات والتجارب التى انتصر عليها بصبره ، إلى الحديث عن إعداد الله له للحياة المسيحية . وهنا أيضاً يرتب حديثه ويقسمه إلى ثلاث مجموعات تشمل كل منها ثلاثة أشياء .

١ — فهنالك الصفات التى يعطيها الله للعقل .

(أ) الطهارة : والكلمة التى يستخدمها بولس هنا كان اليونانيون يعنون بها « التجنب الحريص لكل الخطايا التى هى ضد الآلهة » . ويمكن تعريفها بأنها « الحذر فى أعلى درجة من درجات التوتر » ، أو هى « التحرر من كل ما يلطخ الجسد والروح » وهذه هى الصفة التى تمكن الإنسان من الدخول إلى محضر الله ذاته . إن الحياة المطهرة وحدها هى الحياة التى تستطيع أن تلد وتنتج الرسالة العظيمة . إن البساطة المقهقهة من إنسان قديس تفوق بكثير الكياسة السلسة المنطلقة من لسان إنسان محب للعالم وشهواته .

(ب) العلم : والعلم المقصود هنا يعرف بأنه « العلم بالأشياء التى ينبغى عملها » . هو العلم الذى لا يظهر فى دقائق الحقائق اللاهوتية ولكن فى أعمال المسيحى وتصرفاته .

(ج) الأناة : وهذه الكلمة تشير فى العهد الجديد عادة إلى « الأناة مع

الناس » أى القدرة على تحمل الناس حتى إذا أخطأوا أو انحرفوا ، وحتى إذا كانوا قساة مهينين . إنها كلمة عظيمة . جاء فى سفر المكابيين الأول(٨ : ٤) أن الرومان قهروا العالم « بصبرهم وأناتهم » . فهذه الكلمة تعبر عن الروح التى لا تقهر أبداً ، والتى لا تقبل السلام إطلاقاً إذا كانت الهزيمة ثمناً له . إن « الأناة » هى صفة الرجل الذى قد يخسر معركة ما و لكنه لا يمكن أن يستسلم أو يقبل الهزيمة فى الحرب كلها .

٢ — وهناك الصفات التى يعطيها الله للقلب .

(أ) اللطف : واللطف هو من أعظم الكلمات الواردة فى العهد الجديد إنه عكس العنف والشدة . وقد وصفه أحد كبار المفسرين بأنه « الرفق الذى يواسى الآخرين ، وعذوبة المزاج ورقة الطبع التى تجعل الآخرين يحسون بالراحة والتى تحجم عن أن تسبب الألم لهم » . ومن أعظم الأمثلة على ذلك سلوك إسحق الذى تجنب النزاع ورفض أن يلجأ إلى الحرب (تكوين ٢٦ : ١٧ — ٢٢) . إن اللطف هو الصفة التى تجعل صاحبها يفكر فى الآخرين أكثر جداً من تفكيره فى نفسه .

(ب) الروح القدس : لقد أدرك بولس جيداً أنه لا يمكن قول أية كلمة نافعة أو عمل أى شىء صالح إلا بمعونة الروح القدس . ولكن هذه العبارة قد لا تعنى « الروح القدس » بل « روح القداسة » ، أى أن روح بولس نفسها كانت روحاً مقدسة ، أو أن الدافع الداخلى الذى كان يهيمن على بولس ويدفعه إلى العمل ، كان دافعاً مقدساً — دافعاً موجهاً فقط نحو مجد الله وخدمته .

(ج) محبة بلا رياء : والكلمة التى يستخدمها بولس بمعنى المحبة هنا هى كلمة agape ، وهى كلمة لها دلالتها الخاصة فى العهد الجديد . فهى تعنى حب الخير والنية الصالحة التى لا تقهر أبداً . إنها تعنى الروح التى تطلب دائماً

مصلحة الآخرين العليا بغض النظر عما يفعلون ، والتى لا تحلم أبداً بالانتقام، أو بالثأر ، بل تقابل كل الإساءات والإضطهادات بمحبة الخير لا تيأس ولا تهزم أبداً .

٣ ــ وهناك اللوازم أو المعدات التى يعطيها الله للقيام بعمل الكرازة بالإنجيل .

(أ) كلام الحق : لقد علم بولس أن يسوع لم يعطه فقط إنجيلا ينادى به ويكرز ، بل أعطاه أيضاً القوة والمقدرة على المناداة والكرازة . فهو إذاً كان مديناً لله بالكلمة وبالقدرة على النطق بها وإعلانها .

(ب) قوة الله : وهى بالنسبة لبولس كانت كل شىء . فالقوة الوحيدة التى كانت له هى قوة الله . فما كان بولس ليقول أبداً فى كبرياء : « أنافعلت هذا » بل كان لسان حاله دائماً بكل تواضع : « الله هو الذى مكننى من عمل هذا » .

(ج) سلاح البر لليمين ولليسار : وهذا يعنى سلاحاً للدفاع وسلاحاً للهجوم . كانت اليد اليمين تمسك بالسيف أو بالرمح ، بينما كانت اليسار تمسك بالترس . وما يعنيه بولس هنا هو أن الله قد أعطاه القوة للمبادرة بالقيام بعمله ورسالته ، كما أعطاه القوة أيضاً ليدفع عن نفسه أية تجربة .

ويكمل بولس هذا الفصل بسلسلة من الأشياء المتباينة ، فيبدأ بالتباين أو الفرق بين « المجد والهوان » . . . والكلمة التى يستخدمها بولس هنا بمعنى « هوان » هى الكلمة التى تستعمل عادة فى اليونانية لتعنى فقدان الفرد لحقوقه كمواطن . وكأن بولس يريد أن يقول : « قد أفقد كل الحقوق والامتيازات التى يمكن أن يمنحها العالم لى ، ولكنى لا أزال مواطناً فى مملكة الله » . ثم يقول إنه فى « صيت ردىء وصيت حسن » . فقد كان هناك أولئك الذين ينتقدون كل عمل يقوم به ، والذين يكرهون إسم بولس ذاته ، ولكن صيته مع الله لا غبار عليه .

وكان هناك أولئك الذين يظنونه مخادعاً ويقولون عنه إنه دجال وأفاك متجول . ذلك ما كان يقوله الآخرون عنه ويتهمونه به ، ولكنه كان يعلم أن رسالته هي الحق الإلهي . وهو يقول إنه « مجهول ومع ذلك فهو معروف جيداً » . لقد قال عنه اليهود الذين كانوا يفترون عليه إنه كان إنساناً لا وزن له ولم يسمع به أحد ، ولكنه بالنسبة للذين قدم المسيح لهم كان معروفاً حقاً ، بالشكر والعرفان بالجميل . لقد كانت حياته تبدو وكأنها دائماً مهددة بالموت . كان الخطر ملازماً له باستمرار وكان يتوقع الموت في كل لحظة ومع ذلك فقد كان بنعمة الله يعيش بانتصار حياة لم يستطع الموت ولا الخوف منه أن يقتلها . لقد كانت الأشياء التي حدثت لبولس كفيلة بأن تعذب روح أي رجل آخر ، وأن تحطم قواه المعنوية ، ولكنها لم تستطع أن تقتل روحه كانت هذه الأشياء تستطيع أن تكسر قلب أي رجل آخر وأن تملأه بالحزن والألم ، ولكنها لم تستطع أن تقضي على الفرح والابتهاج الذي كان يغمر قلبه والذي لم يكن هناك من يستطيع أن ينتزعه منه . لقد كان يبدو أنه متجول فقير لا يملك بيتاً أو مالا ، ولكنه كان يحمل ما يستطيع أن يغني به نفوس الناس . فهو وإن بدا أنه لا يملك شيئاً ، لكنه — لأنه كان يملك المسيح — فقد كان يملك كل شيء يمكن أن تكون له قيمة في هذا العالم وفي العالم الآتي .

نبرة المحبة

فَمُنَا مَفْتُوحٌ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْكُورِنْثِيُّونَ . قَلْبُنَا مُتَّسِعٌ . لَسْتُمْ مُتَضَيِّقِينَ فِينَا بَلْ مُتَضَيِّقِينَ فِي أَحْشَائِكُمْ . فَجَزَاءً لِذَلِكَ أَقُولُ كَمَا لأَوْلاَدِي كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مُتَّسِعِينَ . إِقْبَلُونَا . لَمْ نَظْلِمْ أَحداً . لَمْ نُفْسِدْ أَحداً . لَمْ نَطْمَعْ فِي

أَحَد . لا أَقُولُ هَذَا لأَجْلِ دَيْنُونَةٍ . لأَنِّى قَدْ قُلْتُ سابِقا إِنَّكُمْ فِى قُلُوبِنَا لِنَمُوتَ مَعَكُمْ وَنَعِيشُ مَعَكُمْ . لِى ثِقَةٌ كَثِيرَةٌ بِكُمْ . لِى ٱفْتِخَارٌ كَثِيرٌ مِن جِهَتِكُمْ . قَدِ امْتَلأْتُ تَعْزِيةً وازْدَدْتُ فَرَحاً جِدًّا فِى جَمِيعِ ضِيقَاتِنَا .

(٢ كورنثوس ٦ : ١١ – ١٣ ؛ ٧ : ٢ – ٤)

أدمجنا هنا هذين الفصلين (٦ : ١١ – ١٣ ، ٧ : ٢ – ٤) معاً . وأبقينا مؤقتاً الفصل من ٦ : ١٤ إلى ٧ : ١ . وسيتضح سبب هذا عندما نتأمل فى الفصل الأخير بعد ذلك . وهنا نجد بولس يتكلم بنبرة الحب الطاهرة النقية فان الجروح قد التأمت ، والمنازعات قد انفضت وأصلحت ، وعادت المحبة تسود وتهيمن من جديد . والمعنى الحرفى لعبارة « قلبنا متسع » هو أن « قلبنا قد كبر وتضخم » . ويعلق القديس يوحنا فم الذهب على ذلك تعليقاً جميلا فيقول : « كما أن حرارة الشمس تجعل الأشياء تتمدد ، هكذا حرارة المحبة تجعل قلب الإنسان يتسع » . وإذا كان المعتقد أن القلب هو مركز العواطف فى الإنسان فان المحبة التى هى تاج العواطف تجعل القلب يتسع بها ويكبر .

وهنا يسجل بولس سلسلة عظيمة من الإدعاءات . فهو لم يظلم أحداً ، ولم يفسد أحداً ، ولم يطمع فى أحد . مما يؤثر عن « سير والتر اسكوت » قوله العظيم قرب نهاية حياته : « لم أزعزع إيمان أحد ، ولم أفسد مبادىء أحد » . وصلى « ثاكرى Thackery » طالباً ألا يكتب أبداً كلمة تتعارض أو تتناقض مع محبة الله ، أو محبة الناس ، وألا يبث فى الآخرين أفكاره المغرضة أو المتحاملة أو الملتوية ، وأن يدع قلمه يكتب كلمة الحق فقط ، وألا ينساق لإغراء شهوة أو لمطمع مادى » . هناك شىء واحد أسوأ من أن يرتكب

الإنسان الخطية بنفسه ، ألا وهو أن يعلم الآخرين أن يخطئوا مثله . فمن أبشع حقائق الحياة أن يتعلم الإنسان الخطية لأول مرة من شخص آخر إذ يدفعه ذلك الشخص إلى السقوط فى أى تجربة ، فيؤدى به إلى ممارستها والانغماس فيها. وكم هو مرعب حقاً أن تقود أخاً لك ، أصغر أو أضعف منك ، إلى الوقوع فى الأخطاء والتردى فيها . حكى أحدهم قصة رجل عجوز وهو على فراش الموت . فقال إنه كان يبدو عليه الاضطراب والغم الشديد . ولما سئل عن سبب اضطرابه أجاب قائلا . « عندما كنت ولداً صغيراً كنت ألعب مع رفاقى قرب مفترق الطرق . ورأينا العمود الذى كانت عليه إشارات المرور ولم يكن مثبتاً جيداً فى مكانه فخلعناه ثم وضعناه بطريقة عكسية بحيث كانت أسهم الإشارات تشير إلى عكس الاتجاهات الصحيحة » . ثم استطرد الرجل العجوز قائلا بألم واضطراب . « ولست أستطيع الآن أن أبعد عن ذهنى التفكير فى نتائج ما عملناه . كم من الناس ضلوا فى الطريق يومئذ ! وكم من المتاعب قاساها الكثيرون بسبب ما فعلناه ! » . إنه لا يوجد إحساس بالأسف يفوق أسفنا عندما نذكر أن آخرين قد ضلوا الطريق الصحيح وانحرفوا عنه بسببنا لذلك كان يحق لبولس أن يفخر بادعائه أن إرشاده وتأثيره كانا دائماً يقودان الآخرين إلى الطريق الأمثل والأفضل .

ويختم بولس هذا الفصل بقوله للكورنثيين أن تعزيته كانت كاملة ، وأن فرحه كان فائضاً حتى فى وسط الضيقات التى كانت محيطة به . وليس هناك دليل أكثر وضوحاً من هذا يظهر أن العلاقات الإنسانية هى أهم شيء فى الحياة . فاذا كان الرجل سعيداً فى بيته مثلا ، فانه يستطيع أن يواجه كل شيء خارج بيته بطمأنينة وهدوء . وإذا كان يتمتع بشركة طيبة مع أصدقائه ، فانه يستطيع أن يواجه مفاجات المستقبل وتقلبات الأيام وسهامها بابتسامة وبشجاعة . وكما يقول كاتب سفر الأمثال : « أكلة من البقول حيث تكون المحبة خير من ثور معلوف ومعه بغضة » (أمثال ١٥ : ١٧) .

اخرجوا من وسطهم

لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ . لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلبرِّ والإِثْمِ . وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ للنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ . وأَىُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعالَ . وأَىُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ وأَيَّةُ مُوافقَة لِهَيْكَلِ اللهِ مَعَ الأَوْثَانِ . فإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَىِّ كَمَا قَالَ اللهُ إِنِّى سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ وأَكُونُ لَهُمْ إِلهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِى شَعْباً . لِذَلِكَ اخْرُجُوا مِن وَسْطِهِمْ وَاعْتَزِلُوا يَقُولُ الرَّبُّ وَلاَ تَمَسُّوا نَجِساً فَأَقْبَلَكُمْ . وأَكُونَ لَكُمْ أَباً وأَنتُمْ تَكُونُونَ لِى بَنِينَ وَبَنَاتٍ يَقُولُ الرّبُّ الْقَادِرُ عَلَى كلِّ شَىْءٍ . فَإِذْ لَنَا هَذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ لِنُطَهِرْ ذَوَاتِنَا مِن كلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ والرُّوحِ مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِى خَوْفِ اللهِ .

(٢ كورنثوس ٦ : ١٤ — ٧ : ١)

والآن نأتى إلى الفصل الذى سبق أن أرجأنا التأمل فيه ... فهو بلا شك بوضعه هذا مربك للغاية . فلو قرأنا الفصل السابق حتى ٦ : ١٣ ثم قرأنا بعده مباشرة ابتداء من ٧ : ٢ لكان المعنى متسقاً كاملا . أى أن هذا الفصل يظهر أنه فى غير موضعه ، إذ أنه لا يتمشى مع معانى المحبة المبتهجة الفرحة التى تتجلى فى الآيات السابقة واللاحقة له . وقد رأينا فى شرح مقدمة الرسالة أن بولس كان قد كتب إلى كورنثوس رسالة أخرى سابقة على الرسالة الأولى

المعروفة لدينا . فهو يقول فى ١ كورنثوس ٥ : ٩ « كتبت إليكم فى الرسالة أن لا تخالطوا الزناة » . وربما ضاعت هذه الرسالة كلها ، أو ربما كان هذا الفصل جزءاً منها . ومن المحتمل جداً أن تكون إحدى الصحائف قد وضعت فى غير مكانها عندما جمعت رسائل بولس . ذلك لأن جمع هذه الرسائل لم يتم إلا حوالى سنة ٩٠ بعد الميلاد .

وفى ذلك الوقت ربما لم يكن هناك من يعرف ترتيبها الصحيح . على أن مادة هذا الفصل الذى نحن بصدده الآن تناسب تماماً الرسالة المشار إليها فى كورنثوس ٥ : ٩ . ولا بد أنه كان فى ذهن بولس عند كتابته لهذا الفصل صور معينة من العهد القديم . فهو يبدأ بحث الكورنثيين على ألا يكونوا تحت نير مع غير المؤمنين . ولا شك أن هذا يعود بالذاكرة إلى الوصية القديمة فى تثنية ٢٢ : ١٠ « لا تحرث على ثور وحمار معاً » . (راجع أيضاً لاوين ١٩ : ١٩) والفكرة الأساسية هنا هى أنه توجد أشياء معينة متغايرة ومتناقضة من أساسها ، وبحسب طبيعة تكوينها لا يمكن أن توضع معاً . فيستحيل مثلا أن تتمشى طهارة المسيحى مع دنس الوثنى ، ولا يمكن أن يوضع الإثنان فى إطار مشترك أو فى طقم واحد .

وعندما قال بولس . « أية موافقة لهيكل الله مع الأوثان ؟ » لا بد أنه عاد بذهنه إلى منسى عند ما أحضر سارية منحوتة ووضعها فى هيكل الله » (٢ ملوك ٢١ : ١ — ٩) ، وكيف أن يوشيا فيما بعد حطم مثل هذه الأشياء تحطيما كاملا (٢ ملوك ٢٣) . أو ربما كان يفكر فى مثل الأشياء الممقوتة المكروهة التى جاء وصفها فى حزقيال ٨ : ٣ — ١٨ . وعبر التاريخ حاول الناس أحياناً أن يشركوا أو يربطوا هيكل الله بالعبادة الوثنية ، وقد كانت نتائج ذلك مروعة ومرعبة حقاً .

إن هذا الفصل كله هو عبارة عن دعوة قوية ونداء حار للمؤمنين حتى

لا تكون هناك شركة أو إتفاق بينهم وبين غير المؤمنين . وهو مطالبة للكورنثيين أن يتحفظوا لأنفسهم من أية لوثة أو لطخة تصيبهم من العالم . قيل إن تاريخ إسرائيل وجوهره يتلخص فى هذه الكلمة « أخرجوا ! » . كانت هذه هى كلمة الله التى جاءت لإبرهيم : « وقال الرب لأبرام إذهب (أى أخرج) من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك » (تكوين ١٢ : ١) وكانت هى الإنذار الذى وجه إلى لوط قبل تدمير سدوم وعمورة (تكوين ١٩ ١٢ – ١٤) . نستخلص من هذا أن هناك أشياء فى العالم لا يستطيع المسيحى الحقيقى أن يربط نفسه بها أو يشترك فيها ، ولا يجرؤ على ذلك .

ومن الصعب أن ندرك ما كانت المسيحية تعنيه بالنسبة للناس الذين قبلوها أولا ، وما كانت تحتمه عليهم من انفصال فى أشياء كثيرة . فالحقيقة أن المسيحية كانت فى كل حالة تتطلب إنفصالا من نوع ما ، أو خروجاً من شيء ما ، أو التخلى عن شيء ما .

١ – فنى حالات كثيرة كان يتحتم على من يقبل المسيحية أن يتخلى عن حرفته . فالبناء أو المقاول المعمارى مثلا ، الذى أصبح مسيحياً . لم يكن يستطيع أن يقبل أو يشترك فى بناء معبد للوثن . والحائك ، إذا أصبح مسيحياً ، لا يستطيع أن يحيك ملابس كهنة الآلهة الوثنية . والجندى ، إذا أصبح مسيحياً لا يستطيع أن يلقى بالبخور على المذبح المقام فى باب خيمته رمزاً لعبادة القيصر هذا ما كانت الكنيسة الأولى تواجهه فى أوقات ومناسبات كثيرة أى أنه كان من المحتم أن يختار الشخص بين حرفته وبين ولائه ليسوع المسيح . وقد كان قبول المسيحية أيام الكنيسة الأولى كثيراً ما يعنى التخلى عن الحرفة . وماذا عن موقفنا نحن فى عصرنا هذا ؟ ليس من حق إنسان ما أو من سلطانه أن يكون حارساً لضمير إنسان آخر أو متحكماً فيه . فانه ينبغى على كل إنسان أن

يقرر لنفسه ما إذا كانت حرفته تتفق مع المسيح أم لا ، وما إذا كان ممكناً أن يرافقه المسيح إلى عمله اليومى أم لا .

٢ – وفى أحيان كثيرة كان قبول المسيحية يتطلب التخلى عن الحياة الاجتماعية . وقد سبق أن رأينا ، عندما كنا ندرس الفصل الذى تحدث عن اللحم المذبوح للأوثان ، كيف أنه كانت تقام الولائم الكثيرة فى معابد الآلهة الوثنية فى العالم القديم . وكانت صيغة الدعوة التى تقدم فى هذا المقام هى : « أدعوك للعشاء معى على مائدة إلهنا سيرابيس » . وكانت هذه الولائم تفتتح وتختتم بصب الخمر فى الكئوس لتشرب باسم الآلهة . فهل كان يمكن أن يشترك المسيحى فى عمل مثل هذا ؟ أم كان يتحتم عليه أن يخرج من مثل هذه الشركة ويودع مثل هذه المجتمعات التى كانت تعنى الكثير بالنسبة له ؟

٣ – وكان من يقبل المسيحية يضطر غالباً إلى أن يتخلى عن الربط العائلية . وكانت الطريقة التى كانت تنقسم بها العائلات فى السنين الأولى للمسيحية طريقة مؤلمة حقاً . فقد كان يحدث مثلا أن زوجة تصبح مسيحية فيطردها زوجها من البيت . وأن زوجاً يصبح مسيحياً فتهجره زوجته . وربما توصد الأبواب فى وجه ابن أو ابنة صارا مسيحيين . فتمت بذلك العبارة التى قالها المسيح ، إنه لم يأت ليلقى سلاماً بل سيفاً ، وبذلك كان المؤمنون به مستعدين أن يحبوه هو أكثر من محبتهم لأقرب الناس إليهم وأعزهم عندهم . لقد كان يتحتم على من يقبلونه أن يكونوا مستعدين لأن « يخرجوا » حتى من بيوتهم .

ومهما كان الأمر صعباً ، فان الحقيقة ستظل قائمة ، وهى أن هناك أشياء معينة لا يستطيع الإنسان أن يفعلها إذا أراد أن يبقى مسيحياً . بل يتحتم عليه أن « يخرج » منها .

وقبل أن نختتم دراسة هذا الفصل توجد نقطة واحدة جديرة بالملاحظة .

وهى أن بولس يقتبس هنا بعض الشواهد الكتابية ، ولكن اقتباساته ليست دقيقة تماماً وبعضها وردت فى لاويين ٢٦ : ١١ ، ١٢ ؛ إشعياء ٥٢ : ١١ ؛ حزقيال ٢٠ : ٣٤ ، ٣٧ : ٢٧ ؛ ٢ صموئيل ٧ : ١٤ . ولا يمكن أن ننكر أن بولس قلما كانت اقتباساته دقيقة أو مضبوطة . لماذا ؟ للاجابة على ذلك يجب أن نذكر أنه فى أيام بولس لم يكن هناك ما يمكن أن يسمى بالكتاب على النحو الذى نعرفه اليوم . فقد كانت الكتب تكتب على لفائف البردى . فكتاب بحجم سفر الأعمال مثلا كان يتطلب ملفاً طوله حوالى خمسة وثلاثين قدماً ؛ ولا شك أن حجماً كهذا كان ضخماً للغاية وثقيل الحمل . وفضلا عن ذلك ، لم يكن التقسيم إلى أصحاحات قد عرف بعد ؛ فان فكرة تقسيم الأسفار المقدسة إلى أصحاحات قد أدخلها استيفن لانجتن Stephen Langtom فى القرن الثالث عشر . كما لم يكن هناك تقسيم إلى أعداد أو آيات ، فان هذا التقسيم قد أدخله استفانوس Stephanus ، الطباع الباريسى ، فى القرن السادس عشر . وأخيراً ، لم يكن هناك شىء مثل « فهرس الكتاب » الذى لم يعرف حتى القرن السادس عشر . ونتيجة لذلك كله عمل بولس الشىء الوحيد المعقول — وهو أنه كان يعتمد فى اقتباساته على الذاكرة . وطالما أنه كان يذكر المعنى الصحيح ، فانه لم يكن يهتم كثيراً بالنصوص اللفظية المضبوطة . فلم يكن المهم فى نظر بولس ألفاظ المكتوب بل رسالته ومعناه .

الفرح والحزن الذى بحسب مشيئة الله

لأَنَّنَا لَمَّا أَتَيْنَا إِلَى مَكِدُونِيَّةَ لَمْ يَكُنْ لِجَسَدِنا شَىْءٌ مِنَ الرَّاحَةِ بَلْ كُنَّا مُكْتَئِبِينَ فى كُلِّ شَىْءٍ . مِنْ خَارِجٍ خُصُومَاتٌ . مِن دَاخِلٍ مَخَاوِفُ . لَكِنَّ اللهَ الَّذِى يُعَزِّى

الْمُتَّضِعِينَ عَزَّانَا بِمَجِيءِ تِيطُسَ . وَلَيْسَ بِمَجِيئِهِ فَقَطْ بَلْ أَيضاً بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِى تَعَزَّى بِهَا بِسَبَبِكُمْ وَهُوَ يُخْبِرُنَا بِشَوْقِكُمْ وَنَوْحِكُمْ وَغَيْرَتِكُمْ لأَجْلِي حَتَّى إِنِّى فَرِحْتُ أَكْثَرَ ، لأَنِّي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْزَنْتُكُمْ بِالرِّسَالَةِ لَسْتُ أَنْدَمُ مَعَ أَنِّي نَدِمْتُ . فَإِنِّى أَرَى أَنَّ تِلْكَ ٱلرِّسَالَةَ أَحْزَنَتْكُمْ وَلَوْ إِلَى سَاعَةٍ . الآنَ أَنَا أَفْرَحُ لاَ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ بَلْ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ لِلتَّوْبَةِ . لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ ٱللهِ لِكَيْ لاَ تَتَخَسَّرُوا مِنَّا فِى شَيْءٍ . لأَنَّ الْحُزْنَ ٱلَّذِى بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ . وَأَمَّا حُزْنُ الْعَالَمِ فَيُنْشِئُ مَوْتاً . فَإِنَّهُ هُوذَا حُزْنُكُمْ هَذَا عَيْنَهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ كَمْ أَنْشَأَ فِيكُمْ مِنَ الاجْتِهَادِ بَلْ مِنَ الاحْتِجَاجِ بَلْ مِنَ الْخَوْفِ بَلْ مِنَ الشَّوْقِ بَلْ مِنَ الْغَيرَةِ بَلْ مِنَ الانْتِقَامِ . فِى كُلِّ شَيْءٍ أَظْهَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنَّكُمْ أَبْرِيَاءُ فِى هَذَا ٱلأَمْرِ . إِذاً وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ فَلَيْسَ لأَجْلِ ٱلْمُذْنِبِ وَلاَ لأَجْلِ ٱلْمُذْنَبِ إِلَيْهِ بَل لِكَيْ يَظْهَرَ لَكُمْ أَمَامَ اللهِ اجْتِهَادُنَا لأَجْلِكُمْ . مِنْ أَجْلِ هَذَا قَدْ تَعَزَّيْنَا بِتَعْزِيَتِكُمْ . وَلكِنْ فَرِحْنَا أَكْثَرَ جِدًّا بِسَبَبِ فَرَحِ تِيطُسَ لأَنَّ رُوحَهُ قَدِ ٱسْتَرَاحَتْ بِكُمْ جَمِيعاً. فَإِنِّى إِنْ كُنْتُ ٱفْتَخَرْتُ شَيْئاً لَدَيْهِ مِنْ جِهَتِكُمْ لَمْ أَخْجَلْ

بَلْ كَمَا كَلَّمْنَاكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ بِالصِّدْقِ كَذَلِكَ افْتِخَارُنَا أَيْضاً لَدَى تِيطُسَ صَارَ صَادِقاً . وَأَحْشَاؤُهُ هِيَ نَحْوَكُمْ بِالزِّيَادَةِ مُتَذَكِّراً طَاعَةَ جَمِيعِكُمْ كَيْفَ قَبِلْتُمُوهُ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ . أَنَا أَفْرَحُ إِذاً إِنِّي أَثِقُ بِكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

(٢ كورنثوس ٧ : ٥ – ١٦)

يرتبط هذا الفصل فى الحقيقة بما جاء فى الأصحاح الثانى والعددين الثانى عشر والثالث عشر ،إذ يذكر بولس هناك أنه لم تكن له راحة عندما جاء إلى تراوس لأنه لم يكن يعرف ما تطورت إليه الأحوال فى كورنثوس . ثم يقول بعد ذلك إنه خرج إلى مكدونية ليقابل تيطس ليعرف منه الأخبار بأسرع ما يمكن . فلنسترجع معاً هذه الظروف التى كانت تعيش فيها كنيسة كورنثوس لقد حدثت أخطاء فى هذه الكنيسة . وحاول بولس أن يصلحها فقام بزيارة خاطفة لها ، ولكن الأمور صارت إلى أسوأ — الأمر الذى جرح قلبه وأحزنه كثيراً . وبعد فشل الزيارة أرسل إليهم تيطس يحمل رسالة قاسية عنيفة . وكان قلقاً جداً حتى أنه لم يستطع أن يستريح فى تراوس ، مع أنه كان يمكن أن يعمل هناك أشياء كثيرة ، ولذلك خرج للقاء تيطس حتى يعرف الأخبار بأسرع ما يستطيع . والتقى بتيطس فى مكان ما فى مكدونية . وكم كان فرحه عظيماً عندما علم منه أن المتاعب قد انتهت ، وأن الجروح قد التأمت ، وأن كل شىء قد أصبح على ما يرام . ذلك هو الفرش التاريخى للأحداث التى يجب أن يقرأ هذا الفصل فى ضوءه . وإذا وضعنا هذا فى أذهاننا استطعنا أن نكتشف مدى غنى هذا الفصل الزاخر بالمعانى . فهو يقدم لنا أموراً معينة تشرح أسلوب بولس ونظرته فى الانتهار والزجر .

١ — كان بولس واضحاً وصريحاً فى أن هناك وقتاً يكون فيه الانتهار والزجر ضرورياً . فالذى يحدث غالباً هو أن الرجل يبحث عن سلام سهل لا يجدى فى النهاية سوى المتاعب . فكثيراً ما يدع موقفاً عصيباً يتطور حتى يتأزم لأنه يخشى مواجهته ، والوالد الذى لا يمارس فى بيته أى نوع من التأديب أو المراقبة أو السلطة لأنه يخشى التكدير ، إنما يختزن لنفسه فى النهاية مزيداً من المتاعب الأشد . إن المتاعب والمضايقات كالوباء ، إذا ضبطت وعولجت فى الوقت المناسب أمكن استئصالها بسهولة ، أما إذا لم تواجه هكذا فقد تفشى كالسرطان ، وعندئذ يعجز عن مواجهتها كل علاج أو دواء .

٢ — ومع كل ذلك ، فان آخر شيء كان بولس يرغبه هو أن يلجأ إلى الانتهار والزجر . وهو لم يفعل ذلك إلا مضطراً ، ولأنه لم يجد أمامه شيئاً آخر يعمله . إنه لم يكن يسر أبداً بتوقيع القصاص على أحد أو جرحه بالألم . فهناك من يجدون لذة فى تسليط ألسنتهم على الآخرين ، ويزعمون أنهم صرحاء مع أنهم فى الحقيقة وقحاء . وهم يفتخرون ببرودهم ، مع أنهم فى الحقيقة مثال للفظاظة والخشونة اللاذعة . إن الحقيقة البسيطة هى أن الانتهار الذى يقدمه شخص يتلذذ أو يتشف لا يمكن أن يكون نافعاً أو بانياً أو مجدياً كما يكون الانتهار الذى ينتزع انتزاعاً من شخص آخر يقدمه مضطراً ، ولأنه يجد أمامه سبيلا آخر غيره للاصلاح .

٣ — وفضلا عن ذلك ، فقد كان هدف بولس الوحيد فى توجيه الانتهار والزجر هو أن يمكن الناس من أن يكونوا كما ينبغى . وكان يرغب فى أن يظهر بواسطته للكورنثيين مدى اجتهاده وحماسه لأجلهم بالرغم من عدم طاعتهم والمتاعب التى سببوها له . وربما كان تصرف بولس معهم ومعاملته إياهم مؤلماً لهم بعض الوقت ، ولكن الألم لم يكن هو الهدف النهائى له ، فلم يكن

يريد أن يلقى بهم أرضاً ، بل أن يرفعهم من سقطتهم ، ولم يكن يريد أن يفشلهم ويثبط همتهم ، بل أن يشجعهم ، ولم يكن يريد مجرد استئصال الشر بل أن يعطى للخير فرصة النماء والازدهار .

ويحدثنا هذا الفصل عن ثلاثة أفراح بشرية عظيمة :

١ – فأول فرح هو فرح المصالحة ، فرح الجرح الذى التأم والنزاع الذى انفض وانتهى . لا شك أن كل واحد منا يذكر بعضاً من أوقات الطفولة عندما كنا نرتكب خطأ ما يجعل علاقتنا بوالدينا متوترة ويقيم حاجزاً يفصلنا عنهم . وقد يحدث هذا الشيء عينه الآن بيننا وبين من نحب . ولا شك أيضاً أننا نحس بفيض الراحة النفسية والسعادة والسكينة عندما تزول هذه الحواجز وتعود المياه إلى مجاريها بيننا وبين من نحبهم . ولا جدال فى أن الرجل الذى يحتفظ فى نفسه بمرارة الخصومات لا يؤذى فى النهاية سوى نفسه . إن كلمة واحدة شافية قد تحول هذه المضايقات والمرارة النفسية إلى سلام وفرح .

٢ – وهناك فرح رؤية الشخص الذى يثبت أنه أهل لثقتنا ، والذى يحقق آمالنا فيه . فقد فرح بولس كثيراً جداً عندما وفق تيطس فى مواجهة الموقف العصيب الذى أرسله إليه بولس وأثبت أن افتخار بولس به كان صادقاً وفى محله ، إذ حقق آماله فيه . فليس هناك شيء يثلج صدورنا ويملأ قلوبنا بالبهجة والرضا قدر معرفتنا بأن أولادنا – فى الجسد أو فى الإيمان – موفقون ومباركون فيما يعملون . وليس هناك فرح يستطيع ابن أو ابنة أو تلميذ أن يجلبه لأب أو المعلم أعظم أو أعمق من أن يحقق الآمال التى عقدت عليه . يظهر بحياته وبتصرفاته أنه عند حسن ظن الأب أو المعلم . وإذا كانت أمر مآسى الحياة هى خيبة الآمال فان أعظم أفراح الحياة هى تحقيقها .

٣ – وهناك الفرح الذى نحس به عندما نرى شخصاً نحبه يرحب به

وتحسن معاملته . فمن حقائق الحياة أن المعاملة اللطيفة الرقيقةفى التى يعامل بها من نحبه تأسر قلوبنا أكثر مما لو عوملنا نحن بها . وهذا أيضاً حق بالنسبة لله . ولذلك فان أحسن طريقة يمكن أن نعبر بها عن محبتنا لله هى أن نحب الناس . فان الشىء الذى يبهج قلب الله هو أن يرى واحداً من أولاده يعامل بلطف ورقة . وكلما نفعله بهم فبه قد فعلناه .

كما يصور لنا هذا الفصل أيضاً واحدة من أهم الفوارق الموجودة فى الحياة . فهو يصور لنا الفارق بين الحزن « الإلهى » والحزن « العالمى » :

١ ــ فالحزن الإلهى ينشىء توبة حقيقية ، والتوبة الحقيقية هى التوبة التى تظهر حزنها بأعمالها . وقد برهن الكورنثيون على توبتهم بعمل كل ما استطاعوا عمله لكى يصلحوا الموقف التعس الذى أدى إليه تصرفهم الطائش . فقد كرهوا الخطية التى كانوا قد ارتكبوها ، بل وكرهوا أنفسهم أيضاً لارتكابها وعملوا جاهدين للتفكير عنها .

٢ ــ والحزن العالمى له خاصيتان :

(أ) فهو ليس حزناً حقيقياً على الإطلاق ، إنه مجرد استياء أو استنكار . وهو استياء أو استنكار بسبب الخوف من العقوبة إذ أن صاحبه لم يستطع الإفلات بخطيته والهروب من العقاب .

(ب) وهو ليس حزناً على الخطية ذاتها أو على الأذى والحزن الذى سببته للآخرين ، ولكنه حزن لأنها اكتشفت وافتضح أمرها . ولو أن صاحب هذا الحزن استطاع أن يجد فرصة أخرى يرتكب فيها الخطية عينها مرة ثانية على شرط أن يفلت من عقابها ، لارتكبها بكل تأكيد وبلا تردد . أى أن الحزن ليس كراهية للخطية ، ولكنه مجرد أسف لأنها قد أوقعته فى المشاكل والمتاعب . إن التوبة الحقيقية ، والحزن الإلهى ؟ هما التوبة والحزن الشخصى

الذى يدرك شناعة الخطأ وبشاعته الذى ارتكبه . فهو لا يأسف فقط لنتيجة ما عمل ، ولكنه يكره العمل ذاته . فينبغى علينا أن نحرص جداً على أن نتأكد أن حزننا على الخطية ليس مجرد الأسف لافتضاح أمرنا ، أو لما أوقعنا فيه الخطية من مشاكل ومتاعب ، بل الحزن الذى يفتح أعيننا لنرى شناعة الخطية ، ويجعلنا نصمم على عدم ارتكابها ثانية ، وأن نكرس بقية حياتنا للتفكير – بنعمة الله – عما فعلناه .

حث على الكرم والسخاء

ثُمَّ نُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ نِعْمَةَ اللهِ الْمُعْطَاةَ فِى كَنَائِسِ مَكْدُونِيَّةَ . أَنَّهُ فِى اخْتِبَارِ ضِيقَةٍ شَدِيدَةٍ فَاضَ وُفُورُ فَرَحِهِمْ وَفَقْرِهِمْ الْعَمِيقُ لِغِنَى سَخَائِهِمْ . لأَنَّهُمْ أَعْطَوْا حَسَبَ الطَّاقَةِ أَنَا أَشْهَدُ وَفَوْقَ الطَّاقَةِ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ . مُلْتَمِسِينَ مِنَّا بِطِلْبَةٍ كَثِيرَةٍ أَنْ نَقْبَلَ النِّعْمَةَ وَشَرِكَةَ الْخِدْمَةِ الَّتِى لِلْقِدِّيسِينَ . وَلَيْسَ كَمَا رَجَوْنَا بَلْ أَعْطَوْا أَنْفُسَهُمْ أَوَّلاً لِلرَّبِّ وَلَنَا بِمَشِيئَةِ اللهِ . حَتَّى إِنَّنَا طَلَبْنَا مِنْ تِيطُسَ أَنَّهُ كَمَا سَبَقَ فَابْتَدَأَ كَذَلِكَ يُتَمِّمُ لَكُمْ هَذِهِ النِّعْمَةَ أَيْضاً . لَكِنْ كَمَا تَزْدَادُونَ فِى كُلِّ شَىْءٍ فِى الإِيمَانِ وَالْكَلاَمِ وَالْعِلْمِ وَكُلِّ اجْتِهَادٍ وَمَحَبَّتِكُمْ لَنَا لَيْتَكُمْ تَزْدَادُونَ فِى هَذِهِ النِّعْمَةِ أَيْضاً . لَسْتُ أَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الأَمْرِ بَلْ بِاجْتِهَادِ آخَرِينَ مُخْتَبِراً إِخْلاَصَ مَحَبَّتِكُمْ أَيْضاً فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمْ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِىٌّ لِكَىْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ . أُعْطِى رَأْياً فِى هَذَا أَيْضاً . لأَنَّ هَذَا يَنْفَعُكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ سَبَقْتُمْ فَابْتَدَأْتُمْ مُنْذُ الْعَامِ الْمَاضِى لَيْسَ أَنْ تَفْعَلُوا فَقَطْ بَلْ أَنْ

تُرِيدُوا أَيضاً . وَلكِنِ الْآنَ تَمِّمُوا الْعَمَلَ أَيضاً حَتَّى إِنَّهُ كَمَا أَنَّ النَّشاطَ لِلْإِدَارَةِ كَذَلِكَ يَكُونُ التَّتْمِيمُ أَيضاً حَسَبَ مَا لَكُمْ . لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ النَّشَاطُ مَوْجُوداً فَهُوَ مَقْبُولٌ عَلَى حَسَبِ مَا لِلْإِنْسَانِ لاَ عَلَى حَسَبِ مَا لَيْسَ لَهُ . فَإِنَّهُ لَيْسَ لِكَيْ يَكُونَ لِلْآخَرِينَ رَاحَةٌ وَلَكُمْ ضِيقٌ . بَلْ بِحَسَبِ الْمُسَاوَاةِ . لِكَيْ تَكُونَ فِى هَذَا الْوَقْتِ فُضَالَتُكُمْ لِأَعْوَازِهِمْ كَيْ تَصِيرُ فُضَالَتُهُمْ لِأَعْوَازِكُمْ حَتَّى تَحْصُلَ الْمُسَاوَاةُ . كما هُوَ مَكْتُوبٌ الَّذِى جَمَعَ كَثِيراً لَمْ يُفْضِلْ وَالَّذِى جَمَعَ قَلِيلاً لَمْ يُنْقِصْ .

(٢ كورنثوس ٨ : ١ — ١٥)

كان من أقرب المشروعات أو الخطط إلى قلب بولس هو مسألة جمع العطاء لكنيسة أورشليم . فقد كانت هذه الكنيسة هى الأم بالنسبة لكل الكنائس الأخرى ؛ ولكنها كانت كنيسة فقيرة ؛ وكانت رغبة بولس أن كل كنائس الأمم تذكرها وتساعدها كأم لهم فى الإيمان . ولذلك نراه فى هذا الفصل يذكر الكورنثيين بواجبهم من هذه الناحية ، وهو هنا يستخدم خمس حجج يسوقها إليهم لكى يحثهم على أن يعطوا بكرم وسخاء .

١ — فهو يضع أمامهم مثال الآخرين ، فيخبرهم عن سخاء كنائس مكدونية . فقد كانت تلك الكنائس فقيرة وفى ضيقة ، ومع ذلك فقد أعطوا كل ما كان لديهم ، بل إن عطاءهم فاق بكثير ما كان يتوقعه منهم . كانت من قواعد عيد « الفوريم » اليهودى أن كل رجل ، مهما كان فقره ، ينبغى أن يبحث عن شخص آخر أفقر منه ليعطيه نصيباً أو عطية . والواقع أن أغنى

الناس ليسوا هم دائماً أكرمهم أو أسخاهم ، بل إن الفقراء منهم هم فى أغلب الأحيان أكثرهم استعداداً للعطاء . وكما يقول المثل الشائع : « إن الفقراء هم الذين يساعدون الفقراء ، لأنهم يذوقون طعم الفقر ويعرفونه جيداً » .

٢ — وهو يضع أمامهم مثال يسوع المسيح . فى نظر بولس لم تظهر تضحية يسوع بموته على الصليب ، ولا حتى فى ميلاده ، ولكنها بدأت فى السماء عندما قبل أن يتخلى عن مجده وارتضى أن يأتى إلى الأرض . وكأن التحدى الذى يريد بولس أن يضعه أمام كل مسيحى هو هذا : « كيف يمكن أن نضن بالعطاء أو نتخاذل عنه وأمامنا هذا المثال العظيم الهائل للتضحية الكريمة السخية » ؟

٣ — وهو يضع أمامهم سجل ماضيهم ذاته . فقد كانوا سباقين فى كل شىء . فهل تراهم يتأخرون أو يتباطأون فى هذا الأمر ؟ . . لو أن الناس حرصوا على أن يظلوا يعيشون طبقاً لأعلى المستويات والمثل التى بلغوها لاختلفت حياتهم إختلافاً كبيراً . ليت شعارنا دائماً ألا ننزل عن المستوى الأفضل الذى أمكننا الوصول إليه .

٤ — وهو ينبر بصفة خاصة على ضرورة التنفيذ العملى للمشاعر الطيبة . فقد كان الكورنثيون هم أول من شعروا بالاستجابة لهذا المشروع . ولكن الاستجابة التى لا تتخطى مجرد الشعور ، والعطف الذى يبقى مجرد إحساس فى القلب فقط ، والرغبة الطيبة التى لا تتحول إلى عمل طيب ، هى أمور لاتجدى شيئاً بل وتبعث على اليأس وخيبة الأمل وتثبيط الهمة . إن مأساة حياتنا فى أغلب الأحيان ، ليست أننا لا نملك بواعث نبيلة سامية ، ولكننا كثيراً ما ندع هذه البواعث حبيسة فى نفوسنا ولا نحاول أن نخرجها إلى حيز العمل والتنفيذ .

٥ — وهو يذكرهم بأن الحياة لها طريقتها الغريبة فى مساواة الأشياء . فمن الحقائق التى كثيراً ما نختبرها أنه يكال لنا بنفس الكيل الذى نكيل به للآخرين . فللحياة طريقتها فى مكافأة السخاء بالسخاء ، وروح الشح والتقتير بمثلها .

ويذكر بولس شيئاً جميلا جداً عن المكدونيين . فهو يقول إنهم « أعطوا أنفسهم أولا للرب ولنا » . وهذا هو بالحقيقة ما فعلوه بالضبط . وقد فاق إثنان منهم الآخرين فى عطائهم وتضحياتهم . فكان هناك « ارسترخس التسالونيكى » الذى كان مع بولس فى الرحلة الأخيرة إلى رومية (أعمال ٢٧ : ٢) ولا بد أنه فعل مثلما فعل لوقا فاتخذ لنفسه قراراً خطيراً وحاسماً . فقد كان بولس فى ذلك الوقت فى طريقه للمحاكمة أمام الإمبراطور . ولم يكن أمام أرسترخس لكى يتمكن من مرافقته سوى طريق واحد فقط ، وهو أن يدرج نفسه كعبد له . وهكذا أعطى أرسترخس نفسه لبولس بكل معنى الكلمة . وكان هناك أيضاً ابفرودتس الذى ذهب إلى بولس فى سجنه يحمل معه عطية من فيلبى . وهناك مرض قريباً من الموت ، وقال عنه بولس : « من أجل عمل المسيح قارب الموت مخاطراً بنفسه » (فيلبى ٢ : ٢٦ — ٣٠) .

وليس هناك عطية يمكن اعتبارها عطية بالمعنى الحقيقى ما لم يقدم المعطى معها قطعة من نفسه . ولذلك فان الجود بالنفس هو دائماً أسمى أنواع العطاء . وفى هذا كان يسوع المسيح المثل الأعلى لنا .

أما اقتباس العهد القديم الذى يختم به بولس هذا الفصل فقد كان من خروج ١٦ : ١٨ ، عندما كان الإسرائيليون يلتقطون المن فى البرية لم يفضل المكثر ، والمقلل لم ينقص ، أى أنه كان كافياً للجميع .

ترتيبات عملية

وَلَكِنْ شُكْراً لِلّهِ الَّذِى جَعَلَ هَذَا الاجْتِهَادَ عَيْنَهُ لأَجْلِكُمْ فِى قَلْبِ تِيطُسَ . لأَنَّهُ قَبِلَ الطِّلْبَةَ وَإِذْ كَانَ أَكْثَرَ اجْتِهَاداً مَضَى إِلَيْكُمْ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ . وَأَرْسَلْنَا مَعَهُ الأَخُ الَّذِى مَدْحُهُ فِى الإِنْجِيلِ فِى جَمِيعِ الْكَنَائِسِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ هُوَ مُنْتَخَبٌ مِنَ الْكَنَائِسِ رَفِيقاً لَنَا فِى السَّفَرِ مَعْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْمَخْدُومَةِ مِنَّا لِمَجْدِ ذَاتِ الرَّبِّ الْوَاحِدِ وَلِنَشَاطِكُمْ . مُتَجَنِّبِينَ هذا أَنْ يَلُومَنا أَحَدٌ فِى جَسَامَةِ هَذِهِ الْمَخْدُومَةِ مِنَّا . مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ لَيْسَ قُدَّامَ الرَّبِّ فَقَطْ بَلْ قُدَّامَ النَّاسِ أَيضاً . وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمَا أَخَانَا الَّذِى اخْتَبَرْنَا مِرَاراً فِى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ مُجْتَهِدٌ وَلَكِنَّهُ الآنَ أَشَدُّ اجْتِهَاداً كَثِيراً بِالثِّقَةِ الْكَثِيرَةِ بِكُمْ أَمَّا مِنْ جِهَةِ تِيطُسَ فَهُوَ شَرِيكٌ لِى وَعَامِلٌ مَعِى لأَجْلِكُمْ . وَأَمَّا أَخَوَانَا فَهُمَا رَسُولاَ الْكَنَائِسِ وَمَجْدُ الْمَسِيحِ . فَبَيِّنُوا لَهُمْ وَقُدَّامَ الْكَنَائِسِ بَيِّنَةَ مَحَبَّتِكُمْ وَافْتِخَارِنَا مِنْ جِهَتِكُمْ .

(٢ كورنثوس ٨ : ١٦ – ٢٤)

إن الأهمية العظمى لهذا الفصل هى أنه ذات طابع عملى جداً . فقد كان بولس يعلم أن له أعداء ومنتقدين . وأن هناك من كانوا لا يترددون فى اتهامه

باحتجاز جزء من العطايا التى تجمع لاستعماله الشخصى . ولذلك نراه يتخذ الخطوات التى يضمن بها استحالة توجيه مثل هذه التهمة إليه ، وذلك بحرصه على التأكد من أن آخرين سيشتركون معه فى مهمة حمل تلك العطايا إلى أورشليم ولم يعرف أحد على وجه التأكيد من هما الأخوان المشار إليهما ، واللذان لم يذكر إسماهما . ولكن يرجح أن الأول كان لوقا وهو الأخ الذى مدحه فى جميع الكنائس وقد يكون هذا هو أساس تسمية يوم جمع العطايا بيوم القديس لوقا . وفيه يردد المصلون « أيها الإله القوى القادر على كل شىء الذى دعوت لوقا الطبيب الذى مدحه فى الإنجيل ، ليكون مبشراً وكارزاً بالإنجيل وطبيباً للنفوس ، إشف أمراض نفوسنا بالأدوية الناجعة الشافية التى تضمنتها المبادىء والتعاليم التى كان لوقا يعلنها وينادى بها » .

إن هدف بولس الأساسى كان أن يظهر أنه كان فوق مستوى الريبة والشك أمام الله والناس .

وجدير بالملاحظة أن بولس كان يستطيع أن يكتب كالشاعر الملهم وأن يفكر كاللاهوتى الضليع ، كان يستطيع – إذا اقتضى الأمر – أن يتصرف بدقة وعناية متناهية كالمحاسب القانونى . لقد كان رجلا عظيماً وكبيراً ، فلا غرو إذا كان يستطيع أن يقوم بعمل الأشياء الصغيرة ، والأشياء العملية بدقة فائقة .

المعطى من تلقاء نفسه

فَإِنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْخِدْمَةِ لِلْقِدِّيسِينَ هُوَ فُضُولٌ مِنِّى أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ . لِأَنِّى أَعْلَمُ نَشَاطَكُمُ الَّذِى أَفْتَخِرُ بِهِ مِنْ جِهَتِكُمْ لَدَى الْمَكِدُونِيِّينَ أَنَّ أَخَائِيَةَ مُسْتَعَدَّةٌ مُنْذُ الْعَامِ الْمَاضِى . وَغَيْرَتُكُمْ قَدْ حَرَّضَتِ الْأَكْثَرِينَ . وَلَكِنْ أَرْسَلْتُ الْاخْوَةَ لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ افْتِخَارُنَا مِنْ جِهَتِكُمْ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ كَيْ تَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ كما قُلْتُ . حَتَّى إِذَا جَاءَ مَعِى مَكِدُونِيُّونَ وَوَجَدُوكُمْ غَيْرَ مُسْتَعِدِّينَ لاَ نَخْجَلُ نَحْنُ حَتَّى لاَ أَقُولُ أَنْتُمْ فى جَسَارَةِ الافْتِخَارِ هَذِهِ . فَرَأَيْتُ لاَزِماً أَنْ أَطْلُبَ إِلَى الْإِخْوَةِ أَنْ يَسْبِقُوا إِلَيْكُمْ وَيُهَيِّئُوا قَبْلاً بَرَكَتَكُمُ الَّتِى سَبَقَ التَّخْبِيرُ بها لِتَكُونَ هِىَ مُعَدَّةً هَكَذَا كَأَنَّهَا بَرَكَةٌ لاَ كَأَنَّهَا بُخْلٌ .

(٢ كورنثوس ٩ : ١ — ٥)

رأى كثير من الآباء الأولين بين سطور هذا الفصل لمسة إنسانية جميلة . فان بولس وهو يهتم بمسألة الجمع لأجل القديسين فى أورشليم نراه يشجع الكورنثيين على الكرم والسخاء اقتداء بالمكدونيين (٨ : ١ — ٥) ، ونراه أيضاً يشجع المكدونيين على الكرم والسخاء اقتداء بالكورنثيين ! وهو الآن

يخشى قليلا لئلا يخيب الكورنثيون أمله فيهم ! وهذا المعنى يقدم لنا صورة نموذجية لصفات بولس ولعظمة قلبه . فهو لم ينتقد كنيسة ما أمام كنيسة أخرى بل كان يمدح الواحدة أمام الأخرى . وهو لم يذكر أخطاء وضعفات كنيسة أمام كنيسة أخرى ولكنه كان يذكر دائماً لكل كنيسة حسنات الكنيسة الأخرى وما فيها من أشياء جديرة بالمدح والثناء . ولا شك أن المقياس الطيب الذى يمكن أن تختبر به أخلاق رجل ما وصفاته ، هو أن يلاحظ ما إذا كان ذلك الرجل يتلذذ بذكر محاسن الآخرين أو بذكر عيوبهم .

وهناك أربع طرق على الأقل يمكن للشخص أن يقدم بها عطيته :

١ — فهو قد يقدم عطيته كمجرد واجب . وقد يبدو عليها كل مظاهر الكرم والسخاء ، ولكنه فى نفسه يفعل ذلك كمن يسدد حساباً أو يدفع ضريبة فرضت عليه . وهى كذلك تصبح واجباً ثقيلا فرض عليه يقدمه بتردد واشمئزاز واضح . والعطية التى تقدم بهذه الطريقة كان من الأفضل لصاحبها لو لم تقدم على الإطلاق .

٢ — وقد يقدم عطيته لمجرد الشعور بارضاء الذات . فهويفكر فى السرور الذى يحس به عندما يعطى ، أكثر من تفكيره فى مشاعر الشخص الذى يتقبل عطيته . فهناك أناس يودون أن يعطوا قرشاً لشحاذ لشعورهم بلذة إرضاء الذات عندما يفعلون ذلك ، أكثر من أن يكون لديهم أى رغبة حقيقية فى مساعدة الآخرين . ومثل هذا العطاء هو فى جوهره أنانية . إنهم يقدمون العطايا لأنفسهم وليس للآخرين .

٣ — وهو قد يعطى بدافع الحرص على الكرامة والهيبة الشخصية : والباعث الحقيقى لمثل هذا العطاء هو الكبرياء وليس المحبة . فالعطاء يقدم لا لمساعدة المحتاج بل لتمجيد المعطى وتعظيمه . والمعطى فى هذه الحالة لا يعطى

إلا إذا وجد الفرصة التي يرى الناس فيها عطاءه يمدحوه وإذا لم تسنح هذه الفرصة فلا يعطى شيئاً . وقد يقدم مثل هذا المعطى عطاءه ظناً منه أنه بذلك يقرض الله نفسه ، كما لو كان فى مقدور أى إنسان أن يجعل الله مديوناً له .

٤ – ولا يمكن أن تعتبر كل طريقة من هذه الطرق السالفة الذكر سيئة . فهناك على الأقل عطية تقدم . ولكن الطريقة الوحيدة للعطاء هى أن يكون بدافع المحبة . فالمعطى الحقيقى يعطى لأنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من العطاء ، وهو يعطى لأن منظر النفس المحتاجة يثير فيه رغبة فى العطاء لا يمكن أن تهدأ أو تسكن إلا إذا تحققت . وهذه هى طريقة الله . إذ قيل « هكذا أحب » العالم حتى بذل ابنه .

إن رغبة قلب بولس العظمى هى أن تكون عطية الكورنثيين جاهزة ، حتى لا يضطروا إلى جمعها وإعدادها وهو بينهم . هناك مثل لاتينى قديم يقول « الذى يعطى بسرعة يعطى مرتين » . وهذا حق دائماً . فان أجمل العطايا والهبات هى التى تقدم قبل طلبها ، وليس عند طلبها . عندما تدفع الحاجة بالمحتاج إلى طلبها .

فالرجل الذى له العين المفتوحة والقلب الحساس واليد الممدودة ليسرع بالعطاء حتى قبل أن يطلب منه . فبينما كنا نحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا والله يسمع صلواتنا حتى قبل أن نسأل أو ننطق بها . ولذلك ينبغى علينا أن نعمل نحن مع الناس مثلما قد عمل الله ولا يزال يعمل معنا .

مبادىء السخاء

هَذَا وَإِنَّ مَنْ يَزْرَعُ بِالشُّحِّ فَبِالشُّحِّ أَيضاً يَحْصُدُ . وَمَنْ يَزْرَعُ بِالْبَرَكَاتِ فَالْبَرَكَاتِ أَيضاً يَحْصُدُ . كُلُّ وَاحِدٍ كما يَنْوِى بِقَلْبِهِ لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوْ اضْطِرار . لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ . وَاللهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ لِكَيْ

تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ اكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فى كُلِّ شَيْءٍ تَزْدَادُونَ فى كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ . كما هُوَ مَكْتُوبٌ . فَرَّقَ . أَعْطَى الْمَسَاكِينَ بِرُّهُ يَبْقَى إلى الأَبَدِ . والَّذِى يُقَدِّمُ بِذاراً لِلزَّارِعِ وَخُبْزاً لِلأَكْلِ سَيُقَدِّمُ وَيُكَثِّرُ بِذَارَكُمْ وَيُنَمِّى غَلاَّتِ بِرِّكُمْ . مُسْتَغْنِينَ فى كُلِّ شىءٍ لِكُلِّ سَخَاءٍ يُنشِئُ بِنَا شُكْراً للهِ . لأَنَّ افْتعالَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ لَيْسَ يَسُدُّ إِعْوَازَ الْقِدِّيسِينَ فَقَطْ بَلْ يَزِيدُ بِشُكْرٍ كَثِيرٍ للهِ . إِذْ هُمْ بِاخْتِبَارِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ يُمَجِّدُونَ اللهَ عَلَى طَاعَةِ اعْتِرَافِكُمْ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ وَسَخَاءِ التَّوْزِيعِ لَهُمْ وَلِلْجَمِيعِ . وَبِدُعَائِهِمْ لأَجْلِكُمْ مُشْتَاقِينَ إِلَيْكُمْ مِنْ أَجْلِ نِعْمَةِ اللهِ الْفَائِقَةِ لَدَيْكُمْ . فَشُكْراً للهِ عَلَى عَطِيَّتِهِ الَّتِى لاَ يُعَبَّرُ عَنْهَا .

(٢ كورنثوس ٩ : ٦ — ١٥)

يقدم لنا بولس فى هذا الفصل ملخصاً لمبادىء العطاء والسخاء :

١ — فهو يصر على أن الرجل الكريم السخى لا يمكن أن يكون خاسراً فالعطاء هو بمثابة زرع البذور ، والذى يزرع بالشح لا يستطيع أن ينتظر شيئاً سوى الحصاد الشحيح ، ولكن الذى يزرع بيد سخية سيلقى حصاداً وفيراً مباركاً فى حينه . إن العهد الجديد هو كتاب عملى ؛ ومن ملامحه العظيمة أنه لا يخشى أن يصرح بوجود مكافأة أو كباعث على العمل . فهو لا يقول إن عمل الخير يذهب هباء ، أو أن الحياة تستوى بالنسبة للرجل الذى يطيع الله والذى لا يطيعه . وهو لا ينسى أن هناك شيئاً جديداً وثميناً وعجيباً يدخل

حياة الشخص الذى يقبل أوامر الله ووصاياه كناموس لحياته ودستور لها . ولكن المكافات التى يشير إليها العهد الجديد ليست مكافات مادية ، . فهو لا يعد بثروة الأشياء المادية ولكنه يعد بغنى القلب والروح . إذاً فماذا يستطيع الرجل السخى أن ينتظر ؟

(ا) إنه سيكون غنياً فى المحبة . وهذه نقطة سنعود إليها فيما بعد . وليس من شك فى أنه لا يوجد من يحب الإنسان الدنىء البخيل ، بينما قد يغطى كرم الإنسان وسخاءه على عيوب كثيرة أخرى قد تكون فيه . فالناس بالطبع يفضلون القلب المحب الذى يبالغ فى حرارة الترحيب عند اللقاء والعطاء عن الروح الباردة الجافة التى تعمل حساباً لكل شىء .

(ب) وهو سيكون غنياً فى الأصدقاء . والرجل الذى له أصدقاء لا بد أن يكون هو نفسه صدوقاً ودوداً لهم . والذى لا يستطيع أن يحب أحداً لا يمكن أن يتوقع من أحد أن يحبه . إن الرجل الذى يفتح قلبه للآخرين تتفتح له قلوب الآخرين أيضاً .

(ج) وهو سيكون غنياً فى المساعدة . فلا بد أن تمر بحياتنا أيام نحتاج فيها إلى مساعدة الآخرين ؛ فاذا كانت مساعدتنا لهم مساعدة شحيحة مقترة ، فلا بد أن تكون مساعدتهم لنا بنفس الشح والتقتير . والكيل الذى نستخدمه مع الآخرين هو الذى يحدد الكيل الذى يعاملوننا به .

(د) وهو سيكون غنياً نحو الله .فقد علمنا يسوع أن ما نفعله للآخرين إنما نفعله لله . وسيأتى اليوم الذى نثاب فيه عن كل مرة فتحنا فيها قلوبنا وأيدينا ، كما أن كل مرة غلقنا فيها قلوبنا وأيدينا فى وجه الآخرين ستكون شاهدة ضدنا .

٢ — ويصر بولس على أن المعطى المسرور هو الذى يحبه الله . فى سفر التثنية ١٥ : ٧ — ١١ نقرأ عن واجب السخاء نحو الأخ الفقير . ويقول العدد العاشر : « أعطه ولا يسوء قلبك عندما تعطيه » . وجاء فى التلمود أن استقبال

صديق ببشاشة وابتهاج وعدم إعطائه شيئاً أفضل من إعطائه كل شيء باشمئزاز وكآبة وجه . وقال سينكا Seneca الفيلسوف الرومانى إن العطاء المتردد والمتأخر أسوأ من عدم العطاء . ويقتبس بولس من مزمور ١١٢ : ٣ و ٩ ما يعتقد أنه من مواصفات الرجل التقى السخى . فهو يوزع بسخاء ، ويعطى المساكين بكرم وسخاء وليس بشح وتقتير ، وبره وعمله هذا يبقى قائماً لابتهاجه إلى الأبد . ويقص علينا « كارليل » كيف انه عندما كان ولداً صغيراً جاء إلى باب البيت شحاذ مسكين . وكان والداه فى ذلك الوقت خارج البيت . وكان هو وحيداً فيه . فما كان من كارليل ، إلا أنه كسر حصالة نقوده الخاصة ، وأعطى الشحاذ كل ما كان بداخلها . ويقول كارليل إنه لم يشعر فى حياته بسعادة غامرة مثلما شعر فى تلك اللحظة . حقاً إن العطاء فى ذاته يحمل للمعطى فرحاً وسروراً عظيماً .

٣ — يصر بولس على أن الله يستطيع أن يمنح الإنسان المادة التى يعطيها والروح التى يعطى بها هذه المادة . وفى العدد الثامن يتحدث بولس عن الاكتفاء الذى يعطينا الله إياه . والكلمة التى يستخدمها هنـــا هى كلمة autarkeia . وهى تعنى ، ليس اكتفاء الرجل الذى يمتلك كل الأشياء بكثرة ووفرة ، ولكنها تعنى القدرة على الاستقلال الذاتى . فهى تصف الرجل الذى لم يوجه حياته نحو تكديس الممتلكات وزيادتها بل إلى إستبعاد احتياجاته الشخصية . إنها تصف الرجل الذى درب نفسه على أن يكون قانعاً بالقليل جداً فلا يريد شيئاً لنفسه ؛ الرجل الذى تعلم أن يستغنى عن كثير من الأشياء . ومن الواضح أن مثل هذا الرجل سيكون قادراً على أن يعطى الكثير للآخرين لأنه لا يريد لنفسه سوى القليل . إن الذى يحدث فى أغلب الأحيان هو أننا نريد لأنفسنا الكثير بحيث لا يتبقى عندها شىء لدينا نعطيه للآخرين... ولكن الله لا يمنحنا فقط ما نعطيه ، بل إن يعطينا الروح التى تعطى ...

كان خادم روبرت لويس استيفنسن يحبونه جداً . وقد اعتاد خادمه الخاص أن يوقظه كل صباح بفنجان شاى . وحدث مرة أن كان خادمه فى أجازة ، وكان هناك خادم آخر يقوم بعمله . وعندما ذهب هذا فى الصباح ليوقظ سيده كان يحمل إلى جانب فنجان الشاى طبقاً من العجة الشهية . فشكره استيفنسن وقال له : « عظيم تفكيرك » فأجاب الخادم قائلا : « لا ياسيدى ؛ عظيمة محبتى » . إن الله وحده هو الذى يستطيع أن يضع فى قلوبنا المحبة التى هى جوهر الروح السخى وخلاصته .

ولو أننا قرأنا هذا الفصل وتأملناه ملياً لرأينا فيه أن العطاء يفعل أشياء عجيبة لثلاثة أشخاص مختلفين :

١ — فهو يفعل شيئاً للآخرين :

(أ) إنه يخفف من احتياجاتهم . فعندما تقدم عطية أو هدية لإنسان متحير متضايق فانها تبدو وكأنها هدية السماء ذاتها له .

(ب) وهو يعيد للآخرين ثقتهم بالناس فكثيراً ما يشعر الإنسان عندما يكون فى ضيقة ، بمرارة فى نفسه ، ويحس أنه منسى ومهمل من الآخرين . ولكن العطاء يعيد ثقته بالناس ، ويريه أن المحبة والحنان لم يموتا بعد .

(ج) وهو يجعلهم يشكرون الله . فان العطية التى نقدمها للناس وهم فى ضيقة أو فى حاجة إليها هى شىء لا يجعل الآخرين يحبوننا نحن فقط ، بل يجعلهم يحبون الله أيضاً .

٢ — والعطاء يفعل شيئاً لنا :

(أ) فهو يضمن ويثبت صدق اعترافنا بمسيحيتنا . وكان هذا الأمر ذا أهمية خاصة بالنسبة للكورنثيين . ولقد كانت كنيسة أورشليم ، ذات

صبغة يهودية خالصة وتنظر إلى الأمم بارتياب ، متشككة فى أعماقها فيما إذا كان يمكن أن تكون المسيحية هى للأمم أيضاً . لذلك كانت عطية كنائس الأمم أكبر تأكيداً وبرهاناً على حقيقة مسيحيتهم وصدقها . فبالسخاء يظهر الإنسان مسيحيته لا بالكلام فحسب بل فى الأعمال أيضاً .

(ب) والعطاء يكسبنا محبة الآخرين وصلواتهم أيضاً . إن ما يحتاج إليه العالم اليوم أكثر من أى أمر آخر هو شيء يربط بين الإنسان وسائر الناس الآخرين . وليس هناك ما هو أثمن أو أجمل من الشركة أو المشاركة . وما السخاء إلا الخطوة الأساسية ، على الطريق الذى يوصل إلى هذا الاتحاد الحقيقى .

٣ - والعطاء يفعل شيئاً لله . فهو يجعل صلوات الشكر ترتفع إليه . إن الناس عندما يرون أعمالنا الحسنة لا يمجدوننا نحن بل يمجدون أبانا الذى فى السماوات كما قال يسوع .

وعندما نفعل شيئاً ما يوجه أفكار الناس وقلوبهم إلى الله إنما نعمل عملا عظيماً ، لأن هذا يعنى أننا نستطيع أن نفعل شيئاً يفرح قلب الله .

وختاماً ، يوجه بولس أنظار الكورنثيين إلى عظمة عطية الله العجيبة فى يسوع المسيح ، العطية التى لا يمكن أبداً أن نصل إلى مداها والتى لا يمكن أبدا أن نعبر عنها ، وكأنه يريد أن يقول لهم : « هل يمكن لكم ، أنتم الذين عاملكم الله بسخاء هذا مقداره ، إلا أن تكونوا أسخياء فى سد إعواز إخوانكم من القديسين .

* * *

والآن ، قبل أن نتقدم لدراسة الأصحاحات من ١٠ - ١٣ من هذه الرسالة لنذكر ما سبقت الإشارة إليه فى مقدمة رسالتى كورنثوس . فهناك فجوة مدهشة بين الأصحاح التاسع والأصحاح العاشر . فحتى الأصحاح التاسع

يبدو كل شيء حسناً ؛ فالشرخ قد جبر والنزاع قد إنقض . وكنا نتوقع أن بولس ، وقد تحدث فى الأصحاحين الثامن والتاسع عن مسألة الجمع للكنيسة فى أورشليم ، أن يختم حديثه فى هذا الأمر بعد ذلك . ولكننا ، بدلا من ذلك ، نجد أمامنا أربعة أصحاحات تعتبر ، بالنسبة لكل ما كتبه بولس ، من أكثرها حزناً وألما ومرارة . وهذا يجعلنا نتعجب كيف وضعت هذه الأصحاحات فى مكانها هذا . وهنا يجب أن نذكر أن بولس فى رسالته الثانية أشار مرتين إلى رسالة شديدة اللهجة كان قد كتبها إليهم . وكانت هذه الرسالة صارمة حتى أن بولس أحس مرة بالأسف لأنه كتبها (٢ كورنثوس ٢ : ٤ ؛ ٧ : ٨) . وهذا الوصف لا ينطبق أبداً على الرسالة الأولى إلى كورنثوس ولا يتناسب معها إطلاقاً . لذلك نجد أنفسنا أمام أحد أمرين : إما أن تكون الرسالة العابسة شديدة اللهجة قد فقدت كلية ، أو على الأقل أن جزءاً منها متضمن فى هذه الأصحاحات من ١٠ إلى ١٣ . ويكاد يكون الإحتمال كله أن الأصحاحات ١٠ ــ ١٣ من الرسالة الثانية هى ذاتها الرسالة العابسة شديدة اللهجة المشار إليها ، وأنها وضعت خطأً فى هذه الأصحاحات عندما جمعت رسالة بولس . ومعنى هذا أننا إذا أردنا أن نضع الأمور أمامنا حسب الترتيب الصحيح كان لزاما علينا أن نقرأ الأصحاحات ١٠ ــ ١٣ قبل أن نقرأ الأصحاحات التسعة السابقة . ولا نجانب الصواب ، إذا كنا نعتقد أننا سنقرأ فى الأصحاحات القادمة نص الرسالة التى آلم بولس جداً أن يضطر إلى كتابتها ، ولكنه كتبها لمحاولة إصلاح وضع كاد يكسر قلبه ويحطمه من الحزن والألم .

بولس يبدأ فى مجاوبة منتقديه

ثُمَّ أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ بِودَاعَةِ الْمَسِيحِ وَحِلْمِهِ أَنَا نَفْسِى بُولُسُ الَّذِى فى الْحَضْرَةِ ذَلِيلٌ بَيْنَكُمْ وَأَمَّا فى الْغَيْبَةِ فَمُتَجَاسِرٌ عَلَيْكُمْ . ولكِنْ أَطْلُبُ أَنْ لاَ أَتَجَاسَرَ وأَنا حَاضِرٌ بِالثِّقَةِ الَّتى بها أَرَى أَنِّى سَأَجْتَرِئُ عَلَى قَوْمٍ يَحْسِبُونَنَا كَأَنَّنا نَسْلُكُ حَسَبَ الْجَسَدِ . لأَنَّنَا وَإِنْ كُنَّا نَسْلُكُ فى الْجَسَدِ لَسْنَا حَسَبَ الْجَسَدِ نُحَارِبُ . إِذْ أَسْلِحَة مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّة بَلْ قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ . هَادِمِينَ ظُنُوناً وكُلَّ عُلْوٍ يَرْتفعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ الله وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ . وَمُسْتَعِدِّينَ لأَنْ نَنْتَقِمَ عَلَى كُلِّ عِصْيَانٍ مَتَى كَمِلَتْ طَاعَتُكُمْ .

(٢ كورنثوس ١٠ : ١ – ٦)

يستخدم بولس فى مستهل هذا الفصل كلمتين يحدد بهما النغمة التى يريد أن يصوغ بها حديثه كله . فهو يتحدث أولا عن وداعة المسيح وحلمه . والكلمة المترجمة هنا وداعة هى فى الأصل كلمة Prautes وهى كلمة ذات مغزى مشوق . عرفها ارسطوطا ليس بأنها الوسط الصحيح بين الإسراف فى الغضب وعدم الغضب إطلاقاً . إنها صفة الرجل الذى يستطيع

أن يسود على غضبه ويتحكم فيه حتى أنه يغضب دائماً عندما يكون الغضب لازماً ومناسباً ، ولايغضب أبداً عندما يكون الغضب خطأ أو لا تكون له ثمة ضرورة . كما أنها تصف الرجل الذى لا يغضب بسبب أية إساءة أو إهانة شخصية توجه إليه ، ولكنه قادر على الغضب المقدس عندما يرى الآخرين يساء إليهم أو تلحق بهم مظالم أو إهانات . وكأن بولس باستخدامه لهذه الكلمة فى مستهل رسالته الصارمة شديدة اللهجة — يريد أن يقول لهم إنه لا يتحدث إليهم بدافع غضب شخصى ولكنه بدافع الوداعة القوية التى ليسوع نفسه .

أما الكلمة الأخرى « حلم » ، وهى باليونانية epieikeia ، فهى كلمة لاتقل عن الكلمة الأولى جمالا ولمعانا.ويعرف اليونانيون أنفسهم هذه الكلمة بقولهم إنها تعنى « ما هو عادل بل وما هو أفضل من عادل » . وهم يعتبرونها الصفة التى تصون العدل وتحفظه من خطر الانحراف إلى الظلم . فهناك بعض الحالات والظروف التى لو طبقت فيها القوانين والقواعدوالأنظمة تطبيقاً حرفياً لا عتبرت فى الواقع ظلماً . وفى بعض الأحيان تنشأ ظروف معينة يتطلب العدل الحقيقى إزاءها ، لا الإصرار على تطبيق القواعد أوالالتزام بحرفية القانون ، بل أن تتدخل فى الأمر صفة أخرى أعلى وأسمى من مجرد العدل . فالرجل الذى له « حلم epieikeia » المسيح هو الرجل الذى يعرف أن القول الفصل فى كل أمر من الأمور ، بحسب المستوى المسيحى ، هو للمحبة وليس للعدل . وإذ يستخدم بولس هذه الكلمة فى البداية فهو فى الواقع يريد أن يقول إنه لا يستهدف من وراء هذه الرسالة المطالبة بحقوقه ، أو الإصرار على فرض قواعد وأنظمة معينة ، أو تطبيق ناموس ما تطبيقاً حرفياً . ولكنه يريد أن يعالج هذا الموقف بمحبة كمحبة المسيح التى تفوق أنقى وأسمى درجات العدل الإنسانى . فهو سيحاول معالجة الموقف كما لوكان المسيح نفسه يعالجه .

ولكننا الآن نصل إلى جزء من الرسالة يصعب علينا جداً أن نفهمه . وسبب صعوبة فهمه هو أننا نسمع جانباً واحداً فقط من طرفى المحاورة . فنحن هنا نسمع فقط رد بولس ؛ ولسنا نعلم بالضبط ماذا كانت التهم التى وجهها الكورنثيون ضده . ولذلك علينا أن نستنتج هذه التهم من الأجوبة التى يعطيها بولس لهم . ذلك لأن الصعوبة الأساسية فى محاولة تفسير أية رسالة هى أنه ليس أمامنا سوى جانب واحد من المحادثة . ولكننا نستطيع على الأقل أن نستخلص لأنفسنا بعض الاستنتاجات :

١ — من الواضح أن الكورنثيين كانوا قد اتهموا بولس بأنه كان جريئاً متجاسراً عندما لم يكن معهم وجهاً لوجه ، وأنه كان فى الواقع مخلوقاً مسكيناً ذليلا عندما يوجد بينهم . وهم يقولون إنه يستطيع أن يكتب رسائل طيبة عندما يكون غائباً ، ولكنه لا يملك الشجاعة لكى يقول أمامهم الأشياء التى يكتبها لهم . ويرد بولس عليهم بقوله إنه يرجو ألا تسنح له المناسبة التى فيها يعالج الأمور معهم شخصياً مع أنه يعلم أنه قادر على ذلك تماماً . ومع أن الرسائل يمكن أن تكون أشياء خطيرة حقاً إذ أن كاتب الرسالة يمكن أن يكتب رسالته بلهجة قاسية مريرة قد لا يستخدمها أبداً فى مواجهة المرسل إليه ، ومع أن تبادل الرسائل ربما يسبب ضرراً بالغاً كان من الممكن تلافيه بالمناقشة وجهاً لوجه ، لكن بولس يؤكد أنه لم يكن ليكتب أى شىء لو لم يكن مستعداً لأن يقوله وجهاً لوجه .

٢ — ومن الواضح أنهم اتهموه بأنه يبنى سلوكه على بواعث ودوافع بشرية . ويرد بولس على هذا الاتهام بأن كلا من سلوكه وقوتهما من الله . حقاً إنه كانسان يخضع لكل ما فى الإنسانية من محدودية وقصور ، ولكن الله هو الذى يرشده ويقويه . وما يجعل هذا الفصل صعب الفهم هو أن بولس يستخدم الكلمة المترجمة جسد Sarx فى معنيين مختلفين :

(أ) فهو يستخدمها فى المعنى العادى الذى يقصد به الجسد الإنسانى ، وقوله : « نسلك فى الجسد » يعنى ببساطة أنه إنسان كأى شخص آخر .

(ب) ولكنه يستخدم هذه الكلمة أيضاً بطريقته الخاصة المميزة فيعنى بها ذلك الجانب من الطبيعة الإنسانية الذى يقود الإنسان إلى الخطية ويعطى للتجربة قوتها ويؤدى بالإنسان الذى يعيش بدون الله إلى حياة الضعف والهزيمة والاستسلام .

ولذلك قال : « لسنا نسلك حسب الجسد » . وكأنه أراد أن يقول : « أنا إنسان لى جسد بشرى ، ولكنى لا أسمح لنفسى مطلقاً أن تخضع تحت سيطرة الدوافع والبواعث البشرية المحضة . ولن أحاول أن أعيش بدون الله » أن الإنسان يمكن أن يعيش فى الجسد ومع ذلك يسلك بقيادة وإرشاد روح الله .

ويستطرد بولس فيسجل ثلاث نقط هامة لها مغزاها :

١ - فهو يقول إنه قادر على التعامل مع كل مهارة أو براعة بشرية مغرورة ، بل وقادر بالله على هدم كل كبرياء بشرية وكل حكمة بشرية تبدو بحسب الظاهر معقولة . فهناك نوع من البساطة أقوى بكثير من أية مجادلة عقلية بشرية مهما اتسمت بالبراعة والمهارة . إنها البساطة الكاملة التى تنبعث من القلب المخلص والتى تستطيع أن تصيب الهدف وأن تحقق ما تعجز المجادلة العقلية عن تحقيقه أو الوصول إليه بالحجة والبرهان .

٢ - يتحدث بولس عن استئسار كل فكر إلى طاعة المسيح ، فالمسيح له طريقته العجيبة المذهلة فى استئسار كل ما كان وثنياً وفى إخضاعه لأغراضه

المجيدة ، حدثنا ماكس وارن Max Warrn عن عادة كانت منتشرة بين أهالى غينيا الجديدة عند إقامتهم لشعائرهم الدينية ، فقد كانوا فى أوقات معينة يرددون بأصوات الغضب المجنون ما يسمونها « أناشيد القتل » يذكرون فيها أمام إلهيم أسماء الناس الذين يريدون قتلهم . وعندما أصبح هؤلاء الأهالى مسيحيين أبقوا على عادة إقامة الشعائر والطقوس الدينية ، ولكنهم استبدلوا فى « أناشيد القتل » هذه أسماء الناس الذين كانوا يكرهونهم ويريدون قتلهم بأسماء الخطايا التى أصبحوا يكرهونها والتى يرجون من الله أن يساعدهم على القضاء عليها والخلاص منها ؛ وهكذا خضعت للمسيح عادة وثنية قديمة . إن يسوع لا يرغب أن ينتزع منا صفاتنا وقدراتنا ومميزاتنا . ولكنه يرغب فى أن يأخذها ويستخدمها لنفسه ولمجده ، فلا نعود نستخدمها لخطايانا ولذواتنا . فدعوته لنا هى لأن نأتى إليه ونقدم له كل ما لدينا ، وهو ماسيمكننا — إذا كنا نسلم كل شىء له — من أن نستخدم كل طاقاتنا وإمكانياتنا بطريقة أفضل مما كنا نفعل من قبل .

بولس يستمر فى مجاوبة منتقديه

أَتَنْظُرُونَ إِلَى مَا هُوَ حَسَبُ ٱلْحَضْرَةِ . إِنْ وَثِقَ أَحَدٌ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ لِلْمَسِيحِ فَلْيَحْسِبْ هٰذَا أَيضاً مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ كما هُوَ لِلْمَسِيحِ كَذٰلِكَ نَحْنُ أَيضاً لِلْمَسِيحِ . فَإِنِّى وَإِنْ افْتَخَرْتُ شيئاً أَكْثَرَ بِسُلْطَانِنَا الَّذِى أَعْطانا إِيَّاهُ الرَّبُّ لِبُنْيَانِكُمْ لاَ لِهَدْمِكُمْ لاَ أُخجلُ لِئَلاَّ أَظْهَرَ كَأَنِّى أُخِيفُكُمْ بِالرَّسَائِلِ . لأَنَّهُ يَقُولُ الرَّسائلُ ثَقِيلَةٌ وَقَوِيَّةٌ وَأَمَّا حُضُورُ

الْجَسَدِ فَضَعِيفٌ والْكَلاَمُ حَقِيرٌ . مِثْلُ هَذَا فَلْيَحْسِبْ هَذَا
أَنَّنا كما نَحْنُ فى الكلاَمِ بِالرَّسَائِلِ وَنَحْنُ غَائِبون
هكذَا نكُونُ أَيضاً بِالفِعْلِ وَنَحْنُ حَاضِرُونَ . لأَنَّنَا
لاَ نَجْتَرِئُ أَنْ نُعَدَّ أَنْفُسَنَا بَيْنَ قَوْمٍ مِنَ الَّذِينَ
يَمْدَحُونَ أَنْفُسَهُمْ وَلاَ أَنْ نُقَابِلَ أَنْفُسَنَا بِهِمْ . بَلْ هُمْ إِذْ
يَقِيسُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَيُقَابِلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ
لاَ يَفْهَمُونَ . وَلكِنْ نَحْنُ لاَ نَفْتَخِرُ إِلَى مَا لاَ يُقَاسُ بَلْ
حَسَبَ قِيَاسِ الْقَانُونِ الَّذِى قَسَمَهُ لَنَا اللهُ قِيَاساً لِلْبُلُوغِ
إِلَيْكُمْ أَيضاً . لأَنَّنَا لاَ نُمَدِّدُ أَنْفُسَنَا كَأَنَّنَا لَسْنَا نَبْلُغُ
إِلَيْكُمْ . إِذْ قَدْ وَصَلْنَا إِلَيْكُمْ أَيضاً فى إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ .
غَيْرَ مُفْتَخِرِينَ إِلَى مَا لاَ يُقَاسُ فى أَتْعَابِ آخَرِينَ بَلْ
رَاجِينَ إِذَا نَمَا إِيمانُكُمْ أَنْ نَتعظَّمَ بَيْنَكُمْ حَسَبَ قَانونِنا
بِزِيَادَةٍ . لِنُبَشِّرَ إِلَى مَا وَرَاءَكُمْ . لاَ لِنَفْتَخِرَ بِالأُمُورِ الْمُعَدَّةِ
فى قَانُونِ غَيْرِنَا . وَأَمَّا مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ . لأَنَّهُ
لَيْسَ مَنْ مَدَحَ نَفْسَهُ هُوَ الْمُزَكَّى بَلْ مَنْ يَمْدَحُهُ الرَّبُّ .

(٢ كورنثوس ١٠ : ٧ – ١٨)

يستمر بولس فى هذا الفصل فى الإجابة على منتقديه ، ومرة أخرى تصادفنا المشكلة عينها ، وهى أننا هنا نستمع إلى طرف من المحاورة . ولهذا لا نملك إلا أن نستنتج ماهية الانتقادات التى وجهت إلى بولس من إجابة بولس نفسه عليها .

١ — يبدو أن بعض خصومه زعموا أنه لم يكن ينتمى إلى المسيح بنفس الطريقة التى كانوا هم ينتمون بها إليه . وربما كانوا لا يزالون ينددون به ويذكرون أنه كان يوماً ما كبير المضطهدين لكنيسة المسيح . أما هم فقد زعموا لأنفسهم معرفة ورؤى خاصة . وادعوا قداسة روحانية خاصة . وكانوا على أية حال ينتهزون كل فرصة ليحقروا من شأن بولس ويمجدوا أنفسهم وعلاقتهم الخاصة بالمسيح ، غير عالمين أن التدين الذى يجعل الإنسان يحتقر الآخرين ، ويظن فى نفسه أنه أفضل منهم لا يمكن أن يكون تديناً حقيقياً . منذ سنوات ليست ببعيدة حدثت نهضة روحية كبيرة فى كنائس شرق إفريقية . وكانت إحدى ملامح النهضة اعتراف الناس العلنى بخطاياهم . وبينما كان الأهالى يتسابقون على الاعتراف كان الأوربيون الذين معهم يترفعون عن الاشتراك فى ذلك الاعتراف . فكتب أحد المرسلين يقول :

« إن الإحجام والترفع عن الاعتراف معناه عدم الرغبة فى الشركة مع الخطاة الذين غفرت خطاياهم . وكثيراً ما يتهم الأوربيون بالكبرياء وبعدم الرغبة فى الشركة المسيحية على هذا النحو » . ولست أظن أن هناك تعريفاً للكنيسة أجمل أو أدق من كونها شركة خطاة قد غفرت خطاياهم . وعندما يدرك شخص ما أنه ينتمى إلى شركة كهذه فلن يكون هناك مكان فى نفسه للكبرياء . إن مشكلة المسيحى المتعجرف المتكبر هى أنه يحس أن المسيح ينتمى إليه أكثر من إحساسه بأنه هو ينتمى إلى المسيح .

٢ — ويبدو أن الكورنثيين كانوا فعلا قد عيروا بولس بشأن مظهره الشخصى . ويبدو أنهم كانوا قد تهكموا عليه قائلين إن حضوره الجسدى ومظهره الشخصى ضعيفان ، وأنه ليس خطيباً أو كليماً . وربما كانوا فى ذلك على حق . فقد جاء وصف لمظهر بولس الشخصى فى كتاب قديم جداً إسمه « أعمال بولس وثكلا The Acts of Paul and Thecla يرجع

تاريخه إلى عام ٢٠٠ م . ويصف هذا الكتاب بولس بأنه « رجل صغير القوام ، رقيق الشعر فوق الرأس ، عنده التواء فى القدمين ، حالة جسمه طيبة ، حاجباه ملتقيان ، أنفه معقوف نوعاً ما ، ملىء بالنعمة ، كان يظهر أحياناً كانسان وأحياناً كأن له وجه ملائكى » . ويجدر بنا أحياناً أن نذكر أنه ليس أمراً نادراً أن روحاً عظيمة تسكن جسداً متواضعاً . فقد كان « وليم ولبرفورس » الذى حمل مسئولية تحرير العبيد فى الأمبراطورية البريطانية مخلوقاً صغيراً وضعيفاً حتى أنه كان يبدو وكأنه قشة فى مهب الريح . ولكن عندما سمعه « بوسول » مرة وهو يتحدث أمام الجمهور قال عنه :

« رأيت أمامى فى البداية ما بدا لى كأنه برغوث البحر ، ولكن عندما أنصت إليه بدأ يكبر ويكبر حتى صار فى نظرى حوتاً كبيراً » . لقد وصل الكورنثيون إلى أحط درجات اللياقة والحكمة عندما عيروا بولس بمظهره الشخصى .

٣ ــ ويبدو أنهم اتهموا بولس بالتفاخر بالسلطان الذى أعطاه إياه الرب ، وبمحاولته إستغلال هذا السلطان فى منطقة أو دائرة لا تخصه . ولا شك أنهم قالوا « فليلعب بولس دور السيد فى كنائس أخرى ، ولكن ليس فى كورنثوس » . وإذا بجواب بولس القاطع على ذلك أن كورنثوس هى فى صميم دائرة أو منطقة سلطانه لأنه كان أول من أبلغهم بشارة يسوع المسيح . ولقد كان بولس واحداً من الربيين ، وربما كان يفكر فى إدعاء اعتاد الربيون كثيراً أن يستخدموه وأن يرددوه . فقد كانوا يتمتعون باحترام خاص لأنهم علموا الناس إن احترام المعلم يجب أن يفوق احترام الوالد ، فالوالد فى نظرهم يحضر طفلاً إلى الحياة فى هذا العالم ، ولكن المعلم يعده للحياة فى العالم الآتى . وبكل تأكيد لم يكن هناك من يستطيع أن يزعم لنفسه

حق ممارسة سلطانه فى كنيسة كورنثوس أكثر من الرجل الذى استخدمه الله وقاده فى تأسيس تلك الكنيسة .

٤ — ثم نرى بولس يوجه إليهم اتهاماً ، فيقول فى تهكم واستهزاء إنه لا يمكن أن يحلم بمقارنة نفسه مع الذين يمدحون أنفسهم ، ثم يضع إصبعه بدقة على موضع الداء . وهو أنهم لا يعملون شيئاً سوى أن يمدحوا أنفسهم لأن مستوى القياس الوحيد بالنسبة إليهم هو أنفسهم ويقارنون أنفسهم الواحد بالآخر . لقد كانوا يستخدمون ، كما يفعل أناس كثيرون ، مستوى خاطئاً للقياس . فقد تظن فتاة أنها أفضل من يستطيع العزف على البيانو ، ولكنها لو قارنت نفسها بكبار العازفين لغيرت رأيها . وقد يظن رجل أنه أحسن من يلعب الكرة مثلا ، ولكنه لو قارن نفسه بكبار اللاعبين لغير رأيه فى نفسه . وقد يظن آخر أنه أحسن واعظ ، ولكنه لو قارن نفسه بأحد القديسين وأمراء الوعظ فانه يود لو أقفل فمه عن الوعظ مرة ثانية . إنه من السهل أن يقول أحدهم « أنا طبيب مثل جارى ، أو أنا طبيب مثل فلان الذى يسكن على مقربة منا » ، وقد يكون هذا القول صادقاً ولاشك فيه . ولكن ليس هذا هو المهم . إن المهم هو : هل نحن طيبون مثل يسوع المسيح ؟ إن يسوع هو أساس قياسنا وهو مستوى المقارنة الحقيقية ، وعندما نقيس أنفسنا به فلن يكون هناك مكان فى حياتنا للكبرياء والتفاخر . إن « مدح النفس » كما يقول بولس ليس شرفاً أو « تزكية » . إن الإنسان لا ينبغى أن يبحث عن مدحه لنفسه أو تقديره لها . بل يجب أن يطلب مدح المسيح له ورضاءه عنه .

وقبل أن ننتهى من هذا الفصل يجب أن نتأمل قليلا عبارة وردت فيه وهى عبارة « لنبشر إلى ما وراءكم » . وهذه العبارة تعبر عن صفة من الصفات المميزة لقلب بولس . فهو يرغب فى أن تستقر الأمور فى كورنثوس لأنه يشتاق إلى أن يذهب إلى المناطق الأخرى التى لم يصل إليها أحد ولم يعرفوا قصة المسيح بعد . اعتادو . م مكجريجر W.M. Macgregor أن يقول عن

بولس إن فكره كان دائماً مشغولا بالمناطق الأخرى التى لم تسمع بشارة الإنجيل .

فلم يكن يرى سفينة تلقى مراسيها فى ميناء إلا ويشتاق لركوبها ليحمل رسالة الإنجيل إلى المناطق التى « وراء » . ولم يكن يرى سلسلة من التلال البعيدة إلا ويرغب فى اجتيازها ليحمل قصة المسيح إلى المناطق التى «وراء» . إن الشخص الذى يحب المسيح لابد أن يكون فكره مشغولا دائماً بالرغبة فى تبشير الملايين الذين لم يسمعوا قط عن المسيح الذى يعنى بالنسبة إليه كل شىء فى الحياة .

خطر ضياع العفة

لَيْتَكُمْ تَحْتَمِلُونَ غَبَاوَتِي قَلِيلاً . بَلْ أَنْتُمْ مُحْتَمِلِيَّ . فَإِنِّي أَغَارُ عَلَيْكُمْ غَيْرَةَ ٱللهِ لأَنِّي خَطَبْتُكُمْ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمسيحِ . ولكِنَّنِي أَخَافُ أَنَّهُ كما خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا هَكَذَا تُفْسَدُ أَذْهَانُكُمْ عَنِ الْبَسَاطَةِ الَّتِي في المسيحِ . فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ الآتِي يَكْرِزُ بِيَسُوعٍ آخَرَ لَمْ نَكْرِزْ بِهِ أَوْ كُنْتُمْ تَأْخُذُونَ رُوحاً آخَرَ لَمْ تَأْخُذُوهُ أَوْ إِنْجِيلاً آخَرَ لم تَقْبَلُوهُ فَحَسَناً كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ . لأَنِّي أَحْسِبُ أَنِّي لَمْ أَنْقُصْ شَيْئاً عَنْ فَائِقِي الرُّسُلِ . وإِنْ كُنْتُ عَامِّيًّا فِي الْكَلاَمِ فَلَسْتُ فِي الْعِلْمِ بَلْ نَحْنُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ظَاهِرُونَ لَكُمْ بَيْنَ الْجَمِيعِ .

(٢ كورنثوس ١١ : ١ — ٦)

فى هذا الفصل كله نلاحظ أن بولس يستخدم أسلوباً ووسائل تعتبر بالنسبة له كريهة ومستقبحة كلية . فقد اضطر إلى أن ينبر على سلطانه ، واضطر أن يقدم ما يمكن اعتباره أوراق اعتماده ، واضطر أن يتحدث بالفخر عن نفسه ، واضطر أن يقارن بينه وبين أولئك الذين كانوا يحاولون إغواء كنيسة كورنثوس وإغراءها على التفريط فى عفتها . وكان بولس يكره أن

يستخدم مثل هذا الأسلوب ، ولذلك نراه يعتذر فى كل مرة يضطر فيها إلى الكلام بمثل هذه الطريقة . فلم يكن هو الرجل الذى يجب أن يفرض على الناس مراعاة كرامته واعتباره . قيل عن رجل عظيم إنه « لم يذكر كرامته واعتباره أبداً حتى نسى الآخرون ما له من كرامة واعتبار » . ولكن بولس كان يعتقد أن الذى كان تحت الخطر ، لم يكن هو شرف بولس وكرامته ، بل شرف يسوع المسيح وكرامته .

ويبدأ بولس حديثه فى هذا الفصل باستخدام صورة حية من عادات الزواج اليهودية . وقد كانت فكرة اعتبار إسرائيل « عروس » الله فكرة شائعة فى العهد القديم . قال إشعياء : « لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه » (اشعياء ٥٤ : ٥) ؛ « وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك » (إشعياء ٦٢ : ٥) . لذلك كان طبيعياً أن يستخدم بولس استعارة الزواج وأن يفكر فى كنيسة كورنثوس باعتبارها عروس المسيح . وقد كان فى حفلات الزفاف اليهودية أناس يسمون أصدقاء العريس وهما فى العادة إثنان ، أحدهما ينوب عن العروس والآخر ينوب عن العريس . وكان على هذين الشخصين واجبات كثيرة . فكانا يقومان بدور حلقة الاتصال بين العريس والعروس . وكانا يحملان الدعوات للضيوف . ولكن كانت لهما مسئولية خاصة . وهى ضمان طهارة العروس وعفتها . وهذه الفكرة هى التى كانت تجول فى خاطر بولس. ففى زواج يسوع المسيح بكنيسة كورنثوس يشعر بولس أنه يقوم بدور صديق العروس ؛ ومن ثم فهو مسئول عن ضمان عفة العروس وطهارتها ، وعليه أن يبذل كل ما فى وسعه لكى يحافظ على كنيسة كورنثوس نقية طاهرة كعذراء عفيفة مناسبة ليسوع المسيح .

وكانت هناك أسطورة يهودية ، شائعة فى أيام بولس ، تقول إن الشيطان

خدع حواء فى جنة عدن وأفسدها وأغواها ، وإن قايين كان ثمرة اتحادهم الآثم . ولابد أن بولس كان يفكر فى تلك الأسطورة القديمة عندما قال أنه يخشى على كنيسة كورنثوس من الفساد والزنى والضلال بعيداً عن المسيح .

وواضح تماماً أنه كان فى كورنثوس أناس يكرزون بالمسيحية بحسب روايتهم الخاصة ، وكانوا يصرون على أن إنجيلهم يفوق الإنجيل الذى يكرز به بولس . ومن الواضح أيضاً أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم من طبقة ممتازة وخاصة ، حتى أن بولس يدعوهم متهكماً « فائقى الرسل » . ويقول متهكماً أيضاً إن الكورنثيين كانوا يجيدون الإنصات إليهم . فاذا كانوا ينصتون إلى هؤلاء الناس بمثل هذا الإصغاء والاهتمام البالغ أفلا ينبغى عليهم بالحرى أن ينصتوا إليـــه هو ؟ .

ثم يعقد بعد ذلك مقارنة بين هؤلاء الرسل المزيفين وبين نفسه . فهو « عامى فى الكلام » . والكلمة التى يستخدمها بولس فى هذا المعنى هى كلمة idiotes . وقد كانت تعنى أولا الشخص الذى لم يكن يشترك بشىء فى الحياة العامة . ثم صارت تستخدم لتعنى الشخص الذى لم يحصل على تدريب فنى خاص ، أى الشخص الذى يمكن أن يسمى « علمانى » . ولذلك يقول بولس إن هؤلاء الرسل المزيفين والمتكبرين المتعاظمين قد يتفوقونه فى الخطابة فهم متمرنون مدربون عليها محترفين ، أما هو فهو مجرد هاو . هم جماعة حصلت على مؤهلات علمية وفنية خاصة ، أما هو فهو مجرد علمانى . ولكن الحقيقة التى تظل قائمة مع ذلك هى أنه مهما كانت عدم مهارته فى الخطابة فهو يعرف ما يتكلم عنه أما أولئك فانهم لا يعرفون . هناك قصة مشهورة تقول إن جماعة من الناس كانوا يتناولون طعام العشاء ذات مساء . وبعد العشاء اتفقوا على أن يتلوا كل منهم شيئاً مما يحفظه . فوقف ممثل مشهور ، وبكل ما لديه من مواهب الخطابة والفصاحة وفن التمثيل تلى على الجماعة

المزمور الثالث والعشرين ثم جلس ، وصفقت له الجماعة طويلاً . ثم تبعه رجل آخر . وبصوت هادىء رزين بدأ يردد هذا المزمور أيضاً وحاول أفراد الجماعة فى البداية أن يكتموا ضحكاتهم ، ولكن الرجل استمر فى تلاوة المزمور بطريقة جعلتهم يصمتون صمتاً كان فى ذاته أبلغ وأفصح من أى تصفيق . ولما انتهى الرجل من القاء الكلمات الأخيرة فى المزمور حدث سكون عميق مؤثر ، فتقدم الممثل إليه وقال له : « ياسيدى ، أنا أعرف المزمور ، ولكن أنت تعرف الراعى » . ربما كان خصوم بولس يعرفون كل أصول الخطابة وفن الإلقاء وربما كان بولس بسيطاً وعامياً فى الكلام ، ولكنه كان هو الذى يعلم ما كان يتحدث عنه أكثر من هؤلاء ، لأنه هو الذى كان يعرف المسيح الحقيقى .

الذين يغيرون شكلهم الى شبه المسيحيين

أَمْ أَخْطَأْتُ خَطِيَّةً إِذْ أَذْلَلْتُ نَفْسِى كَىْ تَرْتَفِعُوا أَنْتُمْ لِأَنِّى بَشَّرْتُكُمْ مَجَّاناً بِانْجِيلِ اللهِ . سَلَبْتُ كَنَائِسَ أُخْرَى آخِذاً أُجْرَةً لِأَجْلِ خِدْمَتِكُمْ . وَإِذْ كُنْتُ حَاضِراً عِنْدَكُمْ وَاحْتَجْتُ لَمْ أُثَقِّلْ عَلَى أَحَدٍ . لِأَنَّ احْتِيَاجِى سَدَّهُ الْأُخْوَةُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنْ مَكِدُونِيَّةَ . وفى كُلِّ شَىْءٍ حَفَظْتُ نَفْسِى غَيْرَ ثَقِيلٍ عَلَيْكُمْ وَسَأَحْفَظُهَا . حَقُّ الْمَسِيحِ فِىَّ . إِنَّ هَذَا الافْتِخَارَ لاَ يُسَدُّ عَنِّى فى أَقَالِيمِ أَخَائِيةَ . لماذَا . أَلِأَنِّى لاَ أُحِبُّكُمْ . اللهُ يَعْلَمُ . وَلَكِنْ مَا أَفْعَلُهُ سَأَفْعَلُهُ لِأَقْطَعَ فُرْصَةَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ فُرْصَةً كَىْ يُوجَدُوا كما نَحْنُ أَيضاً فى مَا يَفْتَخِرُونَ بِهِ . لِأَنَّ مِثْلَ

هَؤُلاَءِ هُمْ رُسُلٌ كَذَبَةٌ فَعَلَةٌ مَاكِرُونَ مُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ إِلَى شِبْهِ رُسُلِ الْمَسِيحِ . وَلاَ عَجَبَ لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ . فَلَيْسَ عَظِيماً إِنْ كَانَ خُدَّامُهُ أَيْضاً يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَّامٍ لِلْبِرِّ . الَّذِينَ نِهَايَتُهُمْ تَكُونُ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ

(٢ كورنثوس ١١ : ٧ – ١٥)

وهنا نرى بولس مرة أخرى يدافع عن نفسه وهو يفند الاتهامات التى وجهت ضده . والتهمة هذه المرة واضحة . فقد كان الحقد الملتهب يتقد فى عقول أعضاء كنيسة كورنثوس بسبب رفض بولس قبول أية معونة منهم ، كما قال لشيوخ كنيسة أفسس وهو يريهم يديه المخشوشنتين من العمل والتعب : « إن حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان » (أعمال ٢٠ : ٣٤) وعندما كان محتاجاً كانت كنيسة فيلبى هى وحدها التى أمدته باحتياجاته . (فيلبى ٤ : ١٠ – ١٨) .

وقبل أن نواصل دراستنا لهذا الفصل يجب أن نضع أمامنا سؤالا واحداً وهو : هل كان بولس متقلباً أو مناقضاً لنفسه ؟ وكيف كان بولس يتمسك بموقف الاستقلال الكلى إزاء كنيسة كورنثوس ، ومع ذلك يقبل عطايا وهبات من كنيسة فيلبى ؟ الحقيقة أن بولس لم يكن متقلباً أو غير ثابت على مبدأ ، والسبب فى ذلك كان سبباً عملياً وممتازاً . وعلى قدر ما وصل إليه علمنا نعرف أن بولس لم يقبل عطية أو هبة من كنيسة فيلبى عندما كان فى مدينة فيلبى ، ولكنه فعل ذلك فقط بعد أن غادرها مواصلا رحلاته . وسبب ذلك واضح ، فطالما كان بولس فى مكان ما كان يحرص على أن يكون معتمداً على نفسه ، ومستقلا تماماً . ولم يكن يستطيع أن يكون تحت التزام أو مديونية

لأحد . فمن الصعب جداً أن يقبل الواحد مساعدة أو منحة من إنسان وهو يعلم أنه قد يجد نفسه بعد ذلك مضطراً لأن يدين ذلك الإنسان أو يعظ ضده . لذلك عندما كان بولس بين الفليبيين لم يرض أن يكون مديناً لأحد . لكنه بعد أن غادرهم اختلف الأمر وأصبح حراً فى أن يقبل ما قدمته له محبة الفيلبيين ، لأن قبوله آنئذاك لم يكن ليجعله تحت ضغط أى فرد أو جماعة . وبالمثل كان مستحيلاً على بولس عندما كان فى كورنثوس أن يقبل مساعدة الكورنثيين وفى نفس الوقت يحتفظ بالحرية والاستقلال الذى كان الموقف يتطلبه . إذاً لم يكن بولس متقلباً لكنه كان حكيما .

فلماذا إذن كان الكورنثيون متضايقين لرفضه مساعدتهم المادية له ؟ كان السبب الأول هو أنهم ، ككل الإغريقيين ، كانوا يعتقدون أن العمل اليدوى شيء لا يليق بكرامة الرجل الحر . ونسوا بذلك كرامة واعتبار العمل الأمين الشريف ، فلم يفهم الكورنثيون لذلك وجهة نظر بولس فى هذا الأمر . والسبب الثانى هو أنه كان مفروضاً أن المعلمين فى العالم اليونانى ، فى ذلك العصر كانوا يكتسبون رزقهم من التعليم . ولم يحدث أن كان عصر من العصور يكتسب فيه من يستطيع الكلام مالا وفيراً مثل ذلك العصر . وقد كانت كل مدينة ملتزمة بأن تمنح إعفاء كاملاً من الضرائب لعدد معين من معلمى البلاغة والأدب . وكان مفروضاً أن يكتسب المعلم ماله من الناس الذين يعلمهم . لذلك كان استقلال بولس مادياً واعتماده على نفسه شيئاً غريباً بالنسبة للكورنثيين حتى أنهم لم يستطيعوا أن يفهموه .

أما بالنسبة للرسل الكذبة فانهم هم أيضاً قد اتخذوا من استقلال بولس هذا تهمة يوجهونها ضده . فهم كانوا يتقبلون المساعدات بترحاب ، وكانوا يزعمون أن قبولهم لها برهاناً على أنهم كانوا رسلا حقيقيين ، وعلى هذا فقد

زعموا أن بولس رفض أن يأخذ شيئاً لأن تعليمه لم يكن يستحق شيئاً . ومع ذلك فقد كانوا فى قرارة نفوسهم خائفين لئلا يكتشف الناس أمرهم يوماً ما ، فليس من السهل أن يخدع كل الناس كل الوقت ، وكانوا يخافون أيضاً من افتضاح قصدهم الدنئ فى أن يهبط ببولس إلى مستوى أطماعهم المادية فيصبح مثلهم ، ولا يكون استقلاله المادى موضوع مقارنة الناس بينه وبينهم .

واتهم بولس هؤلاء الرسل بأنهم يغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح . وكانت الأسطورة اليهودية تقول إن الشيطان غير شكله مرة إلى شبه ملاك نور ينشد ويسبح لله ، وإن حواء رأته فخدعت بمكره وأغويت بكلامه .

ولا يزال الكثيرون يغيرون شكلهم ليظهروا كمسيحيين . وبعضهم يفعلون ذلك بوعيهم ، ولكن الأكثرين يفعلون ذلك لا شعورياً .

ومسيحية هؤلاء لا تزيد عن كونها ثوباً خارجياً ظاهرياً لا حقيقة فيه . وضع سنودس الكنيسة فى أوغندة الاختبارات الأربعة التالية التى يمكن لأى إنسان أن يفحص بها نفسه ليختبر صدق مسيحيته :

١ ــ هل تعرف الخلاص عن طريق صليب المسيح ؟

٢ ــ هل أنت تنمو فى قوة الروح القدس ، وفى الصلاة ، وفى التأملات الروحية ، وفى معرفة الله . ؟

٣ ــ هل لديك رغبة حقيقية فى نشر ملكوت الله بالقدوة وبالكرازة وبالتعليم ؟

٤ ــ هل تأتى بآخرين للمسيح بالعمل الفردى وبالزيارات وبالشهادة العلنية ؟

وليس لنا أن نحكم على ضمائر الآخرين أو نتدخل فيها ، ولكننا بهذه الاختبارات نستطيع أن نفحص أنفسنا ونمتحن مسيحيتنا لئلا يكون إيماننا نحن أيضاً مجرد مظهر خارجى وليس إيماناً حقيقياً .

شهادات اعتماد رسول

أَقُولُ أَيضاً لاَ يَظُنُّ أَحَدٌ أَنِّى غَبِىٌّ . وَإِلاَّ فَاقْبَلُونِى وَلَوْ كَغَبِىٍّ لأَفْتَخِرْ أَنا أَيْضاً قَلِيلاً . الَّذِى أَتَكَلَّمُ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ بِحَسَبِ الرَّبِّ بَلْ كَأَنَّهُ فى غَبَاوَةٍ فى جَسَارَةِ الإِفْتِخَارِ هَذِهِ . بما أَنَّ كَثِيرِينَ يَفْتَخِرُونَ حَسَبَ الْجَسَدِ أَفْتَخِرُ أَنا أَيْضاً . فَإِنَّكُمْ بِسُرُورٍ تَحْتَمِلُونَ الأَغْبِيَاءَ إِذْ أَنْتُمْ عُقَلاَءُ . لأَنَّكُمْ تَحْتَمِلُونَ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْتَعْبِدُكُمْ . إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْكُلُكُمْ . إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْخُذُكُمْ . إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَرْتَفِعُ . إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَضْرِبُكُمْ عَلَى وُجُوهِكُمْ . عَلَى سَبِيلِ الْهَوَانِ أَقُولُ كَيْفَ أَنَّنا كُنَّا ضُعَفَاءَ . ولكِنَّ الَّذِى يَجْتَرِئُ فِيهِ أَحَدٌ أَقُولُ فى غَبَاوةٍ أَنا أَيْضاً أَجْتَرِئُ فِيهِ . أَهُمْ عِبْرَانِيُّونَ فَأَنَا أَيْضاً . أَهُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ فَأَنَا أَيْضاً . أَهُمْ نَسْلُ إِبْرهِيمَ فَأَنَا أَيضاً . أَهُمْ خُدَّامُ المسِيحِ . أَقُولُ كَمُخْتَلِّ الْعَقْلِ . فَأَنَا أَفْضَلُ . فى الأَتْعَابِ أَكْثَرُ . فى الضَّرَبَاتِ أَوْفَرُ . فى السُّجُونِ أَكْثَرُ . فى الْمِيتَاتِ مِرَاراً كَثِيرَةً . مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً . ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِىِّ . مَرَّةً رُجِمْتَ . ثَلاَثَ مَرَّاتٍ انكَسَرَتْ بِى السَّفِينَةِ . لَيْلاً وَنَهاراً قَضَّيْتُ فى الْعُمْقِ . بِأَسْفَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً . بِأَخْطَارِ سُيُولٍ بِأَخْطَارِ

لُصُوصٍ . بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي . بِأَخْطَارٍ مِنَ الأُمَمِ بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ . بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ . بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ . بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ . فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ . فِي أَسْهَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً . فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ . فِي أَصْوَامٍ مِرَاراً كَثِيرَةً فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ . عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ . التَّرَاكُمُ كُلَّ يَوْمٍ . الاهْتِمَامُ بِجَمِيعِ الْكَنَائِسِ . مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لاَ أَضْعُفُ . مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لاَ أَلْتَهِبُ . إِنْ كَانَ يَجِبُ الافْتِخَارُ فَسَأَفْتَخِرُ بِأُمُورِ ضَعْفِي . اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَكْذِبُ . فِي دِمَشْقَ وَإِلَى الْحَارِثِ الْمَلِكُ كَانَ يَحْرُسُ مَدِينَةَ الدِّمَشْقِيِّينَ يُرِيدُ أَنْ يُمْسِكَنِي . فَتَدَلَّيْتُ مِنْ طَاقَةٍ فِي زَنْبِيلٍ مِنَ السُّورِ وَنَجَوْتُ مِنْ يَدَيْهِ .

(٢ كورنثوس ١١ : ١٦ – ٣٣)

نرى بولس هنا مضطراً ، رغماً عن إرادته ، لأن يقدم شهادات إعتماده كرسول . وهو يشعر أن الأمر كله حماقة وغباوة ، وعندما يجد نفسه وقد وصل إلى درجة مقارنة نفسه مع الآخرين فان الأمر يبدو أمامه وكأنه اختلال فى العقل . ولكنه اضطر أن يفعل ذلك ، لا ليمجد نفسه هو بل ليمجد الإنجيل الذى يكرز به ، وواضح أن خصومه كانوا من المعلمين اليهود الذين كانوا يزعمون أن لديهم إنجيلاً وسلطاناً يفوق بكثير ما كان لبولس .

وعندما يتحدث بولس عما كان الكورنثيون مستعدين لأن يتحملوه

على أيدى هؤلاء المعلمين نراه يجمل وصف هؤلاء المعلمين بكلمات قليلة لاذعة ساخطة :

(ا) فهم « يستعبدون » الكورنثيين ، ويفعلون ذلك لأنهم يحاولون أن يخضوهم على الخضوع للختان وللقواعد والأحكام الصغيرة التى فى الناموس اليهودى والتى يبلغ عددها الألف وواحدة ، وهكذا ينبذون الحرية المجيدة التى يقدمها لهم إنجيل النعمة .

(ب) وهم « يأخذون » الكورنثيين « ويأكلونهم » . وكان الربيون (الأحبار) اليهود فى أسوأ حالاتهم يصلون إلى درجة الجشع والسلب والنهب بلا حياء أو خجل . فقد كانوا من الناحية النظرية يعلمون بأن الربى (الحبر) لا ينبغى أن يتقاضى أجراً نظير تعليمه ، وعليه أن يكسب ماله بعمل يديه ، ولكنهم كانوا يعلمون أيضاً بأنه هناك امتيازاً كبيراً استثنائياً لمن يعول أحد الأحبار ، فهو إذ يفعل ذلك يضمن له مكاناً فى الأكاديمية السماوية .

(ح) وهم « يرتفعون » ويتكبرون على الكورنثيين . والواقع أن هؤلاء الربيين كانوا يطلبون لأنفسهم احتراماً أعظم من الاحترام الذى يقدم للوالدين . وكانوا يعلمون أنه إذا وقع الوالد والمعلم فى قبضة قطاع طرق فعلى الإبن أن يفدى معلمه أولا وبعد ذلك والده .

(د) وكانوا « يضربون أتباعهم على وجوههم » . وقد يكون المقصود بهذه العبارة وصف سلوكهم المتكبر والمهين ، أو لعلهم كانوا يفعلون ذلك (أعمال ٢٣ : ٢) . لكن مع كل هذا فقد بلغ هؤلاء الكورنثيون مرحلة غريبة من التفكير إذ كانوا يرون فى وقاحة وعجرفة المعلمين اليهود دليلا وضماناً لسلطانهم الرسولى .

وقد زعم المعلمون الكذبة المزيفون لأنفسهم ثلاثة إدعاءات يؤكد بولس

أنه يستطيع أن يصارعهم وأن يعادلهم فيها . فهم كانوا يدعون أنهم «عبرانيون» وهذه الكلمة يراد بها بصفة خاصة اليهود الذين كانوا لا يزالون يذكرون ويتكلمون لغتهم العبرانية القديمة فى شكلها الآرامى ، وهو الشكل السائد أيام بولس . وكان هناك يهود مشتتون فى جميع أنحاء العالم ، وكان هناك مليون منهم فى إسكندرية . وهؤلاء اليهود المشتتين تقريباً نسوا لغتهم القومية وبدأوا يتكلمون اليونانية . أما اليهود الذين بقوا فى فلسطين ، والذين ظلوا يحتفظون بلغتهم القومية ويتمسكون بها ، فقد كانوا ينظرون باحتقار وازدراء إلى أولئك اليهود الأجانب . ويحتمل جداً أن خصوم بولس كانوا يقولون : « إن بولس هذا مواطن من طرطوس . وهو ليس مثلنا يهودياً فلسطينياً أصيلا . إنه واحد من أولئك اليهود الذين تأثرت حياتهم ولغتهم باليونانية » ويرد بولس على ذلك بقوله : « لا ، أنا أيضاً واحد من أولئك الذين لم ينسوا لغتهم الأصلية، لغة الأجداد » . وهكذا لم يستطع خصومه أن يزعموا التفوق عليه من هذه الناحية . ثم كانوا يدعون أنهم « إسرائيليون » . وكلمة « إسرائيلى » تصف اليهودى باعتباره « واحداً من شعب الله المختار » وكانت العبارة الأساسية فى دستور الإيمان اليهودى ، التى تبدأ بها كل خدمة من خدمات المجمع ، هى « اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد » (تثنية ٦ : ٤) . ولا شك أن خصوم بولس من اليهود كانوا يقولون : « إن بولس الذى لم يعش أبداً فى فلسطين بل قضى كل حياته فى المناطق اليونانية فى كيليكية فانه يعتبر منسلخاً عن الشعب المختار » . ويرد بولس على ذلك بقوله : « لا ، أنا إسرائيلى أصيل كأى واحد آخر . وسلسلة نسبى هى نفس سلسلة نسب شعب الله » . فهم إذاً لا يستطيعون إدعاء التفوق عليه من هذه الناحية . وهم كانوا يدعون أنهم « نسل إبرهيم » . وكانوا يعنون بذلك أنهم كانوا السلالة المباشرة لإبرهيم ومن ثم فانهم ورثة للوعد العظيم الذى كان الله قد قطعه لإبرام (تكوين

١٢ : ١ — ٣) وقد كانوا يدعون أن بولس لم يكن من صميم نسل إبرهيم كما كانوا هم . ويرد بولس على ذلك بقوله : « لا ، أنا من صميم نسل إبرهيم كأى واحد آخر » (فيلبى ٣ : ٥ ، ٦) . فاذا كان الأمر يتعلق بنقاوة وصفاء الدم اليهودى فأنا أستطيع أن أقف على قدم المساواة مع أى واحد آخر » . أى أنهم من هذه الناحية أيضاً لا يستطيعون أن يزعموا لأنفسهم أى تفوق أو أفضلية عليه .

ثم يقدم بولس بعد ذلك شهادات إعتماده كرسول ، وشهادات إعتماده هذه هى ما تحمله لأجل المسيح من أتعاب وآلام . وكأن الادعاء الوحيد الذى أراد بولس أن يبرزه عن نفسه هو قائمة الآلام التى تحملها لأجل سيده . وكأنه يريد أن يعلن إن الشهادات الوحيدة التى يعتز بها فى حياته وخدمته هى الكفاح الشجاع الذى قام به والآلام والمتاعب التى لقيها من أجل الله الذى سيمنحه المكافأة فى السماء بعد أن ينتهى زمان سياحته فى هذا العالم .

وعندما نقرأ القائمة التى تصف كل ما عمله بولس وما تحمله ، فان الشىء الوحيد الذى يلفت نظرنا هو مدى قلة معلوماتنا عن بولس . فعندما كتب رسالته هذه كان فى مدينة أفسس ، أى أننا لم نتعد الأصحاح التاسع عشر من قصة سفر الأعمال . وبالمقارنة بما جاء هنا وما ذكر فى سفر الأعمال لوجدنا أن ما سجل فى ذلك السفر لا يزيد عن ربع ما هو مذكور هنا . فهذه القائمة تظهر أن بولس أعظم بكثير مما تصورناه ، لأن سفر الأعمال لم يسجل لنا إلا مقتطفات مما عمله وما تحمله .

ويمكننا أن نلخص هذه القائمة الطويلة فى ثلاث فقرات :

١ — يقول بولس : « ثلاث مرات ضربت بالعصى » . وقد كانت هذه عقوبة رومانية . وكان أتباع القضاة أو خدمهم يسمون الجلادين lictors .

وكانوا مزودين بعصى مصنوعة من خشب شجر البتولا يضربون بها المجرمين والمذنبين ويعذبونهم . وقد حدث هذا لبولس ثلاث مرات . وكان ينبغى ألا يحدث ذلك له أبداً لأن القانون الرومانى كان يحظر جلد المواطن الرومانى وكان بولس مواطناً رومانياً . ولكن ، لأن الغوغاء كانوا هائجين ، ولأن القاضى كان ضعيفاً ، فقد قاسى بولس الضرب مع أنه كان مواطناً رومانياً .

٢ – ويقول بولس : « خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة » . وكانت هذه عقوبة يهودية ، وقد وضع الناموس اللوائح الخاصة لهذه العقوبة (تثنية ٢٥ : ١ – ٣) . وكانت العقوبة العادية أربعين جلدة ، ولا ينبغى أن تزيد الجلدات عن هذا العدد بأى حال من الأحوال ، وإلا فالجلاد نفسه كان توقع عليه عقوبة الجلد ، ولذلك كانوا يتوقفون عند الجلدة التاسعة والثلاثين . ولذلك عرفت عقوبة الجلد بأنها « أربعين جلدة إلا واحدة » . أما اللوائح التفصيلية لعقوبة الجلد فقد سجلت فى « المشناه Mishnah » وهو الكتاب الذى جمعت فيه القوانين اليهودية التقليدية . وجاء فيه كيفية توقيع عقوبة الجلد على النحو التالى : « تربط يد المذنب إلى عمودين على اليمين وعلى اليسار ثم يمزق خادم المجمع ملابس المذنب حتى يعرى صدره . ويقف الخادم على حجر خلفه وهو يمسك بسوط مصنوع من طبقات متعددة من جلد خام أو مدبوغ متصل به سوطان آخران كل منهما بحجم اليد على أن يصل طرف السوط الرئيسى إلى سرة البطن (حتى أنه عندما يجلد المذنب عند الكتف لا بد أن يصل طرف الجلدة إلى سرة البطن) . وكان الجلاد يضرب ثلث عدد الجلدات على صدر المذنب والثلثين على ظهره . ولم يكن يسمح للمذنب أن يقف أو يجلس عند جلده ، ولكنه كان يجلد وهو منحنى فقط . . .

وكان الجلاد يجلده بيد واحدة وبكل قوته ، وإذا مات المذنب تحت يد

الجلاد لا يلام الجلاد على ذلك ، ولكن إذا ضربه الجلاد مرة واحدة زيادة عن الأربعين ومات المذنب بعدها ، فان الجلاد يجب أن يهرب إلى المنفى » . هذا ما احتمله بولس « خمس مرات » ، جلداً قاسياً يكاد يكون قاتلا .

٣ — مراراً وتكراراً فى هذه القائمة يتحدث بولس عن أخطار أسفاره . صحيح أن الطرق البرية والبحرية فى أيام بولس كانت أكثر أماناً عن ذى قبل ولكنها كانت لا تزال محفوفة بالمخاطر . وبوجه عام لم يكن الناس قديماً يستطيبون السفر بالبحر . كتب سينكا Seneca الفيلسوف الرومانى إلى صديق له يقول : « تستطيع الآن أن تحضنى على الإقدام على أية مخاطرة ، لأننى قد أغريت منذ عهد قريب على السفر بالبحر » . وكان الناس يعتبرون المسافر بحراً كأنه جازف بحياته وألقى بها إلى التهلكة . أما عن الطرق البرية فقد كانت معرضة كثيراً لهجمات اللصوص وقطاع الطرق . ولم يكن الواحد يجرؤ على أن يسافر بمفرده بل كان يسافر بصحبة جماعة من الناس ، أو يحتمى برفقة ضابط أو مبعوث رومانى رسمى . ولم يكن مع بولس أى رفيق من هذا النوع . وكان أمراً عادياً جداً أن ينقض جماعة من اللصوص أو قطاع الطرق على المسافر ويقبضون عليه ولا يطلقون سراحه إلا بعد أن يأخذوا فدية كبيرة عنه . لذلك لا غرابة أن يعتبر بولس جسوراً ومخاطراً بحياته ومجازفاً بها وهو يقوم بأسفاره العديدة لنشر الإنجيل .

وفضلا عن ذلك كله كان هناك « الاهتمام بجميع الكنائس » ، ولا تعنى هذه العبارة مجرد الأحمال والمسئوليات الإدارية اليومية للمجتمعات المسيحية فقط ولكنها تعنى أيضاً أن بولس كان يحمل فى قلبه كل آلام وضيقات ومشاكل شعبه من جميع الكنائس .

ثم ينتهى هذا الفصل بخاتمة غريبة . إذ يبدو أن حادثة هروب بولس من دمشق لم تكن محببة أو مستساغة بالنسبة لرجل كبولس . وقد وردت عنها

إشارة فى أعمال ٩ : ٢٣ ـــ ٢٥ . وقد كان سور دمشق ضخماً بحيث يتسع لعربة وكانت هناك بيوت كثيرة تطل عليه ، ولا بد أن بولس قد أنزل من السور من إحدى هذه البيوت . فلماذا يذكرها هنا بصراحة ؟ ربما فعل ذلك لأنها كانت تقرحه وتلهبه . ذلك لأن رجلا كبولس لا بد أنه أحس بأن الخروج الخفى من دمشق على هذا النحو كان أسوأ من الجلد والتعذيب . ولا بد أنه كان يكره من كل قلبه العظيم أن يجد نفسه هارباً شارداً فى الليل .. ولا شك أن الرجل الذى لم يكن يخشى المخاطر وأن يواجهه الغوغاء والأعداء، وجد أن هذا الهروب السرى أمر صعب الاحتمال على نفسه العظيمة .

الشوكة والنعمة

إِنَّهُ لاَ يُوَافِقُنِى أَنْ أَفْتَخِرَ . فَإِنِّى آتِى إِلَى مَنَاظِرِ الرَّبِّ وَإِعْلاَنَاتِهِ . أَعْرِفُ إِنْسَاناً فِى الْمَسِيحِ قَبْلَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . أَفِى الْجَسَدِ لَسْتُ أَعْلَمُ أَمْ خَارِجِ الْجَسَدِ لَسْتُ أَعْلَمُ . اللهُ يَعْلَمُ . اخْتُطِفَ هَذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ . وَأَعْرِفُ هَذَا الإِنْسَانَ أَفِى الْجَسَدِ أَمْ خَارِجِ الْجَسَدِ لَسْتُ أَعْلَمُ . اللهُ يَعْلَمُ . أَنَّهُ اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا . مِنْ جِهَةِ هَذَا أَفْتَخِرُ . وَلَكِنْ مِنْ جِهَةِ نَفْسِى لاَ أَفْتَخِرُ إِلاَّ بِضَعَفَاتِى . فَإِنِّى إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَفْتَخِرَ لاَ أَكُونُ غَبِيًّا لأَنِّى أَقُولُ الْحَقَّ . وَلَكِنِّى أَتَحَاشَى لِئَلاَّ يَظُنَّ أَحَدٌ مِنْ جِهَتِى فَوْقَ مَا يَرَانِى أَوْ يَسْمَعُ مِنِّى . وَلِئَلاَّ أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِى الْجَسَدِ مَلاَكَ الشَّيْطَانِ لِيَلْطِمَنِى لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ . مِنْ جِهَةِ هَذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِى . فَقَالَ لِى تَكْفِيكَ نِعْمَتِى لأَنَّ قُوَّتِى فِى الضَّعْفِ تُكْمَلُ . فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرَى

فى ضَعَفَاتى لِكَىْ تَحُلَّ عَلَىَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ . لِذَلِكَ أَسَرُّ بِالضَّعفَاتِ والشَّتائم والضَّرُورَاتِ والاضْطَهَادَاتِ والضِّيقَاتِ لأَجْلِ الْمَسِيح . لأَنِّى حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَاقَوِىٌّ.

(٢ كورنثوس ١٢ : ١ : ١٠)

إن قليلا من الشعور والإحساس يدفعنا لأن نقرأ هذا الفصل باجلال ووقار خاص ، ففيه يكشف بولس مكنونات قلبه ، ويرينا فى وقت واحد مجده وألمه .

وعلى الرغم من إرادته نراه يستمر فى إبراز شهادات اعتماده ، فيقص علينا اختباراً لا نملك إزاءه إلا أن نقف متعجبين وعاجزين عن أن نسبر غوره أو ندرك مداه . وكأنه يقف خارج نفسه بطريقة عجيبة غريبة وينظر إلى نفسه ويقول « أعرف إنساناً » . وهذا الإنسان هو بولس ذاته ، ومع ذلك فهو ينظر إليه بتعجب وذهول لهذا الذى حدث له . إن أعظم هدف لتدين الإنسان المتصوف أو العالم الروحانى هو أن يرى الله ، وما يتوق إليه ويحلم به فوق هذه الرؤية هو أن يتحد مع الله . فالمتصوف يهدف دائماً إلى الوصول إلى تلك اللحظة العجيبة عندما يصبح « الرائى والمرئى شخصاً واحداً » . وقد جاء فى تقاليد اليهود أن أربعة من الربيين (الأحبار) اختبروا هذه الرؤية : أولهم « ابن عزاى » إذ رأى مجد الله ومات ، وثانيهم « بن سوما » رآه ففقد عقله ، وثالثهم « أشير » رآه ، وبالرغم من هذه الرؤية فقد أصبح مهرطقاً ومن أهل البدع ، ولكن « عقيبة » وحده هو الذى صعد فى سلام وعاد فى سلام . ونحن لا نستطيع حتى أن نخمن بما حدث لبولس . ولسنا فى حاجة لأن نكون نظريات عن عدد السماوات لأن بولس يتحدث عن السماء الثالثة . فهو يعنى فقط أن

روحه ارتفعت إلى غيبوبة روحية وقرب من الله فوق مستوى الإدراك العادى .

وهناك شيء واحد جميل يمكن أن نلحظه ونذكره لأنه قد يساعدنا قليلاً فى فهم هذا الأمر . وهو أن كلمة فردوس Paradise تأتى من كلمة فارسية معناها « حديقة لها أسوار » . وعندما كان الملك الفارسى يرغب أن يمنح لشخص عزيز عليه امتيازاً وتكريماً خاصاً فانه كان يجعل منه « رفيق الحديقة » أى أنه كان يمنحه حق السير معه فى الحدائق الملكية فى شركة وثيقة وصداقة متينة . وفى هذا الاختبار الذى حظى به بولس ، كما لو لم يحظ به إنسان من قبل أو من بعد ، يمكن أن نقول إن بولس كان رفيقاً لله .

وبعد المجد جاء الألم . وها نحن نراه يحدثنا فى هذا الفصل عن « شوكة » فى جسده . والكلمة الأصلية Skolops المترجمة هنا « شوكة » يمكن أن تعنى شوكة ولكنها تعنى بالأكثر « خازوق » . وكان المجرمون يوضعون فوق خازوق حاد . أى أن بولس كان يشعر بما يشبه الخازوق الذى يفرى جسده فماذا ترى كانت الشوكة التى فى جسده ؟ لقد قدمت إجابات كثيرة عن هذا السؤال . ويمكننا أن نستعرض هذه الإجابات ، التى بالرغم من أنها تنسب إلى كثير من علماء الكتاب إلا أنها تفتقر إلى الدليل القاطع ، ولا يمكننا أن نقرها أو نتفق معهم فيها .

١ — اعتقد كلفن أن الشوكة المقصودة كانت هى التجارب الروحية ، كالشك ، والتنصل من واجبات الحياة الرسولية ، وتأنيب الضمير عند السقوط فى هذه التجارب والانهزام أمامها .

٢ — أما لوثر فقد كان يعتقد أن المقصود بالشوكة هو الاضطهاد الذى اضطر بولس أن يواجهه ، والنضال المستمر ضد أولئك الذين كانوا يعارضونه ويحاولون أن يفسدوا عمله وخدمته .

أما الرأى السائد فى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية إلى يومنا هذا هو أن الشوكة المشار إليها تعنى التجارب الجسدية . التى يختبرها الرهبان والنساك فى أديرتهم وصوامعهم وهى تلك التى تتصل بالغريزة الجنسية . فقد أرادوا بكل مثلهم العليا فى النسك والتقشف أن يستأصلوها ولكنهم فشلوا إذ كانت تراودهم كثيراً . ظنوا أن بولس كان هكذا .

ولا يمكن أن تكون أية إجابات من هذه الإجابات صحيحة لأسباب ثلاثة :

(ا) إن نفس كلمة شوكة تبين الألم الشديد الفظيع .

(ب) إن الصورة كلها أمامنا هى صورة ألم جسدى .

(حـ) مهما كانت الشوكة ، فقد كانت متقطعة ؛ فبالرغم من أنها كانت تؤلم بولس وتضعفه لكنها لم تعقه كلية عن عمله . لذلك دعنا ندرس الآراء الأخرى التى قدمت إجابة عن مسألة الشوكة هذه .

٤ ــ ظن بعضهم أن شوكة بولس كانت مظهره الجسمانى . فقد كان « حضوره الجسدى ضعيفاً » (٢ كورنثوس ١٠ : ١٠) . وظنوا أنه كان يقاسى من تشوه معيب فى جسده ، كان يعوق عمله ويعطله عن خدمته . ولكن هذا لا يفسر الألم الواضح الصريح الذى لا بد كان يحس به .

٥ ــ قال آخرون إن بولس كان مصاباً بالصرع . ومرض الصرع هذا مؤلم ينتاب المريض بين وقت وآخر ، لكنه لا يعوقه عن أن يزاول عمله . وكانوا ينسبون هذا المرض قديماً إلى الشياطين والأرواح النجسة . وعندما كان الناس فى العالم القديم يرون شخصاً مصاباً بالصرع كانوا يبصقون لكى يبعدوا عنهم الشيطان الشرير أو الروح النجس . وفى غلاطية ٤ : ١٤ يقول بولس إن الغلاطيين عندما رأوا تجربته التى فى جسده لم يزدروا بها ولم يكرهوها ولم يرفضوه بسببها ، والترجمة الحرفية لهذا المعنى « أنهم لم يبصقوا عليه » . وفضلا

عن ذلك فقد كان يوليوس قيصر وأوليفر كرومويل ونابليون كلهم مصابين بالصرع . ولكن هذه النظرية تحمل وراءها نتائج يصعب قبولها . فان معنى هذا أن روى بولس كانت روى عقل تنتابه أوقات من الاضطراب والخلل المؤقت ، وأنها كانت نوبات غيبوبة صرع . ولا شك أنه يصعب أن يصدق الناس أن الروى التى غيرت العالم كانت ترجع أولا وأساساً إلى نوبات صرع .

٦ - أما أقدم هذه النظريات جميعاً فهى أن بولس كان يقاسى من صداع شديد متعب يعاوده من وقت لآخر . وكان ترتليانوس وأورينموس من بين الذين يعتقدون بهذا الرأى .

٧ - وهذا الرأى الأخير قد يقودنا إلى الحقيقة التى نبحث عنها حول شوكة بولس . فهناك نظرية أخرى تقول إن بولس كان يقاسى من ألم فى عينه . وهذا قد يشرح لنا سر نوبات الصداع التى كانت تنتابه . فبعد أن انتهى اللقاء المجيد فى الطريق إلى دمشق أصبح بولس أعمى لا يبصر . (أعمال ٩ : ٩) . وربما لم تستعد عيناه قوة إبصارهما ثانية . ومما يؤكد هذا المعنى ما قاله بولس عن الغلاطيين من أنهم كانوا مستعدين لو أمكن أن يقلعوا عيونهم ويعطونها له (غلاطة ٤ : ١٥) . وفى خاتمة رسالته إليهم يقول لهم « أنظروا ما أكبر الأحرف التى كتبتها إليكم بيدى » (غلاطية ٦ : ١١) . كما لو كان يصف الحروف الهجائية الكبيرة جداً التى لا يكتبها سوى الشخص الذى يكاد لا يبصر :

٨ - ولكن الأمر الأكثر إحتمالا هو أن بولس كان يقاسى من نوع من الملاريا المزمنة التى كانت تنتاب كثيراً سكان سواحل شرق البحر الأبيض المتوسط . وعندما كان أهل تلك المنطقة يرغبون فى إيقاع الأذى بعدو لهم كانوا يصلون لآلهتهم حتى يهلك بهذه الحمى . وقد وصف أحد الذين أصيبوا

بهذا الصداع الذى يصاحبها بأنه يشبه « قضيباً ملتهباً توخز به مقدمة الرأس » . ومثل هذا الألم يستحق بأن يوصف بأنه شوكة فى الجسد ؛ هذه الشوكة التى تحتم على الرسول الذى تحمل كل هذه القائمة من الآلام أن يتحملها هى أيضاً .

وصلى بولس أن يرفع الله عنه هذه الشوكة ، ولكن الله استجاب هذه الصلاة كما يستجيب لأغلب الصلوات التى من هذا القبيل ، فهو لم يرفعها أو يبعدها عنه ، ولكنه أعطاه قوة لتحملها . إن الله لا يمنعنا من مواجهة المشاكل ، ولكنه يجعلنا قادرين على أن نهزمها وأن نجتازها بقوة وغلبة .

وأعطى الله لبولس النعمة الكافية لكل شىء . وهلم الآن لنر من حياته الخاصة بعض الأشياء التى مكنته تلك النعمة الكافية لمواجهتها :

١ — كانت هذه النعمة كافية لمواجهة الإعياء الجسدى . فقد جعلت بولس قادراً على مواصلة خدمته والاستمرار فيها . قيل عن جون وسلى أنه ألقى ٤٢٠٠٠ عظة ، وأنه كان يسافر بمعدل ٤٥٠٠ ميلا فى العام ، وأنه كان يعظ ثلاث مرات يومياً فى المتوسط وعندما بلغ الثالثة والثمانين من عمره كتب فى يومياته يقول : « إننى أعجب لنفسى ، فأنا لا أحس بالتعب أبداً ، لا فى الوعظ ولا فى الكتابة ولا فى السفر » . لقد كان هذا بكل تأكيد هو عمل النعمة التى تكفى لكل شىء .

وكانت هذه النعمة كافية لمواجهة الألم الجسدى ، فقد جعلت بولس قادراً على تحمل الشوكة القاسية . ذهب رجل لزيارة فتاة كانت تحتضر إثر مرض طويل مؤلم استعصى شفاؤه . وأخذ معه لها كتاباً صغيراً مبهجاً ومسلياً ومضحكاً ومشجعاً للمتضايقين واليائسين ، فقالت الفتاة له : « أشكرك جداً ولكنى أعرف هذا الكتاب » . فسألها الزائر : « هل قرأته من قبل ؟ » فأجابت الفتاة : « أنا التى كتبت هذا الكتاب » . أو لم يكن ذلك من عمل النعمة التى تكفى لكل شىء ؟ .

٣ ـــ وكانت هذه النعمة كافية لمواجهة المعارضة والمقاومة . فقد استهدفت حياة بولس كلها للمقاومة والمعارضة ، ولكنه لم يضعف أو يخر طوال حياته . فلم يكن أى قدر من المقاومة أو المعارضة قادراً على تحطيمه أو إجباره على التخاذل والتراجع عن خدمته . ولا شك أن ذلك كان من عمل النعمة التى تكفى لكل شىء .

٤ ـــ وكانت هذه النعمة ، كما نرى فى هذه الرسالة كلها ، كافية لمواجهة الافتراءات . وليس هناك شىء أصعب إحتمالا أو مواجهة من الافتراء والتأويل السيىء والحكم القاسى الظالم الذى يمليه التجنى وسوء الظن . قيل إن رجلا قذف دلو ماء على أرخيلاوس المكدونى . فلم ينبس أرخيلاوس بكلمة . وعندما سأله صديق له كيف احتمل هذه الإهانة بمثل هذه الرزانة وهذا الهدوء أجابه أرخيلاوس قائلا : « إنه لم يقذف الماء على أنا ولكنه قذفه على الرجل الذى ظن أنى أنا هو » . لقد جعلت النعمة الكافية بولس لا يعبأ بما يظنه الناس فيه بل بما يعلمه الله عنه .

إنه مجد الحياة العظيم أن تتجلى هذه النعمة العجيبة فى وسط ضعفاتنا ؛ لأنه عندما تصل حاجة الإنسان إلى شدتها القصوى تسنح الفرصة لله لسد حاجة وإشباعها .

الرسول يختتم دفاعه

قَدْ صِرْتُ غَبِياً وَأَنَا أَفْتَخِرُ . أَنْتُمْ أَلْزَمْتُمُونِي لِأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ أُمْدَحَ مِنْكُمْ إِذْ لَمْ أَنْقُصْ شَيْئاً عَنْ فَائِقِي الرُّسُلِ وَإِنْ كُنْتُ لَسْتُ شَيْئاً . وَإِنَّ عَلَامَاتِ الرَّسُولِ

صُنِعَتْ بَيْنَكُمْ فِى كُلِّ صَبْرٍ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ وَقُوَّاتٍ . لأَنَّهُ مَا هُوَ الَّذِى نَقَصْتُمْ عَنْ سَائِرِ الْكَنَائِسِ إِلاَّ أَنِّى أَنَا لَمْ أُثَقِّلْ عَلَيْكُمْ . سَامِحُونِى بِهذَا الظُّلْمِ . هُوذَا الْمَرَّةُ الثَّالِثَةُ أَنَا مُسْتَعِدٌّ أَنْ آتِىَ إِلَيْكُمْ وَلاَ أُثَقِّلَ عَلَيْكُمْ . لأَنِّى لَسْتُ أَطْلُبُ مَا هُوَ لَكُمْ بَلْ إِيَّاكُمْ . لأَنَّهُ لاَ يَنْبَغِى أَنَّ الأَوْلاَدَ يَذْخَرُونَ لِلْوَالِدَيْنِ بَلِ الْوَالِدُونَ لِلأَوْلاَدِ . وَأَمَّا أَنَا فَبِكُلِّ سُرُورٍ أُنْفِقُ وَأُنْفَقُ لأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ وَإِنْ كُنْتُ كُلَّمَا أُحِبُّكُمْ أَكْثَرَ أُحَبُّ أَقَلَّ . فَلْيَكُنْ . أَنَا لَمْ أُثَقِّلْ عَلَيْكُمْ لٰكِنْ إِذْ كُنْتُ مُحْتَالاً أَخَذْتُكُمْ بِمَكْرٍ . هَلْ طَمِعْتُ فِيكُمْ بِأَحَدٍ مِنَ الَّذِينَ أَرْسَلْتُهُمْ إِلَيْكُمْ . طَلَبْتُ إِلَى تِيطُسَ وَأَرْسَلْتُ مَعَهُ الأَخَ ، هَلْ طَمِعَ فِيكُمْ تِيطُسُ . أَمَا سَلَكْنَا بِذَاتِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ ، أَمَا بِذَاتِ الْخَطَوَاتِ الْوَاحِدَةِ .

(٢ كورنثوس ١٢ : ١١ — ١٨)

عندما نقرأ هذا الفصل الذى يقترب فيه بولس من نهاية دفاعه عن نفسه نحس كأن كاتب هذا الكلام قد بذل جهداً ضخماً مضنياً . ويبدو بولس لنا خلال أقواله هنا وهو فى غاية الإعياء والتعب بسبب الجهد الذى بذله .

ويعود مرة أخرى ، على غير إرادته ورغبته ، إلى الحديث فى موضوع تبريره لنفسه ، الأمر الذى كان ينبغى أن يحسم . فان الإهانة التى توجه إلى شخصه تعتبر شيئاً تافهاً ، ولكن الإهانة التى توجه إلى الإنجيل الذى يكرز به لا يمكن التغاضى عنها أو السكوت عليها .

١ — فهو يؤكد قبل كل شيء أنه لا ينقص شيئاً من خصومه الذين يدعون أنهم فائقو الرسل . وهو يستند فى قوله هذا إلى تأثير خدمته وفاعليتها . عندما أرسل يوحنا المعمدان إثنين من تلاميذه ليسألا يسوع عما إذا كان هو الآتى الموعود به أم ينتظرون آخر ، كان جواب يسوع « اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما » (لوقا ٧ : ١٨ — ٢٢) . وعندما يريد بولس أن يؤكد حقيقة الإنجيل الذى كرز به فى كورنثوس فانه يذكر قائمة من الخطايا والخطاة وحينئذ يضيف هذه العبارة الغامضة « وهكذا كان أناس منكم » (١ كورنثوس ٦ : ٩ — ١١) . إن تأثير الرسالة وفاعليتها لها الدليل عليها وضمان حقيقتها . إن حقيقة وجود الكنيسة لا تتجلى فى فخامة مبانيها أو فى حسن عبادتها أو فى سخاء عطائها أو فى كثرة المترددين عليها ، ولكنها تتجلى فى النفوس المتجددة . وإذا لم تكن هناك نفوس متجددة فان الكنيسة تصبح مفتقرة إلى العنصر الأساسى لحقيقة وجودها . إن القياس الوحيد الذى يحكم به بولس على صدق إرساليته هو قدرتها على تقديم نعمة يسوع المسيح المغيرة لحياة الناس والمجددة لهم .

٢ — لا بد أن عدم قبول بولس شيئاً من عطايا الكورنثيين قد سبب لهم مضايقة بالغة ، لأننا نراه مراراً وتكراراً يعود إلى الحديث عن تلك التهمة . وهنا نراه يضع أحد المبادىء السامية للعطاء المسيحى ، فيقول : « إنى لست أطلب ما هو لكم بل إياكم » . إن المعطى الذى لا يقدم نفسه مع عطائه لا يكون عطاؤه شيئاً ذات قيمة . هناك ديون يمكن أننسددها بدفع مبلغ معين من المال ، ولكن هناك ديوناً أخرى يعتبر المال إزاءها شيئاً لا يستحق الذكر قص هـ. ل. جى H.L. Gee عن شحاذ قرع باب سيدة طيبة يطلب منها إحساناً . ولم تجد السيدة فى بيتها رغيفاً تعطيه له كما لم يكن معها نقود صغيرة . فما كان منها إلا أن أعطته جنيهاً وقالت له . « ليس معى الآن عملة صغيرة . وأنا

أحتاج إلى رغيف . خذ هذا الجنيه . اشترلىمنه رغيفاً وأحضر الباقىوسأعطيك منه شيئاً » . ونفذ الرجل ما طلبته السيدة وعاد إليها . ولما أعطته عملة صغيرة أخذها وعيناه مغرورقتان بالدموع شاكراً إياها وقال لها : « إن الذى أثر فى كثيراً يا سيدتى ليس هو ما أعطيتنى من المال ، ولكن الطريقة التى عاملتنى بها . فلم يحدث أبداً أن وثق بى أحد من قبل ، ولست أستطيع أن أفيك حقك من الشكر » . ربما يقال إن هذه المرأة تصرفت بسذاجة أو ببلاهة ، ولكنها أعطت ذلك الفقير بثقتها فيه شيئاً أكثر من المال ؛ لقد أعطته من ذاتها ومن نفسها . ويقول : « تورجنيف » إن شحاذاً استوقفه مرة فى الشارع ، وبحث « تورجنيف » فى جيبه عن نقود يعطيها لذلك الشحاذ فلم يجد شيئاً . فما كان منه إلا أن مد يده وصافح الشحاذ وقال له : « يا أخى ، ليس لى ما أعطيه لك سوى يدى هذه » . فاذا بالشحاذ يجيبه قائلا : « أنت تدعونى أخاً ، وتمسك بيدى ، هذه فى نظرى أعظم عطية تقدمها لى » . قد يظن أحدهم أنه أدى واجبه لمجرد أنه دفع شيئاً للكنيسة أو لجمعية خيرية أو لرجل فقير . ومع أن تقديم العطاء هكذا أمر سهل وشىء طيب ، لكنه فى نفس الوقت ليس كل شىء لأن العطاء الحقيقى يتطلب أن يقدم المعطى ، ليس عطيته المادية فحسب ، بل نفسه أيضاً .

٣ — ويبدو أن الكورنثيين كانوا قد وجهوا تهمة أخيرة لبولس . فانهم لم يستطيعوا أن يقولوا عنه إنه قد أخذ منهم شيئاً . ولم يستطع خبثهم أن يجد دليلا لتوجيه هذه التهمة إليه . ولكن يبدو أنهم كانوا قد ألمحوا إلى أن بولس قد أخذ نصيبه مما جمع لفقراء أورشليم عن طريق تيطس والأخ الآخر الذى أرسله معه . وهنا ينكشف العقل الخبيث الذى يحاول أن يختلق أى أساس يبنى عليه الانتقاد والاتهام . ولكن إخلاص بولس لصديقيه يجعله يتصدى للدفاع ونفى التهمة عنهما . فقد كان بولس يثق فى مساعديه وأتباعه ومؤيديه ثقته فى نفسه . إن المسيح يحتاج إلى مثل هؤلاء .

سمات كنيسة غير مسيحية

أَتَظُنُّونَ أَيْضاً أَنَّنَا نَحْتَجُّ لَكُمْ ، أَمَامَ اللهِ فِى الْمَسِيحِ نَتَكَلَّمُ وَلَكِنَّ الْكُلَّ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ لأَجْلِ بُنْيَانِكُمْ . لأَنِّى أَخَافُ إِذَا جِئْتُ أَنْ لاَ أَجِدَكُمْ كما أُرِيدُ وأُوجَدَ مِنْكُمْ كما لاَ تُرِيدُونَ ، أَنْ تُوجَدَ خُصُومَاتٌ وَمُحَاسَدَاتٌ وَسَخَطَاتٌ وَتَحَزُّبَاتٌ وَمَذَمَّاتٌ وَنَمِيمَاتٌ وَتَكَبُّرَاتٌ وَتَشْوِيشَاتٌ ، أَنْ يُذِلَّنِى إِلهِى عِنْدَكُمْ إِذَا جِئْتُ أَيْضاً وَأَنُوحُ عَلَى كَثِيرِينَ مِنَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَتُوبُوا عَنِ النَّجَاسَةِ والزِّنَا وَالْعَهَارَةِ الَّتِى فَعَلُوهَا .

(٢ كورنثوس ١٢ : ١٩ – ٢١)

إذ يدنو بولس من نهاية دفاعه تخالجه فكرة واحدة . فان كل ما سرده من مؤهلاته وكل ما ذكره من تبريره لنفسه قد يظهره وكأنه يعير أهمية كبيرة لموقف الناس إزاءه ورأيهم فيه ؛ مع أن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة . فطالما كان يعلم أنه يسلك الطريق الصحيح مع الله ، لم يكن يعبأ كثيراً لما يظنه الناس فيه . وكل ما قاله لا ينبغى أن يفسر بأنه محاولة منه لكسب رضاء الناس عليه وموافقتهم له . قيل إن إبراهام لنكولن ومستشاريه قد اتخذوا يوماً ما قراراً حاسماً فى موضوع هام . فقال له واحد من مستشاريه : « حسناً يا سيادة الرئيس ، أرجو أن يكون الله فى جانبنا » . فأجاب لنكولن : « إن ما يشغل بالى ليس هو ما إذا كان الله فى جانبنا ، بل ما إذا كنا نحن فى جانب الله » . وهكذا كان هدف بولس الأسمى ، أن يقف الموقف الصحيح فى جانب الله بغض النظر عما يظنه الناس فيه أو يقولونه عنه .

ثم يستطرد بولس فيتحدث عن الزيارة التي كان يزمع القيام بها لكورنثوس . فيذكر بشيء من الكآبة والعبوس أنه يخشى أن يأتي إلى كورنثوس فلا يجدهم كما يريد ؛ لأنه إذا حدث هذا ؛ فانهم بكل تأكيد أيضاً سيجدونه كما لا يريدون . وهذا الكلام يحمل لهم تهديداً معيناً . فهو لا يريد أن يتخذ معهم إجراءات قاسية عنيفة ، ولكنه لن يتردد أو يجبن عن اتخاذها إذا لزم الأمر . ثم يواصل حديثه فيذكر قائمة بما يمكن أن يسمى علامات أو سمات الكنيسة غير المسيحية :

فهناك « الخصومات » . وهي كلمة تعني النزاع والنفور والمنافسة والخلاف . وهي سمة الشخص الذي نسي أن من يضع نفسه هو فقط الذي يمكن أن يرتفع . وهناك « المحاسدات » . وهي في الأصل كلمة عظيمة ، لكن معناها قد انحدر وهبط في العالم . فهي في الأصل كانت تصف عاطفة الرجل الذي يرى حياة جميلة أو عملاً جميلاً فيتبارى ويتنافس ليصل بنفسه إلى مستواها . ولكن المنافسة قد تنقلب بسهولة فتصبح حسداً ، أي الرغبة في الحصول على ما ليس لنا حق في الحصول عليه ، أو الروح التي تتضجر وتتذمر عندما يمتلك شخص آخر شيئاً ما تعذر امتلاكنا نحن له . فالمنافسة في سبيل الأشياء الفضلى صفة نبيلة ، ولكن الحسد صفة العقل الصغير الدنيء .

هناك « السخطات » . هذه الكلمة لا تعني الغيظ والحنق الطويل الراسخ ، ولكنها تعبر عن الهياج المفاجيء والانفجار في الغضب . إنها نوع من الغضب الذي وصفه **Basil** بأنه « سطل النفس وسكرها » الذي يدفع الإنسان إلى إرتكاب أشياء يشعر بعد صحوه بالندم المرير على ارتكابها . وكان الناس قديماً يقولون إن مثل هذا الانفجار المفاجيء في الغضب هو صفة من صفات الحيوان لا من صفات الإنسان . فان الحيوان لا يستطيع أن يكبح جماح

نفسه ، ولكن الإنسان يجب أن يكون قادراً على ذلك ، أما إذا سمح للغضب بأن يطيح بصوابه فانه يصبح أقرب إلى الحيوان غير العاقل منه إلى الإنسان المفكر .

وهناك « التحزبات » . وكانت هذه الكلمة فى الأصل تصف العمل الذى يعمل نظير أجر ، كعمل العامل باليومية . ثم أصبح معناها العمل الذى لا يعمل بأى حافز آخر إلا حافز الحصول على الأجر . أى أنها تصف الطمع الأنانى البحت الذى لايهتم بشىء ما إلا بمقدار ما يحققه له من منفعة ذاتية ، والذى لايعرف للخدمة والتضحية معنى أو سبيلا .

وهناك « المذمات والنميمات » . والكلمة الأولى تصف الهجوم السافر بالشتائم والسباب والإهانات العلنية على شخص ما تختلف آراؤه ووجهات نظره عن آرائنا ووجهات نظرنا . أما الكلمة الثانية فهى أردأ من هذا بكثير . إنها تعنى حملات الهمس الخبيث والافتراءات الحافلة بالتجنى والكذب ، والوشايات التى تردد فى الآذان ، والقصص المختلقة التى تروى عن الآخرين كما لو كانت سراً من أسرار الجاسوسية . وإذا كان الإنسان يستطيع أن يرد المذمة لأنها هجوم على وجهاً لوجه ، فانه يعجز عن رد النميمة لأنها ترتكب ضده سراً ، وهى كالسم الخفى الذى يفسد ويسمم عليه حياته وهو لا يستطيع أن يقضى عليه لأنه لا يعرف مصدره . وهناك « التكبرات » ، وفى داخل الكنيسة ينبغى على الإنسان أن يمجد عمله وأن يعلى من شأنه ، ولكنه لا ينبغى أبداً أن يمجد شخصه ؛ حتى أن الناس عندما يرون أعمالنا الصالحة لا يمجدون أشخاصنا بل يمجدون أبانا الذى فى السموات ، فهو الذى مكننا من عمل هذه الأعمال .

وهناك « التشويشات » . وهى كلمة تعنى إحداث الشغب وإثارة الفوضى والاضطرابات . هناك خطر واحد دائماً يحدق بالكنيسة ويهددها . فالكنيسة ديمقراطية ، ولكنها قد تتطرف فى الديمقراطية إلى درجة الجنون والفوضى . إن الديموقراطية ليس معناها أن يكون من حق كل واحد أن يفعل ما يشاء ،

ولكن أن يرتبط الناس بشركة تسودها روح الجماعة المتضامنة فتتفق كلمة السر فيها ، ولا مكان للانعزال أو للانفرادية . وأخيراً كانت هناك الخطايا التى لم يكن حتى المعارضين أو المقاومين الكورنثيين قد تابوا عنها بعد . فهناك خطية « النجاسة » . وهذه الكلمة هى عكس الطهارة والنقاوة ، وهى تشمل كل شىء لا يتناسب مع وجود الإنسان فى محضر الله . وهى تصف الحياة التى تلوثت بأقذار العالم واتسخت بأدرانه وانغمست فى مفاسده . وهناك « الزنا ». وقد كان الكورنثيون يعيشون فى مجتمع لم يكن يعتبر الزنا خطية ، بل كان أمراً طبيعياً وعادياً فى نظر الناس أن يشبع الإنسان شهواته حينما أرادوا أينما استطاع .

وقد كان إنتشار عدوى هذه الخطية المشينة بينهم أمراً سهلا لأنها كانت تستهوى الجانب الدنىء فى طبيعتهم . لذلك كان ينبغى عليهم أن يتمسكوا بذلك الرجاء الذى يستطيع أن يطهر النفوس من الخطية ويجعلها طاهرة كما أن المسيح نفسه طاهر . وكانت هناك « العهارة ». وهذه كلمة ليس فى الإمكان ترجمتها بالضبط . فهى لا تعنى فقط العهارة أن النجاسة الجنسية. إنها تعنى أيضاً وقاحة الخلاعة السافرة والفجور الصريح ؛ أو كما عرفها Basil « إنها موقف النفس التى لم تتحمل ولن تتحمل مشقة ضبط النفس وترويضها » . إنها الخلاعة الوقحة التى لا تعرف كبحاً لجماحها ، والتى لا تحس أبداً بعذوبة الأشياء وجمالها ، والتى تتجاسر على عمل كل شىء يشبع نزواتها ، والتى لا تعبأ للرأى العام ولا تحرص على سمعتها طالما أنها تحصل على ما تهواه وما تريده . إنها روح الأنانية السفيهة الوقحة التى فقدت كل تقدير للشرف وأصبح كل همها هو أن تأخذ ما تريد أينما تريد بلا حياء أو خجل ودون مراعاة لله ولا للناس . وينسب يوسيفوس هذه الخطية إلى إيزابل التى بنت هيكلا فى نفس مدينة الله ذاتها .

تحذير ـ رغبة ـ رجاء ـ بركة

هَذِهِ الْمَرَّةُ الثَّالِثَةُ آتِى إِلَيْكُمْ ، عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ وَثَلَاثَةٍ تَقُومُ كُلُّ كَلِمَةٍ . قَدْ سَبَقْتُ فَقُلْتُ وَأَسْبِقُ فَأَقُولُ كَمَا وأَنَا حَاضِرٌ المَرَّةَ الثَّانِيَةَ وَأَنَا غَائِبٌ الْآنَ أَكْتُبُ لِلَّذِينَ أَخْطَأُوا مِنْ قَبْلُ ولِجَمِيعِ الْبَاقِينَ إِنِّى إِذَا جِئْتُ أَيضاً لاَ أُشْفِقُ . إِذْ أَنْتُمْ تَطْلُبُونَ بُرْهَانَ المَسِيحِ الْمُتَكَلِّمِ فِىَّ الَّذِى لَيْسَ ضَعِيفاً لَكُمْ بَلْ قَوِىٌّ فِيكُمْ . لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ صُلِبَ مِنْ ضَعْفٍ لكِنَّهُ حَىٌّ بِقُوَّةِ اللهِ ، فَنَحْنُ أَيْضاً ضُعَفَاءُ فِيهِ لكِنَّنَا سَنَحْيَا مَعَهُ بِقُوَّةِ اللهِ مِنْ جِهَتِكُمْ . جَرِّبُوا أَنْفُسَكُمْ هَلْ أَنْتُمْ فى الْإِيمانِ . امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ . أَمْ لَسْتُمْ تَعْرِفونَ أَنْفُسَكُمْ أَنَّ يَسُوعَ المسِيح هوَ فِيكُمْ إِنْ لَمْ تَكُونُوا مَرْفُوضِينَ . لكِنَّنِى أَرْجُو أَنَّكُمْ سَتَعْرِفُونَ أَنَّنَا نَحْنُ لَسْنَا مَرْفُوضِينَ . وَأُصَلِّى إِلَى اللهِ أَنَّكُمْ لاَ تَعْمَلُونَ شَيْئاً رَدِيًّا لَيْسَ لِكَىْ نَظْهَرَ نَحْنُ مُزَكِّينَ بَلْ لِكَىْ تَصْنَعُوا أَنْتُمْ حَسَناً وَنَكُونَ نَحْنُ كَأَنَّنَا مَرْفوضُونَ . لِأَنَّنَا

لاَ نَسْتَطِيعُ شَيْئاً ضِدَّ الْحَقِّ بَلْ لأَجْلِ الْحَقِّ . لأَنَّنَا نَفْرَحُ حِينَمَا نَكُونُ نَحْنُ ضُعَفَاءَ وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ أَقْوِيَاءَ . وَهَذَا أَيضاً نَطْلُبُهُ كما لَكُمْ . لِذَلِكَ أَكْتُبُ بِهذَا وَأَنَا غَائِبٌ لِكَيْ لاَ أَسْتَعْمِلَ جَزْماً وَأَنَا حَاضِرٌ حَسَبَ السُّلْطَانِ الَّذِى أَعْطَانِى إِيَّاهُ الرَّبُّ لِلْبُنْيَانِ لاَ لِلْهَدْمِ .

أَخِيراً أَيُّهَا الإِخْوَةُ افْرَحُوا . اِكْمِلُوا . تَعَزَّوْا . اِهْتَمُّوا اهْتِمَاماً وَاحِداً . عِيشُوا بِالسَّلاَمِ وَإِلهُ الْمَحَبَّةِ والسَّلاَمِ سَيَكُونُ مَعَكُمْ . سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ . يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ جَمِيعُ الْقِدِّيسِينَ .

نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَحَبَّةُ اللهِ وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ . آمِينَ .

(٢ كورنثوس ١٣)

فى هذا الفصل الأخير من هذه الرسالة العنيفة شديدة اللهجة يختم بولس حديثه بأربعة أمور :

١ – تحذير أو إنذار :

فإن بولس سيأتى ثانية إلى كورنثوس . ولن يكون هناك فى هذه المرة مجال للمزيد من الحديث غير المسئول والعبارات الطائشة . بل إن كل ما يقال لا بد أن يدعم بالدليل الحاسم والبرهان القاطع . أو بعبارة أخرى يصر بولس

على أنه ينبغي أن يكشف النقاب عن كل شيء ، وأنه لا بد من وضع حد لهذه الحالة السيئة . لقد علم أنه لا مناص من مجيء الوقت الذي تواجه فيه المشكلة بصراحة حاسمة . فعندما تفشل كل الأدوية في العلاج لا مناص من استخدام مشرط الجراح . ولم يحدث أبداً أن استطاع أحد حل مشكلة ما بالهروب من مواجهتها .

٢ — رغبة :

إن رغبة بولس هي أن يتصرفوا حسناً وألا يعملوا شيئاً ردياً حتى لا يضطر إلى ممارسة سلطانه . ولن يكتئب لذلك ، بل بالعكس سيكون فرحه بذلك حقيقياً وعميقاً . فهو لم يرد أن يستخدم سلطانه لمجرد إظهاره أو إثبات وجوده ولكنه عمل كل شيء بقصد البنيان . وهكذا يجب أن يهدف التأديب إلى رفع الناس وبنيانهم وليس إلى مجرد إذلالهم وتحطيمهم .

٣ — رجاء أو أمل :

وبولس هنا له ثلاثة آمال يرجوها للكورنثيين :

(ا) فهو يرجو أنهم يتقدمون وينمون نحو الكمال ، فان الحياة المسيحية لا تعرف الوقوف عند حد معين . ومن لا ينمو أو يتقدم فلا بد أنه ينزلق في طريق الانحدار والتراجع . إن المسيحي هو الشخص الذي يسير دائماً قدماً في الطريق نحو الله ، ولذلك فهو — بنعمة المسيح يزداد يوماً فيوماً استعداداً وتأهلا للفحص الإلهي .

(ب) وهو يرجو أنهم يصغون للنصح والإنذار اللذين وجههما إليهم . ولا شك أن الرجل الكبير هو الذي يتقبل بصدر واسع ما يقدم له من نصح حتى وإن كان شديداً . وسوف تكون حياتنا أفضل بكثير لو أننا توقفنا عن الحديث عما نريده وبدأنا ننصت إلى أصوات ونصائح الحكماء ، وبصفة خاصة إلى صوت يسوع المسيح .

(ج) وهو يرجو أنهم يعيشون فى إنسجام وفى سلام . فلا يمكن لجماعة أن تتعبد لإله السلام بينما تمزقها روح الفرقة والبغض والخصام . ولا بد أن يحب الناس بعضهم بعضاً حتى يمكن أن تكون محبتهم لله محبة حقيقية صادقة وليست مجرد زعم لا أساس له من الصحة .

٤ ـ وختاماً ينهى بولس رسالته ببركة ؛ فبعد الشدة والصرامة والنزاع والمجادلة يعطى البركة الهادئة الصافية .

إن من أحسن الوسائل لصنع السلام مع أعدائنا هى أن نصلى لأجلهم ، لأنه لا يستطيع إنسان أن يكره أخاه وأن يصلى لأجله فى الوقت نفسه . وهكذا ننتهى من قصة متاعب بولس مع كنيسة كورنثوس بالبركة والسلام يدويان فى آذاننا ويعلقان بأذهاننا .

لقد كان الطريق شاقاً وصعباً ، ولكن الكلمة الأخيرة هى كلمة السلام ؛

...ation of the Alexandria Library (GOAL)